

جامعة الحسن الثاني - عين الشق
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية
الدار البيضاء
سلسلة الأطروحات والرسائل : 5

العلاقات بين السلطة والسكان بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي في أعوام الستين من القرن التاسع عشر

(1280 / 1863 – 1290 / 1873)

محمد زرهوني

جامعة الحسن الثاني - عين الشق
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية
الدار البيضاء
سلسلة الأطروحات والرسائل : 5

محمد زرهوني

العلاقات بين السلطة والسكان بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي في أعوام الستين من القرن التاسع عشر

(1873 / 1290 - 1863 / 1280)

1998

المقدمة

يطرح موضوع العلاقات بين السلطة والسكان بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، في أعوام الستين، من القرن التاسع عشر، مشكلة الالتحام والتننافر داخل المجتمع، تلك العلاقات التي تبين إلى حد، نوعا من السماح بالاستمرار، إذا روعيت شروطه، أو عرقلته عندما تفقد تلك الشروط. واعتبرنا دراسة العلاقات بهذا الشكل، أساسا رئيسا لاكتشاف الأسس العميقة لارتباط المجتمع، ذلك أن اعتباره مجتمعا يقتضي مراعاة البعض للبعض، حفاظا على مصلحته، فتحتاج الأطراف في هذا الأمر، إلى ارتباطات ترعاها مؤسسات، تختلف أسماؤها من زمن لآخر، كما يختلف مدى صلاحياتها، باختلاف تشابك ما تعالجه من علاقات.

ويبدو بادئ ذي بدء، أن تعميق جوانب هذه العلاقات، يحتاج إلى أدوات، وتناولنا منها ما كان يعتبر رسميا من الوثائق، مكملا إياها ببعض أدوات أخرى، لكن النصيب الأوفر منها، لما تعبر عنه فعلا عن كيفية معالجة العلاقات، التي اضطررنا لتوسيع مداها الجغرافي، خارجة عن وحدة القبيلة إلى مجموعة من القبائل، تمتد عبر سفحي الأطلس الكبير الغربي، لما أظهرته تلك الوثائق نفسها من وجود الترابط بينها، لكن قصرنا زمانها، لتشمل عشر سنوات، لما اقتضته تلك العلاقات نفسها من حصر، منها تنقلان للسلطة المركزية بالمنطقة. أولهما 1863/1280 وثانيهما 1873/1290.

ولقد اقتضت محاولة دراسة العلاقات المجتمعية السلطوية، في الفترة المدروسة، تناولها في مجموعة من الجوانب في شكل فصول، تناول الفصل

الأول محاولة وضع إطار منهجي، اقترح فيه افتراض إطار، كانت تلك العلاقات تتم فيه، سميناه بنمط الإنتاج الشتات، كما تناول ما يقتضيه الموضوع من التعامل مع الأدوات المعرفية، في حين تناول الفصل الثاني، تعريف المنطقة جغرافيا وتاريخيا. جغرافيا لما توفره من إمكانات لربط العلاقات، خاصة في منطقة تبدو متكاملة، تمتد من أُسيفْ المْالْ إلى المحيط، فارتأينا تسميتها بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي. وتاريخيا لما عرفته من بناء نسيج زمني للعلاقات، دام من ما قبل الإسلام إلى الستينات من القرن التاسع عشر، موقف الدراسة، في حين تناول الفصل الثالث، تنقل السلطة المركزية عبر المنطقة إلى سوس سنة 1860/1280، وتأثيره على العلاقات بالمنطقة. أما الفصل الرابع فقد عالج مجموعة من القضايا في شكل علاقات، تناولت جانب السلطوي التنفيذي من عمال وشيوخ، وجبايات، إلى نوع من النزاعات، منها ما تثيره الزوايا من تنازع الاختصاصات في العلاقات، أو ما تثيره عواقب رغبة الهيمنة بين القوى المتنافسة، كما عالجت جوانب من الحركة الاقتصادية، وما تقتضيه من التدخل لحل مشاكل ترتبط بالأرض والمياه والإنتاج والتجارة، ثم تناولت نوعا من الارتباك الذي يحدث في العلاقات، عند تدخل أحداث طارئة، كالضغط الأجنبي، أو الضغط الداخلي عند وصول العلاقات إلى مرحلة لم تعد تحتمل الاستمرار السلمي، كما كان بحاحة، فتحولت إلى ثورة. واختتم الموضوع بالفصل الخامس، وما يطرحه من جوانب العلاقات بين السكان والسلطة أثناء التوتر، ومست أسباب الاضطراب وأدوات الضغط، ومحاولة إعادة الاستقرار لعلاقات السكان بالسكان، ولعلاقاتهم بالسلطة.

تلك كانت خطوط هذا البحث، الذي آمل أن يسهم بدوره في تزايد ضبط تاريخ وطننا، مجتمعا وسلطة عبر سلسلة من أشكال العلاقات شاكرين كل المساهمين في رعاية هذا العمل، وعلى رأسهم أستاذنا أحمد التوفيق، الذي أشرف عليه، في جميع أطوار إعداده. كما نشكر أساتذتنا الكرام الذين تجشموا قراءته ومناقشته، الأستاذ إبراهيم بوطالب والأستاذ علي صدقي والأستاذ محمد الناجي، والذين آمل أن تسهم مراعاة ملاحظاتهم في استقامة عثراته، ونشكر

الأستاذين، سعيد أيت حمو، وعبد الرحمان العثماني على مجهوداتهما في وضع الخرائط، ونوجه شكرنا وتقديرنا للأستاذ أحمد بوشارب، قيدوم كلية الآداب عين الشق، الذي أشرف على نشر هذا العمل. ولنا التقدير الكامل لكل الذين ساعدونا أثناء التنقل في المنطقة التي تناولها البحث من مراكش إلى حاحة. وكل الذين عملوا معنا من قريب وبعيد، في إنجاز هذا العمل، وللجميع الفضل. ربنا تقبل أعمالنا، ووفقنا لما فيه الصلاح.

ملحوظة : هناك مختصرات استعملت في الهوامش وهي

ن. م : نفس المصدر أو المرجع.

ن. ر : نفس الرسالة.

ن. ح ـ ن. ت : نفس المصدر ونفس التاريخ.

ك : كناش.

خ. ح. ر : الخزانة الحسنية ـ الرباط.

خ.ع.ر : الخزانة العامة ـ الرباط.

ـ يرد كثيرا مصطلح سلطوي في النص، لا بأس بالتذكير بضبطه وهو الحَرْكَة والمشاركون الحُرَّاك.

الفصل الأول

الإطار المنهجي لدراسة العلاقات التاريخية الاجتماعية والسلطوية بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي في الستينات من القرن التاسع عشر

يبدو أن محاولة وضع تصور منهجي لدراسة إشكالية علاقات السلطة بالسكان، تساعد على تبيين المقصد، وإن كان ذلك متعلقا بكيفية واسعة، بصعوبات تصورية للعلاقات في ظروف ولت، ولم تترك إلا علامات، تجب الحيطة في قراءتها. لكن مع ذلك، فالحاجة ملحة، لمحاولة إيجاد إطار تدرس خلاله، تلك العلاقات السلطوية السكانية، سواء في فرضية نمطية للإنتاج، أو في أسباب لتحديد مكاني وزماني للنموذج المدروس، أو في التذكير بالأدوات التي يعكس محتواها، تلك العلاقات السلطوية السكانية.

1- دواعي افتراض مفهوم الإنتاج الشتات :

إن تحليل العلاقات الاجتماعية والسلطوية التاريخية، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، في الستينات من القرن التاسع عشر، يطرح إشكالية منهجية، تدور حول البحث عن الإطار الفعلي، الذي كانت تتم فيه تلك العلاقات، وهذا لا يتأتى، إلا بإلمامة موجزة، ببعض الدوافع العامة، للتفاعل البشري، الذي أصبح فيه للاقتصاد دور كبير، مما يقتضي النظر إليه من عدة زوايا، كأسباب بروز الاهتمام

بالإقتصاد، ومحاولة صياغته في شكل أنماط، التي قد يكون منها نمط الانتاج الشتات.

1 - 1 من أسباب بروز الاقتصاد في التحليل التاريخي

إن محاولات تصنيف العلاقات الاجتماعية السلطوية حول المعاش البشري، نجم عنه إبراز دور الاقتصاد، الذي أصبح يوحي، بأنه مفتاح فهم كثير من التطورات البشرية، حتى أصبح يفرض نفسه، في أي موضوع، ولو على أصغر بقعة، ولأقصر فترة.

إن طرح دور الاقتصاد، بهذه الصيغة العامة أصبح يعرقل في الواقع، فهم مكانة درجته في الحركة الاجتماعية، لأنه يجعل الاقتصاد مفهوما مجردا من الخضوع للتطور التاريخي بما تشكله عوامل أخرى، من تأثيرات تختلف من فترة لأخرى، ومن مكان لآخر.

لقد كانت السمة الرئيسية للتحول، الذي عرفه الاقتصاد في العصر الحديث، كونه تحول تدريجيا إلى تمركز في الإنتاج، مستقل عن المنتجين(1) أفرادا وجماعات، ووجد هذا التحول دعما في تطور التكنولوجيا التي سهلت تزايد التحكم في مصادر الاقتصاد وحصيلته، الذي استقطب حتى القوت اليومي للإنسان، فأصبح كالفرخ لا تتجاوز قدرة تحكمه في معاشه، فتح فوهه للالتقاط.

إن هذا التحول نحو الإنتاج المتمركز، المستقل عن المنتجين، والذي عرفته أوروبا في العصر الحديث، كانت له انعكاسات على الحياة الاجتماعية، ذلك أنه أدى إلى خلل اجتماعي، برزت معالمه في أوربا الغربية، خاصة في القرن التاسع عشر. مما خلق تيارا إصلاحيا اجتماعيا، يحاول اكتشاف أسباب الخلل، قصد إعادة التوازن الاجتماعي، وإقامة حياة كريمة للإنسان. فأسهم هذا التيار في ظهور الفكر

1) Ragip Ege. Réflexions théoriques sur le concept de stagnation dans l'analyse marxiste de l'histoire ottomane, in Économie et sociétés (fin XVIII début du XX siècle) colloques internationaux du C.R.N.C. p. 26. Paris 1983.

الاشتراكي، الذي أبرز مع ماركس أن أسباب الخلل الاجتماعي، تعود إلى الإنتاج المتمركز، المستقل عن المنتجين، لأنه فوت مجهودات أغلبية واسعة من المجتمع، إلى أقلية محدودة، لا فضل لها إلا بحق التملك، فكان غرضه من بحث الشؤون الاقتصادية هو إعادة حسن التوزيع.

أدى التوسع في هذا الاتجاه، إلى خلق نظرية الأنماط الإنتاجية، وحاول واضعوها انطلاقا من ماركس، كشف الأضرار الاجتماعية الناتجة عن تمركز الإنتاج، على المجتمعات بصفة مطلقة. لكن واضعي هذه النظرية، سرعان ما تبين لهم، أنها لا تنطبق في تطورها الدقيق إلا على أوربا، فأدى الأمر إلى استكمال تلك النظرية، بإضافة نمط يتخذ كمبدإ لدراسة المجتمعات، خارج أوربا، فسمي ذلك النمط الاستكمالي للنظرية العامة، بالنمط الأسيوي للإنتاج. اهتم فيه ماركس، واضع أسسه، بإبراز الأضرار الاجتماعية الناتجة عن تمركز الإنتاج. وإن كان هذا التمركز في النمط الأسيوي للإنتاج ليس صادرا عن استيلاء طبقة اجتماعية على الانتاج، وإنما هو ناتج، عن احتكار السلطة التنظيمية القهرية أي الدولة للإنتاج.

إن الإقرار بتواجد الاختلاف في تصنيف العلاقات الإنتاجية، أدى إلى اجتهادات، تحاول كشف السيرورة التاريخية للمجتمعات خارج أوربا، فقام البعض، بتطبيق النمط الأسيوي للإنتاج ، وكنموذج، ما فعله أحمد صادق بالنسبة لتاريخ مصر(2)، منذ القديم، إلى أوائل التغييرات الجديدة، المتعددة المصادر، في القرن التاسع عشر. واستنتج أن الدولة في مصر، ظلت مستبدة بفوائد الإنتاج المتمركز، مهما اختلف المتسلطون عليها.

إن الأبحاث التاريخية المهتمة بدراسة المجتمعات، سواء على المستوى الأوربي، أو خارجه، اعتمادا على العناية بإبراز العلاقات الإنتاجية، قد ازدادت

2) صادق، أحمد : في ضوء النمط الأسيوي للإنتاج : تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي، دار ابن خلدون، بيروت، 1979.

صعوبــة، بارتفــاع مســتوى التنظــير، ومــا خلفــه مـن اهتمامـات، خاصـة فـي أوربا المتقدمة.(3)

ولقـد غلّـب التـأرجح العام بين التحليلات، في النهاية، عنصر الاقتصاد الذي أصبـح موجودا، في كل لون من تلك التحليلات. فتحول الأمر، من محاولة البحث عـن أسباب الخلل الاجتماعي، الناتج عن العلاقات الإنتاجية، لما تتحول إلى علاقات الإنتـاج المتمركز، في أي بلد وفي أي يد، وطنية أو أجنبية ، وفي أي فترة زمنية، إلى الاهتمـام بالاقتصـاد ذاتـه. فتجـاور الأمـر بذلـك، محاولة البحث، عن علاج أضرار التحكم في إنتاج الإنسان.

فقـد كـان هـذا التحـول، مـن الاهتمـام بعقدة نظرية أنماط الإنتاج، إلى الفرع الـذي هـو الاقتصـاد، انحرافـا. ذلك أن الاقتصاد، المادة الخام فعلا، كان البحث في تاريخـه، عنصـرا أساسيا لإبـراز مخـاطر الاسـتحواذ عليه انفراديا، سواء من طبقة أو دولـة. فـأصبح الانشـغال تدريجيا، يقتصر على التاريخ الاقتصادي لذاته، حتى صار اليوم لازمة للتاريخ عامة، كأداة للتحليل الواقعي للعلاقات.

لقـد نشـأ الاهتمـام بالتاريخ الاقتصادي، المنفصل عن نظرية أنماط الإنتاج، في أوربـا، فـي النصـف الثـاني مـن القـرن التاسـع عشـر. وارتبطـت بدايتـه بالضائقـات الاقتصاديـة، التـي عرفتهـا أوربــا فـي تلـك الفتــرة، وخـاصة ضـائقتي 1873-1874 و1900 1905 -. لكـن بـروز التـاريخ الاقتصادي بصفة دقيقة وشاملة، كان في الثلاثينات من القـرن العشـرين مـا بـين 1929 وسـنوات 1930 (4)، وهـي نفـس الفـترة التـي عرفـت الضائقة الاقتصادية الكبرى.

كـانت هـذه التحـولات، هـي الظرفيـة العامة التي ظهر فيها الاهتمام بالتاريخ الاقتصـادي، لأنـه في تلك الظروف، تجلت بوضوح، الأضرار الاجتماعية الناتجة عن الإنتاج المتمركز. وذالك ما كانت تهتم به أيضا، نظرية أنماط الإنتاج.

---

3) تعنـى مجموعـة مـن البـاحثين والمؤرخين بمختلف الاحتمالات التحليلية للمجتمع : راجع حول هذا الموضوع الأجـزاء الثلاثـة مـن كتاب Faire de l'histoire, sous la direction de Jacques le Goff et Pierre Nora Gallimard. Paris, 1974.

4) Chaunu (Pierre) L'économie : Dépassement et prospective in Faire de l'histoire. T. II, p. 52 Gallimard, Paris. 1974

إن هـذا التطـور المـؤدي إلـى إدمـاج الاقتصـاد في العناية التاريخية، يندرج في الواقـع، ضمـن تطـور أوسـع لمفهـوم التـاريخ نفسه، حتى إن بعض الباحثين، يرى أن علـم التـاريخ فـي طور النشوء(5). وفـي هـذا المضمـار، يذكـر ميشـيل سـرطو، بـأن الأدوات التـي يستعملها البحث التاريخي، ما فتئت تتطور. حتى خلص إلى أن كل "مجتمع يفكر تاريخيا بالوسائل الخاصة به".(6)

إن هـذا الانفتاح العام، نحو إمكانية تطوير أدوات التحليل للمجتمعات، يمكن مـن إمكانيـة اجتهـادات، قـد تخطئ أو تصيب، لكنها لا تمنع من محاولة الفهم، ما دام ميـدان التاريخ، من الميادين الشديدة الصعوبة. لأنه يحاول تمثيل حياة الأمم، التي بذلـت شعوبها جهـودا مضنية للبقاء، وللتطور نحو تجاوز الصعوبات، مستعملة كل الأسـاليب وكـل الطموحـات. ولذلـك فـإن تعدد أدوات محاولة الفهم، هو الوسيلة الكفيلة لتصور تلك المعاناة البشرية.

وفـي هـذا الإطـار، يمكـن استحداث مصطلحـات، تسـاعد علـى فهم طبيعة العلاقـات الرابطـة بـين أطـراف المجتمـع خـارج أوربـا. تلـك المجتمعـات، التـي كـان نشـاطها الكلـي، يستند إلى إمكانيات أخرى. وإذا كانت طبيعة نظرية أنماط الإنتاج، تعطـي الأولويـة للخلـل الاجتماعي، كظاهرة غير سليمة في إطار العلاقات البشرية، فإنهـا ركـزت علـى دور التمركز، الذي يؤدي إلى حرمان جماعي لفئات واسعة من المنتجـين. فإنـه يمكن التساؤل، إلى أي مدى يمكن وجود هذا التمركز في المجتمعات الأخرى؟ وإلى أي مدى يمكن التعبير عن العلاقات بنمط آخر لعلاقات الإنتاج ؟

إن الجـواب عـن هـذا التسـاؤل، بالنسبة للمحاولة في تاريخ المغرب، لا بد من إدماجـه فـي مرجعيـة تنظيميـة واسـعة، ذلـك أن العلاقـات البشـرية الانتاجية، مهما

---

5) Vilar (Pierre) Histoire marxiste, histoire en construction, in Faire de l'histoire. T 1, p. 169, Gallimard, Paris 1974. ويذكـر بـير ڤـيلار أن أرنسـت لابـروس، يحـب أن يكـرر "التاريخ في طور التصنيع" كما يذكر أن لويس ألتوسير يذكرنا بأن مفهوم التاريخ لم يصغ بعد.

6) Certeau (Michel de) l'opération historique, in Faire de l'histoire, T 1, p. 17 Gallimard, Paris 1974.

اختلفت مواقعها في الزمان والمكان، لا بد لها من إطار عام تنصب فيه. لأنه يزودها بأدوات الضبط، التي يعبر عنها بالتشريع.

لقد كان الإسلام، ذلك المذهب المرجعي التنظيمي، الذي يتحرك الناس فيه. سواء في علاقاتهم الخاصة، أو في علاقاتهم العامة. بما يحدده من سلوك عام، ضمن مذهب فقهي مرن، ترسخ في فترة طويلة من الزمن. لكن الملاحظ، أن الكتابة التاريخية الأوربية لما اهتمت بالتاريخ المغربي، تعمدت السكوت عن هذا الجانب. فصارت تقدم علاقات السكان فيما بينهم، أو علاقاتهم مع السلطة في إطار مجموعة من الأعمال، التي لا تستند إلى أي مرجع تنظيمي، وحتى إن كانت الإشارة إلى هذا الإطار التنظيمي، فإنه في الأغلب، لا تحتفظ منه سوى بما كانت تعبر عنه بالتعصب، وكراهية الأجانب، أو ما يقف دون التطور.

ويظهر أن هذا السكوت، قد أثر في تحليل الفترات التاريخية المغربية المتعاقبة، ولذلك، فإن التعرض لها في غياب التأكيد على ذلك الجانب التنظيمي العام، الذي ينطلق من الإسلام، لا يساعد على فهم سيرورتها سلبا وإيجابا، خاصة في إطار الدولة المغربية، لما قبل الحماية.

لقد بدأ التصنيف والتعليل بالنسبة للمجتمع المغربي، مع الحركة الاستعمارية ومحلليها للمجتمع وللتاريخ المغربيين. فحاول أولئك المحللون، تصنيف العلاقات الاجتماعية السلطوية، ولكن الصيغة العامة لإنتاجهم، ظلت مرتبطة بالفكر الأوربي، الاستباحي لخيرات الأمم الأخرى خارج أوربا. ذلك الفكر، الذي ما انفك يحاول إبراز النقائص في الترابط الاجتماعي السياسي، مجتمعا وسلطة. فصيغت آراء، وصلت درجة من التعليل نجم عنها مبدأ السيبة، الذي يتضمن تشكيل علاقات المجتمع خارج السلطة المركزية، وانبنت على هذا المبدأ، دراسات انكبت على ميكانيزمات التواصل، بين السلطة والمجتمع، ودرجة التعامل المحلي بين السكان.(7)

---

7) Montagne (Robert) Les berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc, Paris, 1930. =

إن هـذا المبـدأ سـرعان مـا سيؤثر من جديد على البحث التاريخي المغربي بعد الاستقلال. وجعـل معظـم الأبحـاث، تدور حول إشعاع الدولة وفاعليتها، مما جعل العلاقـات الإنتاجيـة تـدرج فـي الدرجـة الثانيـة، فكـان الاهتمـام السياسـي قد سرق العنايـة عـن كـل الأشـكال التحليليـة الأخـرى للمجتمـع.(8) وحتـى لمـا جـاءت المدرسـة السوسـيولوجية(9)، ثـم الأنتروبولوجيـة(10)، فإنهـا ركـزت علـى توضيـح

= يمثل نموذجا لهـذه الدراسـات التـي ركـزت علـى الترابط الاجتمـاعي والتنظيمـي خـارج السلطة التي أفسد تدخلها أسس ذلك الترابط.

ـ أورد عياش جرمان ملخصا لهذه النظريات في مقالته : Histoire et Colonisation, in Etudes d'histoire marocaine, pp. 6-24, S.M.E.R. Rabat, 1979.

8) لقـد اهتـم عبدالرحمـان بـن زيـدان في كتابه إتحاف أعلام الناس، بجمع الوثائق التي تؤكد مكانة الدولة في المجتمع.

ـ عني الأستاذ عياش جرمان بإبراز أهمية الدولة وتصرفاتها : Etudes d'histoire marocaine

إن الأستاذ العروي يدل عنوان أطروحته على اهتمامه بالبحث عن كوامن الوحدة الوطنية التي تتفاعل للمحافظة على كيانها أثناء الأزمات.

Les Origines Sociales et Culturelles du Nationalisme Marocain, (1830-1912), Maspiro, Paris 1977.

ـ هنـاك دراسـات منهـا كنمـوذج، دراسـة أحمـد التوفيـق عن قبيلـة إينولتان (1850- 1912) التـي تعمـم العمـل بتوسيع دائرة التركيز من الدولة إلى المجتمع.

9) من هـذه النمـاذج عمـل بـيرك عن البنية الاجتماعية للأطلس الكبير الغربي، فقد استنتج أن البنية الاجتماعية بـالأطلس الكبـير الغربـي معقـدة ورصينـة حتـى إنه يستفاد منها أن لا حاجة لقرارات سلطوية منظمة آتية من السلطة المركزية.

Structures Sociales du Haut-Atlas, P.U.F., Paris, 2 ed., 1978.

ثـم عقبه باسـكو عـن الحـوز، وقد استنتج أن العلاقات السلطوية المجتمعية كانت مؤطرة بالنسبة للفترة التي عني بها بعنصر تنظيمي خاص عرفه بالقيداوية وما كان لها من تأثير بين السلطة والمجتمع.

Le Haouz de Marrakech, T. I et II, Rabat, 1977.

10) لمدرسـة التجزئيـة مـن المدارس الانتروبولوجية الحديثة التي تعنى بتحليل العلاقات بين السكان على أساس أن التـوازن بينهـم يرجـع إلـى عوامل يحركها الضغط الخارجي، فيتدافعون بينهم على درجة تباعد الخطر، ويتم ذلك كله في غياب من السلطة المركزية أي الدولة.

ولقـد كـانت هنـاك محـاولات لتطبيـق هـذه النظريـة علـى المجتمـع المغربـي واسـتعرض حمـودى بعضـا منهـا، وكذلك باسكون.

Hamoudi Abdellah. Ségmentarité, Stratification sociale, pouvoir politique et sainteté. Réflexions sur les thèses de Gellner. Hesperis - Tamuda. 1974. Vol. XV, pp. 147-180.

باسكون، بـول : التجزؤ والتراتب في المجتمع القروي المغربي مجلة الفكر العربي. العدد 37- 38سـنة 1985. ص ص 334- 346.

العلاقـات السـلطوية، باحثـة عـن أسـباب الاسـتقرار والاهـتزاز الاجتمـاعي خـارج السلطة المركزية. مهملة بدورها العلاقات الإنتاجية.

إن انصـراف الاهتمـام عـن علاقـات الإنتاج، يمكن تعليله ببطء حركة الإنتاج ذاتـه، ذلـك أن المغـرب فـي القـرن التاسـع عشـر، مـا زال يعيش ضمن إطار اقتصاد الاكتفاء الذاتي.

وإن طـابع اقتصـاد الاكتفـاء الذاتـي، تـؤدي إلى وجود نمط من الإنتاج، يمكن تسميته بنمط الإنتاج الاشتات.

2-1 نمط الانتاج الشتات

يعتمـد نمـط الإنتـاج الشـتات، علـى مشـاركة الأغلبية في الإنتاج، في وضعية تقنية موروثة، لأن ذلك الإنتاج، يتوجه أساسا إلى الاستهلاك المحلي.

ويمكـن تصـور هـذا الطـابع الاقتصادي، ذي نمط الإنتاج الشتات، باستعراض بعض المظاهر الإنتاجية، التي كانت سائدة بالمغرب حتى أوائل القرن العشرين.

فقـد ذكـر المختار السوسي، "مما يتعجب منه المطلع في كل نواحي المغرب، أنه يجد في كل جهة من الحرف ما تدعو إليه الحاجة الحيوية".(11)

مـما يـدل علـى أن الإنتـاج، كـان يلبـي حاجـات محليـة اسـتهلاكية واسـعة. ويضيـف البـاحث، "لـو كنـت الآن بصـدد كـل مـا أعرفـه فـي سوس، من الصنائع التقليدية التي أدركناها، لتعجب القارئ"(12) ثـم أخـذ يسـتعرض أنواع تلك الحرف التـي كـانت متوارثـة، مبتدئـا بـالحدادة التي كانت منها، حتى صناعة الأسلحة "من البنادق على الطراز القديم، ومن السيوف والسكاكين بأنواعها".(13) وهذا له ما له

11) السوسي : محمد المختار المعسول ج 1، ص. 36، مطبعة النجاح ـ الدارالبيضاء 1960.

12) السوسي : محمد المختار، ن. م. ص 36.

13) السوسي : محمد المختار، ن. م. ص 36.

من مغزى، فمعلوم أن صناعة الأسلحة قد تحولت في إطار الإنتاج المتمركز، إلى اختصاصات الدولة، ترعاها وتراقبها. وصناعة الحديد، من الصناعات التي كانت متوزعة على المغرب، وذكر أحمد التوفيق، نموذجا لها أيضا في اينولتان، والتي كانت لها فرن تقليدي بأيت شتاش(14)، كما ذكر أن دمنات كان بها سوق الحديد.(15)

وبالإضافة إلى صنع الحديد، عدد المختار السوسي بعض الميادين الأخرى، التي طالها الإنتاج الشتات. ومنها النسيج، والخياطة والرقانة، والحبالة، والشباكة، والإكافة والحذاءة، والخزافة، والنجارة.(16)

لقد كان الإنتاج الشتات، الطابع العام لاقتصاد المغرب، مدنه(17) وأريافه(18). مما لم يمكن أن تتولد معه "طبقة من الحرفيين والصناعيين مميزة". كما أشار إلى ذلك، نائب قنصل بريطانيا بالصويرة، في جواب عن منشور هاى 1870.(19) وإن كانت هناك طوائف حرفية في المدن الرئيسية،(20) إلا أن الطابع الفردي، كان السائد في البوادي.(21) حتى إن بعض الحرفيين من المدن، يتنقلون في البادية، وقد يطول مكثهم بها، كما كان الأمر بين الصويرة والمناطق المجاورة لها، من طرفي الأطلس الكبير الغربي.(22)

---

14) التوفيق أحمد : مساهمة في تاريخ المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، إينولتان (1850-1912) 12ص 250 - دار النشر المغربية - الدارالبيضاء، 1980.

15) التوفيق : أحمد، ن. م. ص. 253.

16) السوسي : محمد المختار. ن. م ، ن. ج، ص ص 37- 40.

17) راجع لوتورنو عن إنتاج فاس الذي خصص له الفصل الثالث ص ص : 465-529. فاس قبل الحماية، الجزء الأول - النص العربي - لبنان 1986.

18) التوفيق أحمد. ن. م. ص ص 249- 268، الجزء الأول.

19) Schroeter Daniel : Merchants and pedlars of Essaouira a Social history of moroccan trading town, (1844 - 1886), p. 183.

20) راجع لوتورنو. ن. م. ونفس الفصل.

21) راجع أحمد التوفيق للمزيد من التوضيح حول هذا الطابع في حديثه عن الصناع في إينولتان. ص ص : 249 - 268الجزء الأول.

22) Schroeter Daniel : ibid. p. 185.

وقد ذكر الباحث أن عددا من الحرفيين اليهود يقضون فصلا من السنة في البادية قبل الرجوع إلى المدينة إذ لا يعودون إليها إلا للمشاركة في الاحتفالات الدينية مع عائلاتهم.

لقد انعكست طبيعة نمط الإنتاج الشتات، على كل الميادين، من تبادل ومقاييس، وعملة، وتنظيم اجتماعي، وقانوني.

يقتضي نمط الإنتاج الشتات، مشاركة مهمة في التبادل، خاصة على النطاقات المحلية. ولذلك كانت المراكز المتعددة، تشارك فيه بفاعلية نظرا لـ"لارتباط الوثيق، بين الاقتصاد القروي، وبين الأسواق الأسبوعية"(23). تلك الأسواق التي كان منها كنموذج، حوالي 34 سوقا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بالمنطقة الخلفية للصويرة، بكل من حاحة، والشياظمة، وشمالي إداوتنان.(24) وما يزيدها أهمية، أن المواصلات، كانت ما تزال تعتمد على الطاقة الحيوانية.(25)

وتتسم المواد المتبادلة غالبا بالطابع الخام. إما للاستهلاك، أو التحويل الحرفي، أو التصدير. مع مواد مصنعة محلية، أو مستوردة، إما من المدن، أو من الخارج.(26) وقد تكون الدورة الكبرى، للنشاط التبادلي، في إطار الإنتاج الشتات، متباعدة. لكونها مرتبطة في معظمها، بالقطاع الاقتصادي الأول، خاصة من زراعة ورعي. مما يفسر تعلق تلك الدورة، بالمواسم، فصلية وسنوية. والتي تعددت مراكزها، فكان منها حوالي 29موسما بسوس(27)، بعضها إشعاعه مقتصر على ما بين القبائل، والبعض الآخر أكثر اتساعا كموسم تازروالت، الذي عظمت أهميته، خاصة في

23) أحمد التوفيق : ن. م. ص 300.

24) Schroeter Ibid. p. 85.

ذكر أفا أيضا أن هناك حوالي 55سوقا بسوس. ص 92- 97: مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (سوس 1822- 1906).

25) راجع المرور التجاري، ص ص 300- 304.

26) أحمد التوفيق. ن. م. ج. ص 302عن المواد المتبادلة في دمنات.

- المختار السوسي. "إيليغ قديما وحديثا" : الرباط 1966. ص 253، عن المواد المتبادلة في موسم تازروالت.

أفا عمر : مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر. ط 1988، النجاح الجديدة - الدارالبيضاء، البضائع الرائجة بأسواق سوس في القرن التاسع عشر، ص، 96.

- باسكون (بول) عدد المواد المتبادلة في تازروالت بناء على سجل الحسين بن هاشم فذكر أنها حوالي 87مادة.
Le commerce de la maison d'Iligh, d'après le registre comptable de Husayn b. Hachem, (Tazroualt 1850 - 1857), in Annales Eco. Soc. Civ. Mai,1980, p. 714.

27) أفا عمر، ن. م. ص ص 95- 96.

النصف الثاني من القون التاسع عشر.(28) والـذي علـق المختار السوسي، على المواد المتبادلـة فيـه، بأنـه "ليـس في كل وقت يوجد ما يراد من هذه الأشياء الحيوية"(29). لأنها مرتبطة بطبيعة الإنتاج الشتات.

ويتميـز الإنتـاج الشـتات أيضا، بانعدام وحدة القياسات في الموازين والمكاييل. تلـك الظـاهرة التي استغر بها الأوربيون، في القرن التاسع عشر.(30) وقـد اسـتعرض العـروي، نمـاذج لذلـك الاختلاف بثلاث مدن متقاربة. فاس، ومكناس، وتازة.(31) واسـتدرك أنـه رغـم هـذا الاختـلاف، توجـد قاعدة عامة مرجعية، وهي نموذج المدينة.(32) وهـذا يعنـي المرجعيـة الإسـلامية، والتـي إن سـمحت بهـذا الشـكل من الاختلاف، فليـس معنـاه انعـدام مراقبتـه. فقـد ذكـر لوتورنو، بعد أن استعرض اختلاف الأوزان بالنسـبة لفـاس، أنهـا "كـانت تعـرض علـى مراقبة المحتسب، الذي كان بعد تحقيقها يضع عليها ختما مبينا فيه تاريخ ضربها".(33)

وتنعكـس طبيعة نمط الإنتاج الشتات، على قيمة البضائع، والعملة معا. مما عبر عنـه بيرك، بنـوع مـن التوسـع. متحدثـا عن الرواج النقدي بالأطلس الكبير الغربي، الذي هو "مثل بقية المغرب، بلد التقويم"(34). ثـم يعلـق بـأن كل شيء "يقوم"(35). ممـا يدعـو إلـى استعمال شاسع للنقد، سواء الحقيقي، أو الحسابي. ويؤدي هذا، إلى إيجـاد صيـغ نقديـة تعامليـة متعـددة. والتـي وجـد منها باسكون، حوالي "22عبـارة نقدية مختلفة". في سجل الحسين بن هاشم.(36). ممـا يوضـح أن هنـاك كتلـة نقدية

---

28) بول باسكون. ن. م. ص 713.

29) محمدالمختار السوسي : إيليغ قديما وحديثا، ص. 253.

30) Abdallah Laroui, Le s origines sociales et culturelles du nationalisme marocain, (1830-1912). Maspero, Paris 1977. p. 49.

31) A. L. Ibid, p. 50.

32) A. L. Ibid, p. 51.

33) لوتورنو. ن. م. ص 408.

34) Berque (J) Notes sur l'histoire des échanges dans le Haut-Atlas occidental in Annales Eco. Soc. Civ. N 3, 1953, p. 292.

35) Berque (J) Ibid, p. 292.

36) Pascon (J) Ibid, p. 710.

واسعة، متميزة بالتعدد في القيمة والمصطلحات،(37). وهـذا نـاتج عـن طبيعة الإنتاج الشـتات، الـذي يسـتجيب لتعـدد مراكـز ضرب العملة. وقد كانت في معظم المدن الرئيسـية المغربيـة، وحتـى لما تقلصـت فـي النصـف الثـاني مـن القرن التاسع عشر، كانت ما تزال في أربع مدن، مراكش، والرباط، ومكناس، وفاس.(38)

هـذه الوضعية النقدية، التي أثارت العراقل، والضجة، أيضا، في النصف الثاني مـن القـرن التاسـع عشـر. يظهـر أن الخلـل الواقع بها، إنما يرجع إلى خلل في شروط نمـط الإنتـاج الشتـات، نتيجـة تـدخـل عنـاصر أجنبيـة، مـن تـدفق الإنتـاج الأجنبي الأوربي(39) ومـن فـرض صيـغ قانونيـة جديـدة، علـى مسـتوى التعـامل مع القوى الأوربية كاتفاقية 1856(40).

وقـد يخضـع التنظيـم الاجتماعي أيضا، لضرورات نمط الإنتاج الشتات، على كـل المسـتويات. حيـث يختلـط العمـل الفـردي، بالالتزام الجماعي. ذلك أن الفرد، يعمـل لفائدتـه الخاصـة، لكنـه في إطار أعمال جماعية، في مرافق المشترك الجماعي. وقـد وضـح دريـش، بعـض ظواهـر هذه الازدواجية الفردية الجماعية، في حديثه عن طبيعة العمل بالأطلس الكبير(41). وشـاركه عـدد مـن المهتمين، بالتاريخ الاجتماعي الريفـي المغربـي، فـي تـأكيد تلـك الظـاهرة الازدواجيـة، فـي الزراعـة، والرعـي، في

37) A. L. Ibid, p. 45.

38) أفا عمر : ن. م. ص ص 26- 24

39) النـاصري : (أحمـد بـن خـالد) عـن انخفـاض قيمـة العملـة المغربيـة كتـاب الاستقصا لإخبار دول المغرب الأقصى البيضاء 1956 الجزء التاسع ص. 54 عيـاش : جوانب من الأزمة المالية. بالمغرب بعد الغزو الاسباني سنة 1860الرباط 1959، ص 11. Larouni, Ibid, pp. 44 - 45

أحمد التوفيق ذكر انعكاس تدفق الإنتاج الأجنبي على اقتصاد منطقة إينولتان في أبواب الصناعة والتجارة : ن. م : الجزء الأول

معظم الدراسات تشير إلى هذا التدفق بل تجعله صلب التغيرات الاجتماعية.

40) مييج تحدث بإسهاب عن الظروف التي أدت إلى إبرام هذه الإتفاقية.
Miège (J.L) Le Maroc et l'Europe (1830 - 1894) 2 éd. Rabat 1989. T 2. pp. 261 - 347.

41) Dresch, (J) Le devenir des populations montagnardes du Maroc, in Bulletin économique et sociale du Maroc, N° 159, 160 - 161 pp. 227 - 229.

كل مرافقهما(42). وفي ميادين اجتماعية أخرى، تذهب من الشؤون المحلية، لكل تجمع سكاني، كالرعاية التعليمية(43)، إلى المشاركة في الأعمال العامة. كالحرب من صراعات محلية(44)، إلى حروب وطنية.(45)

فقد كانت مشاركة الفرد في هذا الإطار، تخضع دوما للمصلحة الازدواجية، الفردية والجماعية.

وتنسجم العلاقات القانونية أيضا، مع طبيعة نمط الإنتاج الشتات، سواء على مستوى العلاقات العامة، أو الخاصة، أو الهيكلة القانونية.

فبالنسبة للعلاقات العامة، التي تنظم المصالح العمومية، سواء على مستوى القبيلة، أو التعامل مع القبائل الأخرى، بل وحتى في التعامل مع السلطة المركزية وممثليها، كانت هناك مجالس جماعية تنوط بها، وقد عرفت بأسماء مختلفة، كأيت أربعين بالأطلس الكبير الغربي(46)، أو الجماعة بالريف(47)، أو إنفلاس بسوس...(48). وتؤكد هذه الظاهرة، التي تذهب من منطقة الريف إلى سوس، أن المشاركة الجماعية في تنظيم الشؤون العامة، كانت السمة الرئيسية. وكانت السلطة

42) قد تحدث بيرك عن تأثير ظاهرة الشراكة والفردية في حياة الفرد بسكساوة في خاتمة كتابه صفحة 459 يقول إن الفرد لن يستطيع قط الانفصال عن جماعته.

"Quoi qu'il fasse [....] il ne peut émigrer d'un nokni (Nous en chleuh) indispensable à sa vie pratique, à ses affections et même à l'idée qu'il se fait de soi".

Berque (J) Structures sociales du Haut Atlas. P. 459.

43) التوفيق (أحمد) ن. م : عن التعليم بمنطقة إينولتان : الجزء الثاني ص : 116 - 109.

- المختار السوسي : سوس العالمة ط : 1980

- مدارس سوس العتيقة 1984

44) كمثال عن المشاركة الجماعية في الصراعات المحلية، حركة حاحة، سنة 1290، راجع ص 375.

45) كمثال عن المشاركة الجماعية في الحروب الوطنية معركة إيسلي : راجع الناصري، ص ص : 84- 102. جـ 9

46) Montagne (R) Les berbères et le Maghzen dans le Sud du Maroc, Paris 1930. p. 221.

47) Germain (Ayache) Les origines de la guerre du Rif, S.M.E.R., Rabat, 1981, p. 100.

48) أفا عمر، ن. م. ص 101

المركزية تحترم قراراتها، ومثال على ذلك تعامل المولى الحسن مع تلك المجالس في حركته إلى سوس سنة 1864/1280(49) وحاحة سنة 1873/1290(50). وتصل هذه الإرادة الجماعية أحيانا، إلى موافقة السلطة المركزية لإشراكها، في تعيين ممثلي السلطة(51) من شيوخ وعمال.

وبالنسبة للعلاقات القانونية الخاصة، في إطار نمط الإنتاج الشتات، فإنها تتميز أيضا بتعدد السلط القضائية. ليس فقط في إمكانية استئناف الأحكام، ولكن بترك نوع من الحرية للمتقاضين، لاختيار السلطة القضائية التي يتحاكمون إليها. إما أمام سلطة قضائية رسمية، التي تتكون من الهيئة القضائية المعينة من طرف السلطة المركزية، أو أمام سلطة قضائية غير رسمية، التي يشكلها كل من توفرت فيه شروط العدالة، من ورع ومعرفة بالشريعة الإسلامية، والتي تتكون من فئة من الفقهاء، يرضى الخصوم التقاضي أمامهم.(52)

وينعكس هذا التعامل القانوني الواسع، بين المشاركة الجماعية، وأطراف السلطة، على الهيكلة القانونية. مما جعلها تتميز بالاتساع، تذهب من الشرع الإسلامي، كدعامة أساسية، إلى القوانين العرفية المحلية، فالمخزنية الإدارية والسياسية.

تقر الشريعة الإسلامية، أحكاما عامة ومستمرة، في حين تتسم القوانين العرفية، غالبا بالمحدودية، في الزمان والمكان(53). فتعددت بذلك الأعراف، حتى إن

---

49) راجع حركة سوس : 1280، ص ص 140- 141

50) راجع حركة حاحة : 1290، ص ص 402- 474- 476.

51) راجع مسألة تعيين عمر المتوگي، ص، 130 وكذلك مسألة النزاع بين نفيفة ودمسيرة مع المتوگي ص ص، 218 - 226

عبد الرحمان المؤدن : قد تحدث عن تعيين القواد وما يرافق ذلك من صراع بين أطراف مختلفة.
Pouvoir Caidal et le Maghzen au Maroc à la fin du XIX siècle, le cas de l'Inaoun in bulletin économique et social du Maroc, N° 159 - 160, pp. 146 - 147.

52) راجع كنموذج مسألة الحياة القانونية باينولتان : أحمد التوفيق، ن. م. ص ص 55- 69.

53) لن نتطرق في هذا الموضوع من الأعراف لما هو مطابق للشرع أو مخالف له، كظاهرة التحبيس عن الإناث، من الإرث وهذا له جذور فقهية، وإنما هدفنا إقرار الواقع كما كان.

لكل مجموعة سكانية أعرافها الخاصة، عرفت بأسماء مختلفة، كالألواح في سوس(54) وأزرف في صنهاجة(55)، وتايسا بالأطلس المتوسط(56). وأما الأحكام الإدارية والسياسية، فتصدر عن السلطة الزمنية المركزية، أو المحلية. وتتعلق بالشؤون التنظيمية المستعجلة. وأحيانا تبث في قضايا مستأنفة، خاصة أمام السلطة المركزية(57). وبذلك تتميز العلاقات القانونية بالتنوع، انسجاما مع علاقات الإنتاج غير المتمركز.

إن استكمال هذه النظرة الإجمالية لتفاعلات المجتمع، ضمن منظومة الإنتاج الشتات، تقتضي معالجة أشكال أخرى، مرتبطة بعلاقات تجمعات السكان بالسلطة، وخاصة منها تلك التي تتسم بالعنف، والتي تذهب من الصراعات الفردية مع ممثلي السلطة، إلى أن تصل أحيانا الثورة عليها، كما حدث بحاحة سنة 1871/1288. كما تمس الجوانب الاقتصادية، وممثلي السلطة فيما بينهم، أو بينهم وبين مؤطري المجتمع كالزوايا. هذه النزاعات التي تبدو مزمنة، والتي لا يمكن شرحها، إلا لكون كل طرف، يحاول باستمرار الحصول على نصيب أكبر، من عوامل الإنتاج، مما يجعلها أكثر تجسيدا.

إن تدخل الدولة في مثل هذه الوضعية من الإنتاج، لا يتقرر إلا لضبط العلاقات بين تلك التجمعات، عند فشل أدواتها، بما فيها السلطة المحلية، التي تسهر على تنظيم جهازها من عمال وشيوخ. أو عند القيام بمهام ترخصها لها مرجعيتها، كحق التدخل في الجباية، أو القيام ببعض المشاريع الاقتصادية تفوق طاقتها، طاقة الإنتاج الشتات، أو لتسهيل الارتباط على مدى يتجاوز تلك التجمعات في تنشيط التجارة، أو الدفاع ضد كل تدخل أجنبي، يعرقل ذالك الإنتاج. وقد يدعو استقرار

---

54) أفا عمر : ن. م. ص 419

55) أحمد التوفيق : ن. م. ص 55ج 2

56) Mezzin (Larbi) Contribution à l'histoire du Tafilalet. Aspects d'histoire économique et sociale à travers l'analyse de quatre documents inédits Paris 1977 T II p 252

57) راجع النزاعات حول الأرض والمياه في الدير ص ص 285-296.

راجع جرمان عياش : عن استئناف الحكم بين نفيفة وأولاد السباع حول الأرض المتنازع عليها.
La fonction d'arbitrage du Makhzen, pp. 169-170. in Etudes d'histoire marocaine

هـذه التوازنـات أو القيـام بها، أحيانا حضور السلطة المركزية نفسها إلى عين المكان، الذي يتم إما بشكل سلمي أو توتري.

إن كـل هـذه التفـاعلات الاجتماعيـة السياسية الواسـعة، نجـد لهـا نماذج في منطقـة طرفـي الأطلـس الكبـير الغربي، فـي السـتينات مـن القرن التاسع عشر. التي تقتضي التعرف على أسباب اختيارها.

2 ـ أسباب حصر الموضوع في الستينات من القرن التاسع عشر :

إن حصـر الموضـوع في الستينات من القرن التاسع عشر، تحكمت فيه عوامل مختلفة، والتي يمكن الإشارة إليها بالتوالي.

السـبب الأول، كـون هذه الفترة تواكب المراجعات التي كانت بين السلطات المحليـة، والخليفـة بمراكـش المولـى الحسـن، الـذي كـان يراجع بدوره السلطان. هذا التخـاطب الثلاثـي، كشـف عـن أسلوب التعامل مع القضايا، وخاصة الدقيقة منها. وهو أسلوب لا يتوفر باستمرار في تاريخ المغرب.

السـبب الثـاني، كـون الفـترة اسـتهلت بحـدث هـام كـان الحركة إلى سوس/1280 1863عـبر منطقـة طرفـي الأطلـس الكبير الغربي، واختتمت بمثيله، الحركة إلى حاحة سنة 1873/1290، التـي تمـيزت بتفـاعل واسع عم منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي. تلـك الحركتان الموكولتان للخليفة المولى الحسن، الذي أشرك معه عددا من مسؤولي التجمعـات السـكانية للمنطقـة، فسـاعدتا بذلك على تبيان آليات التصرف السياسي من جوانب متعددة.

السـبب الثـالث، كـون الفـترة واكبـت توليـة سلطان جديد، المولى محمد بن عبد الرحمان (1859 - 1873) الـذي لـم تمـر سـوى أربعـة سـنوات علـى توليتـه، حتى كلـف المولى الحسن، بالقيام بالحركة إلى سوس، ومنذ ذلك التاريخ، تتابع المعلومات عـن تعاملـه مع ممثلي السلطة المحلية بالمنطقة، ومع السلطان. فكان كحلقة الربط بين

الطرفين. ويظهر أن الخليفة، كان يتولى مهمة التعامل مع السلطات المحلية رسميا، وذلك ما أثبته ظهير صدر له من السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان، بعدما غادر مراكش سنة 1872/1289 وأبلغه موسى بن أحمد للخليفة، بتاريخ 27 جمادى الثانية 1289/ 1872/9/1.

"وبعد فيصل سيادتك الظهير الشريف الذي كان وعدك سيدنا بكتبه لك في شأن مباشرة الكلام مع العمال، وقد كان أيده الله أمر به يوم حلوله بزاوية ابن الساسي، فكتب من يومئذ وبقي عنده، إلى يوم نهوضه من رباط الفتح فأمر أعزه الله بطبعه وتأريخه فالحمد لله على عز مولانا وجزيل خاطره الشريف ورضاه، وهنيئا لك سيدي بذلك وعلى المحبة والخدمة والسلام"(58)، وبذلك تكون القرارات التي يتخذها المولى الحسن الخليفة رسمية، والتي كانت منها نماذج لحل قضايا متعددة بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي.

السبب الرابع، كون الفترة عرفت أزمة ديمغرافية، نتيجة المجاعة التي انعكست أثارها على المنطقة، وكانت لها نماذج من حاحة،(59) كما عرفت أزمة الركود التجاري الذي كانت له آثار على مداخيل الدولة بالصويرة(60). وكشف التعامل مع تلك الأزمات عن بعض جوانب تصرف الدولة.

السبب الخامس، أن الفترة جاءت مباشرة بعد حادث ستظل أصداءه تتردد في تاريخ المغرب، وهو الخسارة الكبيرة المعنوية، والمادية، التي أصابته من الهجمة الإسبانية، وما نجم عنها من قيود قد يكون لها انعكاس على معنويات السلطان المولى محمد، الذي واكبت توليته مباشرة تلك الهجمة. تلك الحالة من المعنويات التي عبر عنها الناصري المعاصر في حق السلطان، بأن الزمان لم يساعده(61). مما

58) رسالة موسى بن أحمد إلى الخليفة المولى الحسن بتاريخ 7 جمادى الثانية 1289 122 غشت 1872، خ.ح.ر.

59) راجع، ص 340 ثم إحصاء الكوانين بحاحة ص ص 461- 469.

60) راجع ضمان التجارة ص ص 305- 315.

61) الناصري : ن. م. جـ 9. ص 125

يجعله في حاجة إلى نفس طويل في اتخاذ القرارات، وسند لها. وذاك ما عبر عنه الاطمئنان إلى معظم القرارات، التي كان يتخذها الخليفة، بالموافقة والاستحسان. كما يرد في الوثائق.

السبب السادس، أن الفترة المدروسة، عرفت جدية الاحتكاك مع الأطماع الإمبريالية، المتمثل عمقها، في الرغبة الشرسة لتقييد سيادة البلاد، فبدأت مع تطبيقات معاهدة 1856 التي كانت الستينات من القرن التاسع عشر حقلها، مما حتم تغييرات في الأسلوب السلطوي، والتصرف الإداري مركزيا وإقليميا.

السبب السابع، أن هذا العزم على التغييرات والرغبة في الصمود، تحتاج إلى تكاليف، فانعكست آثارها على علاقات سلطة الدولة بالسكان، فطغى على تصرفاتها، ضمان المداخيل، وذلك ما عبرت عنه في الحدثين البارزين، حركة سوس، وحركة حاحة، المستهل والخاتم، للفترة المدروسة، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي.

تلك كانت مجموعة من الأسباب التي تبدو محتملة، للالتزام بفترة زمنية تفاعلت فيها قوى متعددة، استشعر ثقلها غالبية السكان البسطاء، وذلك ما عبر عنه الناصري في آخر كتابه الاستقصا كالتعبير عن خاتمة خبرته في الحياة حين قال "فانظر إلى هذا التفاوت العظيم، الذي حصل في الحياة، في مدة ثلاثين سنة، أو نحوها"(62) والتي حصرها بين الستينات والتسعينات من القرن الثالث عشر الهجري، والثمانينات منها عقدتها، وهي تماثل الفترة المدروسة من ستينات القرن التاسع عشر التي يقتضي الاطلاع عليها الأدوات.

3 - الأدوات المعرفية

إن دراسة التاريخ، كما هو بديهي، يحتاج إلى أدوات تقنية، لإثبات ما يعكس تصرفات سكان الأرض، بحثا عن تحقيق استمرارهم، وإذا كانت حلقات

---

62) الناصري : ن. م. جـ 9ص

تكوين ذلك الاستمرار بطيئة واقعيا، فإن ما تحققه يزداد لغزا كلما طال الزمن، فيحتاج التعرف عليه إلى أدوات، ما فتئت تتعاظم، من كتابات وحفريات... وتصنيفات وقراءات و... فالباب يبقى مفتوحا لكل اجتهاد.

إذا كانت هناك صعوبة حصر الأدوات المعرفية لدراسة نطاق واسع جغرافيا، وزمانيا، فماذا يكون بالنسبة لحيز ضيق، أرضا، وأياما.

قد يكون السؤال استعدادا للتهويل، فيبرر التملص. ذلك أكيد، لضيق الجبة. لكن مع ذلك، لا بد من بذل جهد، والفصح عن الأدوات المستعملة، إذ التاريخ يحتاج إلى شهادات تؤكد، أو تنفي، تقر، وتفسر، حسب ما يطلب. وبذلك يمكن حصر هذه الأدوات، في عدة عينات، كلها من المكتوب، مع استدراكات شفوية.

الصنف الأول : الكتابات العامة، والمراجع منها نزر العطاء وخاصة أن الفترة المدروسة محدودة. كما أنها تتحدث عن المنطقة كجزء من الكل. لكن هذا، لا ينقص من أهمية تلك الكتابات العامة في شيء، لأن قراءتها لا بد أن يسبقها سؤال ما إذا كانت هذه الكتابات مطلوب منها، أن تحدثنا عن اهتمامات عصرنا، أم أن تحدثنا عن اهتمامات عصرها ؟ فيظهر أن من الإنصاف، أن تلك الكتابات، من حقها أن تحدثنا عن اهتمامات عصرها. لذلك، فهذه الكتابات، معفية من الجواب عما نبحث عنه، ولو لم يكن إلا نزرا مما نهتم به اليوم. لأن تصنيف الأعمال البشرية، يتلون حسب آفاق كل عصر.

الصنف الثاني : الكتابات الأجنبية، التي أصبح البحث يدخلها في أدواته. هذه الكتابات، التي كانت تعنى بالمنطقة من بعيد في القديم. ثم تدريجيا، أخذت تقترب منها، خاصة مع الاحتلال البرتغالي للمنطقة، فالتعامل الأوربي، الذي كانت الفترة المدروسة، نقطة بداية الاحتكاك عبر بوابة الصويرة. فكان تسجيل كل الأمور، لدى كل الطامعين، قناصل وتجار، ليصل هذا التسجيل ذروته، بممارسة السيادة في النصف الأول من القرن العشرين. فكان الاحتكاك واسعا بين الممارسين والسكان، أولئك الممارسين، الذين لم يكونوا في معظمهم رجال صدفة، وإنما كانوا

حريصين على البحث، عن أساليب لفرض القبول في ثوب محلي. فاشتغلوا ينقبون عن علاقات السكان والسكان، وعلاقات السكان والأجهزة التنظيمية المحلية، والمركزية. فشيدوا ما شيدوا من النظريات والآراء، ذهبت جفاء مع التضحيات الوطنية لاسترجاع الزمام. لكن الكتابات الأم أفادت في الكشف عن أشياء كثيرة، قيل الكثير عنها، إذ لا يخلو أي بحث عن قول فيها. وقد تتردد أصداء عنها، طيلة الفترة المدروسة في كل نقط تناولتها.

لقد كان الصنف الثالث المعتمد هو الوثائق الرسمية أو المخزنية، التي تمت مراجعتها في الخزانة الحسنية بالرباط، فهي عمدة الموضوع، وحرصنا على إثبات أقوالها قصرا وطولا، إيجابا وسلبا، استحسانا واستهجانا، قبولا ورفضا، مدحا وذما، احتراما وتجريحا. حفاظا على أن تبقى الأداة، التي تخاطب القارئ، أملا في أن يصل معنا إلى ما نطمح له، أو إلى غيره وهو بذلك جدير.

أما الصنف الرابع : فهو الرواية الشفوية من عين المكان، في تجول في الدير من مراكش، فمزوضة، ودويران، ونفيفة، ومتوگة، فحاحة، فالقبائل الداخلية. والحق يقال، كانت رغبة المساعدة في كل مكان نحل به، لكن ما يحصل عليه ما هو إلا خليط من المعلومات، لا تفي بكل الحاجة. ومع ذلك فهي مشكورة، لما يرافقها من حديث في حد ذاته مفيد ومحمود.

تلك كانت الأدوات المستعملة، وذلك ما فهم منها، وعلى ذلك النهج استعملت.

وهكذا يكون الإطار المنهجي، قد رسم إلى حد، مجموعة من الخطوط، ولفترة محدودة، وبأدوات، قد لا تجيب إلى كل ما يستهدف. وخاصة أن الأمر، يتعلق بمحاولة فرز الترابط التنظيمي، في منظومة اقتصادية، لا تحتاج التشابك المطلق، لكن مع ذلك فهي تخضع لتعقيدات أخرى. وذلك ما يمكن التطرق إليه عبر منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، بعد نبذة تعريفية، جغرافيا وتاريخيا.

الفصل الثاني

التعريف الجغرافي والتاريخي بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي

إن التعريف بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، يعد ركنا رئيسيا، باعتبارها مسرح أنواع العلاقات، التي تناولها الموضوع، مما يقتضي وضع نبذة عنها جغرافيا وتاريخيا.

I- التعريف الجغرافي بمنطقة طرفي الأطلس الكبير:

يتناول التعريف الجغرافي بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، قضية تحديدها، والعوامل الفاعلة فيها :

1- إشكالية تحديد المنطقة :

يظهر أن تحديد أي بقعة يتحكم فيه، إلى حد، مدى الانفتاح والانكماش، الذي تعرفه العلاقات فيها. فالخيرات التي تتمتع بها أي جماعة، مستقرة في نقطة جغرافية معينة، لا يكون إنتاجها موقوفا فقط على تلك المنطقة، وإنما تسهم فيها إنتاجات مناطق أخرى، تستدرج إليها حسب فاعلية تنظيمها.

إن إدخـال هـذا الاعتبـار، في التحديد الجغرافي لمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربـي، قـد يجعـل مـن الصعـب، تحديـده بدقـة المهنـدس. لأن عوامل الارتباط، تتمـدد وتتقلـص، حسـب الزمـان، وحسـب الحاجـات. وإذا كـان تحديد الأطلس الكبـير الغربـي، خاصـة فـي اتجـاه الشـرق، هـل يحـد بـتزي نْ تَـلْـوَاتْ أي تزي نْ تـشْـكَـا، أو يمتد شرقا، إلى تزي نْ إيزُوغَارْ(1). فـإن هـذا الإشكال ينسحب أيضا، على تعريـف منطقـة طرفـي الأطلس الكبير الغربي، وخاصة صعوبة الالتزام بسفحي الأطلـس الشـمالي والجنوبـي. لامتـداد العلاقـات، مسـافات يختلـف مداهـا نحـو السـهل. وذلـك مـا كـانت تعبر عنـه الوثـائق، بارتبـاط أهل الجبل بأهل الوطأ على الجـانبين. فـي حيـن تلعـب القبائل عبر ظهر الأطلس، عامل الوسيط بين السفحين، ممـا يجعـل العلاقـات بينهمـا، تبـدو متراخيـة. كمـا أن التفاعل في السفح الشمالي أكثر نشاطا من سفحه الجنوبي.

إن أخـذ هـذه الملاحظـات بعين الاعتبار، لا يعني عدم وجود حد فاصل بين المجموعـات السكانية، خاصة في السفح الشمالي. ذلك الحد الذي يشكله أسـفْ المـالْ، ويتخـذ بالنسبة للفترة المدروسة، كحد فاصل لمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي شرقا، وبذلك تمتد حتى المحيط غربا.

إن جعـل أسـفْ المـال، كحـد بيـن تجمعين كبيرين، أحدهما شرقه، والثاني غربـه، وهـو الـذي يهمنـا فـي هـذه الدراسة، يرجع لشراكة التجمعات السكانية في كـل واحـد منهمـا، فـي عـدة مميزات وذلك ما كانت السلطة المركزية، تراعيه في تعاملهـا معهـا. ويتوضـح ذلـك مـن عـدة التزامـات، تقـوم بهـا الجماعتان، الشرقية لأسـف المـال، والغربيـة لـه، فقـد وردت معلومات وثائقية، في الستينات من القرن التاسـع عشـر، تؤكـد ذلك؛ خاصة منها توزيع الكلف. فتشترك القبائل الواقعة غرب أسـف المـال فـي توزيعهـا، انطلاقـا مـن مزوضة حتى حاحة، شاركة معها القبيلتين

1) Montagne, Ibid, p. 8

الوطئيتين، أولاد أبي السباع، والشياظمة، وذلك بإقرار السلطة المركزية وموافقة عمال الحوز(2)

لقد ورد العمل بهذا التقسيم، صراحة، في إحدى الوثائق، حينما أقر الخليفة إبان حركة حاحة "بيان إخراج مجاط"(3)، من الكلف التي تتطلبها حاجيات الحركة، لأنها كما. يقول "يكلفون معهم المنابهة وءال سوس إذا كانت المحلة في القطر التادلي ونواحيه"(4). ومجاط قبيلة تقع شرق أُسفْ الْمالْ. وبذلك تقر السلطة المركزية، بصفة رسمية كون أسف المال حدا فاَصلا، بين قبائل السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي. فتشكل الواقعة منها غربه وحدة كبرى، يصطلح على تسمية منطقة امتدادها، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، لتداخل مصالح هذه التجمعات السكانية، وهي مشاركة تسهلها الإمكانات الطبيعية والبشرية للمنطقة.

2 ـ الإمكانات الطبيعية لمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي :

يمكن التطرق إلى الإمكانات الطبيعية، فيما تقدمه من ظروف طبيعية مساعدة للحياة، في التشكيل التضاريسي والمناخي.

2 ـ 1 التشكيل التضاريسي :

إن التشكيل التضاريسي، لمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، يشكل جزءا من جبال دَرْنْ، هذا المصطلح الذي ظلت الكتابات محتفظة به، فذكر صاحب كتاب، وصف جغرافي لامبراطورية المغرب، في الأربعينات من القرن التاسع

2) راجع توزيع الكلف أثناء حركة حاحا، ص ص 479- 483.

رسالة من عبد الله بن بلعيد السباعي إلى الخليفة بتاريخ 14رجب 1290 7شتنبر 1873خـ. حـ. ر.

3) رسالة عبد الملك بن عبد الله أبهي إلى الخليفة بتاريخ 20جمادى الأولى 1290 - 16يوليوز 1873خـ. حـ. ر.

4) ن. ر.

عشر، أنه كان المصطلح المستعمل الوحيد(5). ولـم يبـدأ مصطلـح الأطلس الكبير يحـل مكانـه، إلا منذ بداية القرن العشرين، تغليبا للمصطلح اليوناني على المصطلح المحلي، الذي أصبح من الواجب العودة إليه.

ويمكـن تقسـيم ذلـك التشـكيل التضاريسي، حسب تكوينه الطوبغرافي، إلى ثـلاث وحـدات. وقـد أسـهب دريـش، فـي دراسـة تكوينها الجيولوجي، والتقلبات التكتونية التي تعرضت لها.

2-1-1 وحدة الجبال العالية :

تتجمـع وحـدة الجبـال العالية، حول تِشْكا، وتتكون من مجموعة من القمم، التي تشـكل جـدارا فـاصلا، بيـن الشـرق والغرب، ممتدا من الشمال إلى الجنوب، ويتجاوز متوسط علوه 3000م تـبرز منـه القمـم فـي شكل نتوءات أهمها شمالا، قمة تـمْـدْدِّيـن بعلـو 2240م المطلـة علـى أعـالي سكسـاوة (7)، وجنوبهـا قمتـي، أوْلِيـمْ بَعلو 3475م، وتِنُرْگـاتْ بعلو 3550م(8)، المشرفتين على أعالي إداوْمحمود.

تنطلـق مـن هـذا الجـدار، سلسلة من الجبال، على شكل أذرع. يتجه بعضها شمالا، كذراعي سكساوة(9)، وبعضهـا يتجـه غربـا، كأذرع أعالي دمسرة، وأعالي إداوْمحمـود، الـذي يعتـبر الـذراع الجنوبـي الممتـد بينهـم، وبيـن منتاگـة، أعلاها. يتجاوز متوسط علوه 2500م، ويمتـد حتـى أعـالي إداوْزال. ورغـم تمـيز هذه الأذرع بارتفاع شاهق، فإنه تقطعها فجاج تسهل المرور.

أمـا تشْـكا : بكسر التاء أو ضمها، فهي مصطلح أمازيغي يطلق على المراعي المرتفعـة فـي الأطلـس الكبـير الغربـي، والمسـتغلة خاصـة في الصيف. وأما بالنسبة للمنطقـة المحـددة فـي هـذا العمـل، فهنـاك تشْكيان، إحداهما تنسب لإسْكْساوان

5) Renou (Emil) Description géographique de l'empire de Maroc, Paris 1846, p 182
6) Dresch (J) Recherches sur l'évolution du relief dans le Massif central du Grand Atlas, le Houz et le Sous, pp. 331-389, Paris 1941.
7) Berque, (J) Ibid, p. 11.
8) Dresch (J), Ibid, p. 354.
9) Berque (J), Ibid, p. 11.

والأخرى لإداوْمحمود، وإن كان من الصعب حصر النسب لإحدى القبيلتين لشراكة كل القبائل المحيطة بتشْكّين في استغلالهما.

ولقد استفاض دريش في دراسة التشكيل التضاريسي لتشكيين، ذلك التشكيل الملخص في كونه مكونا من سلسلة من الهضاب مقطعة بأودية قصيرة تتجمع في أعالي وادي النفيس بالنسبة لتشكا إسْكْساوَن. وفي آعالي وادي إطْرٌ بالنسبة لتشكا إداوْمحمود. وقد نحتت التعرية تلك الهضاب في صخور گرانيتية وشستية وكلسية صلبة، وتتخللها شبه سهول ضيقة. وأما علوها فيتراوح بين 2500م و 3000م، محاطة من الجنوب والشمال بسلسلة من الأعراف تتجاوز 3000م تقطعها فجاج تسهل المرور، والمعروفة بتِزٌ (جمع تِزِي)(10)

2-1-2- المنخفض الكبير : إسّن أسْرّتو أو أرگانة

إن الإسم الذي يطلق على المنخفض، مازال لم يحظ بعد بالإجماع، سماه دريش منخفض أسيف ن أيت موسي (11)، نسبة إلى قبيلة أيت موسي، التي تحتل شمال أرگانة بإداوزيكي، وأما وايزروك، فسماه منخفض أرگانة(12)، وهو نفس الإسم الذي تحمله كل الخرائط الطوبغرافية، المهيأة عن المنطقة، نسبة إلى أرگانة. لكن امتداد هذا المنخفض، إلى سفحي الأطلس الشمالي والجنوبي، واحتلال قبيلتين له، دمسيرة من الشمال، وإداوزيكي من الجنوب، بالإضافة إلى

10) Dresch (J.) بالنسبة لتشكا إسكساوان ص ص 283-286 ثم ص ص 306-307 وبالنسبة لتشكا إداوْمحمود ص ص 357-358. وأما بالنسبة لتشكا إسكساوان، يذكر مونطاني[1] أنه، في بداية كل صيف تتوافد القبائل بقطعانها إلى تشكا إسكساوان أَفْلاً. وإجَناتْنْ أغْبار، وإمْدْلاوْنْ، وأيْتْ تِگوگا وإداوْمْصطُوگْ، وتقيم كل قبيلة في أماكنها المحددة لها. ولمدة شهري يوليوز وغشت، يجتمع مقدمي تلك القبائل لاستتباب النظام، وتحديد الغرامات لكل جريمة مقترفة والتي تكون ثقيلة في حالة السطو على المواشي. وأما بيرك[2] فتحدث أيضا عن نفس تشكا ذاكرا أهميتها الاستراتيجية في تاريخ المصامدة.

[1]Montagne (R.) L'Aghbar Hespéris 1927 1 tr. pp. 16-17.
[2]Berque (J.) Antiquités Saksawa Hespéris 1953 4 tr. pp. 363-366.

11) Dresch (J), Ibid, p. 346.

12) Weïsrock (André) : Géomorphologie et paléoenveronnements de l'Atlas Atlantique. Maroc. Rabat, 1993. p. 40.

أنـه يتكـون فـي الواقـع مـن منخفضين، تفصل بينهما تزي أو ماشّو. فإن مراعاة كل هـذه الاعتبـارات، ضـروري لإيجاد مصطلح شامل لمميزات هذا المنخفض الكبير. ولذلـك يستحسـن تسـميته، بالمنخفض الكبير: إسّـــن-أسْـرّتو. ذلك أن إسن هو الإسـم الـذي يعرف بـه الـوادي جنـوب أرگانـة، ولذلـك يمكـن إطلاقـه على كل المنخفـض، حتـى تـزي أو ماشـو، لكونه يشكل وحدة تضاريسية متصلة، وأما منها إلـى إيمِي نْ تانوتْ، فيستحسن تسميته بمنخفض أسْرّتو، وهو الإسم المحلي الذي تعـرف بـه المنطقة وخاصة أن الطريق الكبير الذي يربط سوس بالحوز، يتشعب من جنـوب أسرتو إلى فرعين : فرع تاريخي، يمر من أسرتو إلى منخفض إرْهَـالَـنْ فتزى أو ماشـو، فمنخفـض إسّـن. وفـرع بـدأ استعمالـه، منـذ فتح الطـريق المعبد الجديد سنة 1973، الـذي يمـر من أسرتو فمنخفض تَزّدْرا، ثم منخفض إسن. هذا المنخفض الكـبير، الـذي لـه دور جغرافـي، تضاريســيا لفصلــه بيـن شـكلين، وحـدة الجـبال شـرقا، ووحـدة الهضـاب غربـا. بشـريا لمـا يتيحـه مـن الارتباط بين الحوز شمالا، وسوس جنوبا.

لقـد أحـدث المنخفـض الكبـير، انقطاعـا فـي الأطلـس الكبـير، سـواء علـى المســتوى البنيـوي، أو الشــكل التضاريســي، أو المنـاخي(13). فتشــكيله مرتبـط بالجريـان الآتي من الجبال العالية، للأطلس، أكثر من الهضاب الجراسية الغربية(14) ممـا أدى لـبروز التكوينـات الترياسـية، حتـى أصبـح المنخفض، يسمى بالمنخفض الترياسي (15). تتخللـه أنـواع متعـددة، مـن الأشكال الطوبغرافية، من أعراف وتلال وقبـب، وأذرع قصـيرة، ومجـاري مـن الشـعاب. لكـن كـل هذه الأشكال، لاتمنع الانتقال البشري بكل الوسائل.

يمتـد المنخفـض الكبـير إسـن-أسـرتو، علـى طـول يزيـد عن مائة كلم، في عـرض غـير متسـاو، يبـدأ بحوالـي مائـة مـتر، عنـد خانق إيمن تانوت، ليصل في وسطه 30 كلـم، ثـم يضيـق فـي الجنـوب الأقصـى. وأمـا العلـو، فيصل في إيمن تانوت 900م

13) Weïsrock (A), Ibid. p. 40.
14) Weïsrock (A), Ibid. p. 40.
15) Dresch (J), Ibid. p. 346.

ويتدرج في الارتفاع، حتى يصل 1580في تـزي أوماشـو، وهي فج نسب إلى أماشو أي القـط، تشبيها لوجود الصخور الحتية الحمراء البرمو- ترياسية، التي تتكون منها تضاريس المنطقة (16). ثـم يتـدرج فـي الانـخفاض ليصـل بأرگانة 750م، ثـم أقـل من 400م عنـد مخرجه. وأما شكله الطوبغرافي فيتكون من مجموعة من الأحواض، منهـا في الشمال أسرّتو فإرُهَا لَنْ شرقا وتَزّدْرا غربا. وأما من تزى أوماشو فيتكون من مجموعـة أحـواض متصلـة، تمتد من الشمال إلى الجنوب، منها في الشرق أحواض أگلاگـل، وتَسْـكامْت، وتمزْگـادوين، ويشـكل وادي دمسـيرة مركزهـا. ثم حوض أمْـلالْ وبَغَـنْ، الـذي تلتقـي فيـه الأودية الثلاثة. وادي دمسيرة، ووادي آيت تُنارْت، ووادي إداومحمـود. وأمـا فـي الغـرب، فبعـد تَـزدْرا تـأتي أحـواض، تَسْـرَى، وأيت خطـاب، وهـي التـي تشـغلها الطريـق المعبـد. ثـم تضييـق تلك الأحواض، لتشكل حـوض أرگانـة، ثـم حوض بيگودينْ. وبعده تتشعب إلى فرعين، فرع من الأحواض الضيقـة فـي الشـرق، تتحـول إلـى خوانـق فـي تركو حتى مخرج الوادي. وفرع في الغـرب عـبر تـزي الحجـــاج، ثـم أحـواض أسـيفْ نْ يـگْ، حتـي مخرجــه عنـد أمْسْـكروض، وهـو الذي يشغله الطريق المعبد. وبذلك يكون الطريق المعبد قد عبر المنطقـة مـن إيمـن تـانوت، حتى أمسكروض، في الجهة الغربية للمنخفض الكبير، الواقعـة مباشـرة، تحـت الحاشـية المعروفـة بتَـمَـا. في حين كان الطريق التاريخي، يـوازي الأوديـــة، التـي لايشـــاهدها اليـوم، المسـافر علـى متـن السيـارة. فتبـدو لـه المنطقـة، كأنهـا فارغـة مـن الحيـاة البشرية، حتى إن معالمها، لايطلع عليها إلا من خلال أوتاد التعريف على جانب الطريق، كتمزگادوين، وأرگانة وبيگودين.

2 - 1 - 3 - وحدة الهضاب أو الأطلس الأطلنتي

لـقد أثـار إيجـاد مصطلـح ملائـم للتضـاريس غـرب المنخفـض الكبـير حتـى المحيـط، جدلا بين الجغرافيين. فسماها البعض بالأطلس الأطلنتي الكبير(17)، في

16) Weïsrock (A), Ibid. p. 21.
Berque (J) Structutres Sociales du Haut-Atlas. P.U.F. 2ème éd. 1978. p. 10.
17) Weïsrock (A), Ibid. p. 21.

حين اقترح وايزروك، تسميتها بالأطلس الأطلنتي، تمييزا لها عن الأطلس العالي، وذلك لعدة اعتبارات، من تواضع للارتفاعات، التي لاتزيد عن 1700م، وضعف في التماسك الجبلي، وانعدام الصخور القديمة، وهيمنة الصخور الرسوبية، وتغلب المشاهد التضاريسية الهضبية (18).

وإذا كان الشكل الهضبي، هو المهيمن على التضاريس، من غرب المنخفض الكبير، حتى المحيط فيمكن تسميتها بوحدة الهضاب، تمييزا لها عن وحدة الجبال، التي توجد شرق ذلك المنخفض. هذه الوحدة الهضبية، التي تتدرج في الارتفاع، من المحيط حتى المنخفض. مما يسهل تقسيمها، إلى ثلاث مستويات من الهضاب؛ المنخفضة، و المتوسطة، و العليا.

2- 1 - 3 - 1 - الهضاب المنخفضة : أقل من 300م

تتميز الهضاب المنخفضة بعلو لايزيد عن 300م، وتمتد على طول الشاطيء، في عرض يتقلص نحو الجنوب. وتتشكل من هضبة الصويرة التي يصل عرضها حتى 25كلم، ثم هضاب إدْاوكْرْضْ، وإدَاوِسارَنْ، ثم تضيق لتتحول إلى شريط ساحلي، خاصة في جنوب رأس غير.

2- 1 - 3-2 - الهضاب المتوسطة، مابين 300م و 600م

تشكل الهضاب المتوسطة، معظم هضاب المنطقة، وتتسع في الشمال، في حين تضيق في الجنوب. وهي في حاحة، هضاب نَكْنافَة، وأيت زَلْطِنْ. وفي الشياظمة، هضاب مسكالة، والحنْشانْ والمْواريد. وفي أولاد أبي السباع تشكل منخفضات مغلقة (19)، التي تمتد في دويران ومزوضة(20). وفي جنوب حاحة، تمتد في إمْكّرادْ ثم هضبة تمنار فإداوتْغْمّة. لكن هذه الهضاب المتوسطة تتميز بوجود التلال والأعراف، والكويستات والمحدبات التي تكون أشكالا يطغى

18) Weïsrock (A), Ibid. p. 21
19) Weïsrock (A), Ibid. p. 21.
20) Dresch (J), Ibid. p. 331.

عليها، الطابع الجبلي، كجبل أمْسِسْتن وعلوه 900م وتِسْكَتين بعلو 814م، ثـم تضيـق هذه الهضاب في الجنوب والجنوب الشرقي.

2 - 1 - 3 -3 - الهضاب العليا : مابين 600 و 1500م

يمكن تقسيم الهضاب العليا إلى مجموعتين :

أ - مجموعـة هضـاب عليا، يتراوح علوها مابين 600و 900م، وتشـكل شـريطا وسـيطا، بيـن الهضـاب المتوسـطة والعليـا. وهـي هضـاب مـاتزال تحتفـظ بالمظهر الهضبي، رغـم أن البنيـة الالتوائيـة التحتيـة، بـدأت تظهـر علـى السطح في هضاب متوكـة وإدَاوزمْـزم. حيـث تتوسـع هذه الهضاب، ثم تضيق في شريط نحو الجنوب فـي إداوْكَـازُّو وأيـت عيسـي. كما تمتد في شكل محدبات، كتِنْجْدَاتْ التي يصل علوها حولي 1010م.

ب - مجموعــة الهضــاب العليــا، التـي يـتراوح علوهـا مـابين 900و 1500م، ويطغـى عليهـا الطـابع الجبلي، خاصة في الجنوب، وتمتد في الشمال، في هضاب متوكـة العليـا، ثـم هضبـة أيـت داوُّودْ، ثـم هضبـة إداوبوزيـا. وتتميز بوجود سطوح تختلـف أحجـام عرضهـا، وتقطعات محدودة، حيث لاتتعمق الوديان، ألا بجوانبها الغربية كأمْزْناسْ، وإيكّرْ أومْزارْ بمتوكّة، وأغَنْدُوفّار بإداوبوزيا.

أمـا فـي الجنـوب، فـإن الهضــاب العليـا، تـأخذ طـابع الكتلـة الجبليـة فـي إداوتَنـانْ، بتعـاقب الاشـكال التضاريسية المترتبة عن تطور البنية الالتوائية، فتنتصب قمم تزيد عن 1500م، ومايزيدهـا بـروزا، اتصالهـا المباشـر مـع سـهل سـوس جنوبا، وإشـرافها غربـا علـى المحيـط، حيـث أن جبـل تزنـاغْتْ، الـذي يصـل علوه 1354م لايبعـد عـن المحيـط، إلا ب 16 كلـم. إلا أن هـذه المنطقـة، تتمـيز بتعمـق الوديـان حتـى إن أسـيف نْ تدْلـي، بأعـالي وادي تـامْراغْتْ، يمر مباشرة من علو 1300م إلـى علو 500م، فـي مسـافَة تسـعة كلمـترات، فـي شـكل مجموعة من الشلالات، حتي عرفت المنطقة باموزّار إدَاوْ تـنَـانْ.

إن الهضـاب العليـا، تنتهـي فـي شـرقها بحاشية، تمتد من إيمن تانوت، حتي جنـوب أمسـكروض، وتعـرف بتَمـا، تعلوهـا طبقـة مـن الصخـور الصلبـة، فتشـكل انحـدارات، يصعب اختراقها، بل يمنع في مناطق منها. وتحمل تلك الحاشية أعرافا عاليـة، كعـرف لَمْگـو، المشرف على إيمن تانوت، ويصل علوه حوالي 1685م. ثـم فـي أقصـى الجنـوب، ينتصـب عـرف تَوْرِيـرْت مولاي علي، باداوتنان، الذى يصل علوه 1789م وهـو أعلـى قمة في مجموعة الوحدة الهضبية. وتؤدي هذه الارتفاعات الموازيـة للمنخفض الكبير، الى فوارق بين أسفل المنخفض، وأعالي الحاشية، تصل أحيانا إلى 600م، كما هو الشأن غرب أرگانة، بل حتى 800م قبالـة توْريـرْتْ مـولاي علي.

إن منطقـة وحـدة الهضـاب، تخترقهـا شبكة من الوديان العميقة، التي تنتظم وفـق الملاءمـة مـع أحـواض الواديـن الهـامين، وادي القْصَب شـمـالا، ووادي أيت تامْرْ جنوبا، تفصل بينهما أودية قصيرة، كتدْسي، وإيجوزُلَنْ.

وعمومـا، تمثـل منطقة وحدة الهضاب، مجالا انتقاليا طوبغرافيا، بين الميزيطا والأطلس الكبير العالي (21). وممـرا واسـعا، يربط بين جنوب المغرب وشماله، مما جعـل السـلطة، حارصـة علـى اسـتقراره، كمـا كـان ذلـك، في الستينات من القرن التاسـع عشـر. فكـانت تسـمى القبـائل الواقعـة، في الهضاب المنخفضة والمتوسطة بالوطائية، والقبائل الواقعة، في الهضاب العليا، بالجبلية تحسب لها حسابها (22).

وأمـا قـدم الجبـل، فيسمى بالدير، شمالي الأطلس وجنوبه. ويطغى لبس على حـدود امتـداد الديـر، فبالنسبة للشمال، كان يطلق على القبائل المستقرة، بين أيمن تـانوت ودمْنـات. وبالنسبة للجنوب، على القبائل المحاذية للأطلس من أمسكروض في اتجاه الشرق. ويرد تعريف هذه القبائل في الوثائق بأهل الدير أو الديارة.

21) Weïsrock (A), Ibid. p. 21.

22) راجع حركة حاحة : ص ص 415- 423

تنفتح على السفح الشمالي مجموعة من الأودية، منها أسيف المال، الذي يكون عند مخرجه على المنطقة السهلية، واديا عريضا، ثم يتدرج في أشكال من المدرجات، ليتعمق عند اختراقه للكتلة القديمة (23).

وأما مابين أسيف المال وأسيف ن سكساوة، فإن الوديان قصيرة، وأطولها أسيف ن تسْخْتْ بمزوضة(24). ويليها أسيف نْ سكساوة، الذي يتسع عند مخرجه، ثم يتدرج في مجموعة من المدرجات، ليتعمق في المنطقة المرتفعة، مشكلا من مجموعة من الأحواض، التي تلتقي عندها الأودية (25). ويليه غربا على بعد خمسة كلم، أسيف نْ إيمن تانوت(26) الذي يكون معه وادي شيشاون في الأسفل.

وتتميز هذه الأودية الشمالية، بالاتجاه نحو الشمال، بتلائمها مع البنية الهرسينية، حسب دريش في حين لاتنضبط للبنية الأطلسية(27).

وأما على السفح الجنوبي، فتخرقه أودية قصيرة، كوادي إداوْمْرْوان، الذي ينبع من تشكا إداومحمود، ووادي منتاگة.

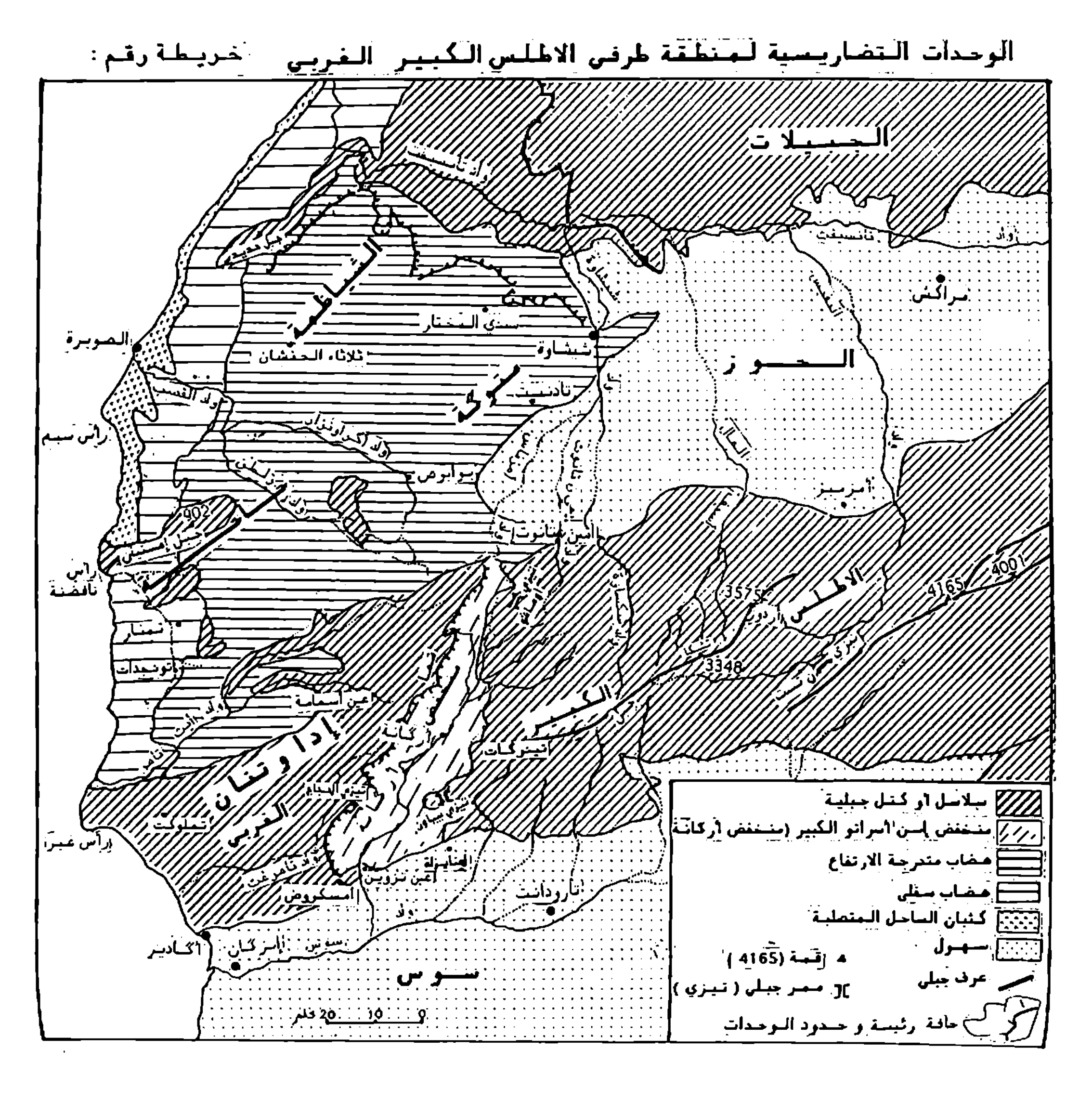
وإن التشكيل التضاريسي، لمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، رغم تكونه من ثلاث وحدات، فإنها لاتشكل حاجزا، يحدث الخلل في الاتجاه العام، هذه النظرة الى الإمكانات الطبيعية، تقتضي التطرق إلى التأثير المناخي.

2-2 ـ التأثير المناخي :

تتعرض منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، إلى تأثير مناخي، يندرج ضمن المناخ العام لمنطقة الجنوب، الذي تتحكم فيه عوامل منها، الموقع بالنسبة

23) Dresch (J). Ibid. p. 331.
24) Dresch (J). Ibid. p. 336.
25) Dresch (J.) Ibid. p. 337, Berque (J.), Ibid. p. 17.
26) Weïsrock (A.); Ibid. p. 223.
27) Weïsrock (A), Ibid. p. 344.

خريطة رقم : الوحدات التضاريسية لمنطقة طرفي الاطلس الكبير الغربي



لخطوط العرض. ذلك أنها تقع في نفس العروض، الموازية للعروق الكبرى لشمال الصحراء، مما يقتضي، امتداد نفس المميزات المناخية الصحراوية عليها . لكن عوامل محلية، تضفي التأثير على هذا الموقع. مما أدى إلى وجود نوع من المناخ، يكتسي الطابع الانتقالي، بين التأثيرات الصحراوية، والأطلنتية، والمتوسطية. فانتصاب سلسلة الأطلس الصغير، تجاه الصحراء، يحد من تأثيرات الكتل الهوائية الحارة، كما أن انفتاح الأطلس الكبير الغربي على المحيط، يسمح بتوغل التأثيرات المحيطية. وينضاف لهذين العاملين، تأثير التدرج التضاريسي، ووجود المنخفضات الداخلية، مما يؤثر على عناصر المناخ، من حرارة، وتساقطات، وتوابعها، من الغطاء النباتي، والجريان المائي.

2 - 2-1 - المتوسطات الحرارية :

تتأثر المعدلات الحرارية، بعوامل محلية بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي. ومنها رياح الشرقي أو الفوهن، التي تهب من المناطق الصحراوية، والتي عندما تجتاز السلسلة الجبلية، تنحدر بمحاذاة السهل، فتحدث ارتفاعا حراريا، خاصة في الصيف، في حين تعمل القارية، على تعزيز ظاهرة التفاوت في الحرارة، ولذلك فإن المدى الحراري، لمحطات المنطقة، تبين هذه التأثيرات.

يتميز المدى الحراري بالتدرج، من الشواطئ نحو الداخل، فهكذا يصل المدى الحراري بالصويرة إلى 12.8د، لكنه يزداد في اتجاه الجنوب، فيصل في أگدير 19.1د ويزداد نحو الداخل، ليصل في تمنار 30.6د رغم أنها لاتبعد عن المحيط إلا ب 15 كلم، ليصل إلى 35.5د بشيشاوة(28). لكن في المناطق المرتفعة، في الهضاب العليا، فإن المعدلات الحرارية، تنخفض. فمثلا إيموزار بإداوتنان، يصل معدله الحراري السنوي 16.6د والدرجة القصوى لاتزيد عن 40د، في حين لاينخفض المعدل الدنيوي لشهر دجنبر عن 14.1د (29). هذا المثال يعرف، اختلافات محلية، كلما كان الاتجاه نحو هضاب إداوبُوزيَا ومتوگة.

28) Weïsrock (A), Ibid. p. 33.
29) Dresch (J), Ibid. p. 565

وأما مناطق المنخفضات الداخلية، ابتداء من إيمن تانوت، فإن الطابع العام يزكي تأثير القارية، فالمعدلات المسجلة بأرگانة، وسط المنخفض الكبير، تبين تأثير القارية، فالمتوسط السنوي هو 20.5د، وهو أعلى من متوسط المحطات الموجودة بالسهل (30) . وأما معدل الدرجة القصوى، فيصل 42.5د، وهو أكثر من معدل مراكش ب 4د، في حين يصل معدل الدرجة الدنيا 10.3د، ويعادل معدل تارودانت (31). ويستنتج دريش أن مناخ أرگانة، أكثر حرارة وقارية حتى من السهول، وهي وضعية يمكن افتراض امتدادها، إلى كل الأحواض الداخلية (32).

وأما منطقة وحدة الجبال، فالأمر يختلف، بين طول وعمق الأودية، ودرجة تعرضها للشمس، والوقوع في السفح الشمالي أو الجنوبي. كما يؤثر العلو على درجات الحرارة، التي يصل معدلها السنوي 12.6د، ويصل معدل الدرجة القصوى لشهر غشت إلى 30د، ومتوسط الدرجة الدنيا إلى 6.8د (33). إلا أن الميزة الرئيسية للحرارة في المناطق العالية، هي المدى الحراري اليومي، فمثلا في الصيف، تصل الحرارة نهارا إلى 18د في القمم، لتنزل في الليل إلى 3د وأقل من الصفر. كما أن رياح الفوهن، تتحول في المناطق العالية، إلى رياح عاتية باردة (34).

ويتضح مما سبق، أن المنخفض الكبير إسّن-أسرتو، الفاصل بين وحدة الهضاب، والوحدة الجبلية، ظاهرة حرارية متميزة، حيث تشكل وضعية مخالفة، لما يفترضه التدرج من الغرب إلى الشرق، بتدرج انخفاض الحرارة، ذلك الانقطاع، الذي عاينه دريش في صيف 1933،حينما تحمل حرارة 46د بأرگانة، وفي مساء اليوم الثاني، الثلج بقمة تِنُرْگّاتْ، وهذا التباين يتوضح أيضا في التساقطات.

30) Dresch (J), Ibid. p. 564
31) Dresch (J), Ibid. p. 565
32) Dresch (J), Ibid. p. 565
33) Dresch (J), Ibid. p. 563
34) Dresch (J), Ibid. p. 566
35) Dresch (J), Ibid. p. 562

2 ـ 2 ـ 2 ـ *التساقطات* :

تؤثر عوامل عامة ومحلية في التساقطات، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، فرغم انفتاحها على المحيط الأطلنتي، فإن وجود التيار البحري البارد، لايساعد على تكوين أمطار تصاعدية، ولذلك فإن الأمطار تظل مرتبطة، إما بتسرب الاضطرابات القطبية من الشمال والغرب، أو بالانخفاضات الحرارية، التي تؤدي إلى تكاثف الهواء المداري البحري الرطب (36). إلا أن كمية الأمطار، تخضع أيضا، إلى التنوع التضاريسي بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي. كما أن الأمطار، تنحصر في شهور محدودة، إذ يصل معدل الشهور القاحلة، إلى سبعة أشهر في الصويرة وتمنار، و 9أشهر بأگدير، و 10أشهر بشيشاوة (37)، بل تنحصر في أيام، تتقلص إلى أدنى رقم بحوالي 26يوما في السنة بشيشاوة (38).

ففي منطقة وحدة الهضاب، تتدرج الأمطار، من الشاطئ حتى أعالي الهضاب العليا، فتسجل المحطات على طول الشاطئ، معدلات متواضعة، فالصويرة يصل معدلها السنوي 287مم، ورأس غير 257مم وأگدير 200مم. لكن يتم التدرج نحو الداخل، حيث ترتفع كمية التساقطات، فمعدل تمنار 360مم، ثم تزداد المعدلات، في المناطق المرتفعة للهضاب المتوسطة والعليا، على طول الجبهة المواجهة للغرب من الجنوب إلى الشمال الشرقي، فيصل المعدل بعين تَمَلوكت شمال أگدير، حوالي 500مم، وبعين أسْمَامة بإداوتنان حوالي 561مم، وبإمْجْرادْ حوالي 537مم، وبتِمْليلْتْ بمتوگة عند حدود إداوبوزيا حوالي، 535مم، وبكُزْمْتْ بمتوگة حوالي 431مم(39). إلا أن هذه المعدلات، تنخفض في السهول المحاذية للدير، حيث يصل معدلها بشيشاوة 175مم.

أما في المنخفض الكبير، من أيمن تانوت، حتى مخرجه على سوس. فإن المعدلات توضح تأثير عامل الحماية، التي توفرها المناطق العالية، المحيطة

36) Weïsrock (A), Ibid. p 34..
37) Weïsrock (A), Ibid. p. 31.
38) Dresch (J), Ibid. p. 54.
39) Weïsrock (A), Ibid. p. 36.

بذلـك المنخفـض، غربـا وشـرقا. فمعـدل إيمـن تـانوت هـو 336مـم، ومعـدل تـزي أوماشو 328مم، وينزل هذا المعدل، إلى أدنى مستوى له ب 175مـم بأرگانـة، ليرتفع قليلا إلى 259مم عند مخرج المنخفض بعين تزوين(40). هـذه الظـاهرة، تمتـد حتى السفح الشمالي، شرق إيمن تانوت، نحو دويران ومزوضة(41).

وأمـا منطقـة وحـدة الجبـال العاليـة، فتختلـف كميـة الأمطـار، بيـن السـفوح الشماليـة والجنوبيـة، كمـا يؤثـر عليهـا التـدرج في الارتفـــاع، فتتزداد مـابين 1500م و2800م، لتتحـول أحيانـا إلـى تسـاقطـات ثلجيـة التـي تبـدأ فـي الظهـور ابتـداء من علو 1200م فـي السـفوح الشمالية، وتكون هذه التساقطات الثلجية، من أواخر نـونبر إلـى مارس، وأما سمك الطبقة الثلجية، فمتوسطه 50سـم، لكن بقاءها لايدوم كثيرا، إلا فـي بعض سفوح وقيعان الأودية الـظليلة. إذ معظم تلك الثلوج، تذوب في الربيع وبداية الصيف(42).

وهكـذا يسـتنتج أن المنخفـض الكبـير، يؤكـد ظـاهرة الجفـاف بالمنطقـة، بخـلاف الحاشـية العليـا، لوحـدة الهضـاب، ووحدة الجبال العالية. هذا الاختلاف في التساقطات يترجم في الغطاء النباتي.

2 - 2 - 3 - *الغطاء النباتي* :

يبيـن الغطـاء النبـاتي، تـأثير العوامـل المناخيـة، بمنطقـة طرفي الأطلس الكبير الغربـي، مـن شـح الأمطـار أو غزارتها. ولذلك تختلف كثافة الغطاء النباتي، حسب التـدرج التضاريسي. لكن هذا الغطاء النباتي، يذكر وايزروك أن الدراسات الحديثة، التــي تمـت بالمنطقـــة، تؤكـد التنـوع والتداخـل، فـي أجنــاس النباتــات، داخـل التقسيمات الكبرى.

ففـي منطقـة وحـدة الهضـاب حتـى الشاطئ، فيسود فيها غطاء نباتي، يمكن تقسيمه إلى مستويين.

40) Weïsrock (A), Ibid. p. 36.
41) Dresch (J), Ibid. p. 573.
42) Dresch (J), Ibid. p. 576.

1 ـ غطاء نباتي ساحلي : يمتد من رأس الحديد شمالا عبر الصويرة حتى أگدير، ويمتد في معظم الهضاب، المنخفضة والمتوسطة بحاحة، ويسود فيه شجر أرگان، ويختلط بنبات جنبية.

2 ـ غطاء نباتي بالهضاب العليا الشبه الرطبة، ويمتد بإداوتنان، وإداوْبوزْيا، وكل المناطق المتعرضة للتساقطات. وهو يتدرج من الأسفل إلى أعلى : ففي المستويات السفلى، تسود أشجار التويا تتخللها أشجار أخرى، خاصة الخروب. وأما في المستويات العليا، فتسود أشجار البلوط الأخضر، والعرعار، الذي تزداد أهميته في مناطق الحدود، بين هضاب متوگة والمنخفض الكبير. كما تتخلله الأشجار المعروفة بتِقي.

ـ وأما في السهل، فيتميز الغطاء النباتي بالسهوب، من الحنشان عبر أحواض سيدي المختار وشيشاوة، حتى دويران ومزوضة، وتتكون من نباتات قصيرة وشوكية كالسدرة.

وأما في المنخفض الكبير، الذي يتكون من أحواض محمية، فتشترك معه في المميزات النباتية، هضاب متوگة لتواضع التساقطات. فيتكون الغطاء النباتي، من أجناس تتحمل الجفاف، في شكل متفرق، منها أشجار أرگان في معظم المنخفض، والعرعار في السفوح، مع نباتات قصيرة، كالشيح، أو الشوكية المختلفة.

وأما منطقة وحدة الجبال، فإن الغطاء النباتي، يسود عليه البلوط الأخضر، المعروف بِتَسافْت، ابتداء من علو 1200م حتى 2800م، ومافوقه أحيانا، في السفوح الشمالية. وأما في السفوح الجنوبية فيسود ابتداء من علو 1500م(43). وأما في المناطق العالية، سواء على ظهر الجبال، أو على امتداد الأحواض المعلقة المعروفة بتشكا، فتسود نباتات عشبية خضراء ونباتات زهرية، التي تتأخر حتى الصيف(44).

43) Dresch (J), Ibid. p. 580.
44) Berque (J), Ibid. p. 23.

وبذلك يتوضح، أن منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، لاتشكل وحدة نباتية، متدرجة من المحيط إلى أعالي الجبال، لما يحدث فيها من الانقطاع في المنخفض الكبير. هذه الظاهرة النباتية، التي عبر عنها دريش، بأن شبه المنخفض ب "صحراء شبه جرداء، مقطعة بمجموعة من الواحات، المخبأة في قعور الأودية، حيث تختلط أشجار النخيل بأشجار الزيتون، مظهر الجنوب الكبير، مقحم في قلب الجبل" (45).

2 ـ 2 ـ 4 *الجريان السطحي :*

يتميز الجريان السطحي، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، بعدم الانتظام. رغم أن المنطقة، تشكل جزءا من الأطلس الكبير، الخزان للمياه. لكن تقطع المنطقة، إلى وحدات متميزة، أثر على الجريان السطحي.

تتميز منطقة وحدة الهضاب، بجريان سطحي مؤقت، كما يتسم بالعشوائية، والتيهان داخل المنخفضات، رغم وجود وديان عميقة، التي تنشط أكثر في الفترات المطيرة، خاصة التي تستمد مياهها، من روافد إداوتنان. ولذلك فإن هذه الميزة التضاريسية المجزأة، هي التي تجعل المجريين الرئيسيين بالمنطقة، وادي سكساوة، ووادي إسن، هما المجريان المنظمان، لاستمداد مياههما من أعماق الوديان في المنطقة الجبلية العالية(46).

إن كل هذه المميزات المناخية، لمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، تجعلها بصفة عامة، ضمن منطقة شبه قاحلة، مما يؤثر بصفة عامة على الحياة البشرية. لكن رغم الجفاف والقحولة، التي تتميز بها هذه المنطقة، فإن وجود مرتفعات عالية، يساعد على تخزين المياه المتدفقة، إما عبر الجريان السطحي، أو الباطني، الذي يساعد على تدفق العيون. كما أن القحولة، التي يدوم متوسطها أكثر من ثمانية أشهر، في معظم المنطقة خاصة الهضبية، والمنخفض الكبير،

---

45) Dresch (J), Ibid. p. 346.
46) Weïsrock (A), Ibid. p. 25

تخفف مظاهر التكاثف الهوائي غير التام ليلا من حدتها، حيث يتحول ذلك التكاثف الهوائي، إلى شبه ري خفي يعبر عنه بالندى، الذي يروى المنطقة باستمرار، مع اختلاف في درجة كثافته، حتى إن تلك الكثافة بالساحل، تؤدي إلى وجود نباتات عشبية، تعطي الانطباع الشبه المداري(47).

وهكذا يبدو أن الامكانات الطبيعية لمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي متنوعة تضاريسيا، من جبال ومنخفضات وهضاب، مما يقدم إمكانات متعددة للاستغلال ومناخيا، تنوع رغم ميله إلى الجفاف، فإنه لايمنع التلاؤم مع ظروفه، وبذلك يشكل العاملان، التضاريسي والمناخي حافزا للاستقرار البشري.

3 ـ الإمكانات البشرية لمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي :

إن الإمكانات البشرية، لمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، يمكن التطرق إليها من عدة جهات، تثبت إلى حد، استفادتها من الإمكانات الطبيعية للمنطقة التي تسهل التفاعل العام.

3 ـ 1 ـ تطور الاستقرار البشري بالمنطقة :

يظهر أن الاستقرار البشري بالمنطقة، يمتد إلى فترات عميقة في التاريخ، مما يجعله يعرف تطورات، في مراحله التاريخية(48).

ينتمي السكان بالمنطقة، في إطار التقسيمات السكانية الأمازيغية للمغرب، للمصامدة، الذين انقسموا إلى تجمعات سكانية، ورد ذكر بعضها

---

47) Weïsrock (A), Ibid. p. 21.

48) راجع التعاقب التاريخي لمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، ص 61.

عند البكري(49)، وبعده، بحوالي نصف قرن، عند البيدق، في أوائل القرن السادس/ الثاني عشر، الذي ذكر مجموعة من القبائل، ما تزال بمكانها بنفس الإسم(50). وعلق بيرك، عن الوضعية السكانية للمنطقة، في مجرى تعريفه بسكساوة بقدم استقرارهم، وهي وضعية لم تختص بهم. إذ ينطبق نفس القول، على معظم جيرانهم(51).

لقد كانت القبائل التي ورد ذكرها عند البيدق، والتي تسقر غرب أسيف المال هي، صودة أي مزوضة، ونفيفة، وحاحة، وركراكة على السفح الشمالي الغربي. وبالمنطقة الداخلية، سكساوة، وإداومحمود. وعلى الممر الكبير، دمسيرة شمالا، واداوزيكي جنوبا. وعلى السفح الجنوبي، من البحر إلى الشرق، مسگينة ورغيته(52).

لقد تأكدت هذه الوضعية السكانية، وبنفس الأسماء، عند ابن خلدون، في القرن الرابع عشر، الذي عني خاصة بقبائل السفح الشمالي، لما لها من مناهضة للمرينيين(53).

لقد بين الوزان، وضعا دقيقا، لبعض هذه القبائل، وامتدادها، خاصة حاحة، التي كانت تمتد على معظم السفح الشمالي الغربي، حتى وادي شيشاوة، وذلك في أوائل القرن السادس عشر(54). مع الإشارة، لمجموعات سكانية متناثرة

---

49) البكري : أبو عبيد الله بن عبد العزيز : كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من أجزاء الكتاب المعروف بالمسالك والممالك، باريس 1965، ص 161.

50) راجع البيدق عن سجل قبائل الأطلس الكبير في كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، الرباط، 1974، ص ص 35- 32

وكذلك أخبار المهدي بن تومرت، الرباط 1971ص ص. 31- 33

51) Berque (J), Ibid. p. 4

52) البيدق أبو بكر بن علي الصنهاجي : أخبار المهدي بن تومرت، الرباط، 1971، ص 52.

53) راجع الصراع بين المرينيين وقبائل طرفي الأطلس الكبير الغربي ص ص 78- 79.

54) الوزان (الحسن بن محمد) وصف إفريقيا : الجزء الأول الرباط 1980، ص ص 75- 89.

كوحدات، سماها الأعراب، والتي اشتهرت منها بالمنطقة، قبيلة حارث، التي تردد ذكرها في الوثائق البرتغالية(55).

يظهر أن الصراع الضخم، والتخريب، الذي تعرضت له المنطقة، طول قدم الجبل، من طرف البرتغال، في الربع الأول من القرن السادس عشر، أدى إلى تغييرات، في وضع التجمعات السكانية. فبدأت تبرز قوى قبيلة أخرى، أخذت تستقر تدريجيا.

لقد بدأ تغيير خارطة القبائل، على السفح الشمالي، ببروز قبائل بجانب القبائل القديمة.

بدأ بروز قبيلة دويران، بين مزوضة ونفيفة على وادي سكساوة، فصارت تتحكم في مخرج الوادي.

وأما قبيلة متوگة، فلم يرد اسمها عند الوزان، الذي زار المنطقة أوائل القرن السادس عشر، وتحدث عن مدن، نسبها لإقليم حاحة، تقع اليوم أماكنها بأرض متوگة. ومنها عاصمة الإقليم آنذاك، تادَنْسْتْ قبل تخريبها(56)، وتاسْكْدَلْتْ(57)، التي يطل مكانها على بوابوض.

ويكتنف الغموض، تطور بروز متوگة بالمنطقة، فقد ورد عند البيدق لفض آتيگي(58) دون ذكر القبيلة. وأما كتاب أعيان المغرب الأقصى، فوردت فيه رواية، تقول بأن متوگة مركبة من تجمعين بشريين، تجمع أصلي، يسمى أنگا، وتجمع وافد صنهاجي، جاء مع المرابطين، ويسمى الملثمين، واندمج التجمعان

---

55) Cenival (Pierre de) S.I. H. M., T1, Portugal, pp. 316-318

56) الوزان، ن. م. ص ص 77- 79.

57) الوزان، ن. م. ص 82

58) البيدق، أخبارالمهدي، ص 69

في قبيلة واحدة، أصبحت تسمى لمتوگة، ثم اختصرت إلى متوگة(59). وورد في مقالة عن القائد عبد الملك المتوگي، أن المتوگيين، يدعون أنهم ينحدرون من اللمتونيين، كانوا مع يوسف بن تاشفين، ففضلوا البقاء في المنطقة، بدل السير إلى مراكش.(60) وتؤكد الرواية الشفوية من المنطق هذا الطرح.

يظهر أن الاضطراب السكاني، الذي تعرضت له المنطقة، أوائل القرن السادس عشر، وزحزحة السيادة الحاحية، أسهما في بروز متوگة، التي أصبحت تشكل قوة في المنطقة، منذ القرن الثامن عشر، وندا لحاحة في القرن التاسع عشر، حتى إن النزاع بينهما، كانت له نتائج سلبية على الأسرة الحاكمة بحاحة أيت أبهي سنة 1871/1288.

أما في السهل، فقد توسعت التجمعات العربية، وضمت لها رگراگة، وأصبحت تعرف بالشياظمة، التي ورد لها ذكر في الوثائق البرتغالية(61)، كتجمع صغير أوائل القرن السادس عشر. فأصبحت حارث إحدى قبائلها، وزحزحت بدورها حاحة لتصبح من المنافسين لها، منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وطيلة القرن التاسع عشر.

أما أولاد أبي السباع، فقد ورد ذكر لمجموعة صغيرة منهم، كان القتال بينها وبين البرتغاليين جنوب أگْلاگَلْ(62). لكن يظهر أن القبيلة بدأت تستقر بدورها في السهل، بين متوگة جنوبا والشياظمة شمال غرب، ويبدو أنها أصبحت قوة في النصف الأول من القرن الثامن عشر، مما جعل السلطان المولى محمد بن عبدالله يوقع بها(63). هذه القبيلة التي أصبحت بدورها، من التجمعات السكانية الهامة بالمنطقة، في القرن التاسع عشر، وتداخلت مصالحها مع مصالح القبائل الأخرى.

59) Marthe et Edmond Gouvion Kitab Aayan al-Markib l'Akca, Alger 1939, p. 257.
60) Le Caid Si Abd el Malek M'tougui in Renseignements Coloniaux, suplument du Bulletin du Comité de l'Afrique francaise, N7 1918, p. 7, Rde S
61) Cenival (Pierre de) S.I. H. M., T1, Portugal, p. 736 et 603
62) Cenival, Ibid, p. 764.

63) الناصري، ن. م. - 8ص 50

أما حاحة، التي تقلص امتدادها جنوبا، فإنها ظلت تكون اتحادية هامة في القرن التاسع عشر، تمتد من الشمال إلى الجنوب، على معظم منطقة وحدة الهضاب من الأطلس الكبير الغربي، حتى المحيط، وهي اتحادية تضم اثني عشر قبيلة، هي إداوكْرْضْ عند المحيط على مشارف الصويرة، وتمتد شرقها نَكْنَافَة ثم أيت زَلْطْنْ فإداوزْمزَمْ، وكلها على السفح الشمالي في محاذاة الشياظمة ومتوگة، يليها جنوبا إداوسَرْنْ وشرقها إمْگْرَادْ، وجنوبها إداوگْلُولْ، التي تقع إداوتْغُمَّة جنوب شرقها، لتحد أيت تَامَرْ الاتحادية من الجنوب. وفي الشرق، تمتد القبائل التي تسميها الوثائق بالجبلية من الشمال إلى الجنوب، إداوبُوزِيا، وإداوكَزُو وايت عيسي بمحاذاة إداوتَنان.

3 ـ 2 ـ تعداد السكان :

إن تعداد السكان، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، بالنسبة لستينات القرن التاسع عشر، لم تكن تعنى فيها السلطة المركزية، والتجمعات السكانية، إلا بعد الكوانين، التي ورد عنها إحصاء حاحة، أثناء الحركة إليها سنة 1873/1290، فكان عدد الكوانين بالاتحادية، حوالي 3600 كما كانت الاحصاءات، تعنى أيضا بعدد الصائمين، أي القادرين على المشاركة في الأعمال، بما فيها الحربية، وكان عددهم بالنسبة للاتحادية الحاحية، أثناء الحركة، 6000 صائم. وإذا كانت إشارات إلى إحصاء كوانين وصوام القبائل الأخرى فإنه لا نتوفر على قوائمها.

لقد كانت غاية السلطة، والسكان، بمثل ذلك الإحصاء، كونه يعكس القوى البشرية الفاعلة للقبيلة، سلما وحربا. وما دون ذلك من السكان، لم يكن يحصى، وليس لاستغناء المجتمع عنه، وإنما لأنه يدخل، ضمن اعتبارات أخرى، تدخل في الذود عنها، لأنه شرف للسكان، أسرا وقبائل. فكان الخوف عليه، يتردد باستمرار بالتعبير، بالخوف على الأولاد والأعراض.

لقد كان النمو الديمغرافي، يتأثر بالآفات، وخاصة منها المجاعات، التي كانت لنتائجها، أمثلة بطرفي الأطلس الكبير الغربي، عقب مجاعة 1869/1867 وأورد


خريطة رقم: 2 قبائل الاطلس الكبير الغربي
وادتانسيفت
مراكش
الشياظمة
سيدي المختار
الصويرة
شيشاوة
أولاد أبي السباع
ارحالن
إداوكرض
إداوسارن
إداوزلطن
المنابهة
إداومرزوك
كوزمت
مزوضة
دويران
إمين تانوت
أمزميز
كدميوة
امبرد
إداوبوزيا
إداوكلول
إداونتمة
إداوكزو
أيت عيسى
أيت تامر
أيت تانكرت
إداوتنان
أيت واعزون
دمسيرة
إداومحمود
سكساوة
إداوزيكي
إداوزال
اركيتن
إداوزداغ
إداومصطوك
أيت سمك
أغبار
أمسكروض
أكادير
إنزكان
مسكينة
هوارة
سوس
كسيمة
0 10 20 30 كلم

المختار السوسي، بعضا من عواقبها بادوتنان من شاهد عيان(65). كما توفر مثال آخر، من وثيقة تهم إحصاء كوانين إداوگُلُول، فذكر أنهم كانوا قبل المجاعة 527 كانونا وبعدها 464 كانونا(66). وانعكس هذا أيضا على سكان مدينة الصويرة، فكان سكانها سنة 1864 حوالي 20 ألف نسمة، لينزل عددهم إلى 18 ألف نسمة سنة 1870(67). مما يوضح أثر الأزمة الديمغرافية، التي تؤثر على علاقات السكان فيما بينهم، وعلاقاتهم بالسلطة. وذلك جزء من المشاكل، التي ظهرت إبان حركة حاحة 1873/1290. لكن رغم ذلك، فإن تلك الآفات، لا تثبط عزيمة السكان في ممارسة أنشطتهم.

3 - 3 - مظاهر الأنشطة المتعددة :

يمكن حصر الأنشطة المتعددة، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، في الإنتاج الاقتصادي، والعمراني، والمواصلات.

3 - 3 - 1 - الإنتاج الاقتصادي :

إن منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي كانت تعتمد إنتاجا متنوعا، جعل لها صيتا، حتى إن دوفوكنو، لما مر بحاحة، أوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر، أي بعد عشر سنوات من الحركة إليها، وصفها بالغنى، رغم ما شاهده من آثار الخراب(67 مكرر).

تعتمد منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، إنتاجا متنوعا. ففي معظم طرفها الغربي، يعتمد الإنتاج على شجرة أركان، التي يتوارد ذكرها، منذ عهد البكري، لدى كل من اهتم بالمنطقة، وإنتاج أركان متعدد الاستغلال، مما يجعله ثروة طبيعية للسكان خاصة بمنطقة حاحة.

---

65) السوسي : محمد المختار، المعسول ج 15 مطبعة النجاح، البيضاء 1962، ص 11.

66) راجع إحصاء كوانين حاحة ص 461، رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 23 جمادى ال 19/1290 يوليوز 1873

67) Schroeter Ibid, pp. 219-20

67bis) Foucauld (Charles de) Reconnaissance au Maroc, 1883-1884, 1943, p. 339

وأما كلما كان الاتجاه شرقا، فإن الإنتاج الشجري، يعتمد أشجار اللوز، والزيتون، الذي كان إنتاجه غزيرا بالمنطقة، في القرن التاسع عشر، ليصل في المنطقة الداخلية العالية إنتاج الجوز. أما إنتاج الحبوب، فكانت السهول، من الدير إلى حاحة، توفر منه حاجياتها وحاجيات المنطقة الجبلية، التي لا يكفيها إنتاجها من الحبوب، المعتمد خاصة على الشعير.

وأما تربية الماشية، فكانت تعتمد على الأغنام، في السهول، والماعز، في المناطق الداخلية في معظمها. وقد كانت السلطة، تعنى بها، حتى إنه في حركة، حاحة كان من نتائجها، توزيع مواشي المخزن، على القبائل المجاورة لحاحة(68).

لقد كان الانتاج الشجري خاصة، وإنتاج المواشي، يحظيان بالتصدير عبر الصويرة، ذلك الإنتاج الذي كان عدد من الوسطاء يقومون باستجلابه من المنطقة الداخلية عبر أسواقها.

3 - 3 - 2 - المظهر العمراني :

يشكل المظهر العمراني، دليلا رئيسيا على استقرار المعاملات، بين السكان، وعلى قوة الإنتاج. ولقد عرفت منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، عمرانا تبدلت أدواره عبر التاريخ.

لقد كان تأسيس مدينة مراكش، منذ النصف الثاني من القرن الخامس / الحادي عشر، سببا تدريجيا في تراجع مدن الدير، كأغمات، أو اختفائها، كمدينة نفيس وحتى مدينة نفيفة. هذه المدن التي كان لها صيت. قبل نشأة مراكش كما ذكر ذلك البكري(69).

---

68) راجع توزيع الكلف أثناء حركة حاحة، ص 479.

69) راجع التعاقب التاريخي لمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، ص 66.

وأما في السفح الجنوبي، فكان تزايد نمو مدينة تارودانت، قد سبب تدريجيا في اختفاء إيجلي، ثم تيدسي (70) خاصة منذ النصف الأول من القرن السادس عشر.

لقد حدث تغيير آخر، على العمران بالمنطقة منذ بداية القرن السادس عشر، سواء على مستوى الشاطئ أو الداخل.

وأما على مستوى الشاطئ، من آسفي إلى ماسة، فإن الاحتلال البرتغالي للمنطقة، في أواخر القرن الخامس عشر، وأوائل القرن السادس عشر، والمقاومة التي واجهها، والعنف والتخريب الذي مارسه البرتغاليون (71)، للنيل منها، سبب تغييرا في المعالم العمرانية للمنطقة، فاختفت مجموعة من المدن الشاطئية، ككوز، وتافْضْنَة، وتركوكو، لصالح آسفي شمالا، وأكدير جنوبا(72). فحظى التركيز عليهما بالاهتمام، حتى النصف الأخير من القرن الثامن عشر، حينما ستنشأ الصويرة، التي ستحقق إشعاعا بالمنطقة، يصل ذروته في الستينات من القرن التاسع عشر(73).

وأما على المستوى الداخلي، فقد اختفت كل مدنه، مما سهل بروز إمين تانوت منذ القرن السادس عشر، التي أخذت تتزايد أهميتها بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، حتى أصبحت مركزا هاما، في الستينات من القرن التاسع عشر،

---

70) راجع الوزان : ن. م. ص ص 93- 44وبالمقارنة بين عدد كوانين كل منهما يظهر تفوق تيدسى فكانت بها أربعة آلاف كانون في حين كان بتارودانت ثلاثة آلاف كانون لكن تفضيلها من طرف السعديين أسرع في نموها.

71) راجع التعاقب التاريخي، ص 94.

72) راجع التعاقب التاريخي، ص 95.

لقد حاول صاحب كتاب وصف جغرافي لإمراطورية المغرب أن يضع وصفا شاملا لعمران المنطقة بين مراكش والمحيط، ص ص 202- 206

73) Reuon (E) Ibid.
Miége (L) Ibid T. III, pp. 63 - 67.

كما شهدت بذلك وثيقة، أثناء حركة حاحة، فذكرت "أن القبائل يسوقونه من سوس إلى مراكش وأكثر من ذلك"(74).

وهكذا يلاحظ أن المظهر العمراني، تحكمت فيه، عوامل تغيير مراكز القوة، نتيجة الصراعات، التي تعرضت لها المنطقة، مما يؤثر على المواصلات.

3 - 3 - 3 - *طرق المواصلات :*

تخترق منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، طرق الربط، بين شمال الأطلس نحو السهول الشاطئية، وجنوبه، نحو سوس حتى الصحراء. واشتهر منها طريقان، عبر الساحل، وعبر منخفض إسَّنْ-أسَرّتو. وتأرجحت أهميتهما، بين الصعود والهبوط، نتيجة الظروف التاريخية للمنطقة، وتغيير مراكز القوى الاقتصادية.

كان الطريق الساحلي(75) عبر حاحة، يربط ماسة جنوبا، غرب مصب وادي ولغاس، وگوز شمالا، على مصب نهر تانسيفت، ولقد بدأت أهمية هذا الطريق في التراجع عقب تخريب معظم المعالم العمرانية، التي كان يربطها في منطقة حاحة، على يد البرتغاليين، لكن بدأ يسترجع حيويته، مع إنشاء الصويرة، فازدادت مكانته الاقتصادية، مما كان يحتم توفير ظروف الأمن فيه، وذلك ما كانت تحاول توفيره، السلطات، المحلية والمركزية، في الستينات من القرن التاسع عشر(76).

وأما الطريق الثاني، فهو الطريق الذي يمر عبر منخفض إسن-أسرتو، والذي ورد ذكره عند البكري(77). إلا أن اتحادية گنفيسة، لما كانت قوية، كانت تتحكم في هذا الطريق(78)، ولما ضعفت في القرن الخامس عشر، يظهر أن هذا الطريق، بدأ نشاطه يتزايد مع نهاية القرن الخامس عشر(79). وازدادت

---

74) رسالة من القائد عمر بن سعيد المتوگي إلى الخليفة بتاريخ 14رجب 1290 / 7شتنبر 1873، خ. ح. ر

75) Célérier, (J). L'Atlas et la circulation au Maroc, in Hesperis 1928, 4 trimestre pp. 466 - 468

76) راجع ص 303-304.

77) البكري ن. م. ص. 160.

78) Berque (J) Antiquité Seksawa, in Hesperis. 1953, 4 trimestre p. 383

79) Célérier, (J). Ibid, p. 476

أهميتـه مـع بدايـة القـرن السـادس عشـر، عقـب تراجـع الطريـق السـاحلي، وتركيز السعديين عليـه. فـزودوه بالقصبـات، التـي جددهـا المولى إسماعيل، كقصبة إمين تـانوت، وقصبـة بـن تاكَمُوسْـتْ جنـوب تزي أوماشو، وقصبة قرب أرگانة، وقصبة أمْسْگروضْ، لتوفير الأمن للطريق، الذي كاَن يسمى الطريق السلطاني.

ولقـد مـر المولـى الحسـن بهـذا الطريـق، أثناء حركة سوس 1863/1280 ذهابـا وإيابـا، فتوضحـت من تلك الرحلة مراحل الطريق من مراكش إلى أمسگروض(80). وأمـا إبـان حركـة حاحـة، فإن هـذا الطريـق تعـرض لاضطـراب، نتيجـة مهاجمـة المنشـقين عـن المتوگـي للمـارة، للنيل منه، فحدثت فيه قضيتان، رفعهما المتوگي إلى الخليفة.

أمـا القضيـة الأولـي فيتهـم فيها المتوگي جماعة من المنشقين عنه، بمهاجمة بعـض الوافديـن مـن إداوْزيكـي علـى الخليفة، بمناسبة عيد المولد، وذلك بدمسيرة "بموضع يسمى بأسَكا"(81)، الـذي كـانوا يقيمـون فيـه. لكـن يظهـر أن الشـخص المهـاجم تمكـن مـن الهروب "منهم ونجاه الله"(82). ويعلـق المتوگـي علـى هـذا العمـل "أعلمنـا مولانـا بمـا هـم عليه من قطع الطريق، والهجم، وأنهم لا زالوا على حالهم القبيح"(83).

يظهـر أن الخليفة، أمر بالتحريات في شأن ما ادعاه المتوگي، فجاء على ظهر الرسالة "نعم سيدي أجاب بأن أسكا خارجة عن طريق دمسيرة".

وأمـا القضيـة الثانيـة، فيتهـم فيهـا جماعة من المنشقين أيضا، تعرضوا لحامل رسـائله وتمكنـوا منـه وسـلبوه "كسـاءه ومكـاتب سـيدنا وما نجاه إلا كثرة سبقه، وتبعوه إلى الحدود بين متوگة ونفيفة ومكاتب سيدنا دخلوا يد عامل نفيفة"(84).

---

80) راجع حركة سوس، ص ص، 130- 131.

81) رسـالة عمـر بن سعيد المتوگي إلى الخليفة بتاريخ 8ربيـع النبـوي 1290/ 6 مـاي 1873 أَسَـكَـا يقـع شـمال شرق تِـمْزْگـادوِين على بعد حوالي 4كلم.

82) ن. ر.

83) ن. و.

84) رسالة أخرى لعمر بن سعيد المتوگي إلى الخليفة بتاريخ 8 ربيع النبوي 1290/6 ماي 1873

يظهر أن الخليفة، أمر أيضا بالتحري في ادعاء المتوگي، فجاء الرد على ظهر الرسالة "نعم سيدنا منذ عرض عليهم وأمروا به فطلبوا أن يحلف لهم المتوگي، بأنه وجه ذلك مع صاحبه، ويغرموه له. وإن ادعوا عليه هو بشئ، بعد، وانكره، يحلفوا له ويغرمه لهم".

يستنتج من هذا، أن المنشقين عن المتوگي، كانوا يستغلون الإرهاب بالطريق للنيل منه، لكن ذلك الإرهاب في حد ذاته، يزيد من الخوف للمارة. وهو نموذج لما كان يتكرر في هذا الطريق من أعمال إرهابية، كانت تزهق الأرواح، حتى غلب على الذاكرة الخوف منه، وتخلد ذلك في تسمية بعض معالمه، ففي جنوب تِمْزْگادوين توجد عين، سميت "شرب وهرب". كما تخلذ ذلك الخوف في الأهازَيج الأَمازيغية، ومن نماذجها هذه الأهزوجة :

رَبِّي آكْ إرْغُودَنْ أُونَّا إيگان   تَكْيا أوگَرَادْ تْبْرِدا إِمْدَنْسِرَنّ

الله أسعدك يا من تفصلـــه   وثبة ضفدع عن طريق دمسيرة.

يظهر أن مثل هذا التخوف الذي تتكرر الشهادات عنه، إنما يرجع إلى كون الطريق يمر من أماكن صعبة من شعاب، وتلال، ومنخفضات، وغابات. مما يسهل العمل للصوص، الذين يفاجئون المارة. فانعكس هذا على الذاكرة الشعبية، فخلدت ذلك التخوف، رغم ما كانت قبيلة دمسيرة، تقوم به من الحرص على سلامة الطريق.

تتشعب من هذا الطريق عدة طرق لاختراق الأطلس، في اتجاهات مختلفة منها عبر بِيياوْنْ نحو تارودانت، انطلاقا من أرگانة، أو عبر تافيلالت إداومحمود، انطلاقا من تِمْزگادوِين.

وأما في موازاة الأطلس نحو المحيط، فاشتهر منه طريقان: أحدهما في محاذاة الأطلس، والثاني عبر شيشاوة وسيدي المختار. وقد سلكه المولى الحسن، أثناء حركة حاحة 1873/1280.

يتوضح مما تقدم أن الإمكانات البشرية، لما تتلاءم مع الإمكانات الطبيعية، تحقق مسارا تاريخيا، يمكن التطرق لنموذج له، بوضع لمحة تاريخية عن منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي.

II ـ منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي في التعاقب التاريخي :

لقد كان من الصعب الإلمام بكل التطورات التاريخية لمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، عبر التعاقب التاريخي للمغرب. لكن هذا لا ينفي عن المنطقة حضورها المستمر، في كل التطورات، التي تعرض لها المغرب. والتي يمكن تتبع بعض آثارها، عبر فترة تاريخية، تمتد لما قبل الإسلام، لتتواصل عبر تقلبات التكوين السياسي الإسلامي للمغرب. وإن كانت أهمية المنطقة، تقوى أو تخفت، تبعا لتنقل الثقل السياسي، بين عواصم طرفي الأطلس، وعواصم الشمال، وما كانت تلعبه من أدوار سياسية واقتصادية، وانعكاساتها على امتداد النفوذ والأمن والاستقرار، أو تراجع تلك التوابث.

1 ـ منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي في التعاقب التاريخي لما قبل الإسلام :

ففي الامتداد التاريخي لما قبل الإسلام، يصعب وضع لمحة عامة عن منطقة طرفي الأطلس، إلا أنه تتوارد معلومات، عن بعض أدوار المنطقة التاريخية.

ففي فترة ما قبل التاريخ تؤكد بعض النقوش، التي عثر عليها ببعض كهوف الأطلس الكبير الغربي، كأُوكَيْمْدَنْ وياگور، بأن المنطقة، كانت مأهولة بالسكان منذ مدة طويلة. وتحمل تلك النقوش، رسوم بعض الأدوات المستعملة، من مدى وقاطعات، وبعض أنواع الأسلحة، كالرماح والدروع. كما تحمل رسوما أخرى، يصعب تحليلها، أو فهم الغاية من رسمها. ومنها على سبيل المثال رسوم لعربات،

لا يوجد تواصل لاستعمالها(1). وإن كان ما يمكن أن تؤكده هذه النقوش، أن حياة الاستقرار، كانت بالمنطقة لفترة طويلة، نظرا لما توفره من أحزمة دائمة الاخضرار، لتوفر المياه، بين مناطق تتجاذبها التقلبات المناخية، مما جعلها مقر توافد من الصحراء، وكذلك من مناطق البحر المتوسط، فكونت بذلك منطقة انصهار طال أمده(2).

وأما بالنسبة للفترات، التي يمكن ربطها بالتعامل الخارجي، أكثر منه بالتطور الداخلي، لا لشيء، سوى لكون المعلومات المعتمدة عن هذه الفترة، ترجع كلها إلى أصول أجنبية، حتى وإن كانت الأدلة حفرية. وقد ناقش العروي أهمية هذه المعلومات، وكيفية استعمالها، وتأثيراتها السلبية، التي نجحت المدرسة الاستعمارية في توظيفها.(3)

ففي الفترة التي كان التعامل فيها مع الفينيقيين، ثم القرطاجنيين، دلت بعض الحرفيات على التواجد التجاري مع تلك القوى(4). ولقد تضاربت التعليقات والشروح، حول رحلة حانون في النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد، وحول المنطقة التي وصلتها، عما إذا كانت مقتصرة على الموقع الذي أصبح يعرف بالصويرة أو تجاوزته إلى منطقة الجنوب حتى بوجدور، أو أبعد منه، وذلك لاختلاف في تحديد جزيرة سيرنه(5)، التي وصلتها الرحلة. لكن ما يمكن استفادته من هذه الرحلة، بالنسبة لمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، أن مرور أسطول حانون، قد لا يستبعد توقفه بمراكز بالمنطقة، للتزود بالمؤن. سواء كان بموقع الصويرة الذي دار عليه الجدل، أو غيره. نظرا للإمكانية المحدودة لسفن تلك المرحلة التاريخية، التي كانت لا تبتعد عن محاذاة الشواطئ.

وفي فترة الاستعمار الروماني لشمال المغرب، وردت معلومات عن جنوبه، من طرف بعض الكتاب الرومانيين؛ فقد ذكر بلين في القرن الأول الميلادي، بعض

1) Histoire du Maroc, Amine et autres, Hatier Paris 1967, pp 14 -15.
2) Amine Ibid p. 15.
3) Laroui (Abdellah), l'histoire du Maghreb Paris 1970, T 1, p. 47.
4) Amine et autres Histoire du Maroc. p. 19.
5) Laroui, Ibid.p. 53.

المظاهر العامة للحياة، تدل على الاستقرار، فتحدث عن جبل درن Deren أو Deris بأنه متوفر على منابع المياه، وحياة زراعية، وسكان لا تظهر أهمية كثافتهم إلا بالليل، عند ما تسطع الجبال بالنيران، وأصداء الرقص، والمزامر والدفوف(6).

ويظهر أن التواصل مع الجنوب ظل مستمرا، حتى لما انحسر نفوذ الرومان، في شمال المغرب إلى مناطق محدودة(7). فقد اكتشفت حفريات بيزنطية في جزيرة الصويرة، ترجع للقرن الرابع الميلادي(8).

وهكذا فإن توارد الشهادات، عن منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، سواء كانت حفرية أو كتابية، خاصة في الكتابات الأجنبية، الإغريقية والرومانية، دالة على أن المنطقة، كانت لها أهمية في التعامل الخارجي، في تلك الفترة التاريخية. وإن استعصى رسم نوع هذا التعامل، ومراكزه، فإن جزيزة الصويرة، ظلت من المراكز الرئيسية في هذه المنطقة لذلك التعامل في حقبة ما قبل الإسلام.

2 ـ منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي في التعاقب التاريخي منذ الفتح الإسلامي :

لقد عرف التاريخ المغربي، تطورا هاما مع الفتح الإسلامي، ذلك أن الإسلام أدى إلى تحريره من التبعية الأجنبية التي كانت قد حالت دون استفادته من ثرواته المادية، البشرية والاقتصادية. كما حالت دون تطوير ما كان له من المؤسسات التنظيمية، سواء الدينية أو السياسية، لترتقي إلى مستوى أعلى، حتى غلب على الظن، أن الهيكلة السياسية للمغرب، إنما تبدأ مع الفتح الإسلامي، الذي أسهم فعلا في تغيير مسار تاريخه، على جميع المستويات، الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

6) Montagne (Robert) Les berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc, Paris, 1930, p.57.
7) Histoire du Maroc, p.41.
8) Schroeter (Daniel) : Merchants and Peddlors of Essaouira, A social history of a Moroccan trading town (1844-1886), p.16.

لقد كان لمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، حضور مستمر في هذا التغيير، منذ الفتح إلى غاية القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، فترة توقف آفاق هذا البحث المتواضع. وإن كانت الفترة، تمتد على مدى ثلاثة عشر قرنا، فإن الإحاطة بمشاركة منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي فيها، غير وارد لأسباب مختلفة. ينطلق بعضها، من ندرة المعلومات، والبعض الآخر من مقاصد البحث نفسه. إضافة إلى أن هذه الفترة الطويلة من تاريخ المغرب، عرفت تشعبات تاريخية كبيرة، وتقلبات سياسية، تميزت بدرجات مختلفة من التماسك، حتى إنه يمكن تقسيمها حسب درجة الامتداد السياسي، الذي له آثار واسعة على كل المجالات، إلى ثلاث حقب متوالية، حقبة دولة الإمارة، ثم دولة الإمبراطورية، ثم دولة القطر، ولكل منها خصوصياتها.

2 - 1 - منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي ودولة الإمارة :

تبدأ حقبة دولة الإمارة في المغرب من الفتح الإسلامي أواخر القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، إلى منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي. هذه الحقبة التي عرفت تكوين إمارات في المغرب، كان لبعضها نصيب أوفر من التعريف بها على حساب الأخرى، وكمثال على ذلك الإمارة الإدريسية والإمارة البرغواطية، مع أن تلك الإمارات، كانت ندا لبعضها البعض، في المرتبة السياسية.

وإن استقراء بعض النصوص، عن بداية الفتح الإسلامي، تبين الوضعية السياسية للمغرب آنذاك، مؤكدة تواجد إمارات مختلفة. فقد ذكر ابن عذاري، أن موسى بن نصير، لما عاد إلى المشرق، أواخر القرن الأول الهجري، صحب معه مائة من وجوه الأمازيغ ومائة من وجوه الروم الأندلسيين، وعشرين ملكا من ملوك المدائن، التي افتتحها في إفريقيا. ومن بين هذا الوفد الضخم الذي يمثل سلطات المدن، والسلطات الإقليمية "مزدانة ملك السوس"(9). مما يبين مشاركة المنطقة

---

9) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين - البيضاء، 1985، ص 45.

الجنوبيـة للمغـرب، المميـز بتشـكيل وحـدات مسـتقلة، والتـي عـبر عنهـا المـؤرخ بممثليهـا فـي شـكل ملوك. وأيد ابن خلدون هذا الاتجاه، حينما تحدث عن منطقة الجنوب وسكانها، فذكر أنه ״:كان منهم قبل الإسلام وبعده رؤساء وملوك״(10).

ولقـد احتفظـت الإمـارات باسـتقلالها، بمـا فيها منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربـي، حتـى غـداة تأسـيس الدولة المرابطية، في النصف الثاني من القرن الخامس الهجـري / الحـادي عشـر الميـلادي. فذكـر ابـن خلدون، أن المرابطين لما احتلوا أغمـات، كـان ذلـك فـي عهد ״دولة إمغارن في بلاد المصامدة وهم الشيوخ״(11). ممـا يبيـن أن منطقـة طرفـي الأطلـس الكبـير الغربـي، ظلـت محتفظـة بتشـكيلاتها السياسـية المتميزة بالاسـتقلال، حتى إن ابن خلدون، استعمل اللفظ المحلي للدقة فقـال ״دولـة إمغـارن״ ثـم عربها، مما يبين الصدى الواقعي، الذي كانت تحتفظ به هذه المؤسسة.

وفـي معـرض حديـث ابـن خلـدون، عـن المصـامدة بصفـة عامـة، ذكـر أن ״لبرغواطـة دولـة، ولأهل درن دولة آخرى، ودول حسبما نذكر״(12). ويلاحـظ أن إصـرار ابـن خلـدون علـى الإشـارة إلـى تلـك الوحـدات السياسية بالدول، لم يكن اعتباطـا، وإنمـا هـو تعبير عن الواقع، الذي ظلت المنطقة تعرفه حتى بداية اندماجها في وحدة سياسية أوسع من دولة الإمارة.

وطيلـة فـترة دولـة الإمـارة، تـوارد الحديـث عـن معـالم طرفي الأطلس الكبير الغربـي، فذكـر ابـن عـذاري أن نـزول عقبة أثناء فتوحاته كان بأغمات أوريكة(13). وأمـا البكـري، فقـد توسـع فـي ذكـر هـذه المعـالم، فذكـر أغمـات بمدينتيهـا،

---

10) ابـن خلـدون : عبـد الرحمـان، تـاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، المجلد السادس، ص 275بيروت 1979.

11) ن. م. المجلد السادس، ص 183.

12) ابن خلدون : المجلد السادس : ص 206.

13) ابن عذاري ن.م.ص. 27.

وريكة وإيلان(14). ثـم ذكـر مدينـة نفيس (15) التـي نـزل بهـا أيضـا عقبـة، حيـث صادف مقاومة شديدة، ثم ذكر مدينة أفيفن.(16) وهـذه المـدن الثـلاث، تقـع على محاذاة الدير، على الطريق(17) الذاهـب إلـى سوس، والذي يمر عبر منخفض إسّن. وذكر البكري وجود مدينة تامْزَوْرْتْ به.(18) وفـي الطـرف الجنوبـي بمنطقـة طرفي الأطلس الكبير الغربي، تحدث البكري عن مدينة إيجلي(19)، بأعـالي سـوس. كمـا تحـدث عـن ماسـة (20) عنـد المحيـط، التـي يليهـا شـمالا، فـي الأهميـة، مرسـى أمگدول، الذي وصفه بأنه مشتى مامون(20مكرر).

ولقـد استعرض البكري، نشاط السكان بهذه المنطقة، والمركز على الفلاحة فذكـر غـزارة الإنتـاج، الـذي أدى إلـى رخـص الأسـعار(21)، وإلـى التصديـر عـبر ميناء گوز(22) علـى المحيـط، والـذي تقصده المراكب، من مختلف البلدان. كما أن مـن الإنتاجـات الرئيسـية، قصـب السـكر بإجلي،(23) الـذي يسـوق إلى بـاقي المغـرب. ويعتمـد السـكان أيضـا، علـى إنتاجـات شـجرية متنوعـة. ومنهـا شـجرة الهرجـان أي أرگـان، التـي كـرر البكـري وصفهـا وعـدد منافعهـا(24). إضافـة إلـى

---

14) البكـري : أبـو عبيـد اللـه بن عبد العزيز : كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من أجزاء الكتاب المعروف بالمسالك والممالك، نشر دوسلان. Mac Guckin De slane، طبعة باريس 1965، ص 153.

15) البكري، ن.م. ص. 160.

16) البكري، ن.م. ص. 160.

17) البكري، ن.م. ص. 160.

18) البكري، ن.م. ص. 160.

19) البكري، ن.م. ص. 162.

20) البكري، ن.م. ص. 161.

20 مكرر) البكري، ن.م. ص. 86.

21) البكري، ن.م. ص. 153.

22) البكري، ن.م. ص. 153.

23) البكري، ن.م. ص. 162

24) البكري، ن.م. ص. 163ذكر عن منافع أرگان.

"وبأرض أغمات والسوس شجر الهلجان (يريد الهرجان، ص،162)لا يكـون إلا هنـاك يستخرج من حبه زيت=

استخراج المعادن من الجبال كالفضة(25)، كما تغزر الصناعات، ومنها النحاسية التي تصدر إلى إفريقيا الغربية(26). وتجري معظم المعاملات في الأسواق، وتتم بالنقد الفضي والقزديري(27)، وبذلك ألم البكري، بكل أطراف الحياة، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي.

وأما عن سكان المنطقة، في تلك الحقبة من التاريخ، فهم ينتمون إلى المصامدة،(28)، الذين ذكر ابن خلدون عددا من قبائلهم قائلا: "إن قبائل المصامدة بجبل دْرْنْ كثيرة، مثل هنتاتة، وتينمل، وهرغة، وگنفيسة، وسكسيوة وگدميوة، وهزرجة، ووريكة، وهزميرة، ورگراگة، وحاحة وگلاوة وغيرهم"(29)، هذه القبائل التي عمرت الأطلس الكبير الغربي حتى البحر، وذلك منذ "الأحقاب المتطاولة"(30)

وهكذا، فإن ما يمكن استفادته، من هذه الإشارات، أن معالم منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، قد عرفت منذ وقت مبكر من التاريخ. كما نعمت باستقرار السكان، وغزارة الإنتاج، ومدن هامة، وهي حياة دالة على التواصل. ومما زاد أهمية لما وصفت به، أن البكري، كان معاصرا لما تحدث عنه من التطورات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، في أواخر حقبة دولة الإمارة. فعبر عن واقعها المتميز بالتنوع، واسقلال الوحدات، ذلك الواقع الذي سيواجهه المرابطون عند وصولهم للمنطقة.

= طيب كثير النفع وذلك أنهم يجنون ثمره فتعلفه الماشية ويعمدون إلى عجمه فيطحن ويستخرج منه ذهنه فيكادون يستنفعون به عن جميع الزيوت لكثرته عندهم".

25) البكري، ن.م. ص. 161

26) البكري، ن.م. ص. 162

27) البكري، ن.م. ص. 162

28) البكري، ن.م. ص. 162.

عبد الرحمان ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون : المجلد السادس، ص 275

29) عبد الرحمان ابن خلدون : ن.م. والملجد، ص. 275

30) عبد الرحمان ابن خلدون : ن.م. والمجلد، ص. 206.

2 ـ 2 ـ منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي ودولة الإمبراطورية :

لقد عرف تاريخ المغرب، تطورا هاما، لما تمت وحدته السياسية، في إطار دولة واسعة، اتخذت صيغة دولة الإمبراطورية، والتي استغرقت أكثر من ثلاثة قرون. من النصف الثاني للقرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي إلى أواخر القرن الثامن الهجري / أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، وهي حقبة تعاقبت فيها ثلاث دول امبراطورية، المرابطية، والموحدية والمرينية.

لقد تميزت هذه المدة، بالعمل الذؤوب، على توسيع آفاق المغرب، بضم مناطق شاسعة، تمتد جنوبا إلى الصحراء، وشرقا إلى حدود طرابلس، وشمالا إلى تخوم الأندلس. وصاحب هذا الاتجاه السياسي، نشاط واسع في كل المجالات، العسكرية والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية. فبرزت في تخليد انتصارات عسكرية كالزلاقة بالنسبة للمرابطين، والأرك بالنسبة للموحدين. كما برزت في إنشاء عمراني كمراكش بالنسبة للمرابطين، ورباط الفتح بالنسبة للموحدين، علاوة على تزويد المدن الأخرى بمرافق اجتماعية واسعة، اشتهرت منها المارستانات والمساجد، التي ما تزال آثارها شاهدة، كالكتبية بمراكش وحسان بالرباط والخيرلدة بإشبيلية. وكللت هذه المجهودات، بتنشيط الثقافة التي اشتهر منها المرينيون بإنشاء المدارس(31).

31) إن هذه الفترة من تاريخ المغرب، رصدت لها كتابات واسعة يمكن مراجعتها، ومنها المصادر التي تشكلها ما أنتج في تلك الفترة، والتي يعتبر ابن خلدون من أساطينها لسببين، معاصرته لمدة من حقبة دولة الامبراطورية، وخصوصا بداية أزمتها التي صادفت أواخر النصف الثاني من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر، والسبب الثاني، كون ابن خلدون متميزا بحس علمي تبلور في ملاحظاته، خاصة عن الفترة التي عاصرها من تاريخ المغرب، مما يعطي أهمية كبرى لإنتاجه، ومن المعلوم أنه على إثر هذا الإنتاج المصدري ما تزال الدراسات مستمرة عن حقبة دولة الامبراطورية والتي تشكل بدورها مراجع لا يستغنى عن أكثرها لغنى تحليلها.

ولقد شاركت منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، في كل تطورات حقبة دولة الإمبراطورية، وكانت مشاركتها فعالة،اختلفت أدوارها حسب المتزعمين لها.

2- 2- 1- المرابطون والأطلس الكبير الغربي :

ففي العهد المرابطي، تميزت منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، بمجابهة الدولة، التي قال عنها ابن خلدون، للمصامدة "مع لمتونة، ملوك المغرب، حروب وفتن، سائر أيامهم"(32). وذكر البكري، أن عبد الله بن ياسين، غزا أغمات سنة 449، واستولى على المصامدة سنة 450(33). دون تعليق على الأحداث. وأما الناصري فقد ذكر أن عبد الله ابن ياسين، "فتح جبل درن وبلاد رودة ومدينة شفشاون بالسيف، ثم فتح مدينة نفيس، وسائر بلاد گدميوة، ووفدت عليه قبائل رجراجة وحاحة فبايعوه"(34)، كما احتل مدينة أغمات(35).

ويظهر أنه، أمام صعوبة إخضاع سكان منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، وصعوبة اندماج السكان الوافدين مع الدولة الجديدة، مع سكان المدن العريقة بالمنطقة، والتي كانت أغمات أهمها، فقد اضطر المرابطون، إلى إنشاء مدينة منسجمة مع تكويناتهم البشرية والاجتماعية(36)، فأسس يوسف بن تاشفين مدينة مراكش(37)، التي اتخذها مركزا للدولة الجديدة، والتي كان من أهدافها أيضا "التمرس بقبائل المصامدة المقيمة بمواطنهم منها في جبل درن. وإذ لم يكن في قبائل المغرب أشد منهم قوة ولا أكثر جمعا"(38).

32) ابن خلدون : عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون، المجلد السادس، ص. 224.

33) البكري : ن. م : 168

34- الناصري: أحمد بن خالد : كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ج 2. ط 1954- البيضاء. ص 14.

35) الناصري : ن. م. ج 2. ص 15

36) ومثال عن اختلاف العادات الاجتماعية، بين المرابطين وسكان مدن الدير كأغمات، كونهم احتفظوا باللثام في وسط يعرف السفور، حتى إن الموحدين كانوا يطلقون عليهم الحشم، تشبيها بالنساء اللائي يضعن النقاب، وقد ذكر كتاب الاستبصار أن مراكش "انما بناها واضعها ليملك منها جبل درن لكثرة من يعمره" ص 209

37) ابن خلدون : ن. م، المجلد السادس ص 184

38) الناصري أحمد. ن.م. الجزء الثاني، ص 2.

ودعما لسياسة محاصرة المصامدة بالأطلس الكبير الغربي، أقام المرابطون، سلسلة من الحصون في المناطق المنيعة والاستراتيجية، التي كانت تأوي الرجال والخيل(39). وقد عدد البيدق عددا منها(40).

إن هذه التأكديات، عن مجابهة قبائل منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، للدولة المرابطية، لها انعكاسات على مسار الأحداث، وخاصة على المستوى السياسي، إذ لم يمر سوى أكثر من نصف قرن، حتى كانت المنطقة منطلق أحداث عصفت بالدولة المرابطية.

2 ـ 2 ـ 2 ـ الموحدون وهيمنة مصامدة الأطلس الكبير الغربي على الدولة:

لقد كانت الدولة الثانية، التي أخذت زمام دولة الإمبراطورية، في تاريخ المغرب، هي الدولة الموحدية، هذه الدولة التي كان لمصامدة منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، دور كبير فيها. فقد انتمى مؤسسها، محمد بن تومرت، إلى إحدى قبائلها، هرغة. في حين تبنت اتحادية تنملل، إيواء مركز تأسيس تلك الدولة. وزودتها القبائل الأخرى، بالرجال والإمكانات. مما يؤكد ما ذكره ابن خلدون، حين قال عن تلك القبائل، "هم السابقون للقيام بدعوة المهدي، والممهدون لأمره، وأمر عبد المومن بعده"(41).

لقد أورد البيدق سجلا مفصلا لقبائل مصمودة، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير، التي كانت تكون تشكيلات قبلية، إما اتحادية أو منفصلة. وأما الاتحاديات القبلية منها، فكانت أربعة، وهي أهل تنملل، وهنتاتة، وگنفيسة، وگدميوة، وقد انحلت ثلاثة منها، هي : تنملل، وهنتاتة، وگنفيسة، لكن القبائل التي كانت تضمها، ما زالت في معظم أماكنها. كما بقيت اتحادية گدميوة، وبنفس الإسم إلى اليوم.

---

39) البيدق : أبو بكر بن علي الصنهاجي : أخبار المهدي بن تومرت 1971- الرباط ص 90.

40) البيدق : ن. م. ص ص 91- 92

41) ابن خلدون : ن. م. ص 275

كانت اتحادية أهل تنملل(42)، تضم أحد عشر فخذا، ومنها : امسكالن(43) وسكتان(44)، وأيت واوزكيت(45)، وأيت وانسا(46)، وأيت تفنوت(47) وإيصناگن(48).وهي تمتد على منطقة واسعة من الأطلس الكبير، من تشكا(49) نحو الجنوب الشرقي، حتى مشارف درعة، وبذلك تشكل حاجزا اتجاه الصحراء، مصدر قوة المرابطين. وأما اتحادية هنتاتة(50)، فكانت تضم تسعة أفخاذ، ومنها: ايغيغاين(51)، وأيت واوزگيت(52)، وأيت تكلاوتين(53). وتمتد هذه القبائل، على منطقة روافد أعالي درعة جنوبا، إلى الدير شمال الأطلس. أما اتحادية كدميوة(54)، فتضم مجموعة من القبائل. ذكر البيدق أنها أكثر عددا، فهي تضم ستة وأربعين فخذا، ومنها: بني غرتيت(55)، وحلف أيت مسيفر(56). كما عدد البيدق أفخاذ گدميوة، التي منها : گدميوة الجبل، وگدميوة الفحص، وتقع اتحادية گدميوة على السفح الشمالي، للأطلس الكبير الغربي، المتصل

42) البيدق : أبو بكر بن علي الصنهاجي، المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب تحقيق عبد الوهاب بن منصور : الرباط 1971ص 43

43) البيدق : ن. م. ص 43

44) البيدق : ن. م. ص 43

45) البيدق : ن. م. ص 43

46) البيدق : ن. م. ص 43

47) البيدق : ن. م. ص 44

48) البيدق : ن. م. ص 44

49) تِشْكَا : راجع ص 28.

50) البيدق : ن. م. ص 44

51) البيدق : ن. م. ص 44

52) البيدق : ن. م. ص 44

53) البيدق : ن. م. ص 44

54) البيدق : ن. م. ص 44

55) البيدق : ن. م. ص 45

56) البيدق : ن. م. ص 45

بالدير، بين نفيس (57) وأسيف المال(58)، وأما اتحادية گنفيسة(59)، فذكر البيدق أنها تضم اثنين وعشرين فخذا، وما تزال عدد من قبائلها موجودة، ومنها إداوزْداغْ(60)، التي تضم تشكيلا قبليا يشمل إداوْمْصَطُّوگْ(61)، وإمْدْلاْوْنْ(62)، وتگوگا(63)، وإمَنْتاگنْ(64). وتوجد هذه القبائل، على السفح الجنوبي للأطلس، المتصل بدير سوس.

---

57) **نفيس** الوادي الذي يخترق الأطلس الكبير الغربي من الجنوب إلى الشمال في شكل ثلاث مجموعات من الأودية والأحواض، مجموعة من السهل إلى حوض تَاگُنْتَافْتْ، ثم حوضا : تَلاتْ نْ يَاقوب وتاگنتافت، ثم خانق طويل يتجه غربا من تاگنتافت إلى المنابع بتشكا[1]. وهذا الجزء يسمى فيه نفيس بوادي أغبار[2]. وعند دخول الوادي السهل شمال أمزميز ينحرف نحو الشمال الغربي، حتى يتلقى بوادي تانسيفت[3].

واختراق الوادي للأطلس الكبير الغربي، سهل تشكيل ممر جبلي يخترق الأطلس ويربط سوس بالحوز، عبر تِزي نْ تَاسْت[4]. وقد استقرت على سفوح الوادي وروافده قبائل، لها من المكانة ما عبر عنه، صاحب رحلة الوافد ب "هيئة الجبال بوادي گنْفيسة[5]" وشرح محقق الرحلة صدقي، أن المقصود بوادي گنفيسة هو وادي نفيس[6]. ثم أورد احتمالات مختلفة لشرح ذلك المصطلح[7].

[1]Le Edt. F Gendre : L'évolution du relief dans le Massif ancien du Grand - Atlas, le Houz et le Sous d'aprés J Dresch : Revue du Géographie marocaine 1943 n°1 p 43.

[2]Montagne (R) L'Aghbar Hesperis 1927 tr p. 2.

[3]Pascon (p) Le Haouz de Marrakech T I p. 31 - 32 .

[4]Célérier (J) l'Atlas et la circulation du Maroc Hesperis 1928. 4 tr. pp. 474 - 475.

[5]الزرهوني عبد الله رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد في هذه الأجبال بادن الوالد، تقديم وتحقيق صدقي علي الرباط 1988الجزء الثاني ص 31

[6]صدقي علي : ن. م. الجزء الثالث الهامش 211

[7]صدقي علي : ن. م. الجزء الثالث الهامش 103

58) **أسيف المال** : وادي يتجه من الجنوب إلى الشمال على السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي في شكل أحواض وخوانق تدعمه الروافد1. وتستقر على أسيف المال وروافده معظم القبائل المشكلة لاتحادية گدميوة، وقد كانت في الستينات من القرن التاسع عشر، تابعة إداريا لقيادتي أمزميزى وتزگين 2

1 - Dresch (J) Recherches sur l'évolution du relief dans le Massif central du Grand-Atlas, le Haouz et le Sous pp. 331 - 336

2 - Montagne (R) les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc p. 13

راجع صفحة 40.

59) البيدق : ن. م. ص 47

60) البيدق : ن. م. ص 48

61) البيدق : ن. م. ص 48

62) البيدق : ن. م. ص 48

63) البيدق : ن. م. ص 48

64) البيدق : ن. م. ص 48

ذكر البيدق بجوار الاتحاديات، قبائل منفصلة متعددة، ومنها إِسْكْسَاوَنْ(65) وصودة الجبل وصودة الفحص، وهي مزودة(66). وتقع القبيلتا ، على السفح الشمالي للأطلس، غرب گدميوة. ثم قبائل تمتد، عبر ظهر منطق طرفي الأطلس الكبير الغربي، من تشكا إلى البحر، وهي : إداومَحْمود(67) ومنه ا إداوزِمَّرْ(68)، التي ورد ذكرها عند البكري. ثم إِيمْدْ سِيرِنْ(69)، التي توج د على امتداد الطرف الشمالي للمنخفض الكبير، عبر تَزي أوماشو. ثم إِيز كيتَنْ(71)، أي إداوْزيكي، التي تمتد على الطرف الجنوبي، لنفس المنخفض . ادي إسن(72)، وبها توجد مدينة تامْزاوْرْت(73)، التي ذكرها البكري. وقد سمى البيدق هذه القبائل الثلاثة بالمهاجرين(74). دون ذكر متى كانت هذه الهجر.، ولا من أين وقعت، ويبين هذا أن هناك صراعا على التحكم ببعض المراكز. وخاصة الممر الكبير، بين منطقة طرفي الأطلس الشمالية والجنوبية. وأما على لسفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي فتمتد قبيلة مسگينة، حتى البحر.

ومن المعلوم، أن المهدي، منذ أن غادر أغمات أوريكة، قام برحلة داخل جبال درن وقبائله، انطلاقا من اتحادية هنتاتة، حتى أمسگينا عند البحر. ثم عاد

---

65) البيدق : ن. م. ص 48

66) ا لبيدق : ن. م. ص 48وصودى هم مزوضة

67) البيدق : ن. م. ص 49

68) البيدق : ن. م. ص 49

69) البيدق : ن. م. ص 49

70) تزى أو ماشوء راجع صفحة 28

71) البيدق : ن. م. ص 79

72) وادي إسَّنْ. راجع صفحات : 35- 37.

73) مدينة **تامْزَوْرْتْ** : توجد على الطريق الكبير عبر منخفض إسَّنْ، جنوب مقر قيادة أرگانة بقبيلة إداوزيكي، وظل المكان معروفا بنفس الإسم، إلى أن أقيم مكان القرية سد عبد المومن. فغطى حوضه موقع قرية تامزورت، التي عرفها البكري بالمدينة : راجع معلمة المغرب الجزء الأول ص 225

74) البيدق : ن. م. ص 48

74مكرر) البيدق : ن. م. ص 49

نحو الجبال واستقر بتَمْدْغُوسْتْ(75) بقبيلة إرْكِيتَنْ(76)، حيث أقام مخزنا ودارا(77). لكنه ارتحل بعد ذلك إلى إجلي(78)، بأعالي سهل سوس. وأخيرا استقر بتنملل(79).

يظهر أن رحلة المهدي كانت استكشافية، للبحث عن منطقة آمنة لبث الدعوة الموحدية، وتحويلها إلى عمل مسلح. فوقع الاختيار على تنملل، التي قال عنها صاحب كتاب الاستبصار، إنها "أمنع حصن وقلعة في بلاد المغرب"(80) لسهولة قطع الطرق إليها، بالإضافة إلى كونها في أرض اتحادية أهل تنملل الكبيرة.

ولقد استمرت المجابهة بين المرابطين، ومنطقة طرفي الأطلس الكبير، المناصرة للموحدين، أكثر من عشرين سنة، من سنة 515 إلى 535 هـ، حينما تمكن الموحدون من فك الحصار عنهم، بنقل ميدان العمليات ضد المرابطين، خارج منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي. وخلال العشرين سنة، كانت المجابهة تدور بين الطرفين : الموحدون انطلاقا من تنملل، شمالا إلى أطراف مراكش، وجنوبا حتى إيجلي(81)، وشرقا إلى زكورة(82)، وغربا إلى أمسكروط(83)، ومشارف حاجة(84). والمرابطون من مراكش. فكانت الحرب سجالا، تارة ينهزم الموحدون، كما وقع بمعركة البحيرة، بأبواب مراكش سنة 524 والتي فقدوا فيها

75) البيدق : أخبار المهدي. ص. 32

76) البيدق : ن. م. ص 32

77) البيدق : ن. م. ص 32

78) البيدق : ن. م. ص 32

79) البيدق : ن. م. ص 34

80) مؤلف مجهول : كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد الدار البيضاء 1985. ص 208

81) البيدق : أخبار المهدي ص. 70

82) البيدق : ن. م. ص 38

83) البيدق : ن. م. ص 48

84) البيدق : ن. م. ص 46

طرفا هاما من قواتهم(85). وتـارة ينهـزم المرابطـون، الذين عجزوا عن التوغل داخل جبال درن.

يـدل دوام الصـراع، هذه المدة الطويلة بين الطرفين بالمنطقة، والخسائر التي منـوا بهـا، علـى استغلال كـل منهمـا لإمكانـات مهمـة. فـإذا كان المرابطون، قد سـخروا كـل إمكانـات الإمبراطوريـة، مـن الأندلـس إلى الصحراء، فإن الموحدين، كـانوا مقتصريـن علـى إمكانـات الأطلـس الكبـير الغربي، مما يدل على كونها فعلا كـانت عظيمة. وهذا ما عبر عنه صاحب كتاب الاستيصار، حين قال، "وجبل درن أخصـب البـلاد، وأكثرهـا أنهـارا وأشـجارا وأعنابـا، وفيـه أمـم لا تحصـى من المصامدة" (86).

لقـد ظلـت منطقـة طرفـي الأطلـس الكبـير الغربـي، دعامـة الدولة الموحدية، فشـكل شـيوخ الموحديـن، عنصـرا تـتزود منهم الدولة بالأطر، كما ظلت تتزود من القبـائل بـالجيش، وإن حـاولت إحـداث التـوازن، بإشـراك عنـاصر أخـرى مـن گومية وعربية(87). وظلت الزيارات، تتوالى لتنملل رمز استمرارية الدولة(88).

ولمـا بـدأت الدولـة الموحديـة فـي الانهيـار، كانـت منطقة جبال درن، ملجأ يـأوى إليـه ملـوك أواخـر الدولـة، كلمـا هزمـوا، أو طـردوا من مراكش، لكسب ود شيوخ الموحديـن، ولمناعـة المنطقـة، وللاسـتفادة مـن إمكاناتها. ومثال على ذلك التجـاء المرتضي إليها، لما قام عليه أبو دبوس (89) سـنة 1266/665، كمـا أوى إليهـا المتبقـون مـن الموحديـن، بعـد ما دخل المرينيون مراكش سنة 1269/568، وحـاولوا

85) البيدق : ن. م. ص 39- 40

86) كتاب الاستبصار : ص 211

87) الناصري : ن. م. : ج 2. ص 142

88) ابـن صـاحب الصـلاة : ن. م. تحـدث عـن زيـارة عبـد المومن لتنملل في أوائل سنة 1136/558 فـي ظـروف طقسية شديدة من أمطار غزيرة وفيضانات الأنهار ص 215

89) ابن خلدون : ن. م. المجلد السادس ص 261

استمرار الدولة هناك، بمبايعة اسحق ابن أبي إبراهيم أخي المرتضى، ودامت هذه المحاولة حوالي ست سنوات، حتى قبض على اسحق وعلى ذويه، وأنصاره سنة 1275/674 (90) وبذلك انقرضت تلك الدولة، في مكان مهدها.

وهكذا يكون سكان الأطلس الكبير الغربي، قد دعموا الدولة الموحدية، ماديا وبشريا، لأكثر من قرن ونصف، مما سيكون له آثار عميقة عليهم. وقد علق ابن خلدون على آثار هذا الدعم بقوله، "أنفقتهم الدولة بما تولوا من مشايعتها، وإبرام عقدتها، فهلك رجالاتهم في إنفاقها، سبيل الأمم قبلهم في دولهم"(91). تمشيا مع وجهة نظره في كون الدولة، إنما تقوم على تلاحم بشري متجانس الأصول والأهداف، فيما كان يسميه بالعصبية.

2 - 2 - 3 - العهد المريني وتحديات منطقة الأطلس الكبير الغربي :

لقد تمكن المرينيون، من العمل على استمرار دولة الإمبراطورية، وإن تميز عهدهم، بالمد والجزر، في تحقيق أهدافها الكبرى، سواء في الامتداد نحو الأندلس، الذي دشنوه بتحريك الجهاد، خاصة في الثلث الأخير من القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي(92). أو في الامتداد نحو استكمال وحدة شمال إفريقيا، خاصة محاولة أبي الحسن المريني في أواسط القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي(93). علاوة على دعم مظاهر حضارية عامة، التي تتجلى بالخصوص في تشجيع الثقافة، عن طريق تشييد المدارس(94).

---

90) الناصري : ن. م. : ج 2. ص 260

91) ابن خلدون : ن. م. و. ن. المجلد ص 262

92) Kably Mohamed : Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du "Moyen âge" pp. 80 92

93) Kably, ibid., pp. 128-144.

لقد استعرض القبلي كل الظروف الشائكة المحيطة بمحاولة أبي الحسن إحكام القبضة على شمال إفريقيا، لكن ظروف فشل تلك المحاولة أزاحت عنها كل تدبير سابق، وما زادها إبهاما كون عوامل الفشل كما يقول القبلي غير معروفة.

94) Kably, ibid., pp. 279-285.

إذا كانت هذه المظاهر العامة، هي امتداد لخطة الدولتين السابقتين، فإن منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، أو مصامدة جبال درن، كان لهم موقف خاص، من الدولة المرينية، تميز بمقاومتها، وعدم الانقياد لها بسهولة، بل وبإنشاء إمارة لها وزنها. واستمرت هذه التحديات، طيلة قوة العهد المريني، حتى أواخر القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي. وقد يرجع هذا الموقف، إلى عوامل ذكر ابن خلدون بعضها، مركزا على آمال المصامدة، وعلى سلوك الدولة المرينية تجاههم.

فأما آمال المصامدة، فذكر ابن خلدون، أنهم مصممون على الاعتقاد، بـ"أن الأمر سيعود، وأن الدولة ستظهر على أهل المشرق والمغرب، وتملأ الأرض، كما وعدهم المهدي، لا يشكون في ذلك ولا يستريبون"(95). مما يجعل تلك القبائل المصمودية، تطمح في عودة الأمور إليها يوما. فحاولت بذلك تحدي الدولة القائمة، بأشكال مختلفة من المعارضة.

وأما سلوك الدولة المرينية، إزاء المصامدة، فقد ذكر ابن خلدون نماذج منه، تتركز في العمل على إخضاع المصامدة، باستعمال أشكال مختلفة من العنف. ملخصا إياها بقوله " لما انقرض أمر الموحدين، وتغلب بنو مرين على المصامدة أجمع، وساموهم خطة العسف، في وضع الضرائب والمغارم عليهم، فاستكانوا لعزهم وأعطوهم يد الطاعة"(96). مما يبين أن هدف الدولة، جعل قبائل مصمودة تنزل إلى درجة القبائل الغارمة، بعد ما كانت لها هيمنة وسلطة.

إن هذه العوامل، قد تفسر تلك المعارضة المستمرة، في منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، التي كانت تتميز بالتأرجح بين الانقياد والثورة، حسب

---

95) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد السادس، ط. 1979، ص. 267.

96) ابن خلدون : ن.م. والمجلد، ص. 262.

ولقد بلغت هذه التعسفات إلى تدبير قتل مشايخ المصامدة لما يمتلونه من زعامات متمرسة بالحكم، إذ القضاء عليها يسهل استكانة السكان.

ظروف الدولة المرينية، فإذا كانت قوية مستقرة السلطة، كانت المنطقة محكمة المراقبة، وإذا تضعضعت السلطة المركزية، أو حدثت النزاعات عليها، أظهرت المنطقة الرغبة في الانزواء عنها. مما يجعل السلاطين المرينيين، يجددون بدورهم الحملات العسكرية إليها، غالبا ما تنتهي، كما ذكر ابن خلدون، بعقد السلم(97).

ولقد أورد ابن خلدون، معلومات هامة عن علاقة الدولة المرينية بالمصامدة، بجبال درن بطرفي الأطلس الكبير الغربي، تشمل حوالي قرن ونصف، من سيطرة المرينيين على مراكش، في النصف الأخير من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، إلى أواخر القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي. ويرجع اهتمام ابن خلدون بما أورده من المعلومات ليس فقط إلى كونه مؤرخا، وإنما لمشاركته ككاتب ومستشار، في كتابة الدولة المرينية، في عهدي أبي عنان وأبي سالم لمدة سبع سنوات من 755 إلى 762(98). مما جعله يطلع على حقائق الدولة السياسية، وعلاقاتها برؤساء القبائل. وبذلك، تميزت اهتماماته بالمصامدة بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، بنوع من الدقة، ومتابعة سيرورتها السياسية، إلى أواخر القرن الثامن الهجري وذلك حتى بعدما انفصل عن المغرب، واستقر بمصر.

لقد كان تصرف قبائل منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، تتحكم فيه عوامل مختلفة، من المكانة التاريخية، والمناعة الجغرافية، والقوة البشرية، وقد عني ابن خلدون بإبراز كل هذه الخصائص، في علاجه لعلاقة المرينيين بتلك القبائل.

كان للهنتاتيين دور كبير، في تهيء ظروف انقياد قبائل جبال درن للدولة المرينية، نظرا لانقياد رؤساء هنتاتة لأول وهلة للمرينيين، وكانت أسرة محمد بن علي الهنتاتي تتولى على القبيلة، فاشتهر منهم عامر، الذي كانت له حظوة ومكانة

97) ابن خلدون : ن.م. والمجلد، ص. 262.

98) عبد الواحد وافي علي، عبد الرحمان ابن خلدون : سلسلة أعلام العرب، العدد 4وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، دون تاريخ النشر. ص ص. 43-53.

عنـد كـل، من أبي الحسن وأبي عنان وأبي سالم، فتولى عمالة مراكش كلها، حتى إنه لما استبد الوزير عمر بن عبد الله بالأمر، "اقتسما المغرب شق الابلة"(99). إلا أن هـذه العـلاقة الـوديـة، انتهـت بمنـاهضة المـرينيين للهنتـاتي أدت إلـى قتلـه سنة 1370/771.

وأمـا بالنسبة لگدميوة، فقد استغلت الدولة المرينية، الصراع على السلطة بين الأسـر المتنفـذة فـي القبيلـة. فلمـا سيطرت على المنطقة، عقب انهيار الموحدين، حـاولت الأسـرة الحاكمـة، بنـو سـعد، مناهضـة فـرض الجبايـة علـى القبيلـة، لكن المرينييـن شـجعوا أسـرة منافسـة لهـا، تولى منها عبد الكريم بن عيسي على القبيلة، فدعـم مجهـودات الدولة المرينية، في السيطرة على گدميوة. وقد ظل الصراع، بين بنـي سـعد والمنافسين لهم، على التولية على القبيلة حتى أواخر القرن الثامن / الرابع عشـر، وكـانت نتيجتـه، انتظـام قبيلـة گدميـوة فـي الخضـوع للسلطة المرينية، لأن المتنافسـين يلجـأون إليها للمناصرة، كما حدث لبني سعد أنفسهم الذين، "رجعت إليهـم الرياسـة" كمـا ذكـر ابـن خلدون، عند استعراضه لأحداث الثلث الأخير، من القرن الثامن الرابع عشر(100).

أمـا حاحـة، فقـد ذكـر ابـن خلـدون، أنهـا توجـد في "بسيط ينعطف ما بين سـاحل البحـر، وجبـل درن، وهـو يفضـي إلـى السـوس"(101)، محـددا بذلـك، أن القبيلـة تقـع فـي منطقـة غير منيعـة، ممـا يجعلهـا سـهلة السيطرة، ولذلك فهي من أهل مغرم(102). وكـانت رئاسة القبيلة في أسرة بني مغراوة، وكان المتولي في عهد أبـي عنـان، إبراهيـم بـن حسين بن حماد، وهي الفترة التي كان ابن خلدون، يباشر الاتصـال فيهـا بالقبـائل فـي ديوان السلطان. وقد استمرت الرئاسة في تلك الأسرة،

99) ابن خلدون : ن.م. والمجلد، ص. 269.
100) ابن خلدون : ن.م. والمجلد، ص. 270-271.
101) ابن خلدون : ن.م. والمجلد، ص. 264.
102) ابن خلدون : ن.م. والمجلد، ص. 264.

إلى أن ذكر "وما أدري لمن الرياسة"(103). وذلك بعد سنة 776 لما قتل شيخهم، خالد بن عيسى بن مناد في عهد الأمير عبد الرحمان بن يفلوسن، الذي كان قد تولى مراكش، تقاسما الحكم مع السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم، الذي كان يتولى فاس(104). وأما مركز السلطة بحاحة، فذكر ابن خلدون أنه كان بتَادَنْسْتْ(105).

لقد حظيت قبيلة سكساوة، باهتمام كبير لدى ابن خلدون، فوصف موقعها، "جبلهم الذي أوطنوه، من حاله دون القنة منها والذروة، واعتصموا منه بالآفاق"(106) ويذكر أيضا أن قوة هذه القبيلة، لا ترجع فقط إلى مناعة موقعها، وإنما "كان لهم بين الموحدين مكان واعتزاز بكثرتهم وغلبهم، إلا أنهم أهل بدو، لم يخالطوهم في ترفهم ولا انغمسوا في نعيمهم"(107)، ولذلك لم تبددهم الدولة كغيرهم من القبائل الموحدية. فكان هذا في نظر ابن خلدون، سبب اعتزازهم عن الدولة المرينية، "فلم يغمسوا في خدمتهم يدا، ولا اعطوهم مقادا، ولا رفعوا بدعوتهم راية، وإنما هي منابذة لأمرهم وامتناع عليهم سائر الأيام، فإذا زحفت الحشود، وتمرست بهم العساكر، دافعوهم بطاعة معروفة، وإتاوه غير ملتزمة"(108). موضحا بذلك طبيعة العلاقة بين قبيلة سكساوة، المنيعة منطقة، والسليمة من ارهاق الدولة

---

103) ابن خلدون : ن.م. والمجلد، ص. 264

104) الناصري : أبو خالد أحمد : الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى - دار الكتاب، الدار البيضاء، ط. 1955 ج 4، ص. 65.

105) ابن خلدون : ن.م. والمجلد، ص. 264.

تَادنْسْت : يظهر أنها استمرت كمركز هام بحاحة حتى خربت أوائل القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي أثناء الهجومات البرتغالية عليها، راجع ص 73راجع أيضا الهامش 140الآتي.

106) ابن خلدون : ن.م. والمجلد، ص.262.

ملحوظة : إن هناك خلطا بين سكساوة ،هسكورة في وصف موقع سكساوة، لأنه ذكر هسكورة في مكان آخر واصفا بالضبط مكانها الحالي "وموطنهم متصلة من درن إلى تادلا من جانب الشرق" أي شرق هنتاتة، - ابن خلدون : ن.م. والمجلد، ص. 271.

107) ابن خلدون : ن.م. والمجلد، ص. 262.

108) ابن خلدون : ن.م. والمجلد، ص. 262.

الموحدية بشرا، مع الدولة المرينية، فالتزمت طريقة خاصة تميزت بشبه استقلال عن الدولة، إلا في حالات مناجزتها ومحاصرتها فتتنازل لفترة.

لقد تأسست داخل قبيلة سكساوة، إمارة لقب رؤساءها باجلِّيد أي السلطان، اعتزازا ومناعة عن الدولة المرينية. وتنتمي تلك الإمارة، إلى عبد الواحد ابن يوسف، الذي توفي سنة 1279/680 ووصفه ابن خلدون، باتساع المعرفة في العقائد والشريعة، حتى إنه كان يحفظ المدونة، كما اهتم بالعلوم العقلية، فذكر أنه كان محبا للفلسفة(109).

ويظهر أنه تولى بعده ابنه عمر، الذي نازله السلطان أبو ثابت سنة 1308/707، إلى أن قدم طاعته وهديته التي تقبلها السلطان(110). وعلق بيرك على هذا الاتفاق، بأن كلا الجانبين، كان في حاجة إليه، دون إشارة إلى ما يثبت استمراره(111).

وقد خلفه ابنه عبد الله، الذي عني ابن خلدون بذكره بتوسع، لمعاصرته لكل من أبي الحسن وأبي عنان وأبي سالم، وللأحداث الكبرى التي عرفها، في علاقته مع الدولة المرينية، أثناء الاضطراب الكبير، الذي عانت منه الدولة في منتصف القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، والذي سيعصف بأبي الحسن المريني.

لقد تزعم عبد الله السكسيوي، مناهضة المرينيين في الجنوب، وعزم مع المصامدة على تخريب مراكش، لكن إعادة تنظيم السلطة على يد أبي عنان، حالت دون تحقيق ذلك. إلا أن السكسيوي، سرعان ما سيتدخل في الصراع الذي عرفه بنو مرين أنفسهم على السلطة، فآوى أبا الفضل، أخا أبي عنان، الذي يطالب بنصيبه في السلطة، وكان هذا، سببا في تجريد قوة عسكرية، ضد عبد الله ابن

---

109) ابن خلدون : ن.م. والمجلد، ص. 262.

110) ابن خلدون : ن.م. والمجلد، ص. 262.

111) Berque (Jacques) Antiquités seksawa in Hesperis, 1953, 4 trimestres, p. 382.

عمـر السكسـيوي، نجم عنها، إنشاء قلعة القاهرة، على وادي سكساوة، عند ملتقى السهل بالجبل، وذلك سنة 1353/754 لمحـاصرة السكسـيوي وأبـي الفضـل، وانتهى الصراع، إلى اتفاق تنازل بموجبه عبد الله السكسيوي، عن مناصرة أبي الفضل(112) وعلـق بيرك علـى عبـد اللـه السكسـيوي، بأنـه كـان الشخص المرموق في منطقة الجنوب في القرن الرابع عشر(113).

وقـد عرفـت هـذه الإمـارة السكسـيوية صراعا على السلطة، تتبع ابن خلدون خطواتـه، حتـى بعدمـا غـادر المغـرب، فذكـر أن المتولـي علـى الإمـارة، هـو عبـد الرحمـان وذلـك بعـد سـنة 1375/776(114)، لكنـه تعـرض للتصفيـة، قـال عنهـا ابـن خلـدون "بلغنـي سـنة ثمـان وثمـانين أن عبـد الرحمـان هـذا، ويعـرف بأبي زيد بن مخلـوف بـن عمـر أجليـد، قتلـه بـن عبـد اللـه بن عمر واستبد بأمر هذا الجبل وهو الآن مالكه"(115).

يظهـر مـن تتبع أحداث منطقة الأطلس الكبير الغربي، في العهد المريني حتى أواخـر القـرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، أنها كانت هامة، مما جعل ابن خلـدون يوليهـا اهتمامـا عامـا، مدققا أخبار الصراعات، التي عرفتها سواء مع الدولة المرينيـة، أو المحليـة، محـاولا فهـم العوامـل المحركـة لهـا، مما يشكل دليلا على أهميـة المنطقـة فـي تلك الفترة التاريخية، حتى إن ابن خلدون ما زال يتتبع أحداثها ويدونهـا إلى غاية سنة 788 كمـا ذكـر، فـي حيـن أنـه كـان قـد توقـف عـن تدويـن الأحـداث التاريخيـة عامـة سنة 783، كمـا استنتج ذلـك القبلـي(115مكـرر). وهـذا الاستثناء لا يمكن تعليله إلا لمكانة المنطقة آنذاك.

112) ابن خلدون : ن.م. والمجلد، ص.263.

113) Berque, Ibid., p.391.

114) ابن خلدون : ن.م. والمجلد، ص. 264.

115) ابن خلدون : ن.م. والمجلد، ص. 264.

115 مكرر) - Kably, Ibid., p. xxvi

وهكـذا تكـون فـترة دولة الإمارة، ودولة الإمبراطورية، بمنطقة الأطلس الكبير الغربي، ذات مميزات وانعكاسـات علـى المستوى العـام. فـإذا كـانت فـترة دولة الإمـارة، قـد جسـدت نوعـا مـن التصرف المستقل، فإن فترة دولة الإمبراطورية، قد جسـدت إسـهاما واسعا في البناء السياسي الوطني، سواء في تأسيس وامتداد الدولة الموحدية، أو في محاولة معارضة المرابطين والمرينيين.

وقـد لا يكـون مثـل هـذا التصرف، إلا لوجود قاعدة متكاملة من الإمكانات، مـن قـوة بشـرية، وتحكـم اقتصـادي، وتنظيـم محكـم. وهو إطار عام، ساعد عليه، اسـتقرار متواصـل، عبر أودية وسفوح غنية، مواتية لزراعة ورعي، وتجمع سكني في القـرى. ممـا يجعـل امثـال ابـن خلـدون يوليها العناية، متتبعا قوتها وضعفها. وحتى إنتاجهـا، الـذي تحـدث عـن بعضـه، حينمـا ذكـر، أن السـلطة المركزيـة في العهد المرينـي، كـانت تتلقى زيت الهرجان من المنطقة، الذي وصفه بأنه "زيت شريف، طيب اللون والرائحة والطعم"(116).

إن هـذه المكانـة، التـي حظيـت بهـا منطقـة الأطلس الكبير الغربي، في تلك الفـترة من التشكيل السياسي، من العهد الإسلامي، ستعرف تطورا خطيرا، في بداية الحقبة التالية.

2 ـ 3 ـ منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي ومشاكل دولة القطر :

لقـد كـان الانتقـال السياسـي، من دولة الإمارة إلى دولة الإمبراطورية، مقرونا بـالتطورات الداخليـة، أكـثر مـن الخارجيـة. لكـن تراجـع هذا الشكل السياسي إلى دولـة القطر، كان فيه للعوامل الخارجية دور هام. خاصة التغييرات التي عرفها توازن القوى، بحوض البحر المتوسط منذ القرن الخامس عشر.

---

116) ابن خلدون : ن.م. والمجلد، ص. 264.

ففي شرق البحر المتوسط، كان الانحسار التام للإمبراطورية البزنطية، وحلت مكانها الإمبراطورية العثمانية، التي أخذ وزنها يتزايد، في منطقة شرق البحر المتوسط. وستكون له آثار حاسمة، على المنطقة برمتها، في القرون التالية.

وأما غرب البحر المتوسط، فإن النهضة، ساعدت أوربا على تجديد شخصيتها، بعد تجديد المجال المعرفي والتقني والتعامل، بأن تحسن أسلوب العمل في شتى الميادين، بما في ذلك بداية العمل على الاعتماد على نظام للعلاقات، يعتمد المال والمبادرة. كما تجلى ذلك التحسن أيضا، في تطوير أساليب ركوب البحار. وواكب هذا التطور، على الصعيد السياسي، تكوين قوى جديدة على ضفاف البحر المتوسط الشمالية، خاصة شبه جزيرة إيبرية.

إن بداية فقدان التوازن، الذي أصبح لصالح أوربا بدأت آثاره تنعكس على الشكل السياسي بالمغرب. فقد دفعه ذلك التطور إلى تكوين دولة، تنسجم مع مركباته البشرية والاقتصادية، على ما كانت تعرفه الضفة الشمالية للبحر المتوسط، حيث أفضى التطور، إلى بداية نشأة دولة، ستعرف في المجال السياسي بالدولة الوطنية أو القطرية.

إن هذا التغيير الكبير، في ميزان القوى، على ضفاف المتوسط، وما نجم عنه من تأثير عميق على المغرب، شعر به كل المهتمين بتاريخ تلك الفترة، وعبر عنه بأسلوبه الخاص، وظهر ذلك الشعور، في الإجماع، حول تراجع السلطة السياسية المغربية تراجعا كبيرا، في القرن التاسع / الخامس عشر، فتخلت عن أهدافها، التي أصبحت تقليدية، من دعم الجهاد في الأندلس، والطموح إلى تحقيق توحيد شمال إفريقيا.

ولقد أشار الناصري إلى هذه الوضعية السياسية قائلا: "لما دخلت المائة التاسعة [XV] ومضى صدرها، وتداعت دول المغرب، من بني أبي حفص بإفريقية، وبني زيان بالمغرب الأوسط، وبني مرين بالمغرب الأقصى، وبني الأحمر بالأندلس، وأشرفت على الهرم، وحدثت الفتن بين المسلمين، ودامت فيهم،

واشتغلوا بأنفسهم، دون الالتفات إلى جهاد العدو، ومطالبته في أرضه وبلاده على ما كان لهم من العادة قبل ذلك" (117). واستمر الناصري، في ذكر تطورات الاحتلال البرتغالي للثغور المغربية(118)، وما واجهه من رد فعل المغاربة، الذين "تبادروا في جهاده وقتاله"(119)، مستعرضا مشاركة الجميع في الجهاد(120)، هذه المشاركة التي لم ير فيها جرمان عياش، مجرد استجابة للدفاع عن الدين الإسلامي المهدد فحسب، رغم أن المهاجمين الإيبيريين، رفعوا بدورهم شعار الصليب، وإنما هي استجابة أعمق للدفاع عن الوطن(121). ويستنتج أن التفاف المغاربة حول الدولة الجديدة، التي تمخضت عن تطورات أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر / أواخر الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر، ذلك الالتفاف، الذي رفع الأشراف السعديين إلى السلطة، إنما يرجع في نظره، إلى تزايد التحام عناصر الوحدة الوطنية(122). وأما بالنسبة للعروي، فبعد ما استعرض الوضعية العامة، التي آلت إليها منطقة شمال إفريقيا، في القرن الخامس عشر، من تراجع سياسي كبير، وتشرذم، وتقوية هجوم أيبري منظم، بمباركة البابوية(123)، فقد تساءل عن كيفية إمكانية الخروج من الأزمة، التي تضافرت كل العوامل لاستمرارها(124). واستنتج أنه بالنسبة للمغرب، فإن القوى الدينية المنظمة في ظل الصوفية، التي نزلت إلى ميدان العمل الاجتماعي والتعليمي والسلطوي والحربي، عملت للمشاركة في تنصيب الدولة الجديدة، على يد الأشراف السعديين، انطلاقا من أوائل القرن العاشر الهجري / السادس عشر(125).

ففي هذا الإطار، من التراجع العام في القرن التاسع / الخامس عشر، ومن هجوم أجنبي منظم، بزعامة البرتغال على شواطئ المغرب، تحركت قوى محلية،

117) الناصري : أحمد : الاستقصا، ج. 4طبعة البيضاء ص. 109.

118) الناصري : ن.م. ج.4، ص. 110.

119) الناصري : ن.م. ج.4، ص. 111.

120) الناصري : ن.م. ج.4، ص. 111-114.

121) G. Ayach : Les origines de la guerre du Rif, p. 43.

122) Ayach. Ibid., pp. 43-44.

123) Laraoui (Abdellah), L'histoire du Maghreb, Petite collection Maspero, 1975, T.II, pp. 6-26.

124) Laraoui, Ibid., T.II, p. 21.

125) Laraoui, Ibid., T.II, pp. 25-26.

للعمل على التنظيم والدفاع، تحت التوجيه الديني، مما أفضى إلى نشأة دولة قلصت مهامها، بحكم الظروف العامة غلى المغرب، فكونت بذلك دولة القطر التي توالي على قيادتها، الأشراف السعديون منذ أوائل القرن العاشر / السادس عشر، ليخلفهم الأشراف العلويون، منذ النصف الثاني من القرن الحادي عشر / السابع عشر.

وإن مشاركة منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، في التطور التاريخي، ضمن دولة القطر، شكلتها عوامل مختلفة، جعلت مساهمة المنطقة تختلف حسب الدور الذي قامت به، منذ القرن التاسع / الخامس عشر، حتى منتصف القرن الثالث عشر / التاسع عشر.

2- 3- 1- منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي وعواقب الاحتلال البرتغالي :

لقد تميز القرن التاسع / الخامس عشر، بتطور سياسي تضافرت فيه عوامل مختلفة، كان مظهرها المجسد قد تجلى على المستوى القيادي، في الصراع المحموم، حول السلطة، الذي عرفته فاس، لمدة اثني عشر سنة (863/1459- 875 / 1471) حينما حاول السلطان المريني عبد الحق وضع حد لنفوذ الوطاسيين، فاغتال الوزير الوطاسي، أبا زكرياء سنة 863 / 1459 لكنه بعد خمس سنوات، قامت عليه ثورة فاس، بزعامة الشريف الجوطي الإدريسي 869 / 1465، الذي أطاح به محمد الشيخ الوطاسي بعد سنوات 875 / 1471. وبذلك تمكن من إقامة الأسرة الوطاسية، مكان الأسرة المرينية(126)، بعد إفشال ثورة الأشراف الأدارسة.

---

126) Kably (Mohamed), Société , pouvoir et religion au Maroc a la fin du Moyen âge, Paris 1986, pp. 199-218.

عالج الأستاذ القبلي العوامل المختلفة التي انعكست على تفتت السلطة المرينية على مدى قرن من وفاة أبي عنان إلى مصرع عبد الحق آخر الملوك المرينيين.

الناصري، ن.م. ج. 4. ص. 114- 118.

إن هـذا الصـراع علـى السـلطة، الذي ما انفك يتكرر، طيلة الحكم المريني، حسـب ما ذكره القبلي، عدة مرات(127)، بـرزت آثـاره منـذ أوائـل القـرن التاسـع/ الخـامس عشـر، فـي عجـز السـلطة الحاكمـة، عـن الحفـاظ على الوحدة القطرية، حينمـا عجـزت عـن طرد البرتغاليين المحتلين لسبتة سنة 1415/818، رغـم مـا عرفتـه البـلاد من تجييش السكان، من طرف الصوفية، حتى من أقصى الجنوب من گزولة منذ 1419(128). وإن كـان هـذا العمـل قـد حسـم، علـى الأقل في ردع البرتغاليين، عند محاولتهم لاحتلال طنجة(129)، إلا أن هـذا التكـالب البرتغالي، سرعان ما امتد فـي النصـف الثـاني مـن القـرن التاسـع / الخـامس عشر إلى الجنوب، مرتكبا أنواعا مختلفـة مـن أسـاليب الذعـر، كتخريـب المدن، كما حدث لأنْـفَـا سنة 872 / 1468، هـذا التخريـب الـذي علـق عليـه الـوزان، بأنـه كـان نتيجـة عجـز ملـوك فـاس وعيوبـهم(130). أو الحصـول علـى امتيازات تجارية، ورسوم جمركية، كما حدث لأهـل ماسـة الذيـن منحـوا ملـك البرتغـال، امتيـاز جبايـة الواجبـات، علـى البضائع التـي يصدرونها(131)، أو فـرض الحمايـة علـى المـدن الرئيسـية بمنطقـة الجنـوب، كآسفي سنة 1481وآزمور سنة 1488 ثم ماسة سنة 1497(132)، ليصـل هـذا الاعتداء، ذروتـه فـي بدايـة القـرن العاشـر / السـادس عشـر، باحتلال نقط استراتيجية، وإقامة تحصينات عسكرية بها، كسانتاكروز (أگدير) 1505(133)، والقلعـة الملكية بالصوير 1505 (134)، وآسـفي(135). وبذلـك طوقـت القـوات البرتغاليـة، سـكان منطقـة الجنـوب، بيـن آسـفي وماسـة، ممهـدة لغـزو شـامل، عانى منه سكان منطقة طرفي الأطلـس الكبـير الغربـي، خاصـة في الثلث الأول من القرن العاشر / السادس عشر، مـن مراكـش حتـى سـوس، على طول الدير، مما سماه الوزان إقليم مراكش، وإقليم حاحـة. وعلـى الجـانب الآخـر مـن سـانتاكروز إلـى مدخـل الأطلـس شمالا بأمسكروض.

127) لقد عالج القبلي العوامل المؤدية إلى هذا الصراع في الفصل الخاص بالدولة والسلطة : ص ص. 171- 218
128) Kably, Ibid., p. 329.
129) Kably, Ibid., p. 328.

130) الوزان، حسن. وصف إفريقيا، ج 1. ط 1980، الرباط، ص 156.

131) Ricard, (R). l'occupation portugaise d'Agadir, (1505-1541), Hesperis 1946, p. 94.
132) Ricard, Ibid., p. 94.
133) Cenival, (Pierre de) les Sources Inédites de l'histoire du Maroc T.1 partie portugaise, p. 375. Paris 1931.
134) Cenival, Ibid., pp. 120-127.
135) Cenival, Ibid., pp. 151-161.

لقد كان الضغط البرتغالي، يجد له دعما من سكان محليين، تجلى في بعض قوات الأعراب، وقادتهم أمثال يحيى أو تعفوفت، مما كان يقدم غطاء بشريا لذلك الضغط، يساعده في تحركه، الذي يمتد من آسفي في شكل مروحي، تجاه الشرق نحو مراكش، وتجاه الجنوب نحو حاحة.

ففي الاتجاه نحو الشرق، قامت القوات البرتغالية بمحاولة اقتحام مدينة مراكش في يناير وإبريل من سنة 1515، بعد ما تجمعت القوات، من أزمور وآسفي، مدعومة بقوات محلية من العرب، أو من تسميهم الوثائق البرتغالية مغاربة السلام(136).

أما تجاه حاحة، فإن الهجوم اتخذ شكلا منظما، ممتدا من مدينة تَادَنْسْتْ، وعبر مدن وقرى المنطقة، حتى ميناء تركوكو شمال سانتاكروز(137). كما استعان البرتغاليون بمتعاونين في سوس، أمثال القائد أومالك(138).

لقد واكب هذا الهجوم البرتغالي، خلو المنطقة من ممثلي السلطة المركزية، المنظمة للسكان، تجاه ذلك الغزو. رغم أنه كان هناك نوع من التسيير الذاتي، بما في ذلك تنظيم الدفاع الخاص، بكل مدينة أو قرية، في منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، كما عبر عن ذلك الوزان(139)، إلا أن عدم وجود سلطة تنسيق، بين تلك التنظيمات، جعلها تبدو عديمة الفائدة، لأنها تظهر في شكل فتاتات، يسهل على قوة منظمة إخضاعها، ولو بقلة عدد، وذلك ما أدركته القوات البرتغالية، وحاولت استغلاله، انطلاقا من أسفي وسانتاكروز.

وفي هذه الظروف، بدأت قوى معارضة، ومنظمة للسكان، تتشكل، لتعزيز الدفاع عن المنطقة، أمام التدخل الأجنبي الشرس، الذي استغل الخصومات

136) Cenival, Ibid., pp. 687-692.
137) Cenival, Ibid., pp. 504-506.
138) Cenival, Ibid., T2 partie portugaise p. 333.

139) الوزان، حسن، ن.م. لقد تحدث الوزان عن نوع من تنظيم السكان لشؤونهم الخاصة في كل مدينة زارها في الجنوب.

المحلية، التي كانت القبائل العربية، تثيرها في فرض الاتاوات، والسماح لها في اجتياز للأراضي، في تنقلاتها المعاشية(140). ومع ذلك فإن تلك القبائل، كانت سائرة نحو الإندماج. وإن التدخل البرتغالي، عمل على تأجيج تلك الخصومات، بل إنه سرعان ما تجاوزها بارتكابه أساليب مدمرة. مما أدى إلى بروز مقاومة، سلكت طرقا ملتوية، فجاءت على شكل مقاومة دينية، مزجت بين التوعية، والدعوة للدفاع.

لقد صادف هذا التوجه، كون الحركة الشاذلية النخبوية، كما يقول القبلي، آخذة منذ النصف الثاني من القرن التاسع / الخامس عشر، في الاندماج في الحركة الصوفية الشعبية، التي كانت في الجنوب، تعتمد الطائفة، منذ القرن السابع / الثالث عشر. ويظهر أن هذا الاندماج، ازداد رسوخا، مع نشاط محمد بن سليمان الجزولي(141)، الذي كان يتنقل بمنطقة الجنوب، بين آسفي وإداوتنان(142). حتى قضى نحبه في ظروف غامضة ما بين 870 و875 بأفوغال(143) لكن حركته الصوفية، استمرت في نشاطها لوفرة اتباعها(144). وإن اتبع بعضهم، أسلوب العنف كعمر السياف بمنطقة حاحة(145)، فإن الأخرين سلكوا أسلوب الهدوء.

140) Kably, Ibid, p. 253

الوزان، حسن، ن.م. كلما تحدث عن منطقة زارها في الجنوب إلا وأشار إلى تلك الخصومات وكذلك تواطؤ القبائل العربية مع القوات البرتغالية فذكر على سبيل المثال أن القوات البرتغالية لما خربت تادنْسْت فإن السكان فروا إلى الجبال "لأن جيرانهم الأعراب تواطؤوا مع قائد جيش ملك البرتغال المقيم بأسفي وكان هؤلاء الأعراب يريدون تسليم المدينة للنصارى"، ص. 78. وأما بوشارب فيذكر أن السعديين كانوا يتخذون من تادنست مركزا لهم ولذلك يظهر أن البرتغاليين كانوا مهتمين بطردهم منها. بوشارب أحمد : دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمور (قبل 28غشت 1481أكتوبر 1541) الدارالبيضاء 1984، ص : 231.

141) Kably, Ibid., p. 319 et 335 .

142) المختار السوسي (محمد) خلال جزولة، الجزء الرابع، ص. 89، بدون تاريخ، تطوان.

143) المختار السوسي، ن.م. ج.4، ص. 89.

144) Kably, Ibid., p. 335.

145) الناصري، ن.م. ج.4، ص.122 - الوزان، ن.م. ج. 1ص.85

لقد أدت محاولة التصحيح، هذه، في النهاية، إلى تركيز الدعوة، حول سلطة سياسية منبثقة من الجنوب، ترعرعت بين سوس وحاحة، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، منذ 1510/917 حينما بدأ محمد القائم بأمر الله دعوته، من تدسي وتارودانت، بدعم من السكان، والحركة الصوفية بقيادة محمد بن مبارك الأقاوي(146).

واستهدفت الحركة السياسية الجديدة، وضع حد للبرتغاليين، في منطقة الجنوب، وردع المتعاملين معهم من السكان المحليين من العرب، حتى إن القبلي يذكر أن الحركة، لم تكن فقط لمطاردة الأجنبي، وإنما لاسترجاع السيطرة على الأراضي المسلوبة(147). ذلك أن أولاد جرار، كما ذكر المختار السوسي، كانوا قد سيطروا على بسائط سوس بتأييد من المرينيين، ولما احتل البرتغاليون فونتي صاروا يتاجرونهم، فقاوم الجزوليون الطرفين، ولما بايعوا السعديين، صمدوا إلى الجراريين فأجلوهم عن البسائط كما اجلوا البرتغاليين عن فونتي(148). علاوة على المصالح التجارية التي عمل السعديون منذ البداية لحرمان البرتغاليين منها(149).

لقد توالت أحداث خطيرة بطرفي الأطلس الكبير الغربي، لمدة حوالي أربعة عشر سنة ما بين 1512/918 الذي خربت فيه مدينة تدنست حسب ما ذكره الوزان(150) وعقد هدنة رسمية، بين البرتغاليين والشريف السعدي، في 29 شتمبر1526/932(151) فخلال هذه الفترة، كان ميدان العمليات الحربية، بين القوات البرتغالية وأعوانها من القبائل العربية، يمتد من ضواحي مراكش، إلى سانتاكروز (أگدير) وسهل

146) الناصري، ن.م.، ج.5، ص. 6-11
Amine et autres : Histoire du Maroc : Rosa, Hatier, Paris, 1967, p. 206.
147) Kably, Ibid., p. 252.

148) المختار السوسي، ن.م. ج. 2، ص. 167-168

149) Kably, Ibid., 252.

150) الوزان، حسن : ن. م. ص 78.

151) Cenival, Ibid T2, part port. p. 368.
معاهدة الهدنة بين أحمد الأعرج وجان الثالث، في 22 ذي الحجة عام 29/932 شتمبر 1526.

سوس، شاملة كل الدير. هذه المواجهة التي حسمت فيها المقاومة، التي تزعمها السعديون، بمؤازرة القبائل، من جزولة إلى حاحة، مصير الوجود البرتغالي، بالشواطئ الجنوبية المغربية، بين أسفي وأگدير. خاصة أن أبا عبد الله محمد القائم بأمر الله، كان قد انتقل إلى أفوغال بحاحة، وأصبح يهدد مراكز الاحتلال البرتغالي. حتى إنه ما أن أصبح يشرف على ميناء تافضنا بحاحة سنة 1514، حتى شعر البرتغاليون، بأنه ما لم ينتبه الملك البرتغالي، فإن الشريف على استعداد للسيطرة على البلاد كلها(152). وأمام المقاومة، رمت القوات البرتغالية بثقلها نحو الدير، منظمة حملات اتخذت مدينة تدنست، مركزا تنطلق منه نحو الدير الغربي، ونحو الداخل، متعقبة كل القوى المناهضة لها، كما فعلت في شتاء سنة 1515 حينما تعقبت دواوير من أولاد أبي السباع المتوغلين في الجبال(154). حيث كانت معارك حاسمة عند أگْلاَ گلْ(155) وأگدير وُورْغْ(156)، بأعالي وادي ايسن بدمسيرة(157)، على الممر الذاهب إلى سوس. كما تعقبت الشريف(158) أيضا، فتمكنت من تخريب مقره بأماگور، القريب من ميناء تافضنا، في ابريل 1515(159). فانتقل الشريف، إلى أگلاگل بأعالي وادي إيسن، حيث لاحقته أيضا القوات البرتغالية في أوائل سنة 1516(160).

---

152) Cenival, Ibid., T1, Port 611.
153) Cenival, Ibid., T1, Port, p. 504.
154) Cenival, Ibid., T1, port, p. 761.

155) **أگلاگل**، دواوير في شمال منطقة وادي إسن قرب تاسْكامْتْ، على ممر تزي أوماشو.

156) **أگديروُورْغْ** : ما تزال هناك آثار على ربوة يطلق عليها أگدير ورغ تقع أيضا شمال دمسيرة على ممر تزي أوماشو. وأرْغْ بالأمازيغية لفظ يطلق على الذهب.

157) **دمسيرة** قبيلة مستقرة بوادي إسّنْ من حدود إداوْزيكي جنوبا إلى تزى نْ أوماشو ثم منخفض أسْرّاتو إلى حدود نفيفة شمالا.

158) الشريف. يرد في معظم الوثائق التي جمعها دوسينفال.

159) Cenival, Ibid., port, p. 1.
160) Cenival, Ibid., T2, port, p. 1.

إنه يتكرر ذكر الشريف دون ذكر الشخص المعنى هل كان أبا عبدالله القائم بأمر الله، أم ابنه أحمد الذي كان معه، منذ أن استقر بأفوغال بحاحة.

ويظهـر أن تنقـل الشـريف السـعدي، بيـن المنـاطق الشـاطئية والداخلية، إنما كـان لمنـع البرتغـاليين مـن السـيطرة على الممرات، التي تربط سوس بالدير، شمال الأطلس. وبذلك فوت عليهم فرصة إحكام السيطرة على المنطقة الجنوبية.

ولقـد تجلت آثار هذه المقاومة في إفشال محاولة البرتغاليين، ومعاونيهم ممن كـانت الوثـائق البرتغاليـة تسميهم بمغاربة السلام، احتلال مراكش سنة 1515(161). حينمـا تعـاونت القـوى الثلاثـة الهنتـاتي، صـاحب مراكش، والشريف، والوطاسي، على الدفاع عن مراكش في أبريل 1515(162). وقـد تعـززت آثارهـا أيضا، في إفشال محاولـة أخـرى، سـعى البرتغـاليون فيهـا لاحتـلال المعمـورة في صيف 1515(163)، وأدى انتشـار أخبـار هـذا الفشـل، إلـى تحريـك حتـى القبـائل الخاضعة للبرتغاليين، تسبب في مقتل حاكم أسفي، دوأتيد، في صيف 1516(164). وعلـق دوسينفال على مقتله، بأنه كان نهاية فترة عز الاحتلال البرتغالي للمغرب(165).

لقـد بلغـت الصراعـات، بيـن المقاومـة والبرتغـاليين، ذروتها في منطقة الدير، حينمـا جـدد يحيـى بـن تعفوفـت هجومـه، انطلاقـا من ضواحي مراكش، في شهر مارس 1517(166)، ليمتـد إلـى حاحـة جنـوب تادنســت، فهـاجم الشـريف، في قلعة المريدين. ثم حاول طيلة صيف 1517 التوغـل جنوبـا. للوصول إلى سانتكروز، لكن يظهـر أن هـذه المحاولـة، التـي اسـتمرت إلى شتمبر من نفس السنة. لم تتمكن من تحقيق هدفها، خاصة أن قائدها أُتَعْفُفْتْ لقي حتفه في السنة التالية 1518(167).

---

161) Cenival, Ibid., T1, port,, pp. 687-692.
162) Cenival, les émirs des Hintates, rois de Marrakech, Hespéris, Tome XXIV, 1937, p. 254.
163) Cenival, S.I.H.M. T1, pp. 701-702.
164) Cenival, Ibid, T2, Port, p. 3.
165) Cenival, Ibid., T2. Port, p. 4.

166) مجموعة من الرسائل تمتد من مارس 1517إلى شتمبر 1517تتحـدث عـن أعمـال يحيـى بـن تعففـت في المنطقة الداخلية بين مراكش وتَرْكوكو في مواجهة قوات الشريف السعدي.
Cenival, Ibid., T2, p. 67-68
- بوشارب. ن. م. ص 220.

167) Cenival, Ibid., T2, pp. 178-179.

لقد كان عمل المقاومة، غير مقتصر فقط على الميدان العسكري، وإنما ركز أيضا، على أن يفوت على البرتغاليين، الاستفادة من النشاط التجاري والاقتصادي بالمنطقة، وتركز هذا العمل، حول حصار اقتصادي على سانتاكروز، بمحاولة منع السكان من التعامل معها، وتزويدها بحاجياتها من قمح ومعادن كالنحاس، ويد عاملة(168). بالإضافة إلى حرمانها من النشاط التجاري، بتحويل القوافل التجارية إلى ميناء، تركوكو(169)، شمال سانتاكروز. مما أدى لأن يتعرض هذا الميناء، لهجومات متكررة(170)، قصد شل حركته التجارية.

إن استمرار هذه المقاومة، وانعكاساتها على نشاط البرتغاليين، في منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، أدى إلى بداية التعديل في مواقف البرتغاليين، فأخذت السلطات البرتغالية تتجه نحو التقرب من الشريف السعدي، لإبرام الهدنة معه، وبدأت المفاوضات في هذا الاتجاه في سنة 1523 بتافْضْنَا، وذلك لفداء الأسرى وتنشيط التجارة(171). لكن يظهر أن هذه المفاوضات، كانت محاولة من البرتغاليين لتبيط عزيمة الشريف السعدي وقواته، إلا أن الشريف كان بدوره، يشدد على البرتغاليين، باشتراط فرض المغارم على القبائل المجاورة لأسفي، التي كانت تحت الحكم البرتغالي، كإظهار سيادته عليها، إلا أن السلطات البرتغالية التي كانت مترددة، بين القبول والرفض، تمكنت من حمل الشريف، على التخلي عن ذلك الشرط، وفق الاتفاق الذي توصل إليه الطرفان في 22 ذي الحجة 932/ 29 شتمبر 1526(172).

---

168) Cenival, Ibid., p. 93.
169) Cenival, Ibid., p. 184.

رسالة 26 مايو 1518

170) Cenival, Ibid., pp. 128-129.

(رسالة 26 يوليوز 1518)

مجموعة من الرسائل تتحدث عن الهجومات المتكررة على تركوكو لشل حركتها الاقتصادية:

171) Cenival, Ibid., T2, pp. 323-324.

رسالة بتاريخ 10سبتمبر 1523

172) مجموعة من الرسائل الموجهة من حاكم أسفي الذي كان يطلع ملك البرتغال جان الثالث، بما كان يجري بين الطرفين. بما في ذلك رسائل عربية والتي منها عقد الهدنة المؤرخ ب 22 ذي الحجة 932/29 سبتمبر 1526. 173

Cenival, Ibid., T2, pp. 323-372.

يظهر أن الشريف السعدي أحمد الأعرج، كان في حاجة إلى هذه الهدنة، خاصة بعد أن تمكن من دخول مراكش منذ يناير 1525، سواء لتثبيت سلطته في الداخل، أو لتفويت الفرصة على البرتغاليين، الذين كانوا في نفس الوقت يتفاوضون مع سلطات فاس، لتشكيل قوة مشتركة، يهاجمون بها الشريف السعدي. على أساس أن تكون المنطقة الشاطئية للبرتغاليين، من أسفي إلى رأس غير، والمنطقة الداخلية للوطاسي، بالسيطرة على مراكش(173).

لقد كانت عواقب الصراع، بين القوات البرتغالية والمقاومة، بقيادة الشريف السعدي، وخيمة على منطقة الدير، بطرفي الأطلس الكبير الغربي، رغم أن مدتها كانت قصيرة، إذ لم يتجاوز أربعة عشر سنة ما بين 1512و1526. فقد تم إتلاف معظم معالم المنطقة التاريخية، من مدن، وقرى، مما ارتكبته القوات البرتغالية من تخريب، ومداهمات وقتل وسبي ومصادرة. وكمثال على هول ما أصاب المنطقة، ما ورد في رسالة مؤرخة ب 15 فبراير 1514 تذكر أن القوات البرتغالية، هاجمت المناطق التابعة للشريف، حيث تم قتل 560 نفرا وأسر حوالي 420 شخصا، وجلب 10.000 رأس من الغنم و 6000 من الأبقار و 1500 من الجمال و 600 حمار و 60 من الخيل(174).

إذا كان هذا ما تمت حصيلة خسارته في حملة واحدة، فكيف ستكون خسائر الحملات الأخرى ؟ وهذا بدون شك ما عبرت عنه الوثائق البرتغالية،

173) تبادلت السلطات البرتغالية. وبعض مستشاري السلطان الوطاسي، رسائل لتحديد نوع التعاون بين الطرفين، ضد الشريف السعدي، وتمتد هذه الرسائل على مدى ثلاثة أشهر من أكتوبر إلى دجنبر من سنة 1526
Cenival. Ibid T2 pp 328 - 388

ولقد وضح بوشارب أن السعديين كانوا في البداية يتلقون الدعم المادي والمعنوي من الوطاسيين، لكن لما احتل السعديون مراكش سنة 1523، تغير موقف الوطاسيين الذين بدأوا في محاولات التنسيق، مع البرتغاليين. وذلك حتى سنة 1536، واستنتج أن حذر الوطاسيين من المجاهدين المغاربة جعلهم يتخوفون من الجهر بذلك التنسيق، بوشارب، ن. م. ص ص 385-391.

174) Cenival T1 p 480

رسالة مؤرخة ب 15فبراير 1514

وكذلك شهادات الوزان، الذي زار منطقة حاحة والدير سنة 1514/920 حيث لم يمر بمدينة، إلا وتحدث عن الخسائر التي أصابتها. نتيجة الهجومات البرتغالية، مثل ما حل بكل من تادنست، وقلعة المريدين وتاكوليت...(175). تلك المدن والقرى، التي لم تعد لها آثار منذ ذلك الوقت، وحتى ما تبقى منها، لم يتجاوز شكل مداشر كتادنست اليوم بمنطقة متوگة، أو عبارة عن أسماء تطلق على بعض المعالم التضاريسية كتاسْگَدَلْتْ التي يعرف بها الجبل المطل على بوابوض. لكن كثيرا من أسماء المدن عفا عنها الزمن. هذا دليل على أن المنطقة عانت كثيرا في أوائل القرن العاشر / السادس عشر من ذلك الهجوم البرتغالي المنظم، الذي استهدف شخصية السكان وتراثهم.

لقد ركز السعديون جهودهم، بعد هدنة 1526 على ميناء سانتاكروز، الذي هاجمته قوات محمد الشيخ سنة 1525 لكن المعركة انتهت بالتراجع إلى منطقة تلضى(176)، التي أقام بها حصنا ومركزا، لمحاصرة ومراقبة سانتاكروز، والتي جدد محاصرتها سنة 1531، فاضطرت للاستنجاد بقوات ضخمة، من البرتغال وجزر آصور وماديرا، مما جعل الشريف السعدي، يحاول اقتحام أسفي سنة 1534، لكنه أخيرا جدد حصار سانتاكروز، منذ أواخر سنة 1540 الذي انتهى بسقوط القلعة في 12 مارس 1541 بعد أن مني البرتغاليون بخسارة فادحة بسانتاكروز، فقد ذكر روبير ريكار، أن من بين 1600 نسمة من سكان سانتا كروز، قتل حوالي ألف، وأسر الباقي بمن فيهم حاكم القلعة، ومن تبقى من أسرته، ونقلوا إلى تارودانت(177).

ولقد نجم عن هذا الانهزام، أن جلا البرتغاليون عن أسفي(178). وبذلك تحرر الجنوب، بعد عناء دام حوالي أكثر من خمسة وثلاثين سنة، منذ احتلال سانتاكروز سنة 1505 إلى مغادرتها تحت قوة السلاح والدماء سنة 1541.

175) الوزان : ن. م. ج ازيارة الوزان لإقليم حاحة والدير ص ص 77- 89
176) تِلْضِي : تقع قرب أگادير
177) Ricard (Robert) L'Occupation portugaise d'Agadir (1505 - 1541) Hesperis 1946. pp 93 - 102
178) Ricard Ibid p 102.

يستنتج من هذا، أن حركة المقاومة بطرفي الأطلس الكبير الغربي، كانت مهمة، فقد أفشلت المخطط البرتغالي، للاستقرار في المنطقة الشاطئية المغربية، بين أسفي وسانتاكروز. لكن يظهر أن المنطقة بدورها، قد تضررت بفقد ذلك النمط الحضاري، الذي ترجمته سلسلة من المدن، من أبواب مراكش، حتى مشارف سوس، فاضمحلت المدن والموانئ المعروفة، كأكوز الذي ذكر مرمول، أنه قد تحول أواسط القرن السادس عشر إلى خراب(179). بعد أن كان ميناء مهما يمتد وجوده إلى ما قبل القرن الخامس / الحادي عشر(180). كما نال الخراب، معظم المدن الأخرى، مما أثر على الاتصال بين سوس والحوز، الذي أخذ يتركز على الطريق المار بالأطلس الكبير الغربي، عبر تزى أو ماشو، هذا الطريق الذي ستزداد أهميته في القرون التالية للعاشر / السادس عشر، فبدأت تبرز مراكز أخرى، لم يشر لها الوزان، ولا ورد ذكرها في الوثائق البرتغالية، التي جمعها دوسينڤال، ومنها بالخصوص مركز إيمن تانوت، الذي يظهر أنه استفاد من تخريب المدن الموازية للدير، انطلاقا من تادنست إلى تافضنة على البحر. كما أن إقامة حصن أگدير مكان سانتاكروز، منذ 1541 والعناية بمينائه أدى إلى اختفاء مينائي تافضنة وتركوكو.

وهكذا، تكون تلك الحرب الأجنبية الشرسة، المفروضة على المنطقة، والمقاومة العنيفة، قد غيرت المعالم الرئيسية بطرفي الأطلس الكبير الغربي، سواء

---

179) مارمول. كربخال : إفريقيا : الجزء الثاني، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي والمجموعة. 1984ص 99

180) ذكر البكري أن أگوز، كان ميناء مهما لمدينة أغمات في القرن الخامس /الحادي عشر (البكري ن. م. ص 154) ويظهر أنه استمر في ذلك الدور، إلى أن احتل البرتغاليون أسفي، فنشطوا في توجيه الإنتاج إلى أيديهم، مما أسهم في التخلي عن الطريق الرابط بين أگوز والحوز، عبر تانسيفت، لصالح الطريق القصير عبر بحيرة زيما بالشماعية، كما استنتج ذلك بوشارب (ن. م. ص 301) وهذا يؤكد رغبة البرتغاليين في تخريب أگوز ورغم أنه كانت هناك محاولة لإعادة بناء أگوز بعد جلاء البرتغاليين عن أسفي كما ذكر مأمول (ن. م. ص 699) فإن تقوية العلاقات التجارية بين مراكش والخارج عبر أسفي، في النصف الثاني من القرن السادس عشر، زاد في عزلة أگوز، الذي لم يبق منه إلا إسم مكان على ضفة وادي تانسيفت إلى اليوم، وهو خال من البناء، ويقع على بعد كلم غرب سوق خميس أولاد الحاج، وتعني لفظة أگوز بالأمازيغية محطة النزول.

على مستوى الشاطئ، أو في المنطقة الداخلية، في ظرف لا يتجاوز الأربعين سنة من النصف الأول من القرن العاشر / السادس عشر. لكن ثمن تلك المعاناة، كان إعادة الثقة، مما ساعد على إعادة الوحدة القطرية، على يد الدولة السعدية، والتربص بكل المحاولات التسربية الأجنبية.

ومن المعلوم أن أحمد المنصور السعدي، في أواخر القرن العاشر/السادس عشر، أدرك أهمية منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، فحاول تجديد نشاطها، وذلك بتشجيع حركة اقتصادية، تقوم على النشاط الفلاحي، الذي تشرف عليه الدولة، بإقامة مزارع قصب السكر، في أسفل وادي القصب عند إداوگَرْضْ بحاحة، وعند شيشاوة على وادي شيشاوة، وعزز عمله هذا بإقامة مصانع لقصب السكر(181). مما بين حرص الدولة، على تنشيط المنطقة، حفاظا على دورها، الذي أتت عليه أعمال التخريب المنظمة، من طرف البرتغاليين، لكن محاولة المنصور لم تعمر بعد ما عرف المغرب أوائل القرن الحادي عشر / السابع عشر صراعا اجتماعيا وسياسيا واسعا.

2- 3- 2- منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، بين السعي للحفاظ على نوع من الاستقلال، وبين السلطة المركزية، في القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر :

لقد عرفت منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، تطورات تصارعت فيها عوامل مختلفة، يتنازعها الاستعداد للحفاظ على شخصيتها، والانصياع للسطلة، مركزية كانت أو غيرها. وامتدت هذه التطورات، من القرن الحادي عشر / السابع عشر، إلى النصف الأول من القرن الثاني عشر / الثامن عشر.

2- 3- 2- 1- المنطقة وعوامل الصراع على السلطة، في النصف الأول من القرن السابع عشر :

لقد كان دور منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، في القرن الحادي عشر / السابع عشر، مرتبطا بالتطورات التي عرفها التاريخ الوطني، ذلك أن النصف الأول

181) الفشتالي : مناهل الصفا ص 209

من ذلك القرن، شهد صراعات على السلطة، بين السعديين أنفسهم (182)، وبينهم وبين المنشقين عنهم(183). وفي هذا الإطار، كانت منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، تقوم بدور الحد الفاصل، بين إمارة السعديين بمراكش، وكل من إمارة يحيى الحاحي(184)، بتارودانت، وهو الذي كان قد انجد زيدان بن أحمد المنصور، ضد أبي محلي(185)، وإمارة إيليغ(186) التي تمكنت من السيطرة على تارودانت، بعد وفاة يحيى الحاحي سنة 1626/1035(187). لكن الصراع ظل بين السعديين وبودميعة حول أگدير، حتى تمكنت قوات إيليغ من السيطرة عليه سنة 1637/1045 ، بعد حصار دام حوالي أربع سنوات(188). وبذلك امتد نفوذ إيليغ حتى حاحة، فذكر المختار السوسي، أنه كان لبودميعة قاض في المحل المعروف ببوريقي بحاحة(189). لكن لم يمتد نفوذه إلى المناطق الأخرى، خاصة تجاه مراكش، مع ما كان يتوفر عليه من إمكان تجنيد قوة كبرى، تبلغ حوالي خمسين ألف رجل(190)، إلا أنه أحجم عن الاتجاه نحو شمال غرب الأطلس الكبير

182) الصراع السعدي على السلطة، راجع عنه : الجزء السادس من كتاب الاستقصا.

183) لقد عرف النصف الأول من القرن السابع عشر صراعا قويا على السلطة، بين السعديين أنفسهم ثم بينهم وبين المنشقين عنهم كالعياشي في الغرب والايلغيين في سوس، وأولاد عبد الله بن سعيد الحاحي بالأطلس الكبير الغربي، والدلائيين بالأطلس المتوسط، والعلويين في تافلالت ودرعة، وكان لهذا الصراع تأثير على سقوط دولتهم.

184) يحيى بن عبد الله الحاحي، إمارته ونسبه، المختار السوسي، إيليغ، ص ص 54- 58.

185) إنجاد يحيى الحاحي لزيدان ضد أبي محلي، وما نجم عنه من تطورات. الناصري. ن. م. الجزء السادس، ص ص : 32- 34.

186) أصول إمارة إيليغ وتطوراتها. المختار السوسي : أيليغ قديما وحديثا.

187) المختار السوسي، إيليغ، ص 80.

188) المختار السوسي، إيليغ، ص 80.

189) المختار السوسي، إيليغ، ص 86.

190) ن.م. ص. 154.

بوريقي، الحاشية، 359، ص 154. المختار السوسي، ن. م.

الغربي. وقد تساءل المختار السوسي، عن هذا الإحجام قائلا : "فما المانع له إذن من التقدم" (191).

وفي معرض محاولته، بحث الإحجام، أورد نصين : أحدهما يقربان أحمد ابن زيدان، الذي كان قد فر إلى فاس، التجأ أخيرا إلى بودميعة، فجهزه بالمال والقوة، وكان عازما على الذهاب معه إلى مراكش، ولم يفعل(192). وأما النص الثاني، فهو هولاندي(193)، يتحدث عن المصالحة، بين بودميعة والسلطان محمد الشيخ، والمصاهرة بينهما، بتزويج بودميعة بنته للسلطان. ولقد علق المختار السوسي على النصين، فاعتبر بالنسبة للنص الأول، أن بودميعة غير محنك، ولا مقدام، يستغل الفرص بسرعة "فليس من الطلاعين لكل ثنية، ولا من المغامرين فيلاكم بكلتا يديه" (194). وأمابالنسبة للنص الثاني، فقد اعتبره المعلق جديرا، حتى إنه قال "لولا أنه رسمي لربما شككنا فيه" (195). خاصة أن المصالحة والمصاهرة، بين بودميعة والسلطان السعدي، لم يرد ذكرها في أي نص عربي، ولا احتفظت بهما، الذاكرة التاريخية، حتى للأسرة في إيليغ(196). وعلق على تصرف بودميعة، ربما كان يقصد بذلك التقارب الودي، الاستعداد للسيطرة على مراكش، عند إمكانية الفرصة(197).

إن سيرورة الأحداث التاريخية، بهذه الطريقة، التي جعلت بودميعة غير مهتم بتجاوز طرفي الأطلس الكبير الغربي، مكتفيا بالسيطرة على أگدير وإداوتنان(198)

---

191) المختار السوسي، ن.م.، ص. 154

192) المختار السوسي، ص. 155.

193) المختار السوسي، ص.. 156، نقلا عن دوكسترى، سلسلة هولندة، ج 5، ص. 140، وتاريخ النص 1647.

194) المختار السوسي، ن.م.، ص. 155.

195) المختار السوسي، ن.م.، ص.156.

196) المختار السوسي، ن.م.، ص. 156.

197) المختار السوسي، ن.م.، ص. 157

198) المختار السوسي، ن.م.، ص. 154

وحاحة، لتأمين المنطقة الخلفية لميناء أگدير، قد يرجع إلى كون الأهمية التجارية للمنطقة نحو الخارج، كانت كلها تقتصر على أگدير كمنفذ، حتى إن معظم النصوص التي نقلها المختار السوسي، عن دوكستري، سواء الهولاندية أو الإنجليزية أو الفرنسية، تؤكد أن أگدير كان المرفأ الرئيس للتجارة والتصدير(199). ويدعم ذلك الطرح، نص برتغالي يرجع لسنة 1574يرى، "أن ملك البرتغال إذا استطاع الاستيلاء على سانتكروز بكاب غير، فإنه يصبح هو المسيطر الوحيد على تجارة المغرب جمعاء"(200) ولذلك، لا غرو إن كان الصراع بين بودميعة والسعديين على أگدير، دام حوالي عشر سنين (201)، بل دام الحصار والتقاتل من 1623 إلى 1637(202). وما أن تمكن بودميعة من أگدير، حتى اكتفى به. في حين وردت إشارات عن كون الصويرة، كانت من المناطق الخارجة عن السلطة السعدية، فقد ورد في بند من اتفاقية أبرمت سنة 1637، بين محمد الشيخ الثالث وإنجلترا، أنه لا يجوز للإنجليز، التجارة مع الثوار الخارجيين عن السلطان، بأگدير وماسة والصويرة(203)، مما يوضح أن الصويرة كانت تزاول نشاطا تجاريا بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، خارج نفوذ السعديين وإيليغ. وظلت أسفي الميناء الوحيد المنافس لأگدير، والمنفذ للتبادل بين مراكش والخارج(204)

وأما المنطقة الداخلية، فقد توارد عن إيمن تانوت ما يفيد كونها مهمة، حتى إن يحيى الحاحي لما جمع جيشا كبيرا، قد بلغ حوالي مائة ألف، لإنجاد أهل سلا، المستنجدين به، توقف بإيمن تانوت بأمر من زيدان السعدي، وذلك سنة 1025

199) لقد أورد المختار السوسي مجموعة النصوص الأجنبية المتحدثة عن تجارة إيليغ مع أوربا عبر أگدير، وتمتد من ص 158 إلى ص 223 من كتابه إيليغ.

200) المختار السوسي، ن.م.، ص. 199.

201) المختار السوسي، ن.م.، ص. 152.

202) المختار السوسي، ن.م.، ص. 86.

203) المختار السوسي، ن.م.، ص. 206.

204) أورد المختار السوسي نصوصا تتعلق بمحاولة الإنجليز الاستيثار بالتجارة مع أسفي، وخاصة أن السعديين كانوا يريدون جعله ميناء منافسا للخارجين عنهم (إيليغ 153- 202- 205- 206)

/ 1616. وبعد وفاة يحيى الحاحي، فشل أفراد أسرته في العمل السياسي بتارودانت، فرجع منهم البعض، إلى مقر الزاوية بتافيلالت إداوْزْدَاغْ(205). في حين ذهب آخرون إلى حاحة، متفرقين في مراكزها، لمزاولة وظيفة الإرشاد، التي سماها المختار السوسي، المرابطية(206).

وهكذا، كانت منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، في النصف الأول من القرن السابع عشر، قد مارست الحد الفاصل، بين قوى متعددة، السعديون شمال الأطلس، وبودميعة جنوبه، في حين كانت إمارة يحيى الحاحي، قد حاولت الاستفادة من مجد الأسرة التليد بالمنطقة، مستغلة مكانة مؤسسها، سيدي سعيد ابن عبد المنعم بأيت داوود(207) بحاحة. لكن مجال نفوذ الإمارة المحدود، أدى لتقلص حظوظها. وأما القوى الأجنبية، فكانت تحاول الاقتصار على العمل التجاري، مع كل الأطراف المتنازعة، مستغلة صراعاتها السياسية للحصول على الامتيازات.

ويستفاد من هذا أن منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، فقدت ذلك الدور الذي قامت به في النصف الأول من القرن العاشر / السادس عشر، لما كان الصراع على أشده، بين البرتغاليين والمقاومة يدور بالمنطقة، حتى كان طرد المحتلين منها، قد كسب شرعية تجديد الدولة المغربية على يد متزعمي حركة المقاومة.

---

205) **تافلالت إداوْزْدَاغْ.** توجد بقبيلة أيت تامّنْتْ، وهي مقر ضريح عبدالله ابن سعيد الحاحي وابنه يحيى الذي كان قد أنجد زيدان السعدي ضد أبي محلي وقاوم بودميعة بتارودانت حتى كانت وفاته سنة 1626/1035.

206) المختار السوسي، ن.م.، ص. 80.

207) أيت داود، راجع عنها الوزان، ص، 83- 84.

عن أسرة آل سيدي سعيد يراجع المعسول، ج التاسع عشر، ص 70- 105.

2- 3- 2- 2- منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، ومشاكل التعامل مع السلطة المركزية، من النصف الأخير من القرن السابع عشر إلى النصف الأول من القرن الثامن عشر :

لقد تميز النصف الأخير من القرن الحادي عشر / السابع عشر، على المستوى الوطني، بإعادة التوحيد السياسي، على يد الإمارة العلوية(208)، بعد ما انطلقت من تافلالت في الثلاثينات من نفس القرن. وتمكن المولى رشيد من القضاء على الإمارات، التي عجزت عن تجاوز مناطقها الإقليمية، فسقطت أمام قواته التي أسسها انطلاقا من الشمال، وقد دمر بالتوالي الإمارة الدلائية بالأطلس المتوسط(209)، والشبانية(210) بمراكش، بعد ما كانت قد أنهت بقايا السعديين. ثم اجتاز الأطلس الكبير، فسقطت تارودانت، ثم أخيرا إيليغ بعد قتال مرير، ذكر أن قتلاه في تارودانت وهشتوكة والساحل أكثر من خمسة آلاف، وفي إيليغ أكثر من ألفين فاستسلمت أگدير عن طواعية(211). وبهذا العمل تم إنهاء الصراع على السلطة المركزية، الذي دام أكثر من ستين سنة. من موت المنصور سنة 1012 / 1603إلى سقوط إيليغ 1670/1080 أول إمارة منفصلة عن السلطة المركزية وآخرها.

---

208) تأسست الإمارة العلوية عقب تدهور الدولة السعدية، في النصف الأول من القرن السابع عشر، وأنشأتها الأسرة العلوية بتافيلالت، بعد أن دام استقرارها بها حوالي أربعة قرون، فاكتسبت النفوذ المادي والمعنوي، أهلها للدخول في الصراع على السلطة مع القوى الإقليمية المتنازعة مع السعديين. ولمدة أربعين سنة تمكنت من بسط نفوذها، إذ ما أن تمت بيعة المولى محمد حوالي 1631/1041حتى دخل في الصراعات مع القوى الأخرى، وما أن تولى المولى رشيد سنة 1664حتى نقل الاهتمام من النزاع الإقليمي من تافلالت إلى القضاء على المتنازعين، فأخذت الإمارات المنهوكة تسقط أمام قواته، عبر البلاد، من الأطلس المتوسط حتى سوس، وبذلك أعاد للبلاد وحدتها. وللمزيد عن ظروف النشأة راجع :

- الناصري : الاستقصا، ج 7.

- المختار السوسي، إيليغ قديما وحديثا، ص ص 117- 131.

Histoire du Maroc pp. 235 - 255. Mezzine (Larbi). Contribution à l'histoire du Tafilalt.

209) حجي الزاوية الدلائية

210) الشبانات، مراكش، الاستقصا. ج 6، ص ص 108- 109.

211) المختار السوسي، إيليغ، ص. 227.

إن إعادة الوحدة الوطنية، انعكست على منطقة الجنوب، خاصة في عهد المولى إسماعيل، الذي اتخذ مكناسة عاصمة له، مما جعل مراكش تخسر ذلك الدور السياسي. الذي كان قد جعل منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، قريبة من سلطة الدولة. ولذلك فإن الثلث الأول من القرن الثاني عشر / الثامن عشر، ستتعرض فيه المنطقة لصراعات بين السلطة المركزية، وعناصر مختلفة، سواء إبان ثورة محمد العالم، أو محاولة توغل جيش السلطان في الأطلس الكبير، لتعقب مرابطي زاوية تاسفت.

لقد قام المولى محمد بن المولى إسماعيل الملقب بالعالم، بالثورة على والده انطلاقا من تارودانت(212)، وذلك سنة 1702/1114 في إطار الصراع على السلطة بين السلطان وأولاده(213)، وانعكست ثورة محمد العالم على منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، إذ ما أن تمكن من تارودانت، وشكل قوته، حتى تقدم إلى حاحة، فقتل حم بن يعيش(214)، الذي يظهر أنه كان قائد السلطان بها. وأثناء مروره بالدير، شمال الأطلس الكبير الغربي، قتل قائد گدميوة على بوعبدلي بتزگين(215)، فالتجأ أخوه القائد إبراهيم إلى السلطان(216). وأما المولى محمد فقد اتجه إلى مراكش التي احتلها(217). فوجه السلطان إليه من مكناسة، قوة زادت عند عشرين ألف بقيادة المولى زيدان(218)، وبرفقة القائد إبراهيم

212) الناصري، أحمد، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأيقصى، الدار البيضاء، 1956، ج 7، ص ص 91-90.

213) يراجع الناصري. الجزء السابع. ص ص 89- 93.
Histoire du Maroc. p. 246.
Magaly Morsy: Mûlây Ismacil ou l'instauration de l'Etat ʿalaouite, in les Africains. T.4 ed. Jeune Afrique 1977, pp.133-163.

214) الزرهوني، عبد الله بن الحاج إبراهيم، رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد في هذه الأجبال بإذن الواحد، تقديم وتحقيق الأستاذ علي صادقي، الرباط، 1988، ص. 302

215) الزرهوني ، ن.م. ص. 303

216) الزرهوني، ن.م. ص. 303.

217) الزرهوني، ن.م.،ص. 303
الناصري، ن.م. ص. 90، و. ن. الجزء.

218) الزرهوني، ن.م.، ص. 303- الناصري، ن.م. ج 7، ص. 91.

بوعبدلي الگدميوي، فحاصر مراكش، التي تضررت من القتال بين الطرفين، حتى إن إبراهيم بوعبدلي، تباهى بما ارتكبوه من التعسف على أهل مراكش، أثناء دخولها(219). وأما محمد العالم فقد عاد إلى تارودانت، وجدد جيشه، والتقى بجيش السلطان بحاحة، حيث كان القتال شديدا، انهزم على إثره إلى تارودانت، التي حاصرتها جيوش السلطان، مدة ثمانية أشهر، حتى أكل الناس "الكلاب والجيف من شدة ما نالهم من جوع الحصر"(220). وانتهى ذلك الحصار، باقتحام المدينة.

ولقد أصاب السكان، هول كبير في المنطقة، خاصة أن أحداث الثورة وردعها دامت حوالي سبع سنوات، ودارت بين طرفي الأطلس الكبير الغربي، من تارودانت إلى حاحة إلى مراكش.

لقد كانت الحادثة الثانية التي تعرضت لها منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، هي محاولة توغل جيش السلطان المولى إسماعيل في المنطقة، ابتداءا من سنة 1712/1125 في الحركة الرامية إلى تعقب مرابطي زاوية تاسفت(221)

ولقد كان أمر هذه الحملة العسكرية، داخل منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي متشابكا، سواء في أهدافها، أو في عملياتها العسكرية.

ففي ما يتعلق بأهداف غزو منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، فيظهر أنها كانت متعددة، ومنها "خراب هيبة الجبال بوادي گنفيسة إلى البحر لسور الكتف"(222)

---

219) الزرهوني، ن.م.، ص. 304: الناصري تحدث أيضا عما حل بمراكش من كلا الطرفين، ن.م. ج 7، ص. 9

220) الزرهوني. ن. م. ص 305.

221) الزرهوني، رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد في هذه الأجبال بإذن الواحد، لمؤلفها عبد الله بن الحاج إبراهيم الزرهوني. أهم مصدر في أحداث توغل جيش السلطان المولى إسماعيل في جبال منطقة الأطلس الكبير الغربي، خاصة أن كاتبها كان ولد المعني بالأمر، فتمكن من تقديم وصف دقيق لكل الأحداث التي عرفتها المنطقة لأنه شارك فيها، فحاول الدقة في الإلمام بكل الأعمال السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تلك الفترة التي سجل لها. وتاسفْتْ : تتشكل من مجموعة من القرى منها قرية تحمل إسم زاوية تاسَفْتْ وتقع جنوب شرق تنمل على وادي نفيس.

222) الزرهوني، ن.م.، ص. 3، وعبارة : عبارة سور الكتف، هي ترجمة لعبارة: أگدير يغيير الأمازيغية.

مما بين أن الأعمال العسكرية، كانت تضم كل منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، من وادي نفيس إلى أگدير. بالإضافة إلى أهداف أخرى كسيطرة المخزن على معادن أغبار(223). وتعقب المتهمين بالخروج عن السلطة، كمرابط تاسفت الحاج إبراهيم الزرهوني(224)، والقائد ابراهيم بوعبدلي الگدميوي، الذي كان في صراع مع باشا مراكش، وخليفة السلطان بمنطقة الجنوب من وادي العبيد إلى وادي نون، القائد عبد الكريم ابن منصور التكني(225).

ولقد نظم الباشا عبد الكريم التكني، حركتين إلى منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، وجيش معه كل قبائل منطقة السهل وحاحة وسوس.

كانت الحركة الأولى، قد دامت حوالي سبعة أشهر(226)، من رمضان سنة 1713/1125 إلى أوائل سنة 1715/1127(227)، حينما اضطر الباشا لرفع الحصار، والرجوع إلى مدينة مراكش، بعد أن شاع خبر، يفيد أن السلطان المولى إسماعيل، قد مات نتيجة جراح أصيب بها(228).

لقد كانت هذه الحركة، مقتصرة على محاصرة الجبل، بجيش ضخم من جهة الشمال، وكانت المحلة قائمة عند تزگين وأمزميز، حيث شرع الباشا في بناء قصبتها(229). ونجم عن ذلك الحصار انقطاع السبل، وتوقف نزول السكان من الجبال إلى السهل، فاشتد الأمر عليهم من غلاء الأسعار، إلا أنهم كانوا يقضون بعض مآربهم من سوس(230). وحاول الباشا الإيقاع بوحدة السكان،

223) الزرهوني، ن.م.، ص.

224) الزرهوني، ن.م.، ص. 50.

225) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص.

226) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 34

227) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 63

228) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 63

229) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 59

230) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 61

بإرتشاء الشيوخ "يروم أن يوقع بينهم العداوة والبغضاء، على عادة الأمراء، بناحية جبل نفيس وجدميوة وسكساوة وما والاهم من القبائل إلى بلاد حاحة"(231)، مما يبين أن الباشا، كان يتخوف من اتحاد كل هذه القبائل، لصد توغل جيش السلطان في المنطقة، على امتداد طرفي الأطلس الكبير الغربي، من وادي نفيس إلى حاحة على المحيط.

أما الحركة الثانية، فقد انطلقت بقيادة الباشا في الشهر الثالث من سنة 1127/ /1713(232)، وبعد أن جاس منطقة گلاوة(233)، تقدم بجيوشه نحو أَنَايْنْ(234). وفي أول رمضان 1127 صعد من تزي وِشْدَّانْ(235)، ونزل على زاوية تاسفت. التي تم نهبها وتخريبها، وإحراق معالمها، بما فيها المسجد(236). في حين فر أهلها إلى أغْبَارْ، مع معظم أهل وادي نفيس، لهول ما حل به من خراب. وفي نفس الوقت، كانت حركة أخرى، تتقدم من الشمال مكونة من گدميوة وأولاد مطاع(237) ومزوضة، إلا أنها انهزمت نتيجة مقاومة السكان.

لقد تراجع الباشا من تاسفت جنوبا نحو أنين، ثم اتجه إلى أيت سَمْگْ(239) في السفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي، لمواجهة الحلف الذي كونته قبائل

---

231) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 61

232) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 78

233) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 71

234) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 97. **وأناين** تقع شرق تنمل وتانسفت ويفصلها عنهما جبل وشدان كما تقع بأعالي روافد وادي سوس.

235) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 106. **وتزي نْ وِشْدَّان** ممر جبلي بين أناين ووادي النفيس جنوب إيجوكاك.

236) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص.115. أما **أغْبارْ** فتشكل الرافد الرئيسي لوادي النفيس انطلاقا من تنمل إلى منابعه في تشكا جنوبا.

237) **أولاد مطاع** قبيلة تستقر بالحوز جنوب مراكش على مقربة من امزميزي، ويذكر باسكون أنها من قبائل الجيش التي ساندت السعديين .(Pascon. P. Le Haouze de Marrakech T. 1 pp. 191 - 192. Rabat 1977)

238) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 97

239) **أيت سَمْگْ**، يقع مكانهم في السفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي على مدخل تزي نْ تَاسْتْ، انظر الهامش 674، الجزء الثالث من تحقيق رحلة الوافد.

زداغة (240)، حماية للمرابط الزرهوني، الذي آوى إلى قبيلة إداوْمْسَطُّوگْ(241) إحدى قبائل ذلك الحلف. ووقعت معارك حاسمة، بين جيش الباشا، الذي كان مشكلا من واحد وثلاثين ألف نفر، منهم عشرة آلاف فارس، والباقي من الرماة(242) وبين قوة حلف قبائل زداغة التي كانت حوالي اثني عشر ألف متطوع(243). واستمر القتال بين القوتين في ست معارك(244)، عدا المناوشات، والسطو الذي كانت المحلة تتعرض له، إذ كان الثوار يهاجمونها ليلا وينهبون لها الأسلحة والبهائم(245). وفي نفس الوقت كان الباشا، قد نظم حملة من جهة الشمال، مكونة من جيوش مستقدمة، من قبائل تمتد من مسفيوة إلى حاحة(246)، على طول الدير، إلا أنها انهزمت بأغبار، في نفس اللحظة التي انهزم فيها الباشا، في السفح الجنوبي للأطلس(247).

ولما تيقن الباشا من مناعة الثوار، لجأ إلى الحيل واستعمال الرشوة لإغراء شيوخ القبائل، وبدأ الاتجاه نحو المصالحة، خاصة بعدما انضم الثائر بودربالة الولتيتي من الأطلس الصغير(248)، إلى الثوار بزداغة(249). فعجل الباشا بمصالحة زداغة، حتى إنه "سر الباشا بذلك الفتح غاية، وتكفل لهم أن لا يقرب أحد من

240) **زداغة** تعني حسب رحلة الوافد اتحادا «أن قبائل زداغة كلهم اجتمعوا لفا»، (الزرهوني. ن. م. ج 2، ص 131)، وتقع جنوب غرب تشكا، انظر الهامش 159، الجزء الثالث من تحقيق الرحلة.

241) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 128

242) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 164

243) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 142

244) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 142

245) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 143-144

246) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 133

247) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 135

ولقد عبر صاحب رحلة الوافد على الانهزامين بأنه جاء البشير من الناحيتين بذلك الخبر.

248) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 146

249) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 147

المخازنية عربا وعبيدا لبلادهم"(250)، وذلك لجمع ما اتفقوا معه عليه من المغارم، على أن يقوم بذلك جوارهم من القبائل(251).

ولقد انتهى ذلك الحصار بأسلوب سياسي، بعد أن أصدر السلطان المولى إسماعيل، عفوه على المرابط الزرهوني(252)، وكذلك القائد بوعبدلي، الذي التحق بمكناسة بعد ذلك. وأما الثائر بودربالة، فقد وقع القبض عليه في منتاگة(253) وتم إعدامه بمراكش(254). في حين نزلت محلة الباشا إلى سوس لجمع المغارم، ثم رجعت على طريق حاحة أوائل سنة 1717/1129(255)، فقدم الباشا على السلطان في مكناس بأموال طائلة، ذلك أنه "جمع ما لا يحصى عدده إلا الله، من المال والخيل والبغال والعدة وسرائرها، والسروج الجوائد وألجمها، والكساوي من كل نوع، والخناجير المطلية بالذهب، والمهامز والركاب، التي يحار الناظر دونها، وغير ذلك مما لم نستحضر اسمها. وسبائك الذهب بمجادلها كل واحدة مشجرة بعسجدها تحكي شمس العشية عند غروربها. والبغال الجوائد وبرادعها. واحتمل هدية عظيمة للقاء الملك وجلاسه، من أجل تعطله وتماطله في هذه الحركة، التي دخل بها لهذه الجبال، وقبض مغارم قطر هذين السوسين الأقصى والأدنى"(256).

لقد كانت الحركة الثالثة في شعبان سنة 1721/1133 إلى جبال سكساوة (257) الذين ناصرهم إداومْسَطُّوگْ(258). فانكسرت المحلة، وقتل القائدان، بن شتِي

---

250) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 162

251) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 162

252) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 152-156

253) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 164

254) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 166

255) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 274

256) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 275

257) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 311

258) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 312

الگدميوي، والقائد علي بن الحسن الدّكّنتي(259). وعلق صاحب رحلة الوافد على انهزام هذه المحلة، "واستراحت الجبال من ذلك الوقت وأهلها إلى الآن، والحمد لله على ذلك"(260).

وهكذا كانت منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي قد شهدت صراعا مريرا، بين قوات السلطة المركزية، والقبائل القاطنة بالمنطقة، وخاصة منها أهل وادي نفيس، وزْداغة، وسكساوة. مما يبين أن مركز الثقل، كان في معظم النصف الأول من القرن الثامن عشر، في الجبال المنيعة، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي. وقد يرجع هذا، إلى كون هذه المنطقة، ظلت بعيدة عن الأحداث الكبرى، التي تعرضت لها منطقة حاحة والدير، والتي كانت مسرح المعارك، مع المحتلين البرتغاليين لمراكز حيوية بالشاطئ، من أسفي حتى ماسة، فنجم عن محاولاتهم للتوغل نحو الداخل، التخريب الذي تعرضت له المنطقة في النصف الأول من القرن العاشر / السادس عشر، في حين تعرضت أيضا في النصف الأول من القرن الحادي عشر / السابع عشر، للصراع بين إمارة إيليغ وبقية السعديين بمراكش، مع تحرشات أجنبية، تحاول الاستفادة من ذلك الصراع. ولذلك لا غرو إذا كانت المنطقة الداخلية الجبلية، قد استعادت مركزها، عبر فترة امتدت حوالي قرنين، العاشر والحادي عشر / السادس عشر والسابع عشر، مما جعل السلطة المركزية تولي اهتماما لقواها النامية، فحاولت في النصف الأول من القرن الثاني عشر / الثامن عشر، إخضاعها، والاستفادة من تراكمها المادي ولو في شكل مغارم.

2- 3- 3- منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، وعوامل التماسك، من نشأة الصويرة، في الستينات من القرن الثامن عشر، إلى الستينات من القرن التاسع عشر :

لقد عرفت منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، منذ النصف الأخير من القرن الثاني عشر / الثامن عشر، والنصف الأول من القرن الثالث عشر / التاسع

259) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 311

260) الزرهوني، ن.م.،ج. 2ص. 312

عشر، تطورات، ارتبط مداها العام في إطار التاريخ الوطني، بإنشاء مدينة الصويرة. ذلك أن إنشاء هذه المدينة، ربط خيوط التطور العام الذي تعنى به الدولة، بما يمكن أن تدره هذه المدينة من المداخيل، في إطار تحكمها، في المصدر والمستورد من التجارة.

ومن المعلوم أن إنشاء مدينة الصويرة، حظي فيها العمق الاستراتيجي، بمكانة كبيرة، قصد التحكم في المجال التجاري، ويظهر أن السلطان المولى محمد بن عبد الله (1757/1171 - 1790/1204)، استوعب هذا العمق، أثناء ممارسته لخلافة السلطان بالجنوب انطلاقا من مراكش منذ 1745/1158. وإن تعددت التعليلات (261)، فإن من أسباب نشأة الصويرة، رغبة السلطان في الاستحواذ على الدخول الجمركية، لتجارة الجنوب، التي كانت أگدير تستحوذ عليها، وخاصة أن الصويرة، كانت معروفة، وبنفس الإسم من قبل، كما يستفاد ذلك من رسالة وجهها السلطان المولى محمد إلى عامل حاحة، محمد بن عمران سنة 1762/1175، يأمره فيها بإقامة الحراسة على الصويرة(262). مما يفيد أنها كانت تمارس نشاطا ازدادت أهميته في نظر السلطان، جعله يقرر إبراز ذلك النشاط، في تشييد مدينة، تتحكم الدولة ليس فقط في نشاطها الاقتصادي، وإنما في نشاطها العمراني، لأن معظم المنشآت التي أقيمت في المدينة، سواء للسكن أو للتجارة، هي ملك للدولة، تقوم بإيجارها للتجار(263). وخاصة أن الفئة المهيمنة على التجارة بالصويرة منذ البداية، هي الفئة المعروفة بتجار السلطان، الذين كان منهم مسلمون ويهود(264).

---

261) راجع الناصري : ن. م. ج 8. ص 20
Schroeter (D.) Ibid p 12

262) الصديقي : محمد بن سعيد : ايقاظ السريرة لتاريخ الصويرة :ص 40رسالة مؤرخة ب 28محرم عام 1175

263) Chroeter (D.) Ibid p 29

264) تراجع الدراسة الواسعة حول موضوع تجار السلطان بالصويرة، سواء حول أصولهم، أو استقرارهم بالصويرة، أو تمويلهم وعلاقاتهم الداخلية مع السلطان، أو الخارجيةمع القوى الأجنبية
Shroeter (D.) Ibid pp. 21 - 60

إن انعكاس نشأة مدينة الصويرة، على منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، بدأت تظهر منذ بداية تشييدها، خاصة في عمل السلطة المركزية تجاه المنطقة، في الحرص على استقرار الأوضاع. ولقد برز هذا الاتجاه في كل الأحداث الكبرى، التي عرفها التاريخ الوطني على مدى قرن، من ستينات القرن الثامن عشر إلى ستينات القرن التاسع عشر، حتى إن مبايعة السلطان المولى الحسن تمت بالمنطقة في حاحة سنة 1873.

وإن حرص السلطة المركزية، على الانعاش المستمر للصويرة، انعكس أيضا على العمل السياسي بالمنطقة، فتعززت عوامل التماسك، التي برزت في إنشاء سلطات محلية، ذاع صيتها طيلة القرن التاسع عشر، ومنها قيادتا حاحة ومتوگة.

كانت قيادة حاحة، التي تنتمي إلى أيت أُبهي، قد نشأت أواخر القرن الثاني عشر /الثامن عشر على يد الشيخ محمد بن بيهي(265)، الذي كان يستوطن قبيلة أيت زَلْطْنْ، وهي إحدى قبائل الاتحادية الحاحية، وجعل مركز القيادة، بأَزَغَارْ الذي يعني بالأمازيغية السهل، وينتسب إلى أيت زلطن، فيسمى بأزغارنْ أيت زلطن، واستمرت تلك القيادة في أسرته، حتى قامت عليها ثورة قبيلة حاحة (266).

أما قيادة متوگة، فقد نشأت هي أيضا، أواخر القرن الثاني عشر /الثامن عشر، كانت في البداية مشيخة، يتولاها الحاج موسى بن عدي، الذي أقره السلطان المولى محمد بن عبدالله، على فرقة أيت موسى من متوگة(267). ثم ترقت في أوائل القرن الثالث عشر / التاسع عشر، لما اتسع نفوذها، إلى القيادة. واتخذت بُوابوضْ مركزا لها، وهو لفظ يعني بالأمازيغية ذا السرة، لوقوعه وسط قبيلة متوگة. وإن كانت هناك رواية أخرى، تقول إنه يعني نوعا من العملة، منتفخة

265) السوسي (المختار) إيليغ، ص 233. معلمة المغرب، الجزء الأول، مطابع سلا، 1989، ص 103.

266) راجع ثورة حاحة على أيت أبهي، ص ص 351- 359.

267) Gouvion (Marth et Edmond) Kitab Aâyanc al-Marhrib l'Akças, Alger 1939. p. 357.

الوسـط، يضـرب بهـا المثل في العزة، فيقال ولو أعطيني بوابوضْ(268)، ويقـع هـذا المكــان بأعـالي وادي القصـب، علـى السـفح الشـمالي للأطلـس الكبـير الغربـي. وتوالـت تلـك القيـادة، علـى السـلطة المحليـة، حتـى الاسـتقلال، واشتهرت بقيادة متوگة في الوثائق، نسبة إلى القبيلة، رغم أن الأسرة كانت تسمى أيت سعدون(269)

لقـد ارتبطـت أحـداث منطقـة طرفـي الأطلـس الكبـير الغربـي، بتفــاعلات القيـادتين، ومـا أسهمتا به من خدمات للسلطة المركزية، وإن كان نفوذ كل منهما، تتحكـم فيـه عوامـل، كـالموقع بالنسـبة للصويـرة، ممـا أبـرز أدوار قيادة حاحة، في النصف الأول من القرن الثالث عشر /التاسع عشر.

لقـد اسـتأثرت قيـادة حاحـة بـالخصوص بالمشاركة من حين لآخر في تسيير المدينـة، خاصـة عبر قيادة أيت أبهي، التي بدأت تتولى أمر حاحة بعد بناء الصويرة مباشــــرة، حينمــا عيــن الســــلطان المولــى محمـد، "الباشــا محمـد وبـه الميلودي الحيحي"(270) علـى المدينـة والقبيلـة معـا، وامتـد نفوذ القيادة على كل اتحاديـة حاحـة إلـى حصـن أگديـر، الـذي يدخـل ضمـن الاعتبـارات الرئيسـية في تأسيس الصويـرة، كمحاولـة مـن السـلطان لحرمـان المسيطرين عليه، من الاستيثار بالتعـامل التجـاري مـع الخـارج. وتـأكيدا لعناية السلطان بالمنطقة قام بعدة زيارات للصويرة في سنوات 1765/1178(271) و 1784/1198(272) لمباشـرة مراقبـة سـير العمل بالمدينة.

---

268) معلمة المغرب، الجزء الخامس، مطابع سلا، سنة 1992، ص 1616.

269) Montagne (R) Ibid, p. 313.

270) الضعيـف : محمـد بـن عبـد السـلام : تـاريخ الضعيـف (تـاريخ الدولـة السـعيدة) تحقيـق وتعليـق أحمـد العماري، دار المأثورات : الرباط 1986ص 174

271) الناصري. ن. م. ج 8ص 20ـ الضعيف : ن. م. ص 172

272) الناصري. ن. م. ج 8ص 54ـ عبـد الرحمـان بـن زيدان ذكر أن السلطان زار الصويرة سنة 1199. إتحـاف ج 3. ص 178

لقد تعرضت الظروف العامة الوطنية، لعدم استقرار السلطة بعد وفاة السلطان المولى محمد سنة 1790/1204، نتيجة الصراع عليها، والذي دام ما يقرب من عشر سنوات، حتى أسهم وباء سنة 1800/1214(273) في تسويته، حينما توفي من جرائه المنازعون للسلطان المولى سليمان، خاصة في المنطقة الممتدة، بين مراكش وأسفي ودكالة، حيث كان أفراد من الأسرة الحاكمة، يتواطئون مع قواد تلك المنطقة ليناوئوا السلطان، منذ وفاة المولى يزيد 1792/1206(274)، الذي انقسمت السلطة بعده بين المولى سليمان في الشمال، انطلاقا من فاس، والمولى هشام بمراكش الذي عاضده أخوه المولى الحسين. وبمناصرة قائد المنطقة الوسطى من أسفي حتى مراكش، عبد الرحمان بن بناصر العبدي (275)، وقائد دكالة الهاشمي العروسي(276). وبتواطؤ مع الإسبان، الذين كانوا يتزودون من أسفي وتيط بدكالة بالحبوب(277)، فدعموا الخارجين عن السلطان بالمال والعتاد.

لقد أدت هذه الوضعية المعقدة، إلى استمرار أزمة السلطة، والتي انعكست آثارها على المنطقة الوسطى، خاصة مراكش لما كانت تتعرض له من هجومات المتنازعين على السلطة، ومن استغلال متنوع حتى "هرب جل أهلها"(278).

ويظهر أن مشيخة متوگة، استفادت من ذلك الاضطراب، فساندت المولى هشام، في صراعه على السلطة (279)، حتى إنه التجأ سنة 1799/1211، إلى ضريح للاعزيزة بسكساوة(280). وتمكن من استعادة مراكش من أخيه المولى الحسين،

---

273) عن وباء سنوات 1213- 1214. راجع الضعيف. ص. ص. 316- 318

274) عن المولى يزيد، راجع الضعيف : ص. ص 203- 237الناصري. ن. م. ج 8ص. ص. 72- 82.

275) عن عبد الرحمان بن بناصر العبدي راجع الضعيف. ص. ص260-261. الناصري. ن. م. ج 8ص. ص 97 - 101

276) عن الهامشي العروسي راجع الضعيف : ص. ص 280- 299

277) الضعيف : ص 279

278) الضعيف : ص 263

279) Gouvion (M. et E) Ibid, p. 358.

280) الضعيف. ن. م. ص 285.

في نفس السنة، فتكون مشيخة متوكة، قد عززت مكانتها بالمنطقة، فمدت نفوذها على كل القبيلة (281). لكن يظهر أنها تعرضت إلى حملة قمعية من السلطان المولى سليمان سنة 1807/1222، خاصة ضد فرقة أيت خطاب، التي اتهمها بالخروج عن السلطة(282).

لقد خرجت المراكز الهامة، من منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، من الصراع على السلطة، منذ 1795/1209 لما بايع أهل الصويرة وحاحة والشياظمة وبعض أهل سوس(283) المولى سليمان، الذي تمكن من استعادة السيطرة على المنطقة، بعد أن ولى محمد بن عبد الصادق على الصويرة. بدعم من قوتها العسكرية(284)، فانفصلت حاحة عنها بقيادة عبد الملك أبهي، الذي كان يتولى المدينة والقبيلة. وأما أگدير، فكان المتولى عليها ابن أخي السلطان وهو عبد الملك الزوين والموالي له(285). ونجم عن هذا التطور، أن صار التعامل، بين السلطان المولى سليمان والمنطقة، مباشرة. "فكان خراج مرسة الصويرة، يأتيه في السفن وينزل بسلا والرباط"(286)، ومنها إلى فاس. مما يساعده على تمويل قوته تجاه المنافسين، كما أن القبائل المبايعة له، صارت تدافع ضد تسرب نفوذ عبد الناصر العبدي إلى الصويرة، فقد شاركت الشياظمة في إفشال هجوماته تجاهها(287).

وهكذا تكون منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، قد أسهمت في إعادة استقرار السلطة، أوائل القرن الثالث عشر / التاسع عشر، مما جعل السلطة

281) Gouvion (M. et E) Ibid, p. 358
282) Gouvion (M. et E) Ibid, p. 358.

283) الضعيف : ص 260

284) الضعيف : ص 259

285) الضعيف : ص ص : 260- 302، ويستفاد مما ذكرالضعيف أن السلطان لم يكن يثق به ولذلك لم يتركه ليرجع إلى مقر ولايته بعد ما وفد عليه بمراكش، ص 302.

286) الضعيف : ص 263

287) الضعيف : ص 267

المركزيـة، توليهـا الاهتمـام، لما توفره لها من أموال الصويرة، ومن الولاء السياسي، مـن قبـائل المنطقة، فأدى ذلك لتكرار زيارة السلطان المولى سليمان للمنطقة، فزار الصويـرة وحاحـة ذهابا وإيابا لمـا اتجـه إلـى سـوس،سـنة 1807/1222(288). كمـا شـاركت حاحـة، بقـوة كبـيرة علـى يـد القـائد أغنـاج، فـي قمـع محاولة آل هاشـم بـتزروالت، تجديد دور أسرتهم. لما داهم أغناج إيليغ سنة 1810/1225(289)، وطـاف بالمنطقة التي ألحق بها الخسائر ليعود إلى تارودانت(290).

ويظهـر أنـه ظـل يمـارس عملـه هناك، حتى عزله السلطان المولى سليمان سنة 1236 / 1821؛ بعدمـا اتهمـه بـالعجز وعـدم "القـدرة على شيء ما"(291)، لكـن يظهـر أن السـلطان كـان يحس منه، التقارب من هاشم بتازروالت، الذي يواخذه بكونه "تغتر وتنخـدع لدسـائس أغنـاج"، فأبلغـه السـلطان أنـه "عزلنـاه عزلا كليا"، وولى مكانه "ولـد أخينـا مـولاي بنصـر بـن عبـد الرحمـان"، ووصـى هاشم أن "أجعله كأخيك وبصـره وأرشـده أرشـدك الله"(292). وبذلـك يستميله محـاولا وضـع حـد لتنـازع السلطة المركزية، مع القوى المحلية النافذة بمنطقة الجنوب.

ويظهـر أن توليـة المولـى عبـد الرحمـان بـن هشـام، على الصويرة لمدة سبع سـنوات (1815/1230 - 1822/1237)، زادت مـن عوامـل الاسـتقرار بالمنطقـة، خاصـة بالتعـاون مـع عبـد الملـك أبهـي، الـذي كـانت قيادتـه تمتـد علـى اتحاديـة حاحـة إلى سوس(293). وقـد نـوه السـلطان المولـى سـليمان بمركـزه، لمـا وفـد عليـه مـع

---

288) الضعيف : ص 341- الصديقي. ن. م. ص 53

289) المختار السوسي - إيليغ، ص 242

290) المختار السوسي، خلال جزولة ج 4تطوان بدون تاريخ. ص 143محمد بن يحيا أغناج.

291) Mohamed Ennaji et Paul Pascon le Makhzen et le Sous - Alg'sa
(la correspndance politique de la maison d'Iligh 1821 - 1894) Casa 1988

رسالة السلطان المولى سليمان إلى هاشم بتاريخ 12-6-1821ذ 11-9-1236. ص 37

292) كل العبارات الواردة بين مزدوجتين هي من نفس الرسالة.

293) المختار السوسي - خلال جزولة. ج 4ص 143

المولى عبد الرحمان، وقواد الجنوب بالعرائش (294). وكان الأمر آنذاك الاستعداد لمداهمة فاس، التي كانت قد حاولت الإطاحة بالسلطان، بمبايعة أبناء المولى اليزيد، إبراهيم ثم السعيد. لكن المحاولة باءت بالفشل مباشرة، بعد ما زحف السلطان بقوى الجنوب، على فاس سنة 1822/1237(295).

ويبدو أن متوگة، استفادت أيضا، من ربط العلاقات مع المولى عبدالرحمان، ككل القوى الجنوبية، فارتقت المشيخة، التي أصبح لها نفوذ واسع، إلى القيادة، حينما منحت السلطة المركزية، لقب القائد لأحمد المتوگي(296).

لقد تولى المولى عبد الرحمان بن هشام، بعد وفاة المولى سليمان 1238 /1822 في ظروف كانت فيها منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، قد عززت استقرار السلطة المركزية، مما انعكس عليها، إذ أقر المولى عبد الرحمان، عبد الملك أبهي في قيادة حاحة، الذي ازدادت مكانته، لكن يظهر أن المنطقة شهدت توترا عاما في أواخر الثلاثينات من القرن التاسع عشر، فقد ورد في رسالة من الخليفة بمراكش، المولى محمد عبد الرحمان إلى السلطان في سنة 1837/1253 "وقبيلة حاحا لا زالت على حالها، كما في علم مولانا أعزه الله، وبقاؤهم على حالهم، لا يخفى ما فيه على سيدي، وقد سرى ما هم عليه حتى لمتوگة ونفيفة ودمسيرة"(297). لكن يبدو أن حدة المناهضة القبلية لعناصر السلطة كانت بمتوگة، فسيستفاد من رسالة للخليفة إلى السلطان، أن "القائد أحمد المتوگي ورد علينا بنفسه، بعد ما أخبرنا سيدنا بقضيته، واعترف أمامنا مشافهة، بأن جميع إيالته غير منقادة إليه"(298). وأدى هذا التطور إلى عزل القائد المتوگي، مع محاولة

---

294) الناصري : أبرز تقريب السلطان القائد عبد الملك أبهي إليه والتنويه به. ج الثامن من كتاب الاستقصا. ص 156

295) الناصري ن. م. ج 8ص 157

296) Gouvion (M et E) Ibid, p. 358.

297) رسالة الخليفة المولى محمد بن عبد الرحمان، إلى السلطان بتاريخ 29 ذي الحجة 28/1253 فبراير 1838 الخزانة الحسنية الرباط : (خـ. حـ. ر)

298) رسالة من الخليفة إلى السلطان بتاريخ 17 شوال 14/1253 يناير 1838 خـ. حـ. ر

تقسـيم متوگـة بيـن قـائد الشياظمـة سـليمان ابـن الطـاهر الشـيظمي، والقـائد ابن الشرقي(299). إلا أن هـذا الإجراء لم ينفذ، لتفاقم انتفاضة القبيلة، مما نجم عنه تنظيـم حركـة ضـد متوگـة، شـارك فيهـا الشـيظمي وابـن الشـرقي، وحـراك الدير، والحسـين أغنـاج من ناحية حاحة في شعبان 1838/1254(300). ويظهـر أن الأوضـاع استمرت مضطربـة بحاحـة حتـى توجهـت إليها الحركة سنة 1840/1256، شـاركت فيهـا قـوات مختلفـة مـن "عساكر مولانا من البربر وغيرهم"(301) كمـا رافقهـا ابـن السـلطان المولـى سـليمان، الـذي قدمـت عليه قبيلة حاحة بعد أن داهمتها الحركة مستشـفعين بالذبـائح والهدايـا، "وسـمح لهـم سـيدنا ممـا ارتكبـوه بل من الفساد، وتابوا إلى الله، ونصحت توبتهم، واستقام أمرهم وانضبط"(302). وبذلـك استعادت المنطقـة اسـتقرارها. لكـن التغيير مـس أشـخاص القيـادتين، فقـد تولـى سـعيد بـن أحمد المتوگي(303) علـى متوگـة، فـي حيـن صـادف الأمر وفاة عبد الملك أبهى، وتولية عبد الله بن عبد الملك أبهى على حاحة حوالي 1842/1258(304).

لقـد بـدأ المغـرب فـي مواجهـة القـوى الإمبرياليـة، غـداة الاحتـلال الفرنسي للجزائر(305) فـي الثلاثينـات مـن القـرن التاسـع عشـر، ممـا سيجعله فـي احتكـاك مباشـر مـع أهـداف التدخـل الأجنبـي، وما يحدث عنه، من اضطراب في

---

299) ن. ر

300) رسالة الخليفة المولى محمد إلى السلطان بتاريخ 8شعبان عام 27/1254 أكتوبر 1838

301) رسـالة القـائد محمد بن الشرقي إلى الفقيه محمد بن إدريس بتاريخ 8ربيـع النبـوي 10/1256 مـاي 1840 خ. ح. ر

302) ن. ر

303) يستفاد هذا من الرسائل التي تناولت الأحداث التي عصفت بأبهي.

304) المختار السوسي : إيليغ. الهامش 492ص 242

Montagne : Ibid p 107

305) أصبـح تـأثير احتـلال الجزائـر على المغرب واضحا، حتى اتخذ بداية لفترة جديدة، في تاريخ المغرب، ودل على ذلك عنوان أطروحتين مهمتين، المغرب وأوربا لمييج، الذي جعل سنة 1830بدايـة تمتـين العلاقة بين الطرفين، ثم الجذور الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية للعروى، الذي جعل بدوره سنة 1830بداية بروز الاعتزاز الوطني.

سير الدولة والمجتمع، وعلى مدى عقدي الأربعينيات والخمسينيات، من القرن التاسع عشر، كانت آثار التدخل الأجنبي تتفاقم، مما حمل الدولة، على تجديد المحاولات للتمسك بالاستقرار. ولقد كان لمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، إسهام في الأحداث البارزة، التي سيعرفها التاريخ الوطني، في هذه الفترة.

بدأت السلطة المركزية، توجس خيفة، من عواقب الأطماع الفرنسية، منذ بداية احتلال الفرنسيين للجزائر، ذلك أنه في سنة 1831/1246 أصدر السلطان أمره لسلطات الموانـي، بضرورة اليقظة "فلا تغتروا من جهة البحر، وكونوا على حذر واذكوا العيون والجواسيس"(306)، ترصدا لحركة الأسطول الفرنسي في البحر. ولما تزايدت مناصرة المغرب للمقاومة الجزائرية(307)، سعى الفرنسيون للضغط عليه، بكل الوسائل، بما في ذلك خلق بلبلة عامة، عن طريق التلويح باستعمال الأسطول. كما حدث سنة 1840/1256 مما جعل السلطان، يحث سلطات الموانـي على أنه "ينبغي للمسلمين عموما، وخصوصا أرباب الثغور، أن يكونوا على أهبة واستعداد للجهاد"(308). مبينا طريقة الاستنفار العام، على طول الشواطئ، "بحيث إن حضر أمر، تجعل علامة لمن يلي طنجة، وهم يجعلون تلك العلامة لمن يليهم، حتى يصل الخبر أقصاهم، في أقرب مدة"(309). وبذلك يتم الاستعداد لمواجهة أي خطر، يجري على طول الشاطئ. إلا أنه منذ 1842/1258 تزايد اليقين لدى السلطات المغربية بالنوايا الفرنسية، مما جعل السلطان يبلغ الخليفة المولى محمد، بأن الأعداء "أرادوا تعدي الحدود ومداليد إلى الايالة"(310). وبدأت فرنسا في

306) رسالة السلطان المولى عبد الرحمان إلى محمد أشعاش قائد تطوان، بتاريخ 23-7-1246/ 7-1-1831 خـ. حـ. ر

307) علاقة المقاومة الجزائرية بالمغرب راجع العروي :
Les Origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 - 1912) pp. 265 - 272.

308) رسالة السلطان إلى بوسلهام بن علي قائد طنجة ونائب السلطان بتاريخ 20ذي قعدة 1256- 11يناير 1841. خـ. حـ. ر.

309) ن. ر

310) رسالة السلطان إلى المولى محمد وخليفته بتاريخ 4ربيع الثاني 1258/ 15ماي 1842.
اتحاف إعلام الناس : ج 5ص ص 44- 46

إظهـار نواياهـا، حينمـا قـامت سـفن مـن أسـطولها، بالتحرشات في المياه المغربية، بكـل مـن طنجـة والعرائش. فأمر السلطان الخليفة بالكتابة للثغور والقبائل المجاورة لهـا للاسـتعداد، بمـن فـي ذلـك الشـياظمة وحاحـة "أن تـأمر خديمنا عبد الله أبه، وسـليمان بـن الطـاهر، بحشـد قبائلهـا خيلا ورماة للصويرة، وعمارة ساحتها بلعب البارود وغيره، مما يغيظ العدو"(311)، فـأصبح علـى القبيلتيـن المجـاورتين للصويرة أن "يجعلـوا عمـارة ذلـك الثغـر، مناوبـة، إذا توجهـت طائفـة وردت أخرى"(312)، وبذلـك تتـم حمايـة المدينـة مـن أي هجـوم محتمـل. ممـا يبين أنه قبل أن تتعرض المدينتـان الشـاطئيتان، طنجة والصويرة، للهجوم الفرنسي، بسنتين، كان الاستعداد والترقب متواصلا.

ففـي هـذه الظـروف مـن التوتـر، فـي العلاقـات بيـن المغرب وفرنسا، تعرض المغرب لهجوم فرنسي في صيف 1844(313)، استـهدف المواقـع الهامـة، كوجـدة وطنجـة والصويـرة، وذلـك ضمـن استراتيجية تحجيـم دور المغـرب بأبواب البحر المتوسط وإرباك علاقته بالمقاومة الجزائرية(314).

تعرضت الصويرة في صيف 1844/1260 لهجوم الأسطول الفرنسي(315). لكـن واجهتـه مقاومـة شـديدة، نجـم عنهـا "ظهـور المسـلمين علـى أعـداء الديـن بثغـر الصويـرة، ومـا حـل بهـم، كسـرا لمراكـب وكـثرة الموتـى، ورجوعهـم بالخيبة والخسران"(316)، لكـن القـوات الفرنسـية سـرعان ما تمكنت من استرجاع

---

311) ن. ر

312) ن. ر

313) لقـد تحـدث كـل المهتمـين بتـاريخ المغرب، عن هذه المعركة، نظرا لانعكاساتها العامة على الهيكلة المغربية سلطة ومجتمعا. ومن هؤلاء على سبيل المثال : الناصري. ن. م. ج 9. ص ص 49- 54

Miège : Le Maroc et l'Europe (1830 - 1894) T2 pp 203 - 205 Laroui Ibid p.246

314) ومـن نتـائج انهـزام المغـرب فـي إسلي وضع معاهدة، يتخلى المغرب بموجبها عن مناصرة الأمير عبد القادر الجزائري.

315) راجع المصادر الواردة في الهامش 313 .

316) رسالة السلطان إلى القائد بوسلهام بن علي بطنجة بتاريخ 6 شعبان 1260/ 27 غشت 1844خ. حـ. ر.

الموقف، واحتلال جزيرة الصويرة. وقد عبر السلطان عن استيائه مشبها الحدث بنكبة، حينما وصله خبر "استيلاء العدو الكافر، قصمه الله، على جزيرة الصويرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فهذه مصيبة عظمى، نسئل الله تواب الصبر عليها"(317).

وأما على الصعيد المحلي، فيظهر أن التنسيق الذي كان بين قبيلتي حاحة والشياظمة، لحراسة المدينة، قد انهار فنجم عنه نهب المدينة. ويذكر الناصري أنه "وقع بالصويرة، حادث عظيم، بسبب الغوغاء الذين بالبلد، والشياظمة المجاورين لهم، فإنهم لما رأوا العدو دخل الجزيرة، ظنوا أنه سيدخل البلد فمدوا أيديهم للنهب"(318)، ذلك النهب الذي عم المدينة. وانعكست آثار النهب، الذي تعرضت له المدينة على قيادة الشياظمة مباشرة، حيث تم عزل القائد سليمان بن الطاهر الشيظمي(319)، مما يؤكد إلى حد ماذكره الناصري من اتهام الشياظمة بالنهب. ولقد شارك في النهب أيضا بعض قبائل حاحة. حتى إن السلطان فرض عليها، غرامة لتعويض ما نهب من الصويرة(320).

إن هذا الحادث العارض، لم يقلص من دور القبيلتين في حراسة المدينة ذلك أن الخليفة المولى محمد أبلغ السلطان سنة 1848/1265 أنه "ما قصرنا في الكتب لقبيلة الشياظمة وحاحة، بالوقوف على ساق الجد في أمر ذلك الثغر"(321) كما أن قائد الشياظمة عمر بن عبد الله، أبلغ السلطان بقيام جيران الصويرة "على ساق في الحراسة وارتقاب المدافعة"(322).

لم يقتصر عمل قيادة حاحة على الإسهام في توفير الأمن للصويرة، وإنما انصرف أيضا للآهتمام بمشاكل سوس.

---

317) رسالة السلطان إلى بوسلهام بتاريخ 8 شعبان 1260/ 29 غشت 1844، خ. ح. ر.

318) الناصري. ن. م. ج 9. ص 53

319) رواية شفوية من المرحوم الحاج عبد اللطيف، من نفس الأسرة، وذكر أنه صودرت حتى أملاك القائد

320) Schroeter Ibid p 164

321) رسالة الخليفة المولى محمد إلى السلطان بتاريخ 13 ذي الحجة عام 1269/ 18 غشت 1853. خ. ح. ر.

322) رسالة السلطان إلى بوسلهام بن علي بطنجة بتاريخ 23 ذي الحجة 1265/9 نوفمبر 1849خ. ح. ر

فقد كان عبد الله أبهي يرصد الشواطئ، مما جعله يراقب عمل آل بيروك في وادي نون، إذ يبدو أن فرنسا، حاولت التحرك نحو الشواطئ الجنوبية، بعد ضربة الصويرة. مما جعل عبد الله أبهي في أوائل سنة 1845/1261 يبلغ السلطان، أنه لما "سمع بما يحرك عدو الدين الفرنصيص، من أمر وادي نون، كتب لبيروك"(323) لكن الرسالة لم تفصح عن مضمون ما كتب به، وإنما يستفاد منها أن السلطان وجهها للقائد بوسلهام بطنجة، "وأجابه [أي بيروك] في ظهر كتابه وها هو يرد عليك طالعه ورده لتكون على بصيرة"(324). ويظهر أن الفرنسيين صمموا على الاستمرار في عملهم، بمحاولة الاتجار مع بيروك، ففي أواخر نفس سنة 1845/1261 كانت محاولة للتصدير، على يد بيروك، من وادي نون. وهو عمل شجبه الحسين ابن هاشم، مبلغا الأمر للسلطات المركزية، التي أمرت بيروك بالتوقف عن المتاجرة مع النصارى(325). وبذلك تكون السلطات المركزية قد استعانت بالعمل المزدوج، بنفوذ آل هاشم، ونفوذ عبد الله أبهي، لتضييق الخناق على القوى المحلية الساعية للتعامل مع القوى الأجنبية، بمنطقة الجنوب حفاظا على سلامة الشواطئ.

وأما بالنسبة لاستقرار الأوضاع الداخلية بسوس، فقد كان فيه لقيادة حاحة(326) دور حاسم، في مدة عبد الله أبهي، الذي يظهر أن اهتمامه باستقرار سوس، كان يدفعه إلى تهويل الأمور، ويشدد في ما يقتضيه ذلك من الإجراءات، ذاكرا "إن أمر سوس لا بد له من القيام، والتشمير عن ساعد الجد، ولا يمكن فيه التساهل على أي وجه، ولا يغتر سيدنا في أمره، فإنه من

323) رسالة السلطان إلى بوسلهام بن علي بتاريخ 18 جمادى الأولى عام 1261/ 25 ماي 1845 خ. ح. ر

324) ن. ر

325) رسالة من الخليفة المولى محمد بن عبد الرحمان إلى الحسين بن هاشم بتاريخ 29-11-1261/ 29-11-1845 في المرجع :

Mohamed Ennaji et P. Pascon Ibid pp 40 - 41

326) يظهر أن استقرار سوس، كان من مهام قيادة حاحة أيضا من قبل، خاصة في عهد عبد الملك أبهي الذي كان له خليفة بتارودانت كمحمد بن يحيى أغناج. المختار السوسي خلال جزولة، ج 4 ص 142

أهم المهمات"(327). متهما أهل سوس بالخروج عن العمال "وأهل سوس قد ألفوا هاذه الصنعة مع كل عامل ولاه سيدنا عليهم حتى اتخذوا ذلك عادة وصنعة"(328). لكن تبرير انتفاضتهم على العمال، قد ترجع إلى انعدام الثقة بين السكان والعمال، وذلك ما عبر عنه هوارة سنة 1854/1270، لما نزلت محلة السلطان إلى سوس، بمشاركة عبد الله أبهي. "نحن في الطاعة نحن نودوا جميع ما وجب علينا، لكن بشرط في يد ولد سيدنا. وأما العامل لا أمان لنا فيه"(329). يتوضح من هذا الموقف، أن مشكلة انعدام الثقة من الأسباب الكثيرة، التي كانت تؤدي، إلى احتجاجات السكان بسوس، ضد العمال.

لقد عاشت سوس، نموذجا لمثل هذه الاحتجاجات والصراع مع العمال، والذي شارك عبد الله أبهيي، في حل مشكله، فيما كان يعرف بقضية بومهدي(330) الذي يذكر المختار السوسي، أنه كان عميد الحكومة(331) في سوس، امتد نفوذه عليها كلها. لكن اتهمه بأنه "كان جبارا طاغية"(332) سجن حتى العلماء، في حين اتهمه عبد الله أبهى، بـ"أن فساد سوس على سائر الدوام، مجموع في رأس بمهدي"(333).

لقد أدت مشكلة بومهدي، إلى توتر عام بالمنطقة، نجم عنه نزول المحلة، إلى سوس مرتين في ظرف أربع سنوات 1850/1266 ثم في سنة 1854/1270 لمحاولة

---

327) رسالة من عبد الله بن عبد الملك أبهي إلى السلطان بتاريخ 8 جمادى الثانية 1270/8 مارس 1854 خ. ح. ر

328) ن. ر

329) رسالة عبد الله بن عبد الملك أبهي إلى السلطان بتاريخ 21 رجب 1270/ 19 أبريل 1854 خ. ح. ر

330) مجموعة رسائل، رفعها عبد الله أبهي إلى السلطة المركزية، تحدثت عن مشكلة بومهدي بسوس، طيلة سنة 1854/1270خ. ح. ر

331) المختار السوسي، خلال جزولة : ج 4ص 100

332) المختار السوسي : ن. م : ص 100

333) رسالة عبد الله بن عبد الملك أبهي إلى السلطان، بتاريخ 24 جمادى الأولى عام 1270/ 12 فبراير 1854. خ. ح. ر

استتباب الأمن، خاصة أن أنصار بومهدي، كانوا ما زالوا يحركون الاحتجاجات بسوس بإثارة القبائل(334)، رغم أن بومهدي وقع اعتقاله. ولقد وصل الأمر بعبد الله أبهي، أن اعتبر استرجاع استقرار الأوضاع بسوس، لن يتم إلا بمعاملة الخارجين عن السلطة بالصرامة، "وينقطع دابرهم حقيقة بتقطع الفساد"(335)، ولذلك كان يقترح وضع بومهدي تحت تصرفه معللا أنه "إن علموا عليهم إخوانهم، ومن يأوى إليهم، من المفسدين وغيرهم، أنهم تحت أيدينا يقنط من ما يطمعون"(336).

لقد حلت المحلة بسوس سنة 1854/1270 واجتمعت وفود القبائل في تارودانت، "وقرئ أمر مولانا على أهل سوس، وأجابوا بالسمع والطاعة وفرضوا ما لهم، وفرقوا المخازنية وأخذ كل واحد ما وجب عليه، واشتغلوا بما لهم"(337). وأما بومهدي، فقد سجن بالصويرة حتى هلك(338).

يتبين من هذه القضايا، التي عنيت سواء بسلامة الشواطئ، أو بالاستقرار الداخلي بسوس، أن قيادة حاحة في عهد عبد الله أبهي، كان لها نفوذ كبير في الجنوب، والذي لم يكن يقف فقط على تنفيذ الأمور المركزية، وإنما كان يقترح تدابير سياسية، تتخذها السلطة المركزية بعين الاعتبار.

هذا، ورغم الوزن الذي كان عبد الله أبهي يحظى به، فإن قيادة متوگة، كانت بمثابة منافس يقض مضاجعه. حتى إنه عبر بمرارة عن معاناته من منافستها بقولة "... إننا صبرنا في الرقاب والأموال، ما لا نهاية له، خوفا إن تتبعناه مع من

334) مجموعة رسائل رفعها عبد الله أبهي إلى السلطة المركزية، تحدثت عن الأحداث التي نجمت عن تحركات أنصار بومهدي بسوس سواء سنة 1850/1266 أو سنة 1854/1270 خـ. حـ. ر

335) رسالة عبد الله أبهى إلى السلطان بتاريخ 4 جمادى الثانية 1270/ 4 مارس 1854. خـ. حـ. ر

336) ن. ر

337) رسالة عبد الله أبهى، إلى السلطان بتاريخ 22 ربيع الثاني 1270/ 22 يناير 1854 خـ. حـ. ر

338) المختار السوسي، خلال جزولة ج 4 ص 100

جهـة إخواننـا نقـع فـي الفساد الكبير، وهذه مدة من ثلاثة أعوام، وهم خارجون في ترعتنـا إلى الآن، فما وجدنا حيلة تنفعنا معهم ولا غيرها إلا الله تبارك وتعالى"(339)، تلك المنافسة التي ستزداد بين القيادتين في الستينات من القرن التاسع عشر.

يتبيـن مـن الأحـداث التـي عرفتهـا منطقـة طرفـي الأطلـس الكبير الغربي، في الأربعينـات والخمسـينات، مـن القـرن التاسـع عشـر، أنها كانت مؤثـرة، في الإطار الوطنـي العـام، والتـي تتجلـى أهميتهـا، فـي المحـاولات المسـتمرة للحفـاظ علـى الاسـتقرار والتواصـل، بيـن أطـراف المنطقـة الجنوبية، القريبة والبعيدة مع الصويرة. تلـك المدينـة التـي لـم تنـج بدورهـا، مـن عواقـب الحـرب الضروس، التي فرضتها إسبانيا على شمال المغرب، والمعروفة بحرب تطوان(340). فلقـد حـاصرت عصابة

339) رسالة عبد الله أبهي إلى السلطان بتاريخ 22 ربيع الثاني 1270/ 22 يناير 1854

340) **حرب تطوان** : هـي الحـرب التي وقعت بين إسبانيا والمغرب، أوائل الستينات من القرن التاسع عشر، وقد دامـت أعمالهـا العسـكرية، على التـراب المغربـي، حوالي أربعة أشهر، من نونبر 1859إلـى أن احتلـت القـوات الإسبانية، مدينة تطوان في 6فبراير 1860. وعقبـت هـذا الاحتـلال هدنـة، توصل فيها الطرفان، إلى عقد معاهدة سـلام فـي مـاي 1860، نـص بندهـا الثـاني، علـى دفـع المغرب لغـرامـة حـربيـة قـدرها 20 مـليـون ريـال إسبـانـي (Miège T2 p 377)ثم عقبتها معاهدة تجارية في نونبر 1860 (Miège T 2. p. 382) ومـن المعلـوم أن إسبانيا، كـانت قـد عقـدت آمـالا واسـعة علـى هـذه الحـرب، لتجديـد مركزهـا الدولـي، داخـل أوربـا (Miège T 2 pp 351 - 353) ولذلـك دفعـت بقـوة بلغـت أكثر من 44 ألـف جنـدي مدعومـة بأسـطول بلـغ في البدايـة 14 بـاخرة حربيـة .Miège T2. p. 365) لكن المقاومة أدت إلى فقدانها حوالي 10آلاف مقاتـــل (Miège T2. p 367).

ولقـد عني عـدد مـن المؤرخـين المغاربـة، بهذه الحرب. فخصص لها محمد داوود المجلد الرابع، من كتابه تاريخ تطـوان. والـذي استهله بأنـه جمع فيه ما وقف عليه "من مختلف أنباء تلك الحرب المشئومة، التي خسرت فيها تطوان ماديا وأدبيا" (محمد داوود ـ المجلد الرابع ص 14) وهـي خسـارة عـبر عنهـا النـاصري: منـذ القرن التاسع عشـر، حينما نعت تلك الحرب بأنها "أزالت حجاب الهيبة عن بلاد المغرب" (الناصري : ج 9. ص 101). ومـن جملـة مـا جمعه محمد داوود أنباء استنفار القبائل الجنوبية، فأورد رسالتين كان الشيخ المختار السوسي، قد أطلعه عليهما (المجلد الرابع ص 220) ويـدور فحواهمـا حـول اسـتنفار قبائل الجنوب، من مراكش وسوس ودرعة، حتى إنه اجتمع من أهل سوس من المجاهدين حوالي اثنى عشر ألف مجاهد (ن. م. ص 220) وبذلـك تكـون مساهمة القبائل قوية، رغم أن مييج ركز على ما عقب الحرب من ثورات قبلية (Ibid p366) تلـك القبـائل التـي اسـتغرب صـاحب نزهـة الأبصـار عن كون السلطان لم يستنفرها إذ لو فعل كما قال ، لأخرجوا الإسبان من تطوان "رغم أنف كل جبار عنيد" (نزهة الأبصار ص 47) وعلـل موقـف السلطان بأنه إنما رجع لاجتهاده بعد أن أنفق على =

من القراصنة الإسبان المدينة، مهددين بتخريبها، ما لم يتوصلوا بقدر من المال، وبعد مفاوضات مع قائد المدينة، وتخوفا من تكرار الضربة الفرنسية، اضطر القائد لتسليم المال، فنجت الصويرة من آثار تلك التهديدات(341).

وهكذا، تكون تطورات منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، مع تأسيس الصويرة، إلى الستينات من القرن التاسع عشر، مرتبطة بمجموعة من القضايا، كان فيها الحرص على الاستقرار والتماسك، من العوامل الرئيسية، لما له من آثار على نشاط الصويرة. سواء كان ذلك الحرص يعنى بالحد من الصراعات المحلية، إما بين القيادات أو بينها وبين السكان. أو كان يعنى بهاجس العدوان الخارجي، الذي أصبح يحظى باهتمام واسع، تعبئة للقوى المحلية للمواجهة، ولقد كانت ضربة فرنسا للمغرب 1844 ثم إسبانيا 1860 أحدثتا آثارا واسعة، على العلاقات بين السكان والسلطة، في الستينات من القرن التاسع عشر.

لقد تميزت منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، من القرن الخامس عشر إلى الستينات من القرن التاسع عشر، بتعاقب ثلاث مراحل لكل منها خصوصياتها.

كانت المرحلة الأولى، قد واكبت الهجمة البرتغالية وتنظيم المقاومة، التي أفضت إلى تأسيس الدولة السعدية، في بداية القرن السادس عشر. في حين تلتها فترة شبه انزواء، حتى منتصف القرن الثامن عشر، حينما أسهم إنشاء الصويرة، في

= الجيوش من طريف المال وتلاده وظهر له بمقتضى نظره السديد (ن. م. ص 47) وبذلك يفهم من قول المشرفي أن السلطان اقتصر على دفع تعويض مالي مقابل مغادرة الإسبان المدينة المحتلة دون اللجوء إلى تنظيم جهاد عام. فتتشابك بذلك قضية حرب تطوان.

- الناصري : ن. م. ج 9. ص ص 84- 102
- محمد داوود : تاريخ تطوان، المجلد الرابع المطبعة المهدية تطوان 1964.
- المشرفي العربي بن عبد القادر : نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار : مخطوط ـ الخزانة العامة ـ الرباط

Miège Ibid T. 2 pp 350 - 393

341) الصديقي : ن. م. ص 85

إعـادة اسـترداد المنطقـة لمكانتهـا، بتدفـق التجـارة عبرها. مما أدى إلى تشكيلات سياسية محلية كان لقيادة حاحة فيها دور المحرك.

إن التعريـف بمنطقـة طرفـي الأطلس الكبير الغربي، جغرافيا وتاريخيا، اقتضته ظـروف تنـاول القضايـا المرتبطـة بالعلاقـات السـكانية، إمـا بينهـم، أو مع السلطة، لكونهـا نتـاج تعـامل بشـري مـع الإطار الطبيعي، وما يقدمه من إمكانات بالمنطقة، أظهـر الصـراع عليهـا، عـبر فـترة، طويلة من الزمن أهميتها. ذلك الصراع الذي بلغ ذورتـه حينمـا تعرضـت المنطقة مباشرة لتدخل أجنبي برتغالي في النصف الأول من القـرن السـادس عشـر، وما نجم عنه من عواقب محلية، من طمس معالم ضاربة في الزمـان، ووطنيـا، بتجديـد دولـة مـا فتئـت تطمح لمسايرة التغييرات، فكان للمنطقة نصيـب منهـا. تلك العلاقات التي يمتد النظر إليها بشكل أكثر تفصيلا في مجالات متعددة، في الستينات من القرن التاسع عشر.

الفصل الثالث

تنظيم العلاقات بين أطراف المجتمع والسلطة أثناء حركة سلمية ـ حركة سوس 1863/1280، وانعكاساتها على منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي

كانت حركة المولى الحسن خليفة السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان إلى سوس سنة 1280-63/1864، ودامت هذه الحركة حوالي أحد عشر شهرا، وعرفت ظروفا مختلفة في كل المجالات، يمكن إجمالها في ثلاثة محاور.

I ـ تنقل الحركة وتموينها
II ـ أهداف الحركة المباشرة
III ـ تطلعات الحركة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

1ـ تنقل الحركة وتموينها :

إن تنقل الحركة وتموينها، لمدة أحد عشر شهرا، يمكنان من التعرف على نوع من العلاقات، بين المحلة وكل الأطراف التي تعاملت معها، سواء ممثلي السلطة المحلية التي مرت بايالاتهم، أو القبائل التي عبرت أراضيها، وأسهمت في العناية بها، و كذلك القوى المتنفذة التي تعاملت الحركة معها.

1 - 1 - تنقل الحركة ذهابا وإيابا :

قامت حركة الولي الحسن بتحرك منظم، انطلاقا من مراكش إلى سوس، ذهابا وإيابا، عبر الطريق المار بمنخض الأطلس الكبير الغربي، الذي يسهل ربط بلاد الحوز بسهل سوس.

لقد اتجهت الحركة، من مراكش إلى وادي البهجة(1)، الذي يظهر أنه اتخذ كنقطة لتجمعها، فانطلقت منه "للنزول بوادي النفيس"(2)، ثم غادرته "بقصد المبيت في فروگة"(3)، ثم "أسيف المال"(4)، ثم "للقهر"(5) فإمين تَانُوت(6).

وتكون الرحلة، قد استغرقت أسبوعا، من وادي البهجة إلى إيمين تانوت، في منطقة سهلية، تتجاوز بقليل مائة كلم. وانطلاقا من إمين تانوت، توغلت الحركة

---

1) **وادي البهجة** : جنوب غرب مراكش على بضع كلمترات، ويظهر أن المحلة اتخذته مخيما أثناء الاستعداد للحركة.

2) 9 صفر 1280/ 26 يوليوز 1863. كناش 47.

3) 10 صفر 1280/27 يوليوز 1863. ن.م.

فروگة : تقع قبيلة فروگة جنوب غرب مراكش بالحوز، في ثلال مقدمة الأطلس الكبير الغربي ويحدها شرقا أولاد مطاع وأعراب وجنوبا گدميوة وغربا مجاط، وشمالا تكنة، وتوجد بها نزالة، بمكان يسمى تاوُلوت، وكان بها سوق قديم يسمى الخميس، وتحول اليوم إلى موسم سنوي يسمى البخارى عند ضريح يعتقد أنه للجزولي إذ ينسب له.

4) 12 صفر 1280/29 يوليوز 1863. ن.م.

5) **"القهر"** تحريف كلمة القاهرة وهي القلعة المقيمة على مدخل وادي سكساوة أسسها وزير أبي عنان المريني فارس بن ميمون سنة 753 / 1353 حينما لجأ أبو الفضل أخو أبي عنان إلى عبد الله بن عمر أمير سكساوة وعزم على مساعدته ضد أبي عنان، فبنيت القلعة لمحاصرة سكساوة

J. Berque : Antiquités Seksawa, p. 389.

أما الوديان الثلاثة : وادي النفيس، وأسيف المال ووادي سكساوة تنبع كلها من تشكا بالأطلس الكبير الغربي وتمتد على سفوحه الغربية

J. Berque : Structures sociales du Haut- Atlas, p. 10, 1978, P.U.F.

5) 14 صفر 1280/31 يوليوز 1863. ن.م.

6) 16 صفر 1280/1 غشت 1863. ن.م.

في المنطقة الجبلية، فوصلت عريمة القمح(7) بتمزگادوين، ثم نزالة الوادي بأرگانة(8) ثم نزالة الخميس قرب بيگودين(9) ثم اتجهت عبر تزي الحجاج (10) لأمْسْكْرُوضْ.(11)

استغرق تنقل الحركة، حوالي ستة أيام في هذه الطريق، التي تجتاز منخفضا متصلا، يشكل فجان مدخله أحد همها من الشمال وهو تزي أو مشو، والآخر من الجنوب، وهو تزي الحجاج. في حين تشكل إمين تانوت من الشمال، وأمْسْكْرُوضْ من الجنوب، نقطتين رئيسيتين لمدخل الطريق عند قدم الجبل. فمكثت الحركة بأمسكروض "يوما للمصلحة الظاهرة"(12). ثم اتجهت بمحاذاة الجبل إلى نزالة الأربعاء(13)، ومنها إلى سهل سوس، على مراحل. فبدأت "التخييم بهوارة أولا"(14)، وذلك تطبيقا لما كان صدر لها من تعليمات، واستغرق مكثها

7) 18 صفر 1280/4 غشت 1863. ن.م.

عريمة القمح : ربوة بفسيح تمْزگادوِينْ على بعد 70كلم من إمين تانوت التي تقع بأراضي قبيلة دمسيرة ينعقد فيها سوق أسبوعي يوم الخميس، كما أصبحت مركزا للجماعة القروية لدمسيرة.

8) 20 صفر 1280/6 غشت 1863. ن.م.

نزالة الوادي : هي أرگانة الواقعة على وادي إسَّن، وقد كانت بها نزالة كبرى لأنها نقطة إنطلاق طريقين رئيسيين إلى سوس، أحدهما يتجه جنوبا محاذيا للوادي والآخر شرقا نحو تارودانت عبر بيباوْنْ. وتقع أرگانة بأراضي قبيلة إداوْزيكي وقد حولت إلى مركز إداري منذ 1929.

9) 20 صفر 1280/6 غشت 1863. ن.م.

نزالة الخميس : قرب بيگودين على الضفة اليمنى لسد عبد المومن، وبعرف محل هذه النزلة «بخميس بَوَفَرْ» وكانت تنعقد فيه سوق يوم الخميس الذي استمر انعقاده إلى أوائل الفترة الاستعمارية، أما الطريق فكان يخترق السوق في الاتجاه نحو تزي الحجاج.

10) **تزي الحجّاج**، توجد على الطريق الرابط بين أمسكروض وإيمن تانوت، جنوب بيگودين بإداوازيكي. قرب سد عبد المومن.

11) 21 صفر 1280/ 7 غشت 1863. ن.م.

12) 24 صفر 1280/ 10 غشت 1863. ن.م.

13) 24 صفر 1280/ 10 غشت 1863. ن.م.

14) 30 صفر 1280/ 16 غشت 1863. ن.م.

بهوارة شهرين، لتنتقل بعد ذلك إلى منطقة رأس الوادي(15). ثم أخذت تستعد للاتجاه جنوبا نحو هشتوكة، بعدما صدر الأمر للمولى الحسن «بالمفاوضة في ذلك»(16)، ليتخذ كل الاحتياطات، لما يمكن أن تثيره الحركة لدى السكان، حينما تتجه جنوبا، وخاصة ما وراء وادي ولغاس(17). فطال الانتظار، والتفاوض،

---

15) 12 جمادى الأولى 1280/ 25 أكتوبر 1863. ن.م.

رأس الواد : يقول المختار السوسي، يقصد برأس الوادي أي وادي سوس في اصطلاحنا "من أعلاه إلى أسفله، وأسفله منتهى هوارة" (خلال جزولة. ج 3. ص 168) وأما القبائل الموجودة بالمنطقة على سفوح سلسلتي الأطلس الكبير والصغير فهي رحالة على مخرج وادي سوس عند بداية السهل، وطرف من أَنَيْنْ وعلى سفح الأطلس الكبير الغربي فهي بالتوالي أيت سَمْگْ، وتَلْكْجُونْتْ، وتَالْمْتْ، وأسيف نْ أيْتْ تَامْنْت، وأيت إيكَاسْ، أما على السفح الشمالي للأطلس الصغير فهي بالتوالي، إنْدَاوْزالْ، وإيرَازَن، وأرْغَنْ، وإدَاوفْتْيس وتيوت وگطيوة، وعلى السهل فهي المنابهة وأولاد يحيى وأهل تارودانت، ثم هوارة (ن. م. ص 167- 168) وقد علق المختار السوسي على مكانة قبائل رأس الوادي بأنها "هي صرة سوس ثروة وقوة" (خلال جزولة. ج 4ص 143).

16) 14 جمادى الأولى 1280/ 27 أكتوبر 1863. ن.م.

هشتوكة : إتحادية قبلية تقع على سهل سوس، جنوب وادي سوس، وتمتد إلى مشارف وادي ولغاس أي وادي ماسة، وهي إتحادية تعمر منطقة فلاحية يسهل استغلالها، لأن "الماء قريب في غالب ذلك البسيط" (خلال جزولة، ج 4، ص 59) كما تتحكم في الممرات التجارية بين الشمال والجنوب، وقد كان لها شأن في القرن التاسع عشر، أسهمت في دحر ثورة بوحلايس سنة 1792/1207(ن. م. ص 47) ويظهر أنه على إثر ذلك تولى قيادة هشتوكة الأسرة الدليمية، ورغم ما كانت القبيلة تعرفه، من صراعات بين أفخادها (المعسول ج 8ص 238) فإن ذلك لم يؤثر على استقرارها فاكتسبت مكانة عبر عنها المختار السوسي بقوله "كان للهشتوكيين صولة قبل سنة 1330(1912) فكانت هذه البسائط تموج بالخيل وتزدحم بقوافل الإبل وتعج بالثروة" (خلال جزولة. ج 4، ص 59) ولكن هذه الصورة تغيرت مع الأحداث الناجمة عن التدخل الاستعماري منذ أوائل القرن العشرين.

17) 14 جمادى الأولى 1280/ 27 أكتوبر 1863. "بقي جهة هشتوكة وولغاز"

وادي ولغاس : ينبع من السفوح الشمالية للأطلس الصغير ويصب بالمحيط قرب ماسة، وهو من الوديان الهامة بسوس ويسمى أيضا وادي ماسة. وكان متزعمو المقاومة ضد البرتغال في النصف الأول من القرن السادس عشر قد شيدوا عليه قنطرة سنة 1524/930 حيث أسهمت القبائل في بنائها "بالجير والحديد والمونة" (المعسول ج7 ص 37) واستغلت كثيرا في القرن السابع عشر أثناء إمارة بودميعة، لكن يظهر أنها هدمت على إثر حملة المولى رشيد ضد تلك الإمارة أواخر القرن السابع عشر، إذ لم يعد يتحدث عنها منذ تلك الفترة (Justinard Hesperis 3 tr. 1925. p. 270)ويستفاد من هذا أن الوادي أصبح من جديد صعب المرور خاصة أثناء الحملات المطرية، مما يجعله كحد نحو الجنوب، خاصة بالنسبة لجيوش السلطة المركزية في ظروف كانت القوى المحلية بالمنطقة يحسب لها حسابها أثناء حركة سوس 1863/1280.

أزيد من ثلاثة أسابيع، حتى صدر الأمر بالانتقال(18) إلى هشتوكة. مما يوضح أن تحرك المولى الحسن بسوس، كان يتم بكل احتياط تجنبا لإثارة أي شكوك أو صعوبات، لا تعود على الحركة بفائدة. فلذلك طلب المولى الحسن قوة إضافية تدعمه(19)، لما عزم الانتقال إلى هشتوكة، التي وصلتها المحلة، فنزلت "بشاطئ وادي ولغاس"(20)، وذلك بعد حوالي شهرين من الاستعدادات، انطلاقا من رأس الوادي إلى هشتوكة، ورغم ذلك فإن وصول المحلة، إلى هذه المنطقة، أثار الخوف والبلبلة لدى سكان العدوتين(21). واحتياطا من كل ما يمكن أن ينجم عن ذلك، صدر الأمر للمحلة بالرجوع من المنطقة(22)، إلى هوارة الجنوبية ثم مسگينة(23)، ثم اتجهت نحو الشمال إلى امسكروض(24). وقد دام تنقل الحركة

---

18) 3 جمادى الثانية 1280/ 15 نوفمبر 1863 "صدر الحكم بنهوض المحلة" لبلاد هشتوكة بعد ما كان الاستئذان في ذلك من طرف المولى الحسن.

19) 13 جمادى الثانية 1280/ 25 نوفمبر 1863. "توجيه 500فوارس بقصد الاستعانة"، ن.م.

20) 17 شعبان 1280/ 27 يناير 1864 ن.م.

21) 17 شعبان 1280/ 27 يناير 1864. "وإن أهل عدوتيها فزعوا من نزولها هناك"،ن.م.

22) 22 شعبان 1280/ 1 فبراير 1864. "نهوض المحلة بمسوغ" ن.م.

23) 28 شوال 1280/ 6 أبريل 1864. "وصول الخبر بالنهوض من بلاد هوارة للنزول بيزمون من بلاد مسگينة لخصبه"، ن.م.

هوارة : يذكر المختار السوسي، أن قبيلة هوارة كانت فرعا من قبيلة الشبانات العربية، التي كانت تستقر في سهل سوس نحو تارودانت في القرن التاسع /الخامس عشر، ولما قام السعديون في القرن السادس عشر، بنقل عدد من القبائل من سوس إلى الحوز، كان من بينها الشبانات، لكن الطرف المتبقى منها بسوس كان ما يزال "قوة كبرى سنة 1081" (خلال جزولة، ج 4. ص 99) فقاومت المولى رشيد، فتأثرت من ذلك، وبدأت تضعف تدريجيا لصالح هوارة فزحفت على أراضيها في القرن الثامن عشر خاصة بعد وباء 1749/1163 الذي "فتك بأفخاذ الشبانات" (ن. م. ص 99) وازداد نفوذ هوارة في القرن التاسع عشر مما جعلها تهدد الاستقرار بسوس حتى إنها تعرضت لعدة ضربات من طرف السلطة المركزية، ففي منتصف القرن، نزلت الجيوش إليها بقيادة عبدالله أبهي، فاضطرت للتصالح مع قبيلة هوارة لسل المحلة من وسطها، لأنه لولا ذلك لوقع "كسر المحلة المشتملة على الجيش والقبائل وانتشر خبرها في الأقطار" (رسالة من الخليفة المولى محمد إلى السلطان المولى عبدالرحمان في 27ربيع 1266خ. ح) مما يدل على قوة القبيلة، التي كانت آنذاك تحت قيادة بومهدي، وقد تم اعتقاله في تلك الظروف. وتكرر ضرب القبيلة في نهاية القرن لما نزل السلطان المولى الحسن إلى سوس سنة 1886/1303 فنجمت عنه أضرار بشرية ومادية. (خلال جزولة. ج 4. ص 101) لكن آثار هذه الضربات سرعان ما تزول، =

بسـوس، مـا يزيـد عـن ثمانيـة أشهر انطلاقا من أمسكروض أواخر شهر صفر 1280 /غشت 1863 والعـودة إليـه أوائـل شـهر، ذي القعـدة مـن نفس السنة. حالة بالتوالي بهـوارة، ثـم رأس الوادي، ثم هشتوكة إلى ولغاس، ثم مسگينة دون أن يذكر شيء، عن دخولها مدينتي تارودانت وأگدير.

عـادت حركـة المولـى الحسـن، مـن سـوس إلـى مراكـش، علـى نفـس طريـق ذهابهـا، انطلاقـا مـن أمسـكروض فمـرت بأرگانــة، ثـم عرمـة القمـح(25)، ثـم فـدان السـلطان(26)، فـإمين تـانوت(27) إلـى "القهـرة"(28)، ففروگــة إلـى وادي النفيس(29). وقد استغرق تنقلها من أمسكروض إلى مراكش أكثر من شهر.

1 - 2 - تموين المحلة :

كـانت المحلـة منـذ أن غـادرت مراكـش، إلـى أن عـادت إليه، تمون من طرف القبـائل، علـى يـد العمـال، حسـب المنـاطق التـي تحل بها، إلا أن المعلومات المتوفرة حول هذه المئونة، لا تكفي لتحقيق المقادير التي كانت القبائل تقدمها.

= لوجـود القبيلـة فـي منطقـة فلاحيـة غنية، تمتد وسط سهل سوس، جنوب غرب تارودانت إلى حدود مسگينة وكسيمة قـرب المحيـط. ولقـد عرفـت هـوارة بدورها في أوائل القرن العشرين أحداثا تخربية على غرار ما عرفته المنطقة الجنوبية نتيجة عواقب بداية التدخل الاستعماري.

- **مسگينة** : توجـد فـي أقصى السفح الجنوبي الغربي للأطلس الكبير بين إداوتنان شمالا وهوارة جنوبا على طول وادي سـوس، وغربـا كسيمة وشرقا إداوزيكى. وتتكون من آيت عباس وآيت تگوت، وهي من القبائل التي ورد ذكرها في سجل البيدق في القرن الثاني عشر.

24) 8 ذي الحجة 15/1280 ماي 1864.

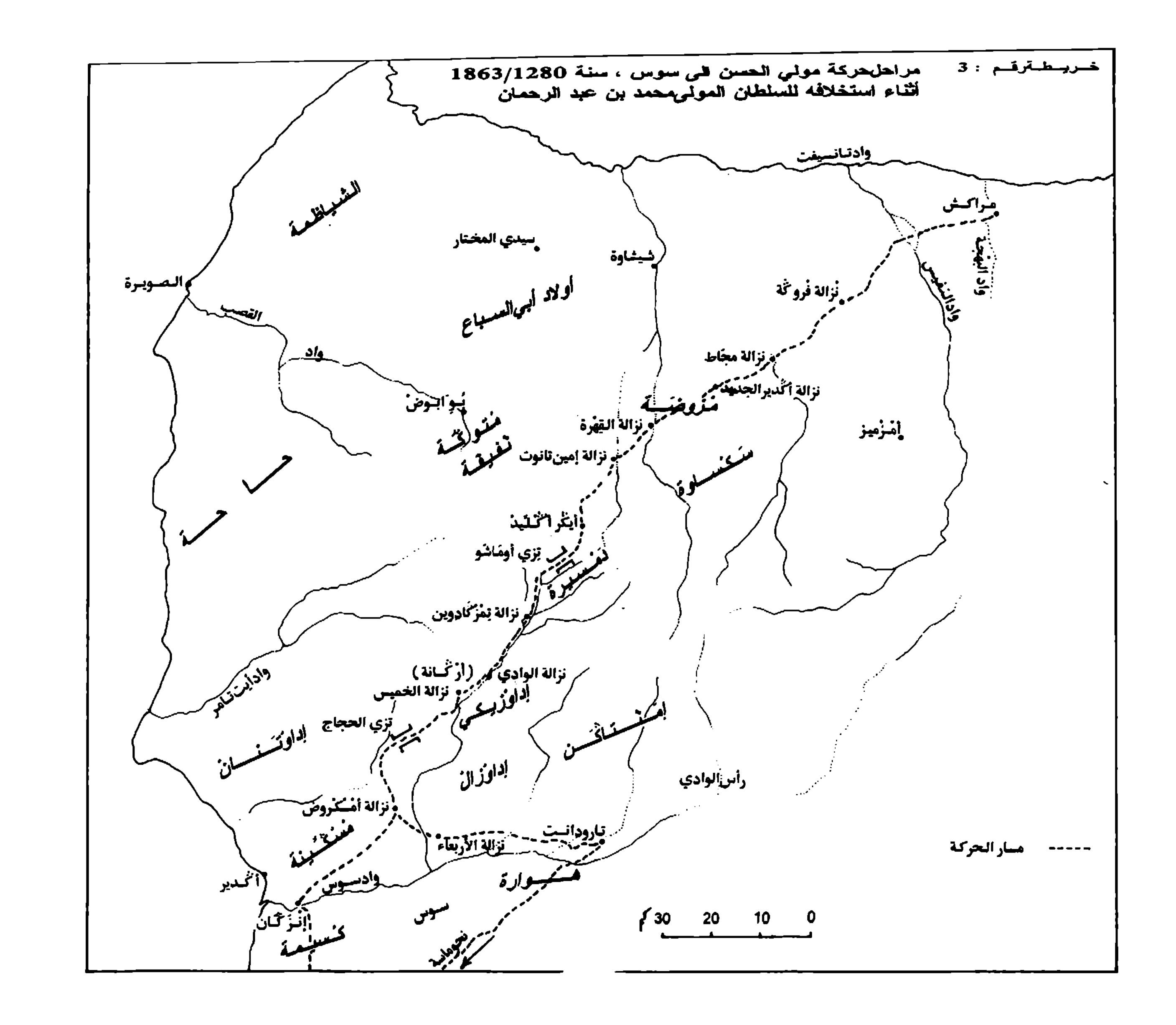
25) 25 ذي القعدة 1280/ 2 ماي 1864. "إن المحلة نهظت من أرگانة للمبيت بعريمة القمح" ن.م.

26) **فدان السلطان** : عبارة عن فسيح برُهالة ويعرف محليا بايگرْنْ أگلّيد يوجد على أقل من 20كلـم مـن إمين تانوت في اتجاه الجنوب.

27) 28 ذي القعدة 1280/ 6 ماي 1864. ن.م.

28) 28 ذي القعدة 1280/ 6 ماي 1864. ن.م.

29) 8 ذي الحجة 1280/ 15 ماي 1864. ن.م.



خريطة رقم : 3
مراحل حركة مولي الحسن في سوس، سنة 1863/1280
أثناء استخلافه للسلطان المولى محمد بن عبد الرحمان
وادتانسيفت
مراكش
واد البهجة
وادالنفيس
الشياظمة
سيدي المختار
شيشاوة
الصويرة
أولاد أبي السباع
القصب
واد
نزالة فروكة
نزالة مجاط
نزالة أكدير الجديد
مزوضة
نزالة القهرة
نزالة إمين تانوت
إمزميز
بوابوض
متوكة
نفيفة
حاحة
سكساوة
أيكر أكليد
تزي أوماشو
نفيسة
نزالة يمزكادوين
وادأيت تامر
نزالة الوادي
(أزكانة)
نزالة الخميس
إداوزيكي
تزي الحجاج
إداوتنان
إمسكين
إداوزال
رأس الوادي
نزالة أمكروص
مسكينة
نزالة الأربعاء
تارودانت
أكدير
وادسوس
هوارة
سوس
إنزكان
كسيمة
نجوماية
مسار الحركة
30 كم 20 10 0

كـانت الاستعدادات للحركـة جاريـة قبـل رحيلهـا، فصـدر الأمـر للمحلـة، "لتشـتري علـف الخيـل، وما يخص على سعة من الوقت"(30) كمـا قـام عبـد اللـه أبهـي الحـاحي، بدفـع مئونـة المحلـة، وكذلـك رمـاة قبيلتـه(31) أثنـاء الاسـتعدادات لـلرحيل، ممـا يفهم منه أن عبد الله أبهي، كان حاضرا بمراكش، قبل انطلاق الحركة إلى سوس.

ولمـا شرعت المحلة في التنقل، كانت المئونة تقدم لها أينما حلت، ذلك ما وقع لما حلت بوادي النفيس(32)، ففروگة(33)، وأسيف المال(34)، والقـاهرة(35). ولكـن لمـا وصلـت إلـى إيمن تانوت، قام عبد الله أبهي بما يحتاج إليه من المئونة، فقد "وجه صائر 4 أيـام، وكتب له على الخاص، وقبل عوض المئونة من المتوگي"(36). ممـا يثـير تسـاؤلات عـن أسـباب رفـض قبـض المئونـة مـن المتوگـي، وقـد يمكـن تفسـير ذلك بغضـب السـلطة المركزيـة عليـه، فعوضـه أبهـي فـي القيـام بواجب المحلة، كتأديب للمتوگـي أمـام المـلأ مـن العمال والقبائل، وسدد أبهي ما تبقى عليه من المئونة (37)، قبل وصول المحلة إلى هوارة.

ولمـا أقـامت المحلـة بسـوس، فإن بعض المعلومات المتوفرة عن مئونتها، تبين أنها أرهقـت السـكان، ممـا جعلهـم يشـتكون منهـا فكـان "اسـتكثار عـامل سوس وقتئذ الدقيق، الذي يدفع للمحلة، وطلب الحطيطة منه"(38). وقـد راعت السلطة المركزية

30) 9 صفر 1282/ 26 يوليوز 1863. ن.م.

31) 9 صفر 1280 "طلب ولد أبه دفع مئونة المحلة وراميهم فسوعد على ذلك" ن.م.

32) 9 صفر 1280 "قام بمبيتها من قام به" ن.م.

33) 10 صفر 1280/ 27 يوليوز 1863. " قيام من عليه المئونة بها" ن.م.

34) 12 صفر 1280/ 29 يوليوز 1863. "قام بالمئونة من هي عليه" ن.م.

35) 16 صفر 1980/ 2 غشت 1863. "إن من عليه مئونة المحلة ليلة مبيتها بالقهرا من العمال قام بها" ن.م.

36) 16 صفر 1280/ 2 غشت 1863. ن.م.

37) 20 صفر 1280/ 6 غشت 1863. "إن الخاص في مئونة أبه عن الأيام الأربعة دفع عنه الباقي"، ن.م.

38) 9 ربيع الأول 1280/ 24 غشت 1863. ن.م.

تلك الشكوى، فوجهت "التقييد لما يكون عليه العمل"(39)، كما كانت مشكلة المئونة من أسباب "العزم على النهوض من رأس الوادي، لشكاية أهله بإجحاف المحلة بهم في المئونة"(40). ويظهر من هذا، أن القبائل بسوس تشكت من إجحاف المحلة بها في المئونة، فلبت السلطة المركزية شكواها، فأعادت النظر في مقادير المئونة، لما خاطبها العامل في الأمر، كما أمرت برحيل المحلة من رأس الوادي(41)، نحو هشتوكة تعففا عن أهله. إلا أن تلك القبائل، قامت أيضا باستيفاء ما فرض عليها من المئونة، ذلك ما حدث، لما انتقلت المحلة من هشتوكة إلى مسگينة، فإن سكان القبيلة "زادوا ما كان بقي عليهم في المئونة، مدة إقامة المحلة ببلاد هشتوكة، حيث كانوا لم يقوموا بها في ذلك الوقت"(42). وقد تكون أسباب الشكوى من المئونة، ترجع لطول المدة التي مكثتها المحلة بسوس.

وأثناء العودة عبر الطريق الرابط بين أمسكروض وإمين تانوت، كان عبد الله أبهي، قد كلف بتقديم المئونة، مثل غيره من العمال(43). إلا أن الملاحظ أن أبهي "طلب دفعها دراهم فلم يساعد"(44). مما يوضح أن المئونة تقدم أحيانا أموالا، إذا كان بإمكان المحلة، أن تشتري ما هي في حاجة إليه، إلا أن الخليفة رفض ذلك، وخاصة أن المحلة كانت تمر بمنطقة جبلية، قد يصعب الحصول فيها على كل الحاجيات شراء، وقد يكون دافع أبهي إلى رغبته بأداء المئونة نقدا، أنه كان في خلاف مع قبيلة إداوزيكي، التي كانت ضمن إيالته، والتي يمر بها الطريق. حتى إن المحلة لما "توجهت للمبيت بنزالة الوادي، لم تقدم لها المئونة لمخالفة أهل المحل

39) 9 ربيع الأول 1280/ 24 غشت 1863. ن.م.

40) 13 جمادى الثانية 1280/ 25 نوفمبر 1863. ن.م.

41) 13 جمادى الثانية 1280، " الحكم عليه بالأمر بالنهوض" ن.م.

42) 9 ذي القعدة 1280/ 16 أبريل 1864. ن.م.

43) 22 ذي القعدة 1280/ 29 أبريل 1864. "إن الطالب عبد الله أبه أمر بالقيام بما فيه الكفاية من المئونة للمحلة كما أمر غيره" ن.م.

44) 22 ذي القعدة 1280/ 29 أبريل 1864. ن.م.

مع العامل"(45). ويظهر أن القبيلة استغلت وجود خليفة السلطان بأراضيها للتعبير عن احتجاجها، ضد العامل، فأحجمت عن تقديم أي دعم مادي للمحلة، ما دامت في خلاف مع العامل، فاستعملت ذلك كوسيلة ضغط ضده، فاضطرت المحلة إلى الانتقال إلى عريمة القمح(46) بأرض دمسيرة، وقد استمر أبهي في القيام بالمئونة في كل المناطق التي تلزمه فيها(47)، ولمدة خمسة عشر يوما(48)، منذ أن انطلقت المحلة من أمسكروض إلى أن تجاوزت إيمن تانوت، عبر أراضي إداوزيكي، ودمسيرة ونفيفة، وهي القبائل التي تشغل منخفض إسّنْ - آسَرتّو، ويظهر أن تلك المئونة كانت مهمة، حتى إن "ما فضل عنها، قضي فيه دين علي أربابها للامناء من أجلها"(49). وقد يفهم من هذا أن المئونة تتعطل عن المحلة، أو تكون غير كافية، أو تكون هناك مصاريف طارئة، أنفقت عليها، فيضطر الامناء الاستدانة. ولما يكون هناك فائض عن المئونة، كما حدث من مئونة أبهي، فإنه يستغل لسداد ديون المحلة.

هكذا، منذ أن خرجت المحلة من مراكش إلى أن عادت إليه، كانت القبائل تمونها بكل حاجياتها، والتي تصل أحيانا إلى درجة الاضرار بها، مثل ما حدث بسوس، نظرا لطول إقامتها به، كما تستغل أيضا للضغط على أجهزة الدولة، مثل ما قام به إداوزيكي ضد عبد الله أبهي عاملهم، الذي يلاحظ أن نصيبه في تموين المحلة، كان كبيرا، خاصة أثناء عبورها منطقة الأطلس الكبير الغربي، ذهابا وإيابا، وتظهر أهمية ما أسهمت به القبائل من مئونة المحلة في طول المدة التي مكثتها وتقترب من سنة.

---

45) 25 ذي القعدة 1280/ 2 ماي 1864. ن.م.

نزالة الوادي الهامش 8.

46) 25 ذي القعدة 1280/ 2 ماي 1864، نهضت من أركانة "للمبيت بعريمة القمح" . ن.م.

أركانة هي نفسها نزالة الوادي ص 131.

عريمة القمح، الهامش 7.

47) 28 ذي القعدة 1280/ 5 ماي 1864، "إن أبه قام بالمئونة في المواضيع التي يلزمه فيه القيام" . ن.م.

48) 1 ذي الحجة 1280/ 8 ماي 1864. "تقييد مئونة أبهى عن 15يوما". ن.م.

49) 1 ذي الحجة 1280/ 8 ماي 1864. ن.م.

2 ـ أهداف الحركة المباشرة :

إن حركـة سـوس التي استغرقت ما يقرب من سنة، لا بد أن لها أهدافا تطمع في تحقيقهـا، وكـان المغـرب آنـذاك، قد عرف انهزامين عسكريين، خلال ستة عشر سنة وترتبـت عنهمـا عواقـب مسـت هيبـة الدولـة ومدخولهـا، وخاصـة ما نجم عن الانهـزام أمـام إسـبانيا، الذي كلف بيت المال أموالا طائلة، كان تسديدها عبئا ثقيلا على السكان والدولة(50). ولذلـك لـم تمـر سـوى ثـلاث سنوات على هذا الانهزام، حتـى كـانت حركـة المولـى الحسن إلى سوس، بأمر من السلطان، الذي قرر "توجيه سيدنا للقبـائل السوسـية، مـع مـن وجـه معـه، وتقييد وبيان سر التوجيه"(51)، هـذا القـرار الـذي اتخـذ قبـل مغـادرة الحركـة لمراكـش، موضحـا فيه الأشخاص المرافقين للخليفـة، مـن رجـال السـلطة والجيـش، كمـا حدد خطة الحركة وأهدافها المباشرة، التـي ظلـت سـرية، ويمكـن التعرف على بعض جوانبها، من خلال تصرفات الحركة بسـوس، خاصـة مـا يتعلـق منهـا بجمـع الأمـوال الـذي تم بطريقتـين، طريقـة جمـع الضرائـب، التـي عـبرت عنهـا الوثـائق بقبـض الواجـب، وطريقـة العطاءات المعروفة بالملاقاة والهدايا.

2 ـ 1 ـ قبض الواجب :

كـان قبـض الواجـب مـن جملـة الأمـور، التـي تكلفـت بهـا الحركـة، وذلك باستيفاء الواجبـات المترتبـة علـى قبائل سوس، فصدرت خطة للعمل في هذا الاتجاه للخليفـة، أثنـاء الطريـق، وقبـل وصولـه إلـى سـوس، على أن يتم ذلك تدريجيا، بدأ بـالتخييم بهـوارة "حتـى يكمـل الغرض من قبض الواجب ثم ينتقل إلى رأس الوادي ولا يدخل المدينة"(52). فظهـر بوضـوح أن الهـدف المباشـر، هـو قبـض الواجب من

---

50) تراجع دراسة الأستاذ جرمان عياش حول هذه الأعباء
"جوانب من الأزمة المالية بالمغرب بعد الغزو الإسباني) المطبعة المغربية، رويال، الرباط، 1959.

51) 3 صفر 1280/ 20 يوليوز1863. كناش 47، إن هذا القرار اتخذ قبل رحيل الحركة إلى سوس بستة أيام.

52) 18 صفر 1280/ 4 غشت 1863. ن.م.

القبائل السوسية، إلا أن ما يثير التساؤل، كون الحركة لم يؤذن لها بدخول مدينة تارودانت، مع أنها القاعدة الرسمية بسوس.

وما أن حلت الحركة بسوس، حتى توافدت عليها "القبائل السوسية كمْسْگينة، وگْسيمة وأهل ردانة وأگدير"(53)، التي استمعت إلى "قراءة الكتاب الشريف عليها"(54)، دون تحديد محتويات هذا الكتاب، ويلاحظ أن وفدي المدينتين الرئيسيتين كانا، من أوائل من استقبل الخليفة، بالإضافة إلى وفدي قبيلتين متجاورتين، مسگينة على أبواب الطريق الرابط بين مراكش وسوس، وگسيمة المجاورة لأگادير، وبعد هذا الاستقبال، شرع الخليفة في قبض الواجب، فوضع تحت تصرف القائد محمد بن الطاهر الذوبلالي المتولي، على أگدير، القوة التي طلبها لقبض الواجب(55)، ورغم أن القرار اتخذه المولى الحسن، فإنه اضطر لمراجعة السلطة المركزية للمشاورة في الأمر، والتي صدر منها "الإذن في المشورة"(56) مما يبين أن الترخيص باستعمال القوة، كان يتوقف على إذن السلطان، خاصة أن المنطقة نائية، وأن التلويح باستعمال القوة، قد يعرقل الغرض الذي قامت الحركة من أجله. باستثناء إذا كان الهدف هو جعلها أداة للضغط، على من يرفض أداء الواجب، وقد كانت هذه الحالة الوحيدة، التي ورد فيها طلب استعمال القوة لقبض الواجب، أثناء وجود الحركة بسوس.

لقد حرص المولى الحسن على تنفيذ خطة العمل الموجهة له، بـ "الامتثال بما كان عليه العمل، من التخييم بهوارة أولا، ثم إذا أدوا الواجب، يقع الانتقال على

---

53) 29 صفر 1280/ 15 غشت 1863. ن.م.

54) 29 صفر 1280/ 31 يوليوز 1803. ن.م.

55) 30 صفر 1280/ 1 غشت 1863، "ما طلب ابن الطاهر الذوبلالي من الخيل لقبض الواجب فسوعد" ن.م.

56) 30 صفر 1280/ 1 غشت 1863. ن.م.

التدريج المامور به"(57). واستلزم استيفاء الواجبات التنسيق، بين الأجهزة المكلفة بها، فلذلك تم "توجيه الأمين لعامل سوس، لقبض الواجب، وبيان كيفية العمل في ذلك"(58)، مع أجرة(59) خاصة له، فيكون عمل المولى الحسن، هو مراقبة شاملة لعمل هذه الأجهزة، أثناء استيفاء الواجبات من القبائل، التي لم يكن أداؤها يتم على نهج موحد، ذلك أن قبائل "الجبال السوسية، تكاسلوا عن استكمال واجبهم، وأن إخوانهم أهل السهل، وأهل البلد، أخبروا أن تلك عادتهم"(60). يبين هذا أن القبائل السوسية، سواء الجبلية أو السهلية، كانت بينها رابطة الأخوة، وأن تنوع سكنها، لا يشكل أي حرج في اشتراكها في القيام بالمهام الجماعية، بل إن هذا لا يرقى إليه الشك، رغم ما يعتريه من تهور على اعتبار أن الأمر عادة مأثورة. وقد تفسر عوامل متعددة هذا التماطل، من صعوبة العمل داخل الجبال، للمكلفين بالواجبات، وكذلك صعوبة الأداء أحيانا، خاصة إذا كان الأمر يتطلب أن يكون نقدا، وقد كان موقف المولى الحسن من هذا التماطل، مراعاة ما درج عليه الناس "فعوملوا بمقتضى العادة"(61). وخاصة أن التماطل، كان عاما، تظاهرت به القبائل، كقبيلة مسگينة التي شرعت في أداء الواجب، منذ وصول المحلة لهوارة، ولم تستكمله إلا حينما رجعت المحلة من هشتوكة، "إتمام قبيلة مسكينة بدفع ما كان بقي عليهم من الواجب"(62) ذلك أن الهدف هو الحصول على الأموال، فلا بد من استعمال كل الأساليب، بما فيها احترام تعامل السكان.

---

57) 30 صفر 1280/ 1 غشت 1863. ن.م.

58) 8 ربيع الأول 1280/ 23 غشت 1863. ن.م.

59) 8 ربيع الأول 1280، "تقدير أجرة الأمين"

60) 22 ربيع الثاني 1280/ 26 أكتوبر 1863. ن.م.

والملاحظ أن "أهل البلد" المقصود به أهل تارودانت إذ كلما كانت الإشارة إلى سكان المدن فيعبر عنها بأهل مثل "أهل أگدير وأهل تارودانت"، 29صفر 1280، 31يوليوز 1863.

61) 22 ربيع الثاني 1280/ 6 أكتوبر 1863. ن.م.

62) 9 ذي القعدة 1280/ 16 أبريل 1863. ن.م.

كـان إيداع الأموال في مكان آمن، من المشاكل التي اعترضت المولى الحسن، خاصـة بعـد استيفاء واجب كل من هوارة وقبائل رأس الوادي، وأخذ يستعد للاتجاه نحـو هشـتوكة ووادي ولغـاس، فلذلك راجع السلطة المركزية، قصد "الاستئذان في حمـل المـال أو إبقائـه بردانـة"(63)، والتـي كـان قرارهـا "صـدر الحكـم بإبقـاء المال بردانة"(64) ممـا يبـين أن السـلطة المركزيـة، لـم تكـن مطمئنة من الأخطار، التي يمكـن أن تتعـرض لهـا المحلـة، أثنـاء توجههـا نحو الجنوب، هشتوكة ووادي ولغاس، والذي سبقت الإشارة إلى التفاوض عليه(65). ولذلـك كـان مـن الطبيعـي أن تتخذ كل الاحتياطات، بما فيها الأمان على الأموال من كل تلف.

لـم تكـن القبـائل وحدهـا، التـي أسـهمت في أداء الواجب، فقد شاركت فيه أيضـا مدينـة تـارودانت، التـي دفـع أهلهـا عشر آلاف مثقال للمولى الحسن(66). إن هـذه المشـاركة الجماعية، من القبائل السهلية والجبلية وأهل المدن، في أداء الواجب، مـا كـانت تتـم لـو لـم تكـن العادة دارجة على ذلك، إلا أن هذه المرة اتخذت صفة رسـمية، بتوجيه الدولة لحركة نحو سوس، قصد الحصول على ذلك الواجب، الذي يظهـر أن الظـروف العامـة للبـلاد، كـانت تسـتدعي مثـل تلك التعبئة، والتي كانت المشاركة فيها أيضا بأسلوب آخر.

2 ـ 2 ـ العطاءات المختلفة :

إن القبـائل والقواد وحتى المرابطين أسهموا في العطاء، إما عن طريق الهدايا أو الملاقاة، طيلة المدة التي مكثها المولى الحسن بالمنطقة، سواء في الدير وسوس.

63) 3 جمادي الثانية 1280/ 15 نوفمبر 1863. ن.م.
64) 3 جمادى الثانية 1280/ 15 نوفمبر 1863. ن.م.
65) راجع ص ص 132-133.
66) 8 شوال 1280/ 17 مارس 1864. ن.م.

قدمت قبائل الدير هداياها، أثناء مرور الخليفة بها ذهابا وإيابا، فما أن حل بقبيلة فروگة، حتى "أهدى من أهدى"(67) ولما وصلت المحلة إلى سوس، توافدت القبائل عليها گسيمة ومسگينة وأهل أگدير وتارودانت(68)، وقبيلة إداوْزال التي دفعت كهدية بغلة(69). ولما حلت المحلة بهشتوكة تلقت "ما أهداه أيت حامد ومنتاگة ومرابطو هشتوكة وأولاد جرار وأهل تزنيت وأگلو والساحل وأيت موسى أولك وأولاد عبد السلام"(70) ثم "قبائل ولتية"(71). ويفيد هذا أن معظم القبائل

(67) 10 صفر 1280. ن.م.

(68) 29 صفر 1280، 31يوليوز 1863. راجع صفحة 140.

(69) 13 جمادى الأولى 1280/ 26 أكتوبر 1863. "البغلة التي دفع اداوزال" ن.م. قبيلة **إدَاوْزَال** (بتفخيم الزاي) تقع على السفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي بين إداوزيكي غربا، وإرْگيتنْ شرقا، وهوارة جنوبا وإداومحمود شمالا، وهي تشرف على فرع الطريق الذاهب إلى سوسو عبر بيباوْنْ (انظر معلمة المغرب ج 1، ص ص 223 - 224).

(70) 14 رجب 1280/ 25 دجنبر 1863. ن.م.

أيت حامد : فرقة من اتحادية هشتوكة.

منتاگة : قبيلة توجد بالسفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي شمال تارودانت وتحدها غربا رگيته وشمالا تشكا إداومحمود وشرقا إتحادية زْدَاغة وجنوبا قبيلة أيت إيكَاسْ، وأهل تارودانت، ومنتاگة من القبائل القديمة ورد ذكرها عند البيدق.

أولاد جرار : من القبائل العربية التي استوطنت السهول الجنوبية لسوس، ذكر المختار السوسي أن المرينيين أيدوهم في السيطرة على تلك السهول، فضايقوا بذلك السكان الجزوليين، وتطورت أمور الجراريين إلى الارتباط في علاقات تجارية مع البرتغاليين لما احتلوا مراكز في شواطئ سوس، فحاربهم الجزوليون مع السعديين، فقلصوا نفوذهم في القرن السادس عشر وازداد ذلك النفوذ تراجعا في القرن السابع عشر لما حاربهم الأمير بودميعة لتعاونهم مع غريمه يحيى الحاحي، فانكمش بذلك الجراريون "إلى المكان الذي استقروا فيه إلى الآن" (خلال جزولة ج 2. ص 168) وهو جنوب تزنيت بين أهل تزنيت وإدا وابا عقيل شمالا وأيت رْخا شرقا وأيت باعمران جنوبا وأگلو والساحل غربا.

أگلو : توجد قبيلة أگلو على المحيط يحدها شمالا أهل المعدر وشرقا أيت تزنيت وأيت برايم وجنوبا أيت الساحل، وتضم قبيلة أگلو مقر زاوية وَگّاگ المتوفى سنة 445هـ (خلال جزولة. ج 1. ص 77) وقد تأسف المختار السوسي على أنه كلما سأل عن "آثار من آثاره هناك لا أُجَاب إلا بالنفي، فقلت هكذا ذهب من ربي مؤسس الدول ابن ياسين صقر سوس" (ن. م. ص 79) كما تضم أگلو أيضا على الشاطئ خليجا صغيرا يسمى تامْدَا أگلو وشغل مرسى، خاصة في القرن السابع عشر من طرف بودميعة (معلمة المغرب ج 1. ص 628) =

السوسية، بما فيها القبائل الصحراوية شاركت في التوافد على الخليفة، بما في ذلك القبائل الجبلية كقبيلة منتاگة، والتي تقع بالسفح الجنوبي للأطلس الكبير، شمال تارودانت. فكان هذا اللقاء بهشتوكة موسما، تمازجت فيه القبائل السوسية دون تمييز.

وأثناء رجوع المحلة في طريقها نحو مراكش، تلقت هدايا دويران(72) وسكساوة(73)، وأولاد أبي السباع(74)، ومجاط(75)، وفروگة(76)، وإيالة الگرگوري(77). وهي قبائل سهلية وجبلية، على امتداد الطريق بالدير، إلى أبواب مراكش. وإن مشاركة كل هذه القبائل، لم يرد عنها مقادير مشاركتها، إذ يكتفي بالإشارة إلى أن الإدارة المركزية توصلت بتقييداتها.

لقد كان القواد أيضا، من جملة من تقدموا بالهدايا، أحيانا بصفة منفردة، وأحيانا أخرى على رأس وفود قبائلهم. فما أن حلت المحلة بدويران أثناء ذهابها إلى

= **الساحل** : قبيلة توجد جنوب أگلو على المحيط يحدها جنوبا أيت باعمران وشرقا أيت برايم.

71) 5 شعبان 1280/ 15 يناير 1864. ن.م.

قبائل ولتيتة : هي اتحادية تضم قبائل إداوباعقيل وإداوْسَمْلال، ورَسْموكة، وتقع هذه الاتحادية على السفح الشمالي الغربي للأطلس الصغير، وتشرف على السهل المعروف بأزغار. وتعتبر من القبائل القديمة بسوس حتى أنه يؤول مصطلح سيلا تيت الوارد عند بلين الروماني بأنه يعني إداو ولتيت (Justinard Hesperis 3 tr. 1925. p.266)

72) 30 ذي القعدة 1280/ 7 ماي 1864. ن.م.

73) 30 ذي القعدة 1280/ 7 ماي 1864. ن.م.

74) 8 ذي الحجة 1280/ 14 ماي 1864. ن.م.

75) 8 ذي الحجة 1280/ 14 ماي 1864. ن.م.

76) 8 ذي الحجة 1280/ 14 ماي 1864. ن.م.

77) 8 ذي الحجة 1280/ 4 ماي 1864. ن.م.

مجاط : قبيلة توجد على مخارج أسيف المال وتحدها شرقا فروگة وغربا أولاد أبي السباع وجنوبا مزوضة وگدميوة، ومجاط قبيلة دخيلة إلى الحوز، وتتكون من فرعين. فرع كبير ذو أصول أمازيغية ينتمي إلى مجاط بسوس، وفرع صغير ذو أصول عربية من الصحراء.

إيالة الگرگوري : قيادة تنتسب إلى أگرگور الذي يوجد على هضبة كيك وتمتد القيادة على قبيلتي واوْزْكيتْ بكيك وعلى سكتانة بالسفوح الشمالية لكيك، وهي تراقب مدخلي وادي نفيس غربا ووادي غيغاية شرقا.

سوس، حتى استقبلها العمال الذين "تلاقوا على العادة"(78). وأثناء الطريق، كانت "ملاقات محمد ابن عمر البحتري"(79)، وهو من القواد المرموقين الذين رافقوا المحلة، وينتمي إلى قبيلة البحاترة بعبدة، ثم أيضا القائد عمر الحنشاوي(80)، الشيظمي.

ولما حل الخليفة بسوس، "تلاقي ابن الطاهر الذوبلالي، وابن بومهدي وبن الارباعي"(81) وأثناء عودته منه تلقى "ما أهداه السباعي والمتوكي وقبيلتهما"(82) ويلاحظ أن مئونة المتوكي(83)، قد رفضت أثناء ذهاب المحلة إلى سوس، في حين قبلت هديته أثناء عودتها، وربما كان يحاول إرضاء السلطة المركزية.

لم يقتصر عمل هؤلاء القواد على تقديم الهدايا، ومرافقة المعينين منهم للمحلة، رغم أنهم لا ينتمون للمنطقة كالعبدي والحنشاوي، وإنما كانوا حريصين

---

78) 16 صفر 1280/ 2 غشت 1863. ن.م.

79) 18 صفر 1280/ 4 غشت 1863. ن.م. ملاحظة يرد ذكر محمد البحتري أيضا بالعبدي

80) 20 صفر 1280/ 6 غشت 1863. "القائد الحنشاوي تلاقي" . ن.م.

81) 4 ربيع الأول 1280/ 19 غشت 1863. ن.م.

ابن بومهدي : ينتمي إلى أسرة تولت قيادة هوارة في القرن التاسع عشر، فكان منها حماد بن بومهدي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وقد كان نفوذه يمتد على كل سوس من أكادير إلى سكتانة إلى وادي نون (إيليغ قديما وحديثا، ص 251) وناهضته القبيلة التي "تكرر قتاله معهم حتى مات من الفريقين عدد كبير" (المعسول. ج 20 ص 254، رسالة مؤرخة ب 3 ذي القعدة 1263) ويظهر أن هذه النزاعات بينه وبين هوارة أو طرف منها هو الذي دفع عبدالله أبهي لاتهامه بأن "فساد سوس على سائر الدوام مجموع في رأس بومهدي" (رسالة أبهى إلى السلطان المولى عبدالرحمان 24جمادى الأولى 1270. خ. ح) وأن هذا التصرف من بومهدي أدى إلى اعتقاله، لكن يظهر أن القيادة استمرت في عائلته ولذلك التقى المتولى منها، مع الخليفة المولى الحسن أثناء حركة سوس دون ذكر اسمه، ويبدو أنه كان علي بن بومهدي الذي سجن بدوره سنة 1285 (كناش 47) وتجددت القيادة في الأسرة على يد محمد بن بومهدي من 1299 إلى أن توفي 1344 (خلال جزولة. ج 4. ص 144).

ابن الطاهر الذوبلالي : من قواد المخزن وتولى في عدة مناصب كسوس سنة 1280/1863ثم حاحة سنة 1288/ 1871.

82) 30 ذي القعدة 1280/ 7 ماي 1864. ن.م.

83) راجع صفحة 136.

علـى الإشـادة بأعمـالهم، ومثـال على ذلك "وقوف القائد محمد بن عمر البحتري، ونصحه في الخدمة"(84)، مما نجم عنه أن "كتب له من شريف الحضرة بالمجازاة على فعله"(85). امتنانا بما قدمه من خدمات للدولة، وتشريفا له أمام القواد الآخرين، لحثهم بطريقة غير مباشرة على المزيد من الإخلاص للدولة.

لقد كان المرابطون، وأفراد مستقلون من جهة أخرى، ممن قدموا الهدايا للخليفة. فما أن أشرف على سوس، حتى كانت ملاقاة الحاج عبد الله بن عمر(86) رئيس زاوية أسيف يݣ، الواقعة على الطريق، بين تزي الحجاج وامسكروض. ولما حل الخليفة بسوس، توافد عليه "من كان تأخر عن القدوم من مرابطي القطر وادائهم الهدية"(87)

واستمر المرابطون، يؤدون هداياهم أينما حل الخليفة، فقدمها مرابطو هوارة (88)، لما حل بها، ثم "مرابطو هشتوكة"(89) لما حل بها أيضا، ووفد عليه بالهدية "السيد بدوح بن عم الحسين أهاشم"(90). وكذلك المرابط السملالي"(91)، وانفرد هؤلاء بهديتهم، لما لهم من نفوذ وصيت بالمنطقة.

ولقد أسهم في الهدايا أيضا أطراف أخرى، كأفراد، لم تذكر لهم صفة سلطوية ولا رباطية، مثل "ما أهداه ولد الحاج أحمد نان"(92). وكذلك أهل المدن كأهل تزنيت(93)، وأهل أݣدير(94).

---

84) 4 رجب 1280/ 15 دجنبر 1863. ن.م.
85) 4 رجب 1280/ 15 دجنبر 1863. ن.م.
86) 24 صفر 1280/ 10 غشت 1863. ن.م.
87) 1 ربيع الأول 1280/ 16 غشت 1863. ن.م.
88) 4 ربيع الأول 1280/ 19 غشت 1863. ن.م.
89) 14 رجب 1280/ 25 دجنبر 1863. ن.م.
90) 5 شعبان 1280/ 15 يناير 1864. ن.م.
91) 5 شعبان 1280/ 18 يناير 1864. ن.م.
92) 5 شعبان 1280/ 15 يناير 1864. ن.م.
93) 14 رجب 1280/ 24 دجنبر 1863. ن.م.
94) 13 ذي القعدة 1280/ 20 أبريل 1864. ن.م.

وهكذا، أسهمت كل التشكيلات السكانية، الاجتماعية والسلطوية في تقديم العطاءات، تلك العملية التي تتسم بنوع من المشاركة الاجتماعية، ذات الصبغة العوائدية، التي تمتزج بالرضى والإكراه، موضحا بذلك أن الإسهام في تحملات الدولة، لا يقتصر فقط على الواجبات الشرعية، بل تدخل فيه إسهامات ذات أصول عوائدية، اكتسبت مع الزمن شرعية اجتماعية، جعلت الدولة تعدها، ضمن مصادرها، كما جعلت السكان ينصاعون لأدائها.

3 ـ التطلعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية للحركة :

عرفت حركة المولى الحسن إلى سوس تطلعات مختلفة تمثلت فيما حاولت القيام، به من أعمال لم تقتصر فقط، على استيفاء الواجبات. وإنما تناولت جوانب مختلفة، من الحياة العامة بالمنطقة، من أمور سياسية ترتبط بالتعامل مع القوى المحلية، وأمور تمس جوانب اقتصادية، هذه التطلعات التي لم تخل من مشاكل وصعوبات كان الخليفة يراجع فيها السلطان.

3 ـ 1 ـ التطلعات السياسية :

ارتبطت هذه التطلعات بالتعامل مع القوى المحلية، التي كانت تعبر عن طموحات سياسية، تحاول من خلالها الاستفادة، من موقعها الجغرافي، الذي يقع وراء وادي ولغاس جنوبا، هذه المنطقة المنفتحة على الصحراء، بكل ثقلها الاقتصادي، وإمكانات القيام بالمناورات، أمام السلطة المركزية، التي تقع مناطق قراراتها شمال الأطلس. لذلك كان على الحركة أن تضبط علاقاتها، مع القوى المحلية التي تقع بهذه المنطقة، وخاصة أنها تحاول المحافظة على مصالحها، وحرية التصرف في الشؤون المحلية، والاستفادة من الإمكانات، التي يضمنه لها مركزها الاجتماعي والاقتصادي، هذه القوى المشكلة، من القبائل، وهيئات اجتماعية لها أصول متجدرة بالمنطقة، فأصبحت لها مشاعر هيبة، امتزجت بالمحافظة على مصالحها، وبالأدوار التي تقوم بها، تلك الهيئات التي تتكون : من جماعة إيليغ على رأسها أسرة آل هاشم، وجماعة تكنة على رأسها أسرة آل بيروك.

3 - 1 - 1 - *السلطة المركزية وقبائل وادي ولغاس :*

إن التعامل مع قبائل وادي ولغاس ووراءه، لم يقتصر على الحركة وحدها، وإنما استلزم مراجعة السلطان، لما تطرحه هذه القبائل من حساسية سياسية. كان على السلطة المركزية أن تواجهها، فقد سبقت الإشارة، إلى أن الانتقال من رأس الوادي شمال سهل سوس إلى جنوبه نحو ولغاس، اقتضى اتخاذ احتياطات، من مفاوضات واستعداد عسكري(95)، وخلو من الأموال(96).

لقد كان حلول المحلة "بشاطئ وادي ولغاس"(97)، في منتصف شعبان 1280/ يناير 1864 إلا أنه لم يكن حلولا سليما، فقد أدى إلى وضعية مضطربة، ذلك "أن أهل عدويته فزعوا من نزولها هناك"(98). فعم الاضطراب كل القبائل، سواء الواقعة على الضفة اليمنى للنهر والتي نزلت المحلة بها، أو الواقعة وراء النهر، مما أدى إلى دخول تلك القبائل في مفاوضات مع المحلة، نجم عنها أن "استأمنت"(99) تلك التي تقع على الضفة اليمنى، ف"رجعت لإعطاء الواجب"(100)، الذي كان من أهم أهداف الحركة. في حين استمرت تلك التي تقع وراء الوادي في المفاوضات، معتمدة على الأطراف التي لها نفوذ بالمنطقة. ف"طلبوا من ابن الدليمي التوسط في الأمان"(101) بل لجأوا إلى العنصر الأساس بالمنطقة ابن هاشم، الذي "وعدهم

---

95) راجع صفحة 132-133.

96) راجع صفحة 142.

97) 17 شعبان 1280/ 27 يناير 1864. ن.م.

98) 17 شعبان 1280/ 27 يناير 1864. ن.م.

99) 17 شعبان 1280/ 27 يناير 1864. ن.م.

100) 17 شعبان 1280/ 27 يناير 1864. ن.م.

101) 17 شعبان 1280/ 27 يناير 1864. ن.م.

ابن الدليمي : ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخدماتها للسلطة المركزية في القرن التاسع عشر، كقواد على هشتوكة. تولى منها القائد محمد بن مبارك (1207- 1239). ثم علي بن محمد إلى حدود 1250هـ، ثم محمد ابن علي إلى سنة 1270، ثم محمد بن علي آخر إلى سنة 1285. ولعله المقصود أثناء حركة سوس، ثم القائد إبراهيم الذي استمر إلى سنة 1307، وكانت قيادة الدليمي على معظم هشتوكة طيلة القرن التاسع عشر، تارة تثور عليها القبيلة، وتارة يتولون حتى قتل الشيخ موماد سنة 1332. (المعسول ج 14ص ص 108- 110- 125).

بالإتيان معهم"(102). كـان ذلـك ملخـص الوضعية التي عرفها المولى الحسن، حينما وصـل إلـى وادي ولغـاس، مما أوجـب عليـه أن يتصرف بما يضمن استقرار القبائل، وأن الحركـة مـا اسـتهدفت شـيئا آخـر غـير اسـتيفاء الواجـب، فطلـب مـن السـلطة المركزيـة، بعث "كتاب ليقرأ على قبائل أهل سوس تطييبا لنفوسهم"(103)، ذلـك أن عـودة اطمئنـان القبـائل، يستدعي التدخـل المباشـر للسـلطان، في شكل كتاب يقرأ على جميـع القبائل، موضحا هدف الحركة توضيحا لا غبار عليه، حتى إن الخليفة، اقـترح أن يتضمـن ذلـك التصريـح، "أن المحلـة وجهـت بقصـد قبـض الواجـب، لا بقصد التطويع".(104)

إن هذا القرار يثير تساؤلات حـول كيفيـة التميـيز بين قضيتين رئيسيتين، قضية قبـض الواجـب، الـذي أصرت الحركة عليه، منذ أن حلت بسوس، وقضية التطويع، الـذي عـبرت عنـه أمـام قبـائل وادي ولغـاس. فأما قضية الواجب، فإن سنده شرعي مفـروض علـى الكـل، مهما كانت حالته السياسية تجاه السلطة الزمنية، التي تنصب نفسها دوما لرعاية الشرع الذي يفرض الواجبات الملزمة للجميع(105)، فـي حـين أن قضيـة التطويـع، ترتبـط مباشـرة بدرجـة قـوة السـلطة وهيمنتها، وهذا يفضي بنا إلى تصـور وضعيـة سياسـية شـائكة، تحتـاج مناقشـتها إلـى مزيـد مـن النصوص الرسمية توضـح مفهـوم التطويـع وكيفيـة ممارسـته، وكذلـك نصوص تصدر عن القبائل تبين تصورهـا لهـذا التطويـع، إلا أن مـا توفر منها قد يساعد على تفهم أولي له، ذلك أن حالـة التطويـع، هـي التـي تقـوم فيهـا القبيلة بخدمات متعددة تتجاوز ما هو شرعي، نظـرا لخضوعهـا لسـلطة مكثفة، يمكنها أن تستوفي تلك الخدمات، في أي لحظة ولو قـوة. فـي حـين أن القبيلـة غـير الطائعـة، تلبـي تأديـة الواجـب الشـرعي المحرم عليها

---

102) 17 شعبان 1280/ 27 يناير 1864. ن.م.

103) 22 شعبان 1280/ 1 فبراير 1864. ن.م.

104) 22 شعبان 1280/ 1 فبراير 1864. ن.م.

105) مراجعة مشكل الواجبات. ص ص 230-233.

التصـرف فيـه، لأنه ملك العموم، الذي تقوم السلطة الزمنية، بالنيابة عنه في استيفائه لتنفقـه في أغراض شرعية أخرى، ودون ذلك، تتمسك القبيلة عن القيام به. وخاصة إذا كـانت الظـروف تسـاعدها علـى ذلـك، مثـل ما كانت عليه القبائل، وراء وادي ولغاس إلى حد.

3 ـ 1 ـ 2 ـ السلطة المركزية والجماعتان المتنافستان في منطقة وراء وادي ولغاس، جماعة إيليغ وجماعة تكـنة:

لـم تقتصـر مواجهـة الحركـة بسـوس فقط على القبائل، في منطقة وراء وادي ولغـاس، وإنمـا شـملت أيضـا الجمـاعتين المتنافسـتين، ذات النفـوذ بها، جماعة زاوية إيليـغ، وجماعــة آل بــيروك بتاكنــة، هتــان الجماعتــان اللتــان تختلـف مواقعهمـا، وأصولهمـا التاريخيـة، والاجتماعيـة، ممـا اقتضـى من السلطة المركزية التعامل معهما بحذر.

3 ـ 1 ـ 2 ـ 1 ـ جماعة إيليغ بقيادة آل هاشم :

تستند جماعـة إيليـغ إلـى مـاض عريـق، لـه صلـة بالناسـك السـيد أحمد بن موسـى، الـذي كان له نفوذ روحي، في النصف الأخير من القرن السادس عشر، مما جعـل أسـرته تكتسـب شـهرة وطموحـا، عقـب تدهور الدولة السعدية، في النصف الأول مـن القـرن السـابع عشـر، فتمكنت من توسيع نفوذها السياسي والاقتصادي، بتملـك الأراضي المسقية، والهيمنة التجارية، مما أهلها لإقامة إمارة بقيادة أبي حسون السـملالي فـي سـوس، امتـد نفوذهـا شـرقا حتـى تـافلالت، وشـمالا حتى مشارف الأطلـس الكبـير، وجنوبـا إلـى تخـوم الصحـراء، وغربا إلى المحيط الأطلسي، فرتبت أعمـالا تجاريـة واسـعة مع الخارج، عبر ميناء ماسة، تصدر منه إنتاج الجنوب والإنتاج الواصـل إليهـا عـن طريـق القوافل، من جنوب الصحراء(106). إلا أن هـذا الطمـوح سـرعان مـا انهـار، عقـب إعادة توحيد المغرب مع المولى الرشيد، في النصف الأخير

106) لقد تناولت دراسات مختلفة إمارة إيليغ، صدرت على شكل كتب أو مقالات.

من القرن السابع عشر، فالتجأت الأسرة الإيليغية إلى الصحراء، وبدأت تسترد نشاطها ونفوذها تدريجيا طيلة القرن الثامن عشر، حتى تمكنت مع بداية القرن التاسع عشر، من استعادة مكانتها بالجنوب، على المستوى المحلي، وعلى المستوى الاقتصادي. فاشتهر هاشم ابن علي، كمجدد لهذا الدور، الذي خلفه فيه ابنه الحسين بن هاشم، والذي قال عنه المختار السوسي "شغل جنوب سوس بزئيره كل أواخر القرن الماضي، فانقمع الناس إزاءه بين من يواتيه ويداريه، وينفذ أوامره"(107). هذا الدور الذي برز على المستوى الاقتصادي خاصة التجاري، كممول للعمليات التجارية، في اتجاه الصحراء، مما ركز نفوذه الاجتماعي والسياسي(108) في المنطقة.

إن مثل هذا النفوذ في ظرفية تاريخية دقيقة، كان من الطبيعي أن يراقب من طرف السلطة المركزية، ولذلك ما أن حل المولى الحسن بسوس، حتى أعلم السلطان "بهزيمة ولد هاشم"(109) مما يوضح أن الحسين بن هاشم، كان في حروب محلية مع القبائل، تلك الحروب، التي أشار الشيخ المختار السوسي إليها، دون تحديد زمني، فعدد حوالي أحد عشر حربا، خاضها ابن هاشم، مع القبائل المجاورة لإيليغ طيلة حياته (110)، ولذلك يتعذر معرفة القبيلة، التي هزمته في الحرب، أثناء وصول المحلة إلى أعالي سوس. إن هذا التصرف، الذي يبين نوعا من الاستقلال عن السلطة المركزية، يخل به واقع آخر، ذلك "أن ولد هاشم، قبض من القبائل التي في جهته، سهلا ووعرا، نحو أربعين ألف"(111). هذه التهمة التي وجهته له المحلة، التي كان هدفها استيفاء الواجب من المنطقة، والتي شاركه فيها أيضا "التمنارتي قبض من جهته نحو ثلاثين"(112)، أدت بالسلطة المركزية، أن "صدر الحكم بالبحث

107) الشيخ المختار السوسي : إيليغ قديما وحديثا، المطبعة الملكية الرباط، 1966، ص. 248

108) Paul Pascon : Le Commerce de la maison d'Iligh in Annales, ec.so.c. N 3-4 Mai-Aout 1980, pp. 700-729

109) 24 صفر 1280/ 10 غشت 1864. ن.م.

110) الشيخ المختار السوسي : إيليغ قديما وحديثا، ص.ص. 257-259

111) 13 جمادى الأولى 1280/ 26 أكتوبر 1863. ن.م.

112) 13 جمادى الأولى 1280/ 26 أكتوبر 1863. ن.م.

من ذلك"(113). يترأى من هذا، أن الحسين بن هاشم، رغم ما كان له من نفوذ مستقل، فهو يقوم بخدمات للسلطة المركزية، ويطبق القرارات التي تصدرها، وخاصة ما يتعلق منها بتنفيذ الأوامر الشرعية كالجبايات، التي هي ملك العموم، فلا يحق له الاستيثار بها، وإنما يلزم بتسليمها للسلطة المركزية. إلا أن ما "قبضه ولد هاشم والتمنارتي من المال من ثلث القبائل ولم يصل محله"(114) قد أثار المشكلة للقبائل، التي استقبلت المولى الحسن لما حل بوادي ولغاس، ذلك أنهم "لما خوطبوا بدفع الواجب طلبوا التأخير، إلى أن يرد ولد هاشم أو نائبه"(115) مما يبين أن الحسين ابن هاشم، كان له نفوذ على القبائل الجبلية والسهلية بمنطقته، والتي جبى

= المقصود من الأرقام الخالية من تحديد النوع أنها من المثاقيل.

التمنارتي : يذكر المختار السوسي أن أسرة التامنارتيين من الأسر القديمة الرئاسة بسوس ترجع أصولها إلى العهد السعدي ربما قبله، واشتهر منهم عدد من القواد كالقائد محمد بن عبدالله الذي ضرب المولى محمد العالم حصنه وسجن بفاس في أوائل القرن الثامن عشر، وتمكن أحد أبنائه وهو إبراهيم أن يسترد السلطة بتامنارت وذلك حوالي 1706/1118. وتوالت القيادة في تلك الأسرة في النصف الأخير من القرن الثامن عشر، وكانت تمارس التجارة مع السودان في النصف الأول من القرن التاسع عشر، فاغتنت حتى إنه كانت تملأ "تبر كثير في أكياس" (المعسول. ج 20. ص 247) وربطت تلك الأسره علاقات جيدة مع آل هاشم بتازروالت وتولى منها القائد محمد التامنارتي الذي ولاه السلطان المولى عبدالرحمان في النصف الأول من القرن التاسع عشر على سوس الجنوبية "وليناك أمر قبائل جبل سوس الأقصى، زدُوتَه إلى إيشْتْ ومن وادي ولغاس إلى وادي نول وجعلناك واسطة بينهم وبين خديمنا القائد حماد (بومهدي بتارودانت) وخليفة عنه عليهم" (ن. م. رسالة من السلطان المولى عبدالرحمان إلى القائد محمد بن أحمد التامنارتي بتاريخ 16شعبان 1262. ص 251) واستمر هذا القائد إلى سنة 1875/1293وهو الذي كان معنيا أثناء حركة سوس، وقد استمرت القيادة في هذه الأسرة حتى في عهد الحماية فكان القائد محمد بن البشير التمنارتي معززا للحركة الوطنية حتى انتحر من أجلها (ن. م. ص 272) وهكذا تكون هذه الأسرة التمنارتية قد مارست الرئاسة لحوالي خمسة قرون مما يبين نوعا من الاستقرار حيث ظلت قارة في قريتها أكَدير أوكَرْضْ (خلال جزولة. ج 3ص 8) طيلة تلك المدة، على مشارف وادي يشكل واحة تمنارات، هذه المنطقة التي كانت القوافل نحو الصحراء تمر بها وحتى لفظة تامنارت نفسها تعني الحد الفاصل بين بلاد الصحراء وبلاد التل (إيليغ قديما وحديثا. ص 2).

113) 13 جمادى الأولى 1280/ 26 أكتوبر 1863. ن.م.

114) 27 جمادى الأولى 1280/ 9 نوفمبر 1863. ن.م.

115) 14 رجب 1280/ 25 دجنبر 1863. ن.م.

منها الواجبات، إلا أن ما يلاحظ أنه لم يدفعها، فلذلك لم تكن القبائل مستعدة للدفع مرتين، فطلبت التأخير لتوضيح ما فعله ابن هاشم، بما قبضه منها من الواجبات. فاضطر المولى الحسن، إلى بعث وفد إليه، "توجيه القائد محمد بن عمر إليه فوجه مع القائد أحمد بن الطاهر"(116)، والذي لم يتوضح ماذا كان هدفه، ويظهر أنه أخفق في تحقيقه أو تحقيق بعضه، "رجعا من عنده وأخبرا بما هو عليه"(117) دون تحديد دقيق لذلك الشيء الذي هو عليه، سوى بعبارات عامة، "من السفسفة والتطارح على أهل الفساد ليلئموا معه عليه"(118). ويفهم من هذا، أن ابن هاشم، كان يتخذ حذره من المحلة التي وصلت إلى وادي ولغاس، مما يؤكد أنه لم يفد على الخليفة، وجعل السلطان يصدر أمره، "بمجاملته ظاهرا مشاكلة"(119). وقد أشار المختار السوسي إلى هذه المعارضة، التي كانت من ابن هاشم، وكذلك ملاطفة السلطان له. إلا أنه اعتقد أن حركة المولى الحسن إلى سوس، كانت سنة 1283 بدلا من تاريخها الحقيقي(120).

إن اعتماد السلطة المركزية، على الأسلوب السياسي تجاه ابن هاشم، يوضح أنها لم تكن ترغب في إثارة المشاكل معه، في منطقة لم يكن القوة الوحيدة التي تحاول الحفاظ على هيبتها، فقد كان ينسق مع قوة أخرى، مما جعل السلطة المركزية أن "أمرت بالمفاوضة مع السيد الحسين آهاشم وولد الدليمي فيما يمد به ركن الفاسد الحبيب التكني"(121). فيبرز هذا النص أن تلك القوى المتنافسة بينها، كانت مشكلة من ابن هاشم، وولد الدليمي، والحبيب البيروكي، وإن التنسيق بينها، وخاصة بين ابن هاشم وآل بيروك، يستند أيضا إلى كونهما ينتميان إلى نحلة

---

116) 22 شعبان 1280/ 1 فبراير 1864. ن.م.

117) 22 شعبان 1280/ 1 فبراير 1864. ن.م.

118) 22 شعبان 1280/ 1 فبراير 1864. ن.م.

119) 22 شعبان 1280/ 1 فبراير 1864. ن.م.

120) الشيخ المختار السوسي : إيليغ قديما وحديثا : ص. 266.
الشيخ المختار السوسي : المعسول " ج.20، مطبعة الجامعة - البيضاء سنة 1961، ص. 256.

121) 21 رجب 1280/ 1 يناير 1864. ن.م.

تـاكوزولت، الـذي كـان ابـن هاشـم رئيسـها(122) فـأدركت السـلطة المركزيـة، أن تحـالف هـذه القـوى لا يخـدم مصـالحهـا بالمنطقة، فسعت لزعزعتها باستمالة الطرف الأكثر أهمية وشهرة ابن هاشم عن جماعة تكنة.

3 - 1 - 2 - 2 - جماعة تكنة بقيادة آل بيروك :

تشـكلت جماعـة، تكنـة مـن اتحـاد قبلـي مركـب مـن جماعتي؛ أيت جمل، وأيت بلا(123)، اللتـان تتكونـان بدورهمـا من عدة قبائل، ويحتل هذا الاتحاد منطقة لهـا دور كبـير في العلاقات المغربية الشمالية الجنوبية، فهي تقع على الضفة الشمالية الغربيـة للصحـراء، ممتدة على أراضي تتدرج في الانحدار غربا لتنتهي بالمحيط وجنوبا إلى مشارق وادي الساقية الحمراء(124)، فتكونـت فيهـا أشـكال طوبغرافيـة متنوعـة، مـن وديـان وجبـال وهضـاب، كـوادي نـون، وجبـال بـاني في الشمال، وحمادات ووديان في الجنوب، مع إمكانات المياه والنباتات(125).

إن هـذا الإطـار الجغرافـي، أسـهم فـي تواجد ظروف عيش مزدوج، يقوم على الاستقرار والترحال(126) معـا، مكونـا بذلـك وسـيطا مختلفا، بين منطقتين سكنيتين متميزتين، منطقـة الاسـتقرار بسـوس، شـمال منطقـة امتـداد تكنة، ومنطقة الترحال جنوبها بالصحراء.

إن هـذا الدور المزدوج في الحياة، جعل الإنتاج بهذه المنطقة متنوعا، يقوم على توفـير حاجيـات متكاملـة، تضمـن التسـاكن لفئتين اجتماعيتين تتميزان بتنظيم إداري

---

122) المختار السوسي : إيليغ، ص 266.

123) المختار السوسي : المعسول، ج. 19، ص. 273، مطبعة النجاح - البيضاء 1963.
F de la Chapelle : les takna du Sud marocain, Comité de l'Afrique Francaise, Rabat 1934, p. 24-25
جدول قبائل أيت جمل ثم صفحة 40-141
جدول قبائل أيت بلا (أيت عثمان)

124) F. de la Chapelle Ibidem : pp. 7 à 28.
125) F. de la Chapelle Ibidem p. 27.
126) Mustapha Nami : Les pays Takna centre ou périphérie in Bulletin économique et social du Maroc, En hommage à Paul Pascon, N 159-160-161, p. 233, pp 237-245, 1987.

واقتصادي واجتماعي(127)، يعمل على استمرار العلاقات بينهما، لأداء الدور الذي تقوم به المنطقة، في العلاقات الواسعة بين الشمال والجنوب، مما جعل الاتحاد السكني الذي يحتل المنطقة مندمجا.

هذا الدور الذي يقوم على العمل التجاري، بين الشمال والجنوب، وبين إنتاجين مختلفين، جعل من هذه المنطقة مكانا متميزا، على امتداد فترة طويلة من تاريخ العلاقات المغربية الشمالية الجنوبية، منذ العصور القديمة، قبل الإسلام (128)، مما جعل المنطقة منذ بداية الفترة الإسلامية، تتوالى فيها حياة تقوم على التعامل التجاري، نجم عنها تواجد مراكز، من قرى ومدن، استمرت أدوارها عبر التاريخ من مدينة نول لمطا(129) في القرون الوسطى، إلى تكاوست(130) في العصر الحديث، ثم مدينة أكلميم، التي أصبحت في القرن التاسع عشر، حسب ما ذكره المختار السوسي "تلقب في تلك الجهة بفاس الثانية"(131).

إذا كان دور هذه المنطقة أصيلا، في العلاقات المغربية التجارية الشمالية الجنوبية، فإنه من الطبيعي أن تستقر بها، قوى بشرية تستفيد منه منذ القديم، كما توافدت عليها قوى سكانية أخرى، كبني معقل منذ القرن الثالث عشر، فاندمج الأصليون الأمازيغ، مع المتوافدين العرب، حتى برز اتحاد تكنة بالمنطقة، منذ القرن

---

127) Jacques Cagne : Sur le pays Takna. Dar Al-Niaba, N 18-1988, pp. 11-13.

قام جاك كاني بتلخيص أطروحة مصطفى ناعمي حول بلاد تكنة التي تقدم بها لنيل دكتورة الدولة بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالرباط تحت عنوان

Le pays Takna, commerce, histoire et structure.

- مصطفى ناعيمي : أهمية التجارة بالنسبة للبنية الاقتصادية والاجتماعية غرب الصحراء بلاد تكنة : مجلة البحث العلمي : العدد 35، السنة 1985من صفحة 142إلى 201: فيما يتعلق بالجانب التنظيمي بين الرحل والمستقرين ص. 138

128) مصطفى ناعيمي ن.م. : فيما يتعلق بالتجارة قبل الإسلام من ص. 142إلى 154.

Mustapha Naïmi : Le pays Takna Centre ou périphérie, Ibidem, pp. 236-238

129) مصطفى ناعيمي : ن.م. ص. 163.

Jacques Cagne Ibidem. p. 12. F. de la Chappelle Ibidem, p. 32.

130) Amine et autres Histoires du Maroc. Hatier, Paris 1967. p. 191.

الحسن الوزان : وصف إفريقيا : الترجمة عن الفرنسية ، محمد حجي ومحمد الأخضر، ص 95.

131) المختار السوسي : إيليغ قديما وحديثا 1966، ص. 26، التعليق رقم 532.

السادس عشر(132). وظهرت فيه أسر كان لها دور اقتصادي ورئاسي، ومنها أسرة آل بيروك، من أيت جمل، التي كانت من قبل مستقرة بتوات ثم انتقلت إلى وادي نون(133)، وكانت تمارس الفلاحة، والتجارة مع السودان(134)، كما كان لها اتصال بالسلطات المغربية، خاصة بعد مشاركتها في مناوءة الثائر بوحلاس بسوس(135)، أوائل القرن التاسع عشر، فازداد نفوذها المادي والمعنوي، على يد أحدقادتها، الشيخ بيروك، الذي عاصر السلطان المولى عبد الرحمان، حتى جعله "عميد الحكومة هناك" كما ذكر المختار السوسي(136)، فخلفه أولاده، اشتهر منهم محمد، الذي خلفه في الرياسة، ودحمان المساعد له في الأمور، ثم الحبيب الذي كان يهتم بالتجارة، متنقلا بالمنطقة مما أدى لتزايد أطماعه، فتورط في عملية تجارية مع إسباني ادعى الخسارة منها، فلما تمكن منه، لما حضر إلى أكْلميم عن طريق الصويرة أسره وطالبه باسترداد الأموال، التي ادعى خسارتها، والتي ذكر المختار السوسي أنها بلغت مائة ألف ريال، وتقاضاها منه مما أغضب السلطة المركزية عليه(137).

إن الاتصال بين السكان والأجانب، من خلال هذه المنطقة، لم يكن حديثا، إنما يتأرجح بين الخفوت والهيمنة على الأحداث بها، حسب الظروف التاريخية المغربية، بين القوة والتضعضع العامين. فلقد ورد ذكر هذه العلاقات في فترات متقطعة، فكانت مع الفينيقيين(138)، في التاريخ القديم، لتتميز بالعنف في القرن السادس عشر مع الاسبانيين، الذين حاولوا فتح ثلمة بالمنطقة بإقامة، حصن

---

132) F. de la Chapelle, Ibidem, p. 34
Mustapha Naïmi : L'importance des rapports nomades / sédentaires dans l'évolution historique de l'ensemble confédéral Tekna, Revue Dar Al-Niaba, N 5, 1985, (pp.8-11)

133) المختار السوسي، المعسول، ج. 19، ط 1963، ص. 273

134) المختار السوسي، ن.م. ص.274.

135) المختار السوسي، ن.م. ص.275.

136) المختار السوسي، ن.م. ص.276.
F. de la Chapelle, Ibidem, p. 47

137) المختار السوسي، المعسول، ج. 19، ص. 278، القصة بالتفصيل.

138) مصطفى ناعيمي، أهمية التجارة بالنسبة للبنية الاقتصادية والاجتماعية، غرب الصحراء، بلاد تكنة، ن.م. ص. 142.

سانتاكروز دومار بيكينيا(139)، فحاولوا الانطلاق منه إلى الداخل، وربط العلاقات بالقبائل لتنتهي هذه المحاولة بتنظيم المقاومة العامة، التي تعرفها مناطق الشواطئ المغربية الأخرى ضد البرتغاليين، فانتهى الوجود الإسباني بالمنطقة، بتحطيم حصن سانتاكروز دوماربيكنيا سنة 1525(140)، وتعدت المقاومة ذلك إلى تنظيم غارات على جزر كناريا نفسها(141).

لقد أدى استمرار الأطماع الأوربية، المدعومة بالقاعدة الاستنزافية، التي أصبحت أوربا تشكلها، مع تزايد تطورها الداخلي منذ القرن الثامن عشر، إلى البحث من جديد، عن مناطق الضعف في الشواطئ المغربية، فكانت منطقة وادي نون، إحدى هذه النقط، وخاصة أن هيجان البحر يؤدي باستمرار إلى تعرض السفن بالمنطقة، إلى التكسر والتهشم مما يعرض الملاحين الأوربيين للخطر، فإن نجوا من الغرق وقعوا في الأسر، ذلك أن تيارا جارفا يدفع بالسفن إلى الشاطئ، قبل وصولها إلى جزر كناريا، وكان البحارة يترصدونه إلا إذا وقعوا في خطأ خاصة بالليل(142). ولقد سبب هذا التيار كمثال في فقدان ثلاثين سفينة ما بين 1790 و 1806(143)، بمعدل سفينتين في السنة بإطراد، فوقع عدد من الملاحين في الأسر، وتناقلتهم الأيدي بالاتجار، حتى تستأثر بهم الأسر، المهيمنة بالمنطقة، كابن هاشم الذي كان لديه 18بحارا. وخاصة آل بيروك الذين كانوا يستغلونهم، في القيام بأعمال مختلفة(144). ويذكر آدامس الذي زار المنطقة أوائل القرن التاسع عشر، أن سكان وادي نون، يبذلون قصارى جهدهم في إسلام الأسرى الأوربيين، حتى إنه يفسر أن القسوة التي يعاملونهم بها لبلوغ ذلك الهدف(145).

إن تواجد الأسرى بمنطقة وادي نون، لم تكن السلطة المركزية تغض الطرف عنه، كيفما كانت دواعيه، لما يثيره وجودهم من مضايقات للدولة المغربية، إزاء الدول الأجنبية. ولذلك، فما أن حلت حركة المولى الحسن بسوس، حتى جعلت

= Mustapha Naïmi, Le pays Takna Centre ou périphérie, Ibidem, p. 238.
139) F. de la Chapelle, Ibidem, p. 38.
140) F. de la Chapelle, Ibidem, p. 39.
141) F. de la Chapelle, Ibidem, p. 39.
142) Robert Adams, Nouveau voyage dans l'intérieur de l'Afrique fait en 1811-1812-1813-1814. Traduit de l'anglais par le chevalier de Frasans, Chez L. G. Michand, Paris, Imprimeur - Librairie, 1817, p. XVI.
143) F. de la Chapelle Ibidem., p.47.
144) F. de la Chapelle : Ibidem, p. 48.
145) Robert Adams, Ibidem, p. 112.

"المقصود الأهم من الوصول لوادي ولغاس، وأنه لاجل أولاد بيروك التكني"(146). على أن تصرف المولى الحسن تجاه آل بيروك، وجهته السلطة المركزية، "صدور الأمر بالمشاورة في أمرهم، والسعي في دمارهم"(147)، ذلك أن الأمر دقيق، يحتاج إلى الاستعانة بالمشاورة فيه، مع الأطر السلطوية المرافقة للخليفة، والأطراف المؤثرة بالمنطقة كالحسين بن هاشم(148). لأن آل بيروك، تحكموا في قضية رئيسة شغلت بال السلطة المركزية، لما لها من انعكاسات على المستوى الدولي، كمبرر لصلاحية التدخل الأجنبي في شؤونه الداخلية. تلك القضية التي ترتبط بالأسرى، الذين وقعوا في أيدي آل بيروك، فعكف المولى الحسن، طيلة وجوده بسوس، على العمل لإطلاق سراح أولئك، "النصارى الذين لفظهم البحر في ثلث الناحية"(149) وانتهى بهم الأمر بالوقوع في الأسر عندهم، وقد تدخل في المفاوضة شخص يدعى ولد الحاج أحمد نان، الذي أبرم الصلح معهم، وعلى إثره، أمرت السلطة المركزية ببيان وضعية الأسرى، "صدر الحكم ببيان أسمائهم، وتفصيل من لفظ البحر قهرا، أو من أتى مختارا بقصد الفساد، وبعيد الإحصاء يوجه الزمام لشريف الحضرة، والعلجة لعامل الصويرة"(150). يتبين من هذا بكل وضوح، أن تواجد الأسرى الأجانب لدى قبيلة تكنة، لم يكن أمرا طبيعيا فقط، تتحكم فيه صعوبة الملاحة بالمنطقة، والتي أشار لها السلطان ب"من لفظ البحر قهرا"، وإنما تتحكم فيه أيضا نوايا الإضرار بالبلاد، والتي عبر عهنا السلطان بـ"من أتى مختارا بقصد الفساد". ولذلك كانت السلطة المركزية تنظر إلى أمر الأسرى كخطر عليها، لما تتيحه من

---

146) 5 رجب 1280/ 16 دجنبر 1863، ك. 47.

147) 5 رجب 1280/ 16دجنبر 1863. ن.م.

يؤكد هذا أيضا ما ذكره المختار السوسي عن تصرفات الحبيب التي أغاضت السلطة المركزية عليه، حتى أوعزت للقبائل بتخريب داره والتجائه أخيرا للمولى الحسن، إلا أن المختار السوسي لم يذكر تاريخ الواقعة، المعسول، ج. 19، ص. 278.

148) راجع ص ص 151-152.

149) 27 جمادى الأولى 1280/ 9 نوفمبر 1863، ك. 47.

150) 27 جمادى الأولى 1280/ 9 نوفمبر 1863. ن.م.

إمكانيــة التدخـل الأجنبـي، فـأصدرت الأمـر للمولـى الحســن، "فيـه التـأكيد فـي استخلاص النصـارى، الذيـن عنـد أولاد بيروك من أيديهم بما أمكن"(151)، هـؤلاء الذيـن أدركـوا أهميـة الأسـرى لـدى السـلطة المركزيـة، فاستغلوهم كوسيلة للضغط والاستبزاز، فـادعوا أنهـم، "لايسـلمونهم إلا بعـد أخذهـم مـا بذلوا فيهم"(152). إذ كـانوا يدفعـون مقابلا في نيل أولئك الأسرى، الذين كانوا غنما لأفراد القبيلة، الذين يتصيدونهم، وأمام هذا التعنت "سوفوا للاستيذان"(153)، ولمراجعـة السلطة المركزية، "فصـدر الحكـم طبـق ذلك بالتسويف لاستكتار ما طلبوه، وليعالج الأمر معهـم حتى يردوا ما يعثرون عليه منهـم عملا بالشروط"(154).

لقـد كـانت السـلطة المركزيـة تسـعى لإنهـاء مشـكلة الأسرى، دون استعمال القـوة، فـآثرت التفـاوض والتسويف والضغط، في حين كان الطرف الآخر متمسكا بالأسـرى، كورقة سياسية اقتصادية، لإدراكه أن مسألة الأسرى، تحكمها قوانين، في إطـار المعـاهدات مـع الدول الأجنبية، والتي أشار لها السلطان "عملا بالشروط"، مما حمـل السلطة المركزية، لإنهاء المشكلة بقبول "فداء النصارى المأمور بفدائهم"(155). هـذا الفـداء، الـذي جمعـت لـه أمـوال أسـهم فيهـا بعض القواد، "ما تبرع به القائد محمد بن عمر 30000 والحنشاوي 30000 والذوبلالي 60000"(156)، وأمـا بـاقي المـال "دفع من الصائر"(157)، دون تحديـد لذلـك الباقي، فتكون الأموال المدفوعة في فداء الأسـرى، بتبـرع ثلاثة قواد المرافقين للمحلة بطرف منها، حوالي 120000ويظهـر أنـه بالمشـاقيل، في حين اقتطع الباقي من نفقات المحلة، التي تنهض بها القبائل، وبذلك لم تدفع السلطة المركزية أي شيء من أموال الجبايات.

---

151) 18 رجب 1280/ 29 دجنبر 1863. ن.م.

152) 28 رجب 1280/ 8 يناير 1864. ن.م.

153) 28 رجب 1280/ 8 يناير 1864. ن.م.

154) 28 رجب 1280/ 8 يناير 1864. ن.م.

155) 7 رمضان 1280/ 15 فبراير 1864. ن.م.

156) 7 رمضان 1280/ 15 فبراير 1864. ن.م.

157) 7 رمضان 1280/ 15 فبراير 1864. ن.م.

لقد تم "توجيه النصارى 24الذين كانوا بوادي نون لعامل الصويرة"(158)، مما يبين أن العدد الذي تم فداؤه كان 24 أسيرا وأنهم لما "بحثوا عن سبب خروجهم"(159) من البحر، انقسموا إلى ثلاثة فئات، اختلفت أسباب وصول كل فئة منهم إلى الشاطئ، "ذكر 5أنهم فروا من مركب ظهر فيه تكسر"(160)، مما يوضح أن سبب لجوئهم إلى الشاطئ، تقني قهري و"ذكر 8أنهم خرجوا بعدهم بنحو 3أشهر كذلك"(161)، ويظهر أنهم عللوا وصولهم إلى الشاطئ بنفس الأسباب التقنية في حين "ذكر الباقون 12 أنهم أتوا بقصد فداء إخوانهم، بإذن مخزنهم، ومعهم ريال 50000 وكتاب للحبيب، فسلبهم المال وغيره، وأخذهم أسارى"(162).

يتبين من هذا، أن الفئة الأخيرة التي وصلت إلى الشاطئ، جاءت عن قصد بل وبتواطؤ مع دولتهم، التي لم يذكر إسمها، هل كانت فرنسا، أو إسبانيا، وهما الأكثر كيدا للمغرب آنذاك، ويرجح أنها إسبانيا التي كانت جادة في هذا التاريخ لربط العلاقات مع الحبيب البيروكي(163). هذه الفئة التي كان عددها مهما، كما كانت الأموال التي أتت بها أيضا مهمة، مما يمكن تعليله بأن الهدف الحقيقي، هو إغراء الحبيب البيروكي، قصد التعامل المباشر، بادعاء التفاوض لفداء الأسرى الذين في حوزته، فيكون أسره لهذه الفئة، يصح أن يقال عنه، إلقاء القبض عليهم، لكون تصرفهم كان منافيا للأعراف الدولية، وبذلك فوت على الدولة التي أرسلتهم قصد التفاوض الثنائي، فرصة ادعاء مناطق منفصلة عن السلطة المركزية، فيعد موقفه هذا إيجابيا في هذا الاتجاه، فاستفاد من جهتين. من جهة الدولة التي حاولت إغراءه بالأموال، فقبضها وتنكر لها، ومن جهة السلطة المركزية التي طالبها بفدية الأسرى،

---

(158) 15 رمضان 1280/ 23 فبراير 1864. ن.م.

(159) 15 رمضان 1280/ 23 فبراير 1864. ن.م.

(160) 15 رمضان 1280/ 23 فبراير 1864. ن.م.

(161) 15 رمضان 1280/ 23 فبراير 1864. ن.م.

(162) 15 رمضان 1280/ 23 فبراير 1864. ن.م.

(163) F. de la Chapelle, Ibidem, p. 52

بدعوى ما بذله مقابلهم، وكأن لم يكن سوى الوسيط، فأغضت تلك السلطة الطرف عن هذا السلوك، ودفعت الفدية، مفوتة بذلك فرصة التدخل عن الدول الأجنبية في الشواطئ النائية. وأما الأسرى فإنهم حملوا إلى الصويرة، بعد أن تأكد أن عددهم كان أصلا 25أسيرا "مات أحدهم وبقي 24"(164).

تلك كانت إحدى المشاكل التي اعترضت المولى الحسن، أثناء وجوده بسوس، والتي أسهمت السلطة المركزية فيها بالتوجيهات، والأطر المرافقة له بالإرشاد، فتمكن الجميع من الوصول إلى حل يرضونه، دون اللجوء إلى القوة أو خلل تكون له أبعاد خطيرة، خاصة أن الأمر يتعلق بقضية تتجاوز التعامل الداخلي، لتنعكس على التعامل الخارجي.

إن تعامل السلطة المركزية، مع القوى المحلية وراء وادي ولغاس، كشف عن محاولة كل طرف، أن يلتزم حدود تصرفه، سواء القبائل، أو ابن هاشم، أو أولاد بيروك، مما جعل السلطة تهادن تلك القوى، ما دامت تؤدي الواجبات، وتساهم في الهدايا وتطبق القرارات، فينطبق على تصرفها معها، ما ذكره المختار السوسي من كون السلطة المركزية، نهجت سياسة مع كل الأطراف النائية الشبه المستقلة، "اكتفت منهم بالموالاة المعنوية، وخصوصا في مثل ذلك الوقت الحرج، الذي يجتازه المغرب منذ وقعة تطوان"(165). فأولت المشاكل الخارجية الأهمية، وأغضت الطرف عن تلك القوى المحلية النائية، وخاصة أن لها فائدة فيها، تنوب عنها في الدفاع ضد كل محاولات التسرب، والتي ذكر جرمان عياش أمثلة عنها من كل الأطراف النائية المغربية(166).

وفي هذا السياق، يتم تعامل السلطة المركزية مع جماعتي آل هاشم وآل بيروك، تحافظ على خضوعهما مع اعتبار لمكانتهما، ما لم تكن مهدرة لمصالح البلاد العليا.

---

164) 15 رمضان 1280/ 23 فبراير 1864. ن.م.

165) المختار السوسي : إيليغ قديما وحديثا، ص. 269

166) Germain Ayache, Le sentiment national dans le Maroc du XIX siècle, pp. 177-198, in Etude d'Histoire marocaine S.M.E.R. 1979, p. 183

3 - 2 - التطلعات الاجتماعية :

لقد أدى وجود حركة المولى الحسن بسوس، إلى اضطراب اجتماعي، نتج عن مس جوانب، ترتبط بعوامل الإنتاج الاقتصادي من يد عاملة وبهائم. ذلك أن البنية الاقتصادية ما زالت الطاقة العضلية من بشرية وحيوانية تلعب فيها دور ما يمكن أن يسمى اليوم بالبنية التحتية للإنتاج الاقتصادي.

لقد كانت اليد العاملة أساسية في الإنتاج، لأن التقنيات المتوفرة، لم تكن تسمح إلا بالاعتماد عليها، وبكيفية كثيفة، وفي كل المراحل، ولذلك كان أساس التفاضل الاجتماعي، هو توفر السواعد، التي تؤتى إما عن طريق الذرية، أو عن طريق تملك الزنوج من طرف الأسر والملاكين، لكن البحث عن امتلاك الزنوج لم يكن مقتصرا فقط على تلك القوى، وإنما كانت الدولة تنافسهم في الاستحواذ عليهم.

ومن المعلوم، أن الهيئة الزنجية، شكلت قوة الدولة، منذ عهد المولى إسماعيل(167)، وإن تأرجحت بين القوة والضعف، إلا أنها بقيت الدعم الرئيسي لها في القيام بالخدمات المختلفة، كما تخلص الولاء لها، دون أن تكون في رباط مع أي قوى قبلية إقليمية. فعنيت الدولة بها وبتجديدها باستمرار، ولذلك يؤدي جمع الدولة للزنوج، من حين لآخر، إلى إثارة اضطراب اجتماعي شرعي، وذلك ما وقع للمولى الحسن لما حل بسوس، وشرع في التزود من المنطقة بالهيئة

= ذكر أمثلة متعددة من هذه الأطراف النائية كسبتة ومليلية وفكيك وتوات وسوس.

167) شكلت وضعية الزنوج في جيش المولى إسماعيل موضوعا تناولته كل الكتابات التي تحدثت عن عصره، لما أثارته من مسألة شرعية حول أحقيته في جمع العبيد، واسترقاق الأحرار منهم. وكأمثلة عن هذه الكتابات

- مجلة تطوان : عدد خاص بمناسبة الذكرى المئوية الثالثة لجلوس المولى إسماعيل على العرش المغربي، مطبعة أكدال، الرباط، دون تاريخ، أورد محمد الفاسي فيها عشر رسائل اعتبرها أساسا للبحث عن إنشاء جيش البخاري، ص. 34

- أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا، ط. 1956، الجزء السابع، ص. 88.

- Amine ... Histoire du Maroc, 1967, p. 242, Abdellah Laraoui, l'Histoire du Maghreb, FM/petite collection Marpero, 1975, T. II, p. 51

الزنجية، فاضطر "الاستفهام عن الحكم في أمر الوصفان، الذين يفرون للعسكر ويرغبون في الدخول فيه، ويمتنعون عن الانقياد لأربابهم، وإن خوطبوا بأخذ الثمن فمنهم من يقبل ومن لا"(168). يتوضح من هذا أن الزنوج الذين كانوا في ملكية العائلات والأفراد، فضلوا الانضمام إلى الجيش، لما يضمن لهم ذلك من امتيازات، على الأقل الهروب من الأعمال المتعددة، التي كانوا ينجزونها لمالكيهم، والتي تعتبر بمثابة أعمال شاقة، إذ يعتمد عليهم في كل الخدمات الفلاحية والمنزلية، في حين أن انضمامهم إلى الجيش، يرفع من مكانتهم باعتبار أنهم يصبحون جزءا من جهاز السلطة.

فقد أصبح المولى السحن أمام مشكلة اجتماعية شرعية، ذلك أن الزنوج فضلوا الانضمام للجيش، في حين أن أربابهم فضلوا التمسك بهم، ورفضوا العوض المقدم لهم، مما يفيد أن الطلب عليهم كان قويا لما يقومون به من دور اقتصادي، لا يعوضه مقابل ظرفي لأربابهم، وخاصة أن ملكيتهم لهم شرعية، لا حق لأحد أخذهم منهم، إلا بالرضى، عتقا أو عوضا من غير إكراه. فما دام أولئك المالكون، يرفضون التخلي عن وصفانهم ولو بعوض، فلا يحق للمولى الحسن التصرف فيهم، فاضطر لرفع القضية، للسلطان "قصد الحكم بأن من أتى منهم، يدفع له عن وصيفه"(169)، وبذلك حسم المشكل، وكأنه تعويض إجباري، كالمصادرة الإجبارية للصالح العام، ما دام أولئك العناصر فضلوا خدمة الدولة.

لم تعتمد الدولة على أسلوب الشراء فقط، رضى أو كرها، للتزود بهيئة بشرية زنجية من سوس، وإنما استعملت أسلوب الفرض أيضا، فقامت المحلة ب"الشروع في فرض الوصفان والحراطين على الأشياخ"(170)، دون تحديد، مما يوضح أنه فرض عام، على جميع شيوخ سوس وقبائله. وبدأت ذلك لما حلت

168) 11 جمادى الأولى 1280/ 24 أكتوبر 1863.. ن. م.

169) 11 جمادى الأولى 1280/ 24 أكتوبر 1863. ن. م.

170) 12 جمادى الأولى 1280/ 25 أكتوبر 1863. ن. م.

بأعالي سوس، "سُجْتَانَة ورأس الواد ما دامت المحلة في وسطها"(171)، ووافق السلطان على الأسلوب القائم على الفرض أيضا، فاصدر "الحكم بالإذن في ذلك"(172). ولكنه لم يحدد العدد الذي يدفعه كل شيخ أو قبيلة، ويظهر أنه، ترك الأمر للقبائل والشيوخ يتدبرونه، وقد شوش على عملية الفرض بذكر صنفين : الوصفان والحراطين، ذلك أن الوضعية الشرعية مختلفة بينهما، فالوصفان غالبا ما يكونون مملوكين، في حين أن الحراطين أحرار، وإن كانوا من الدرجة الثانية، فكيف يمكن التصرف فيهم بالفرض، ما داموا يتمتعون بحريتهم العامة، اللهم إذا كان القصد واحدا يعنى المملوكين فقط.

لم يتوضح من مسألة الفرض، ما إذا كانت دائمة، تنوب القبائل بسوس من حين لآخر، أو أنها مؤقتة ارتبطت فقط بوجود المحلة بها. لكن المؤكد أن سوس، أسهمت بمد الدولة بهيئة بشرية زنجية، إما بالشراء أو بالفرض، إلا أن الأرقام المذكورة حول الأعداد التي جمعت تبد و متواضعة، فمن "الوصفان 76 والإماء 5"(173)، ثم " 75 رأسا من الرقيق المختلط"(174).

لم تقتصر عملية الجمع فقط على عوامل الإنتاج البشرية، وإنما تناولت عوامل الإنتاج الحيوانية، خاصة الدواب. فقد أسهمت سوس بالخيل والبغال، فأبلغ الخليفة الإدارة المركزية "زمام ما تحصل من الخيل ذكورا وإناثا"(175)، دون تحديد عددها، في حين جمعت المحلة من "البغال 109"(176). ولم تبين أسلوب الجمع سواء في الخيل أو البغال، ما إذا كان فرضا أو هدايا، وكانت قبيلة إداوْزال أهدت بغلة، مما يبين أن أسلوب الجمع، ربما كان يمزج بين الفرض والهدايا.

(171) 12 جمادى الأولى 1280/ 25 أكتوبر 1863. ن. م.
(172) 12 جمادى الأولى 1280/ 25 أكتوبر 1863. ن. م.
(173) 23 شوال 1280/ 23 أبريل 1864. ن. م.
(174) 13شوال 1280/ 22 مارس 1864. ن. م.
(175) 09ذي القعدة 1280/ 16 أبريل 1864. ن. م.
(176) 23شوال 1280/ 1 أبريل 1864. ن. م.

تناولت عملية الجمع، الذي قامت به المحلة بسوس أيضا، بعض جوانب الإنتاج، فجمعت مما يرتبط بالجانب العسكري أسلحة مختلفة، فوجهت إلى الإدارة المركزية "من المكاحيل 166"(177)، ومن الكمامي سبعة(178). كما جمعت بعض أنواع الرحال، التي تستعمل لنقل الأثقال من "التلاليس 11"(179)، وقد أسهمت قبيلة سجتانة وحدها بـ "43 من الاخنفان، و 39 تليسا"(180). كما جمعت من "النحاس 167"(181)، دون تحديد نوعه ما إذا كان أواني أو غيرها.

لقد مس إسهام سوس في متطلبات الدولة، أثناء حركة المولى الحسن إليها، جوانب مختلفة من الحياة الإنتاجية الاجتماعية من بشرية، ودواب وأدوات استعمالية، مما خلق حركة اجتماعية، غلب عليها نوع من الاضطراب، ذلك أن البنية الإنتاجية، كانت حساسة لكل نقص يطرأ على العمل الإنتاجي، وإن كانت الأرقام التي ورد ذكرها، عن كل ما جمعته المحلة من سوس، تبدو بصفة عامة متواضعة.

3 ـ 3 ـ التطلعات الاقتصادية للمحلة :

كانت حركة سوس، تولي الاهتمام أيضا لبعض الجوانب الاقتصادية، كحماية الكتلة النقدية، وتشجيع بعض المبادرات، للتنقيب عن المعادن.

كانت قضية حماية الكتلة النقدية، من القضايا الرئيسية للمغرب في الفترة الموازية للحركة، وهي امتداد لمعضلة بدأت تشل إمكانات البلاد الاقتصادية، منذ

---

177) 14 شوال 1280/ 23 مارس 1864. ن. م.

178) جمعت الكمامي مرتين

14 شوال 1280/ 23 مارس 1864"الكمامي 5". ن. م.

23 شوال 1280/ 1 أبريل 1864"الكمامي 2". ن. م.

179) 14 شوال 1280/ 23 مارس 1864. ن. م.

180) 13 رمضان 1280/ 21 فبراير 1864. ن. م.

181) 14شوال 1280/ 23 مارس 1864. ن. م.

أواسط الأربعينات من القرن التاسع عشر(182). هذه الوضعية المالية التي عنيت بها الدراسات منها العامة، كدراسة عياش(183)، وميبح(184)، ومنها الإقليمية، وبالنسبة لسوس كل من أفا(185)، وباسكو(186).

فإذا كان عياش، قد عني باضطراب سعر العملة، على مدى حوالي ثلاثين سنة، من 1846 إلى 1873(187)، وأفا على مدى حوالي قرن، من 1822 إلى 1906 بالنسبة لسوس، كما يظهر من الجدول الذي استنتجه(188)، فإن باسكو قد حصر أهميتها بنفس المنطقة، ما بين 1855 و 1863 كما يبين ذلك الجدول الذي استنتجه(189)، وهي فترة قبيل وصول الحركة إلى سوس.

ولقد عرف سعر العملة، في هذه الفترة الوجيزة، اضطرابا واسعا بسوس، فكان سعر الريال 20 أوقية سنة 1857 ليصل 40أوقية سنة 1860، ثم عاد إلى السعر الرسمي 32.5 أوقية سنة 1863(190).

وقد يرجع هذا التذبذب، إلى أسباب متعددة، لخصها الناصري، فيما أسماه بانفتاح باب كان مسدودا أمام التجارة الأوربية(191). مما أدى إلى خصاص في السيولة من ذهب وفضة، شجعت إصدار العملة النحاسية، التي تحولت إلى عائق(192)، لكثرة روجانها، وسهولة تزويرها لوجود معدن النحاس بمناطق متعددة كسوس(193).

---

182) راجع النص الهام حول بداية الشعور بالأزمة المالية وانعكاساتها العامة (الناصري) الاستقصا. ج 9. 54).

183) عياش جرمان : جوانب الأزمة المالية.

184) Miége (J. L) Le Maroc et l'Europe 1830-1894. T III. Rabat. p. 97-106.

185) أفا عمر : مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، سوس (1822) 1906). مطبعة البيضاء الجديدة – الدارالبيضاء، 1988.

186) Pascon (Paul) Le commerce de la maison d'Iligh d'après le registre comptable de Husayn b. Hachem (Tazerwalt 1850-1875) in Annales éco-soc. civ. Mai-Août 1980. pp. 700-729.

187) عياش : ن. م : ص 65.

188) أفا عمر : ن. م. ص 359- 363.

189) Pascon. Ibid. p. 712.

190) Pascon. Ibid. p. 711-712.

191) الناصري. ن. م. ج 9. ص 54.

192) Miége. Ibid. T III. p. 100.

193) أفا : ن. م. ص 293 - 296. Miége. Ibid T V. la question monétaire. p. 123 et T III. p. 105.

لقد كانت السلطة المركزية تعمل على كبح العملات المزيفة بسوس، فصدر ظهير في يناير سنة 1848، يمنع رواج العملات النحاسية الصادرة بسوس، وشرع في تطبيقه بالصويرة(194).

يظهر أن هذا المنع، لم يؤد إلى إيقاف تدفق تلك العملات المزيفة، ولذلك لما حلت المحلة بسوس، كان من اهتمامها، البحث عن هذه العملات المزيفة. مما جعل المولى الحسن، يبلغ السلطان "شأن الفلوس الرديئة التي تضرب بتَازلاغت"(195). مما يؤكد أن النقود النحاسية ما زالت تضرب بتازلاغت(196)، آنذاك، وقام بـ"حيازتها"(197)، وذلك ما استحسنه السلطان "لإفسادها سكة المخزن"(198)، فتوضح مدى الضرر الذي تلحقه، بالعملة في سعرها وعيارها، لما يمكن من استعمال الغش في كل المعايير، التي يلزم تطبيقها في ضرب العملة النقدية.

ولقد استمرت محاربة العملة المزيفة، ذلك أن المولى الحسن، يظهر أنه كان جادا في البحث عنها، حتى تم "العثور على القراريط المنهى عن رواجها"(199)، مما يؤكد أن السلطة لم تكن تدخر جهدا في محاربة هذه الظاهرة.

لقد كان تدفق هذه العملات المزيفة، تحدث الحرج للعملة الرسمية، خاصة أنها توجه إلى المدن التجارية(200). فكانت العملة المزيفة، التي ضبطها المولى

---

194) Miége. Ibid. T III. p. 105. réf. n°3.

195) ملخص رسالة بتاريخ 21 صفر 1280/ 7 غشت 1863، ك. 47.

196) يقع منجم تازلاغت على بعد 40كلم شمال شرق تافروت بين قبيلتي أيت عبد الله وأيلان، لمزيد من المعلومات راجع أفا، ن.م. ص. 294وكذلك خارطته، ص 287.

197) ن. ملخص الرسالة.

198) ن. ملخص الرسالة.

199) ملخص رسالة بتاريخ 6 ربيع الثاني 1280/20 شتنبر 1863.
أما القراريط فمفردها قراط من أصل يوناني تحول مفهومه من القياس إلى الكناية عن النقود النحاسية

200) كانت تصدر بالمدن عامة Miége, Ibid., T. III, p. 100 كما ذكر مييج في فاس، وطنجة وتطوان والرباط ومراكش.

الحسن "موجهة للصويرة"(201). والتي كانت الأوامر قد تجددت لأمنائها في سنة 1863 بمصادرة النقود المزيفة(202)، والتي كانت تسمى تازلاغت، لما تحدثه من اضطراب في سعر العملات، وبالتالي في أسعار البضائع.

وأدت الإجراءات المشددة، التي اتخذها المولى الحسن، إلى "القبض على الرجلين المقبوضين في قضيتها وتوجيههما، في كبليهما لشريف الحضرة"(203). هذا الإجراء الذي يبدو أن الغاية منه، دعاية إثبات صرامة السلطة، في معاقبة كل من يحاول التلاعب بالعملة، والتي يظهر أن سيريانها ظل مستمرا(204).

يظهر أن هذه الإجراءات، كانت الغاية منها أيضا، محاربة إفساد السعر الرسمي للعملة، الذي ذكر باسكو أن قراراته، وردت نماذج لها في سجل الحسين بن هاشم، سواء بالنسبة لظهير المولى عبد الرحمان في تحديد سعر العملة سنة 1852(205)، وأورد أفا مسجله، الذي علق عليه بأن الفاظه لم توافق ألفاظ نص الظهير الرسمي (206)، لكن اتفق مع باسكو، حول وصول أمر تحديد سعر العملة، لابن هاشم. أو الالتزام بتعديل السعر سنة 1862ب 32.5 أوقية للريال، فوردت عنه إشارات في مسجلات سنة 1863(207)، أي في نفس سنة وصول الحركة إلى سوس.

إن هذه الإجراءات المتعددة، التي كانت في سوس، في أوائل الستينات من القرن التاسع عشر، إنما كانت تستهدف استقرار المعاملات، التي يستفيد منها السكان والسلطة.

---

201) ن. م. ملخص الرسالة.

202) Schrocter. Ibid. p. 145.

203) ن. م. ملخص الرسالة.

204) لقد أورد أفا نماذج عن بعض المحاكمات للأشخاص المزورين للعملة، ومنهم أشخاص ذوو النفوذ كقاضي تارودانت، وشيخ الزاوية الناصرية بتمگيدشت. راجع أفا. ن. م. ص 339) 340.

205) Pascon. Ibid. p. 711.

206) أفا. ن. م. ص 335.

207) Pascon. Ibid. p. 711.

كـان الاهتمـام أيضـا أثنـاء حركـة سـوس، بتشجيع التنقيب عن المعادن، التي ظـل استغلال منـاجم النحـاس فيهـا مستمرا(208). لكـن يظهـر أن السـلطة عنيـت بمعـادن أخـرى كالرصـاص، الـذي وردت الإشـارة إليـه، أثناء الحركة، بأن "أيت ابه اعلمـوا بمعـدن الرصـاص عندهـم، وأنهـم كـانوا يتصرفون فيه وأمسكوا عنه"(209)، ولـم تبـين أسـباب الإمسـاك عـن التصـرف عما إذا كانت تعود للتقنيات أو لأسباب أخرى.

لقـد كـان موقـف السـلطان مـن هـذا المعـدن، أن أصدر "الأمر بإعمال تأويل في ذلك"(210)، دون تبيـان لكيفيـة التـأويل هذه، وإنما يؤكد هذا أن السلطة كانت ترغب في تنشيط العمل المنجمي بالمنطقة.

تلـك كـانت بعـض الجوانـب العامـة، مـن التطلعـات الاقتصاديـة، التـي تردد صداهـا، أثنـاء حركة سوس، فتعكس بعضا من مشاكل الدولة، خاصة منها استقرار سـعر العملـة. المعضلـة التـي سـتظهر آثارهـا على مداخيل الدولة، وذلك ما سيعرف طيلـة الفـترة المدروسـة مـن ستينات القرن التاسع عشر، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي.

لقد بينت حركة سوس 1863/1280 التـي تمـت فـي ظـروف سـلمية، عـددا من الروابـط، بين السلطة وخاصة المركزية والسكان. ذلك أن مكثها مدة من سنة، كان فيهـا التعـامل بـين السـلطة وأطراف متعددة، من القبائل وقوى محلية، بينت أن كل طـرف، كـان يحاول الدفاع عن مصالحه، وإن رجحت كفة السلطة لما تمثله من قوة ومصـالح مشـروعة. إلا أنـه يظهـر أن السكان بدورهم، لم يكونوا يتنازلون بسهولة، سواء القبائل أو الجماعات النافذة.

---

208) أفا. ن. م. ص 293) 296.

209) ملخص رسالة بتاريخ 23ربيع الثاني 1280. 7أكتوبر 1863، كـ. 47.

210) ن. م.

ولقد ظهرت مواقف كل طرف، عند معالجة أمور مختلفة، من أمور عامة، كمشكلة التفويت عن القوى الأوربية، التعامل مع القوى المحلية. أو أمور خاصة، مرتبطة بالإنتاج خاصة الأموال، وما اقتضاه ذلك من حذر . مما يبين أن السكان، كانوا حريصين على الحفاظ على ثرواتهم، التي بذلوا الجهد في اكتسابها.

إن هذه الاعتبارات كلها، جعلت السلطة تتقدم خطوة خطوة، لتحقيق أهدافها، لكنها لا تتورع عن التراجع، إذا ما أشكل الأمر عليها، كما عبرت عن ذلك، لما شعرت بنوع من النفور، فحاولت طمأنة السكان بأن غايتها الوقوف، عند مرامي جبائية، تاركة عمل التنظيم الدقيق للسكان، فعبرت عنه ضمنيا بعدم حضورها للمنطقة، قصد التطويع. وهذا يطرح عدة تساؤلات حول مفاهيم السلطة نفسها. وذلك ما تتوضح جوانب منه في علاقات السلطة بالسكان، في عدة ميادين في الستينات من القرن التاسع عشر، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي.

الفصل الرابع

نماذج تنظيم العلاقات بين أطراف المجتمع والسلطة في جوانب متعددة بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي ما بين 1864/1281ـ 1873/1290

إن اختيار نماذج من علاقات التنظيم، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، في الستينات من القرن التاسع عشر، يدعو إلى نوع من الإحاطة بما كان يشغل الناس في تلك الفترة، فتعكس تلك النماذج، إلى حد، أشكال الاهتمام من تنظيم سلطوي بكل مستلزماته، وصراعات متنوعة تجسم حاجيات كل طرف، وحرصه عليها، وأنشطة اقتصادية ترعى الدولة تسهيلها. لكن رتابة هذه القضايا المختلفة، تطرأ عليها أحيانا ظروف تنعكس على التنظيم العام، وذلك ما عرفته المنطقة في تلك الفترة، من محاولات أجنبية لتسريب أشكال تدخلية متنوعة، ومشاكل محلية حادة، تبلورت في انفجار التنظيم الرتابي، خاصة في حاحة، التي عرفت الثورة على قيادتها.

إن تفصيل النظر في هذه القضايا، يوضح كيفية التعامل معها، سواء من جهة السلطة المحلية والمركزية، أو من جهة التنظيم السكاني، القبلي، ولذلك فهي تعكس مواقف كل طرف وكيفية سعيه لفرض وجهة نظره، التي تعبر في الواقع عن مصالحه.

I ـ التنظيم السلطوي بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي في الستينات من القرن التاسع عشر:

يعتبر التنظيم السلطوي الإقليمي، إطارا متمما للتنظيم السلطوي المركزي للدولة، وهو الجهاز الذي تنعكس عليه قرارات السلطة المركزية، إلا أن هذا التكامل بين السلطتين، المركزية والإقليمية، ليس تكاملا تلقائيا، وإنما يخضع للخصوصيات المحلية التي ترجع إلى ظروف مختلفة من الطبيعية للمنطقة أو التشكيلات السكانية، أو الاستراتيجية العامة، سواء الاقتصادية أو العسكرية. ولذلك يصعب أن تكون هناك سلطة إقليمية موحدة عامة، خاصة في ظروف تنظيمية واقتصادية، ما تزال تشكل العوامل البطيئة إطارها الشمولي، في كل المجالات، من إنتاج أو توزيع أو مراقبة بمفهوم واسع، كما كان ما يزال عليه الأمر، في القرن التاسع عشر بالمغرب، كبقية العالم خارج أوربا.

وإن دراسة التنظيم السلطوي لمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، لا تساير في عمقها التقسيمات التي تتكون منها، سواء الوحدات القبلية التي تتشكل منها، أو القيادات السلطوية التي تسهر على ربط الاتصال، بينها وبين السلطة المركزية. فإذا كان الاهتمام قد انصب على قيادتي متوگة وحاحة فإن المصالح الحيوية للقبائل الخاضعة لها، تجعل كل بتر في هذه الوحدات القبلية، بالاقتصار على القيادة الأم وقبيلتها، لا يساعد على فهم حركة هذه الوحدات التاريخية، وكذلك على فهم التصرفات العامة، سواء كانت صادرة عن السلطة المركزية أو السلطات المحلية، لأن هذا التداخل، هو الذي يوجه الإشكالات والتناقضات، التي تنجم عن ضرورة العيش والحرص عليه. ولم يقتصر هذا التداخل فقط، على القبائل الخاضعة للقيادتين، وإنما امتد إلى الوحدات القبلية الأخرى على واجهتي الأطلس الكبير الغربي، وامتداداتها الداخلية، وإلى المنافذ الرئيسية بالمنطقة، كمراكش، والصويرة وتارودانت، وأگدير.

هذا التنظيم السلطوي الذي يمكن تناوله من خلال فاعليتين :

- الإشكالات التنظيمية التي تطرحها القيادات من تولية وعزل ودعم وزجر ومصادرة الأملاك.

- الجبايات وما تثيره من المشاكل.

1 ـ الإشكالات التنظيمية للقيادات أو الولاة :

تخضع الإشكالات التنظيمية للقيادات للنظام العام، الذي يتخذه التنظيم السلطوي المغربي، والذي يجعل من القيادة، السلطة المحلية الشرعية، المتحكمة في علاقات السلطة المركزية بالتجمعات السكانية، إلا أن هذه القيادات، لم يكن لها نسق واحد، سواء على مستوى اختيار الولاة، أو المدة الزمنية التي تستغرقها ولايتهم، أو الاعتبارات التي تراعى عند عزلهم، كما أن دعم الدولة لهم، يتخذ أشكالا متعددة، إلا أن ذلك لا يحول دون زجرهم أيضا بأساليب متنوعة، تبرز منها مصادرة أملاكهم.

1 ـ 1 ـ الولاة والإشكالات المرافقة للتعيين والعزل :

إن دراسة إشكالات تعيين الولاة وعزلهم، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، تتطلب مراعاة خصوصيات التداخل، المتواجد في ظروف الحياة، على أراضي، تتميز بالتنوع الطوبغرافي، المتدرج من سهول إلى هضاب وجبال، عبر شريط الدير، الذي يشكل عقدة الصلة بينها، والتي تتخللها وديان عميقة، وممرات طبيعية تنفذ إلى المراكز الحيوية بالمنطقة، مما يجعل القيادات بها تشكل عنصرا حيويا للدولة.

لقد جعلت هذه الوضعية المتداخلة في المصالح، الاهتمام يتجه إلى دراسة إشكالات التعيين والعزل للولاة بالمنطقة، عبر مروحة شكلت كل من قيادتي متوگة وحاحة عمودها الرئيسي، لما تمثله كل منهما من هيكلة بشرية مهمة، تضمن لها

أراضـي واسـعة وإنتاجـا وافـرا، إضافـة إلـى تحكـم كل منهما في الطريقين التجاريين الكبـيرين، أحدهمـا عـبر حاحـة إلـى المراكـز الشاطئية، بدأ بالصويرة، أو إلى المراكز الداخليـة بمحاذاة الأطلس، بدأ بمراكش، والآخر عبر منخفض الأطلس الكبير الغربي إيسـن-أسـرتو، الـذي يفضـي بـدوره بعد اجتياز الأطلس، إلى نفس المراكز، ولذلك مـن الطبيعـي أن يكـون نفـوذ القيـادتين متواجدا في كل تنظيم سلطوي بالمنطقة، أو على الأقل يؤخذ لهما الاعتبار عند كل أعمال التغيير.

لقـد أدت كـل هـذه الاعتبـارات، إلـى تنـاول إشكالية الولاة تعيينا وعزلا، في كـل مـن متوگـة، ودويـران، ومزوضـة، وأولاد أبـي السـباع، ومسـگيبة، وأگديـر، والصويـرة، فحاحـة، باعتبـار قيادتها لها وزن خاص في هذه الفترة التي كان يتولاها عبـد اللـه أبهـي. والـذي كـان لـه دور كبير أثناء مرور المولى الحسن في حركته إلى سوس سنة 1863/1280 بمنطقـة طرفـي الأطلـس الكبـير الغربي، في نفس الوقت الذي تعـامل فيه، مع الأجهزة السلطوية المحلية بالمنطقة من قواد وشيوخ، هذا التعامل الذي اسـتمر بينـه وبينهـم، ما دام خليفة السلطان بمراكش، فشارك في كل التغييرات التي طالت تلك الأجهزة السلطوية.

تعرضـت قيادة متوگة إلى ضائقة سياسية، زعزعت كيانها، وبرزت آثارها منذ حركـة المولـى الحسـن إلـى سـوس، لمـا نـزل بـإيمن تانوت فقدم عبد الله أبهي المئونة "عوض المئونة من المتوگي"(1)، ممـا يوضـح أن هنـاك سـوء تفـاهم بينـه وبين السلطة المركزية، رغم أنه قدم الهدية مع قبيلته (2)، لمـا رجـع المولـى الحسـن مـن سوس، إلا أنـه سـرعان ما ستتوارد معلومات عن سجن المتوگي، ومحاولة إطلاق سراحه حينما تدخـل عبـد اللـه أبهـي، بعد أن "كتب له الحاج عمر المتوگي، مستشفعا في تسريح ابن عمه القائد محمد"(3)، مـع التزامـه ب"أداء قـدر مـن المـال علـى تسريحه"(4)،

1) 16 صفر 1280/ 2 غشت 1863، كـ. 47.
2) 30 ذي القعدة 1280/ 7 ماي 1864، ن.م.
3) رسـالة مـن السـلطان المولى محمد بن عبدالرحمان إلى المولى الحسن بتاريخ 8محـرم 1283/ 23 مـاي 1867. خ. ح. ر.
4) ن. الرسالة.

فأحال السلطان أمر تسريحه (5)، على المولى الحسن، ولكن قيد عمله، بـ"ما يشير به عليك الخديم المذكور في نازلته، فاعمل بإشارته فيها"(6). مما يؤكد أن عبد الله أبهي، كانت له مكانة لدى السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان. ولذلك اضطر المولى الحسن، أثناء المفاوضة بأن يتقيد بما يشير به عبد الله أبهي، ولتسهيلها، اقترح الحنشاوي نقل المتوگي، "للسجن بمراكش ليسهل تناول الكلام معه"(7). وعرض هذا الأمر على عبد الله أبهي(8)، الذي يظهر أنه وافق عليه، مما جعل السلطان يوجه المتوگي إلى المولى الحسن، "ليكون تحت يدك حتى يظهر ما يكون في أمره"(9). مما يبين أن المتوگي كان مسجونا في مكان آخر غير مراكش، إما بفاس التي كان السلطان بها، أو بالصويرة أو بغيرهما، ولما تم نقله إلى مراكش، وضع "بدار البديع"(10)، لتبدأ المفاوضات بشأنه، والتي التزم فيها المولى الحسن ب"أن ما يشير به الطالب عبد الله أبهي يعلم به"(11). وكانت نتيجتها بعد حوالي شهر، "أن عبد الله أبهي أخبر بأن المتوگي، قدم له ما التزم به عشرين ألف"(12) مثقال، فطلب عبد الله أبهي من السلطان "حيازتها وتسريح المتوگي وتوليته"(13). فيظهر أن السلطان وافق على هذه الخطة، فأصدر أمره للمولى الحسن، "بأن يساعد على ذلك"(14). وبذلك انتهت المشكلة التي كادت أن تعصف بأسرة المتوگي، فتم "تسريح المتوگي وتوليته على إخوانه"(15)، في ربيع الثاني 1283 / غشت 1867

5) ن. الرسالة.
6) ن. الرسالة.
7) 11 محرم 1283/ 26 ماي 1867، ك. 47.
8) ن. م.
9) ن. م.
10) 24صفر 1283/ 8 يوليوز 1867، ك. 47.
11) ن. م.
12) 5 ربيع الأول 1283/ 17 يوليوز 1867، ن.م.
13) 5ربيع الأول 1283/ 17 يوليوز 1867، ن.م.
14) ن. م.
15) 10ربيع الثاني 1283/ 22 غشت 1867، ن.م.

وذلك "بعد حيازة ما قدمه مما التزم به على يد أبهي"(16)، واستثنى من إعادة توليته على القبيلة فرقة "أْجَرْ عامْ ومن معه"(17).

إن هذه المشكلة التي انتهت بهذ الطريقة، تبين أن عبد الله أبهي كان متعاطفا مع أسرة المتوگيين، رغم ما كان بين الطرفين من منافسات، في إثبات الهيمنة على طرفي الأطلس الكبير الغربي، ويخالف هذا التعاطف، ما ذكره روبير مونطاني، من كون عبد الله أبهي، استغل الاضطرابات القبلية التي اندلعت أوائل تولية المولى محمد بن عبد الرحمان، ما بين 1859 و 1864 بالمنطقة، فطرد أسرة المتوگيين، وولى على متوگة ثلاثة قواد موالين له، مدعومين بقوة عسكرية من عنده، لكن سوء الحظ أدى باغتيال بهي أْجَرْ عامْ من فرقة إداوْمَرْزوگْ، والذي كان من أكبر أعداء المتوگيين، فعقبته وفاة عبد الله أبهي نفسه، فاسترد المتوگيون نفوذهم بالمنطقة(18).

إن ما ذكره مونطاني يخالف ما سبق ذكره، فيما يتعلق بالعلاقات بين المتوگيين وعبد الله أبهي، رغم الأحداث التي عرفتها متوگة، سنة 1865/1281 والتي أخبربها عبد الله أبهي السطلة المركزية(19). إلا أن السلطان أصدر الأمر للمولى الحسن، "بالكتب للقائد عمر الشيظمي برد البال لهم"(20). دون تكليف أبهي بذلك، واستمر الشيظمي، متوليا أمور متوگة(21)، ما دام محمد المتوگي في السجن، حتى "أراحه منهم"(22) السلطان قبيل إطلاق سراح المتوگي، وبذلك لم

16) ن. م.

17) ن. م.

18) R. Montagne : Les berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc. Paris 1930. pp. 332 - 333.

19) 14 رمضان 1281/ 10 فبراير 1865 "كتاب آخر وجهه الطالب عبدالله أبهي فيما وقع بين متوگة"، ك. 47. 25 ذي القعدة 1281/ 21 ماي 1865 "حصول العلم بما كتب به الطالب عبدالله أبهي في شأن متوگة"، ن.م.

20) 14 رمضان 1281/ 10 فبراير 1865، ن.م.

21) 24 ذي الحجة 1281/ 20 أبريل 1865، ن.م.

22) 11 محرم 1283/ 26 ماي 1867، ن.م.

يسبق لعبد الله أبهي، أن تولى أمر متوگة، ولا تقسيمها إلى ثلاثة قيادات، كما زعم مونطاني. ورغم ما عرفته من صراعات داخلية، والتي قد تكون من أسباب سجن المتوگي، فإن السلطة المركزية، كلفت قائدا آخر مجاورا لمتوگة عمر الحنشاوي الشيظمي، لرعاية شؤونها، لمدة تقترب من سنتين من رمضان 1281/ فبراير 1865 إلى أوائل سنة 1283/ 1867في نفس المدة، التي كان فيها محمد المتوگي مسجونا، وكان أبهي يتفاوض من أجل إطلاق سراحه. ولذلك فإن الحزازات التي كانت، بين عبد الله أبهي والمتوگيين، لم تصل إلى درجة تصرف أبهي في قبيلة متوگة، رغم شوكته بالمنطقة، وإنما أسهم برجوع المتوگيين إلى السلطة في نفس الوقت الذي كان بإمكانه أن ينحيهم عنها.

يتبين من هذا، بعض الطرق الملتوية، التي تطبع إعادة التعيين بعد العزل والسجن، والتي على إثرها أطلق سراح محمد المتوگي، فعاد إلى مركزه السلطوي الإقليمي سنة 1283/ 1867. إلا أن مدة ممارسته للسلطة، لم تدم طويلا، فقد تم "الإعلام بوفاة القائد محمد المتوگي"(23)، أوائل شهر محرم 1286 أبريل 1869، وهذا يخالف ما ذكره مونطاني، بأن وفاته كانت سنة 1859(24)، وكذلك ما ورد في كتاب أعيان المغرب بأنها كانت 1863/1280(25).

لقد أدت وفاة المتوگي، إلى النظر في تعيين قائد جديد على متوگة، فأسرع عمر المتوگي للحصول على ذلك التعيين، فورد على الخليفة بمراكش(26). وبدأت المفاوضات لتعيينه، وكان عليه أن يحصل على ضمانات مختلفة تؤهله لتولية المنصب، فتمكن من "إقرار الحاج عبد الله بصلاحيته"(27). وهذا يثير مشكلة ما إذا كان الشخص المعني هو عبد الله أبهي أم غيره. ذلك أن عبد الله أبهي، في هذه

---

23) 14 محرم 1286/ 26 ابريل 1869، ن.م.

24) R. Montagne, Ibid. p. 23

25) Marthe et Edmond Gouvion : Kitab Aâyane al-Marhrib l'Akça Maison Carrée Alger 1939. p. 358.

26) 14 محرم 1286/ 26 أبريل 1869، كـ. 47.

27) ن. م.

الفترة، كان قد نحي عن قيادة حاحة(28). وقد أصدر السلطان الأمر للمولى الحسن، "فوله عليهم لكون والده كان خديما ناصحا"(29). فحظي عمر المتوكي بثقة السلطان، على أساس الخدمات، التي قدمها والده القائد سعيد المتوكي، إلا أن هذه الثقة المبدئية، ما تزال بين السلطان والخليفة بمراكش، فكان على عمر المتوكي، أن يدعمها بوسائل أخرى، منها ثقة القبيلة فيه، فاستغل توافده مرة ثانية على الخليفة، مع "إخوانه للتعزية في عمه، وإتيانه برسم الرضى من القبيلة بولايته"(30). يتوضح من هذا أن العرف جري كلما توفي موظف سام، يُقدم أهله وأعيان القبيلة التعازى فيه للسلطة المركزية، باعتبار الخدمات التي قدمها للدولة. كما فعله المتوكيون من أسرة القائد المتوفى، وأعيان القبيلة، وفي نفس الوقت، قدم عمر المتوكي وثيقة إجماع القبيلة على قبول توليته. وإن كان هذا الإجماع، يطرح مسألة كيفية الحصول عليه من القبيلة، فقد يوضح، أن هناك اعترافا ضمنيا من أعيان القبيلة، بتولية أحد الأفراد من نفس العائلة، وبدون شك لتجنب تولية فرد أجنبي عنها، وخاصة أن أسرة القائد، لها مصالح مشتركة مع القبيلة تحتاج للدفاع عنها، على الأقل إزاء القبائل المجاورة، ولذلك فإن أعيان القبيلة، تجنبا لتصدع في الدفاع عن هذه المصالح، يفضلون تولية فرد آخر، من نفس الأسرة، معززين توليته بوثيقة رسمية تعبر عن إرادتهم.

لم تكن هذه الإجراءات المستندة على الثقة، من السلطة المركزية والقبيلة كافية. وإنما قام عمر المتوكي، "بالتزامه لبيت المال بستين ألف مثقال، مع العشرين التي التزم بها عمه"(31)، فقبل مبدئيا دفع مقدار من الأموال، مع تصفية ما كان القائد المتوفى التزم به عقب إطلاق سراحه، ويظهر من هذا، أنه تماطل في أدائها حتى وافاه الأجل.

28) راجع قضية تنحية عبدالله أبهي ص ص 342 - 345.

29) 14 محرم 1286/26 أبريل 1869. ك. 47.

30) 26 محرم 1286/ 8 ماي 1869، ن.م.

31) 26 محرم 1286/ 8 ماي 1869، ن.م.

ولما حصل عمر المتوكي على كل هذه الضمانات، تم "صدور الأمر الشريف بتوليته مكان ابن عمه وما اثنى به على والده، وسروره بذلك وحمده الله عليه"(32). يظهر أن هذا الأمر الرسمي بالتولية وجه إلى القبيلة في ربيع الأول 1286 / يونيه 1869بعد أن كان السلطان قد وافق على توليته في محرم 1286/ ماي 1869. ففصلت مدة شهرين بين الأمرين الرسميين، كان الأول منهما ما زال بين الدوائر السلطوية المركزية، بين السلطان بفاس والخليفة بمراكش، ولما استكملت كل الإجراءات، أعلن القرار الرسمي بالتولية للقبيلة. وبذلك استعادت الأسرة المتوكية استئناف السلطة، بعد أن تعرضت في الستينات من القرن التاسع عشر لهزات سياسية، كادت أن تعصف بها، من سجن ثم وفاة المتولى منها القائد محمد، مما أدى لتعاضد الأسرة بقيادة عمر المتوكي، الذي استعان بنفوذ كل القوى المحلية.

وهكذا يتوضح أن تولية قائد جديد، كانت تتوقف على مجموعة من الإجراءات، تقرر مصير المرشح الجديد، من تزكية السلطة المركزية وضمان موافقة القبيلة، وتعهدات مالية. رغم أن المرشح قد ينتمي إلى الأسرة الحاكمة بالإقليم مثل عمر المتوكي، فيبين هذا بعض الإجراءات المعقدة التي ترافق التنظيم السلطوي الإقليمي.

لقد عرفت كل من قيادتي مزوضة، وأولاد أبي السباع، تغييرات في الأشخاص المتولين، اختلفت أسبابها.

تعرضت قيادة مزوضة لاستبدال أشخاصها في ظرف أربع سنوات، 1865/1281ثم 1868/1284، فكان المتولي فيها القيادة قد خلفه "ابن حم المزوضي"(33) وما أن تولي حتى طلب من السلطة المركزية، تسليمه "الكناش الذي عثر عليه الأمناء بدار ابن علي المزوضي"(34). ويستفاد من هذا أن العمال كانت بأيديهم

32) 9 ربيع الأول 1286/ 19 يونيه 1869، ن.م.

33) 6 محرم 1281/ 11 يونيه 1864، ن.م.

34) 6 محرم 1281/ 11 يونيه 1864، ن.م.

كنانيش للتعامل مع السلطة المركزية والقبيلة، فيما يلزم عليها من الأداءات، ولذلك فإن المتولي الجديد على قبيلة مزوضة، طلب تمكينه الكناش الذي كان بيد القائد السابق، وصار إلى حوزة الأمناء. فأصدر السلطان للمولى الحسن، "الأمر بحيازته منهم، وأخذ نسخة منه، ثم يدفع له"(35). فتكون هناك نسختان متطابقتان، أحداهما تحت إشراف السلطة المركزية، والأخرى تحت إشراف القائد، فتجري المحاسبة بين الطرفين على أساس ذلك الكناش، فيما يتعلق بتحملات القبيلة.

لم تطل مدة ولاية القائد محمد ابن أحمد المزوضي(36). ذلك أنه دخل في صراعات مع القبيلة (37)، سببت في نفورها منه وشكايتها به(38). واستغل علي المزوضي ولد العسري (39)، ذلك الصراع، فتحمل "أن يعطي من عنده على ولايته"(40). ورفع طلبه تولية القبيلة مقابل مقدار من المال، الذي لم يحدد، إلى السلطان، ف "أجاب عن ذلك مولانا بأن لا بأس بتوليته"(41). فسهلت مناهضة القبيلة للقائد السابق، تولية القائد الجديد، الذي اشترطت عليه السلطة المركزية، منذ بداية توليته أوائل سنة 1284/ 1867، "الوقوف والخدمة وعدم العودة لمساعدة العامة"(42)، فحذرته من التلاعب بإثارة القبيلة. مما قد يكون إشارة بأنه مورط في اضطرابات القبيلة، التي أدت إلى تنحية القائد السابق. ولمزيد من تأكيد الصرامة، فإن السلطان "أوصى الاجراوي بأن يكون معه داة واحدة ويساعده"(43) باعتباره متوليا على القبائل الجبلية المجاورة لمزوضة(44).

---

35) ن. م.

36) 2 شوال 1283/ 7 فبراير 1867، ن.م.

37) رسالة من السلطان المولى محمد بن عبدالرحمان إلى المولى الحسن : 9 شوال 1283/ 14 فبراير 1867، خ. ح. ر.

38) 9 شوال 1283/ 14 فبراير 1867، ك. 47.

39) 22 ذي الحجة 1283/ 27 أبريل 1867، ن.م.

40) ن. م.

41) ن. م.

42) 5 محرم 1284/ 9 ماي 1867.

43) 5 محرم 1284/ 9 ماي 1867، ن.م.

44) راجع ص ص 185-188.

يتبين من هذا، أن تغيير قيادة القبيلة بانتقال الولاية من شخص إلى آخر، قد يجيء عقب مناهضة القبيلة للمتولي، التي يستغلها أحد منافسيه من القبيلة، كما حدث بمزوضة، فتكون شكاوي القبائل ضد الولاة تنال منهم، وتعرضهم للعزل.

عرفت قبيلة أولاد أبي السباع أيضا تغييرا في قيادتها، عقب وفاة القائد إبراهيم بن بلعيد السباعي، في رمضان سنة 1285فأصدر السلطان الأمر للمولى الحسن ب"البحث عن رجل عاقل حازم يليق للولاية على أولاد بوسبع"(45). الذي قام بالتحريات حول الشخص الصالح للقيادة، ثم رفع تقريره للسلطان "ذكرت الذي بشهادة الجيران والسماع الفاشي، أن عبد الله أخا الهالك يضاهيه في الحزم والضبط"(46)، واعتمادا على هذه الشهادة، التي شاركت فيها جهات متعددة، وأقرها الخليفة، فإن السلطان فوض له الأمر محملا إياه المسؤولية "وإن كان على الوصف الذي ذكرت فوليه عليهم"(47).

يبين هذا، أن تزكية التولية اعتمدت على عاملين، رضى الجيران، باعتبار المصالح المشتركة مع القبائل المجاورة، مما يقتضي وجود سلطة تعمل على استقرارها، والرضى العام، الذي يقتضي بدوره نوعا من الإنصاف العام، ولما حظي عبد الله بن بلعيد السباعي بهذه الصفات، تمكن من تولية قيادة القبيلة خلفا لأخيه الهالك.

يلاحظ من تعيين الولاة، بكل من متوگة ومزوضة وأولاد أبي السبع، درجة تفاوت الأساليب، إلا أنها تهدف كلها للحصول على تزكية السلطة المركزية، فبالنسبة للمتوگي، اعتمدت على عاملين : الخدمات التي أسدتها أسرته للسلطة المركزية، ثم رضى القبيلة الرسمي بتوليته. وأما بالنسبة للسباعي، اعتمدت على السلوك العام تجاه اللقبيلة والقبائل المجاورة. في حين اختلف الأمر بالنسبة

45) 29 رمضان 1285/ 13 يناير 1869، ن.م.

46) ن. م.

47) ن. م.

للمزوضي، فقد أدى الصراع بينه وبين القبيلة لتنحيته وتعويضه بآخر. وبذلك لم تحل الوفاة دون استمرار القيادية في نفس الأسرة، لكن حسب الشخص المستحق فكان ابن عم المتوفى في متوگة، وأخا له في أولاد السباع، في حين حال الصراع بين القائد والقبيلة دون ذلك الاستمرار ولو إلى حين، كما حدث بمزوضة، ولقد كانت هناك سمات مشتركة في كل التعينات، كالتعهدات المالية التي يتحملها المتولي الجديد، والتقييد بالصرامة التي تشترطها السلطة المركزية.

1 ـ 2 ـ مركز الشيوخ في الوساطة بين السلطة المركزية والسكان:

إن علاقات السلطة المركزية بالسكان، لا تتوقف فقط على الوساطة، التي يشكلها العمال، وإنما كان الشيوخ يلعبون دورا أساسيا في هذه العلاقات، لأنهم يتولون تنفيذ الأوامر المخزنية مباشرة تجاه الأفراد، فيمثلون بذلك الدعامة الرئيسية للسلطة في القبائل. ولذلك أثار هذا الموقع الذي تحتله مؤسسة المشيخة جدلا نظريا، في مجال ارتباط السلطة المركزية بالسلطات المحلية، حتى إن روبير مونطاني ذهب إلى اعتبار مؤسسة المشيخة النواة، التي انطلقت منها السلطة الفردية، لترقى إلى مستوى السلطة القيداوية الإقليمية. وقد أولى هذه المؤسسة أهمية قصوى، في تطور العلاقات السلطوية بالجنوب المغربي، فخصص لها فصلا كاملا تحت عنوان، "نمو السلطة الفردية، الشيخ رئيس الفخذة" وعزز دراسته بأمثلة مختلفة، وحمل مسؤولية تحطيم الهياكل التقليدية لتسيير القبائل بالجنوب، إلى أطماع الشيوخ، الذين لم يألوا جهدا في تحويل كل السلط، وكل الإمكانات التي تتوفر عليها القبائل لصالحهم، مركزا آثار هذا التطور على النصف الثاني من القرن التاسع عشر(48).

ولقد بنى مطاني نظريته، على تصور خاص لتطور العلاقات السلطوية، بين القبائل بالجنوب والسلطة المركزية، فافترض أنه كان يتم في إطار استقلالية القبائل

48) Montagne (R.) : Ibid. pp. 269 - 299.

عـن السـلطة المركزية، التي كانت تدعم هؤلاء الشيوخ لتركيز نفوذها داخل القبائل، كلمـا أتيـح ذلـك، والذيـن يطمحـون بدورهـم إلـى اعـتراف السـلطة المركزية بهم، كمرحلة أولية للترقي إلى منصب القيادة.

إن هـذا التصـور، الذي ينبني على وجود فراغ، في نفوذ السلطة المركزية، يتم خلالـه نمـو السـلطة الفرديـة للشـيخ، قـد لا يصلـح أن يكون قاعدة لدراسة علاقات السـلطة المركزيـة بـالأجهزة التنفيذيـة المحليـة. ولقـد حاول بول باسكون، أن يبين أن هـذا الاتجـاه ليـس إلا واحدا من الاتجاهات، التي تحاول صياغة تطور السلطة الفردية من المشيخة إلى القيداوية(49).

إن هـذا الجـدل حـول مؤسسة المشيخة، وتطور علاقاتها بالسلطة المركزية، إنما يؤكـد أهميتهـا في النسيج الاجتماعي السلطوي، في ضبط العلاقات، بين السكان والسلطـات العليـا، ذلك أن الشيـوخ كما يقول أحمد التوفيق يمثلـون "في الحقيقة أركان المخزنية في القبيلة"(50). وخاصـة أنهـم ينبثـون فـي كل فرقها، فيكونون على صلـة دائمـة بالسـكان، مما يجعـل السـلطة المركزية، لا تعتمد فقط على العمال في ربـط الاتصال بهم، وخاصة في بعض الإيالات الكبرى، التي تضم ولاية القائد فيها قبـائل متعـددة، وذلك ما كان في منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، على سفحيه الشمالي والجنوبي، وهي نفس المنطقة، التي اعتمدها روبير مونطاني لصياغة نظريته.

ففـي السـفح الشـمالي للأطلـس، كـانت المنطقـة الممتـدة مـا بـين إيمن تانوت ووادي أوريكـة، تابعـة لقـائد مقيـم بمراكـش. وكـان القـائد إبراهيـم بـن سـعيد الأجـراوي، يتولى هذه المنطقة في منتصف القرن التاسع عشر(51)، فكـانت القبـائل بـ"الجبل إلى نظره"(52)، وينـوب عنـه الشـيوخ فـي تلـك القبـائل، إلا أنـه لـم يكن

49) Pascon (Paul) : Le Haouz de Marrakech. Rabat 1977. T 1. p. 295.

50) أحمـد التوفيـق : مسـاهمة فـي دراسـة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر اينولتان (1850- 1912) الجـزء الثاني : مطابع النشر المغربية 1980. ص 129.

51) Montagne (R.), Ibid. p. 110.

52) رسالة من السلطان إلى المولى الحسن. 5ذي الحجة 1288. / 15 فبراير 1872، خـ.حـ.ر.

يستطيع أن يحدث شيئا في أمرهم، دون مراجعة السلطة المركزية، وذلك ما كان واضحا في نماذج من علاقاته بالشيوخ، في كل من سكساوة ودويران وگدميوة.

لقد اضطر لمراجعة السلطة المركزية في أمر شيخ من فرقة سكساوة سنة 1853/1270 "وقع الشنآن بينهم وبين شيخهم، وطال مكثهم على ذلك"(53)، مما أدى به أن طلب من السلطان المولى عبد الرحمان، تنظيم الحركة إليهم، ولما "سمعوا بحس الحركة قاموا مزعزعين منها، وتوجهوا لدينا، وطلبوا منا، نجعل عليهم شيخا منهم، خوفا منهم عن رفع شيخهم الأول"(54). ولبى الأجراوي طلبهم، وعين عليهم "شيخا جديدا"(55) بعد أن فرض عليهم ذعيرة. فيكون تنصيب الشيخ على فرقة من سكساوة، قد قام به العامل، لكنه برر عمله بكون تلك الفرقة رفضت الشيخ القديم، وقبلت أداء الذعيرة لاتهامهم بقتل روح، إلا أنه علق تنفيذ الأمر، الذي أحاله على الوزير محمد الصفار، على موافقة السلطان "وعليه بالفضل منك، شاور سيدنا أعزه الله، على هذا الأمر، ليخرجوا مع شيخهم"(56).

لقد اتخذ الأمر شكلا آخر، فيما يتعلق بدويران، التي كان يتولاها الشيخ محمد أمبارك الدويراني، فحدث نزاع بينه وبين عامله الاجراوي، سنة 1865/1282 ومع ذلك لم يتمكن من النيل منه، وإنما صدر من السلطان محمد بن الرحمان إلى المولى الحسن، "الأمر بإصلاح الشيخ مع عامله"(57) فتظهر هنا سلطة الشيخ شبه مستقلة عن العامل رغم أنه تابع له.

---

53) رسالة من إبراهيم بن سعيد الأجراوي إلى محمد الصفار. 15ذي القعدة سنة 1270/ 9 غشت 1854، خ.ح.ر.

54) ن. م.

55) ن. م.

56) رسالة من إبراهيم بن سعيد الأجرواي إلى محمد الصفار. 15ذي القعدة 1270 /9 غشت 1854، خ.ح.ر.

57) 14 رمضان 1282/ 31 يناير 1866، ك. 47.

أما بالنسبة لگدميوة، فإن الأمر يظهر أكثر تعقيدا، ذلك أن العامل الاجراوي، الذي كان يتولاها كبقية المنطقة الجبلية، تعرضت له حادثتان مع شيخين من شيوخ گدميوة.

كانت الحادثة الأولى في محرم سنة 1289 / مارس 1872 ذلك أنه وقع نزاع بين العامل الاجراوي، واحد شيوخ گدميوة، فاشتكى به للسلطان، الذي أصدر للمولى الحسن، "الأمر بالبحث عما تشكى به الاجراوي، في شأن أحد من أشياخ گدميوة تقوي بالمزوضي حيث من أصهاره وتقعد عن مال وتصدى للفساد والإفساد"(58). فهذه نازلة معقدة، ذلك أن المشتكي هو العامل الاجراوي، المتولي شؤون گدميوة ولكنه مستقر بمدينة مراكش، والمشتكي اليه السلطان، والأمر بالبحث في القضية صدر للخليفة المقيم بمراكش مقر العامل، في حين أن المشتكي به، شيخ بگدميوة، تمنع بمساعدة عامل مزوضة، لعلاقة المصاهرة بينهما، عن أداء الأموال، التي ربما يكون قد قبضها من القبيلة كواجبات، وصار يحرض على أعمال، اعتبرت في نظر العامل مخلة بالنظام. وقد أضاف السلطان للمولى الحسن، "إن تحقق ذلك، فليكف المزوضي، ويقرع ويومر بالجلوس عند الحد، ويؤكد عليه في القبض على هذا الفاسد ومن معه، ويوجههم"(59)، على اعتبار أن مسؤولية تحريض الشيخ الگدميوي، تقع على المزوضي ولذلك إذا ثبت ما تشكى به العامل الاجراوي من شيخه، فإن وضع حد لتصرفه، يقوم به العامل المزوضي، بالقبض عليه وتوجيهه للسلطة المركزية. فيظهر من هذا مدى التعقيد في الإجراءات، ذلك أن الاجراوي عامل الشيخ الگدميوي، رغم مناهضته له، لم يتمكن من ممارسة سلطته عليه، فاكتفى بالشكاية للسلطان، الذي كلف الخليفة ببحث القضية، وإذا ثبتت إدانة الشيخ المتهم، فإن تنفيذ العقوبة أنيط به للمزوضي.

كانت الحادثة الثانية في صفر 1289 / أبريل 1872 لكنها ضد الاجراوي وشيخ مغوسة فرقة من گدميوة، ويظهر أنهما كانا على وفاق، إلا أن القائد المزوضي، استغل الصراع بين مَغوسَة ودويران، وادعى أن قبيلته تضررت منه،

---

58) 15 محرم 1289/ 25/ 47مارس 1872، ن.م.

59) 15محرم 1289/ 25 47مارس 1872، ن.م.

متهمـا الاجـراوي، بأنـه شـيخ علـى مغوسـة شـخصا "مع أنه مشتغل بالفساد"(60). فصـدر للملـى الحسـن، "الأمـر فيـه بـالكلام مـع الاجـراوي، وأن لا يشـيخ إلا من يحسن بالجيران"(61). تبيـن مـن هـذا، أن تعييـن الشـيخ يلعـب فيـه العـامل الـدور الأساسـي، إلا أنـه مقيـد بمراعاة حسن المجاورة بين القبائل، كما حدث بمغوسة، رغـم أن العـامل هـو الـذي عيـن شـيخها، إلا أن الشـكاية بـه مـن الجـيران مزوضة أفقدته المصداقية.

إن هـذه الأمثلـة مـن بعـض قبـائل السـفح الشـمالي للأطلـس، بسكسـاوة ودويـران وگدميـوة، توضـح أن تصرفات الشيوخ بهذ المنطقة، لم تكن فقط تخضع لمراقبـة العـامل، وإنما كانت السلطة المركزية توجه تصرفه تجاهها، مما يبين أن مؤسسة المشيخة، كانت لها وضعية خاصة.

لقـد كـانت مدينـة تـارودانت بالنسـبة للسفح الجنوبي للأطلس، وسوس، مقر السـلطة المركزيـة، يسـتقر بهـا الـولاة، "ويكـون رؤسـاء القبـائل تحت نفوذهم، ولا يكونون إلا شيوخا" كما يذكر المختار السوسي(62). هـذه الوضعيـة التـي تؤكد أمثلة مختلفـة، مـن عهـود ثلاثـة سـلاطين، سـليمان، عبد الرحمان، ومحمد، أن مؤسسة المشيخة، ظلت تابعة لعامل تارودانت إلا أن الروابط بينهما كانت على نسق معقد.

ذكـر أكنسـوس، فـي عهـد السـلطان المولى سليمان، أنه أوفده لسوس، فرجع منها مع أشياخها، "كتب لأشياخ سوس فلم يتخلف منهم واحد"(63)، وذلـك سـنة 1815/1231، لما اشـتكوا بعـامل تـارودانت، مولاي بن ناصر بن عبد الرحمان، فعزله السـلطان، وولـى مكانـه، الطـالب الحبيـب السيد محمد بن الكبير البخاري، إلا أن

60) 2صفر 1289/ 11 أبريل 1872، ن.م.

61) ن. م.

62) محمد المختار السوسي : خلال جزولة : الجزء 4. المطبعة المهدية. تطوان - المغرب. ص 145.

63) أكنسـوس محمـد بـن أحمـد : الجيـش العرمـرم الخماسـي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي. الطبعة الحجرية بفاس. الجزء الأول : ص 228. خـ. ع. ر.

أكنسوس، علق على تصرف الشيوخ معه، "فخانه الأشياخ وتفرقوا في بلادهم وتركوه في ردانة، لا يجد علف بهيمته"(64). دون ذكر لأسباب هذا التصرف، الذي يظهر منه، أن الشيوخ كانوا في وضعية متمايزة عن العامل.

إن استمرار العلاقات، بين الشيوخ وعامل تارودانت، كان خاضعا لهذا التمايز، الذي يحتفظ فيه الشيوخ بمكانتهم، وشبه استقلالهم عنه، ويظهر هذا واضحا من ظهير تولية شيخ تامنارت، في عهد السلطان المولى عبد الرحمان سنة 1845/1262.

"خديمنا الأرضى، الشيخ محمد بن حمو ابن القائد التامنارتي، وفقك الله وسلام عليك، ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد فقد وليناك على جبل سوس الأقصى من (زَدُّوتة) إلى (ايشت) ومن (وادي ألْغاس) إلى (وادي نول) وما بين ذلك من القبائل الجبلية، واسندنا إليك أمورهم الخاصة والعامة، وبسطنا لك يد التصرف عليهم"(65). يظهر من هذا الظهير بوضوح، أن مرتبة المتولي كانت شيخا، ولكن منطقة مشيخته، تمتد على مساحة جغرافية واسعة تضم عدة قبائل، وتتخذ تامنارت، المنطقة الاستراتيجية التاريخية مركزا لها، عند مدخل الأطلس الصغير تجاه الصحراء، ويمتد نفوذ المشيخة، على ظهر الأطلس الصغير في اتجاهين، نحو الشمال الشرقي حتى إداوْزدُّوت ونحو الغرب حتى وادي نول آي نون. فتراقب بذلك، شرايين تجارية كبرى بين الشمال والجنوب. ويقرر السلطان أنه "جعلناك واسطة بينهم، وبين خديمنا القائد حماد بن بومهدي الهواري"(66)، الذي كان عاملا على تارودانت، مبينا أن دور الشيخ هو الوساطة، بين السكان والعامل، في أمور حددها له، "تتولى قبض جبايتهم، وفصل دعاويهم، وأخذ الحقوق

---

64) ن. م. ونفس الصفحة.

65) محمد المختار السوسي : المعسول : الجزء العشرين: صفحة 251. ظهير صدر بتاريخ 16شعبان 1262/9 غشت 1846.

66) محمد المختار السوسي : ن. م.

منهم ولهم"(67)، فتكـون اختصاصاته جباية الضرائب، والقيام بالفصل في الدعاوي بـين السـكان، بالإضافـة إلى البث في كل القضايا، التي تمس النظام العام، لاستقرار تلك القبائل.

لقـد تبـين مـن هـذا الظهـير، أن الشـيخ لـم يكن أداة للعامل، فهو واسطة بينه وبـين السـكان، يقـوم بكـل اختصاصـات العـامل المحلية، كأنه في درجة مشابهة له، شبه مسـتقل عنـه، خاصـة أن تعيينـه كـان مباشرة من السلطان، الذي أصدر لعامل تـارودانت المذكـور، فـي ظهـير آخـر، "أمرناه أن يكون معك على رأي واحد، ونظر متحـد، وأن يشـد عضـدك ويعينـك فيما تحتاج إليه، من أمور خدمتنا الشريفة"(68). وبذلـك يظهـر بكـل وضـوح أن سـلطة الشـيخ والعـامل، إنمـا تسـتمدان من السلطة المركزيـة، وعليهمـا معـا العمـل وفـق ما تراه وتقرره، فتكون سلطة القائد مقيدة تجاه الشيخ.

لقـد تعـززت مكانـة الشـيخ إزاء العامل أيضا، في عهد السلطان المولى محمد بـن عبـد الرحمـان، كمـا كان الأمر في مشكلة شيخ مسگينة، الذي يظهر أنه عزل من منصبه، فتدخل عبد الله أبهي سنة 1864/1281، الـذي كتب للسلطان، "بالشفاعة فـي شـأن عبـد الله المسكيني، وتوليته على إخوانه شيخا"(69). وقـد نجـم عـن هـذا التدخـل الـودي، أن أصـدر السـلطان، "الأمـر للقـائد حميـدة الشـرگي، بالمسـاعدة على ذلك"(70). وهـو الـذي كـان يتولـى عمالـة تارودانت، ويتبع له شيخ مسگينة. هـذه القضيـة التي تداخلت فيها الاجراءات فالمستشفع عامل حاحة، والذي صدر له الأمر بالتنفيذ، عامل تارودانت، والمستفيد شيخ مسگينة.

إن هـذه النماذج المختلفة لوضعية المشيخة، تبين أن مكانتها جد معقدة، خاصة فـي القبائل التي لم تصل فيها بعد درجة السلطة مستوى القيداوية، والتي تتبع لقائد

67) ن. م. ونفس الصفحة.

68) ن. م. ونفس الصفحة.

69) 5ربيع الأول 1281/ 8 غشت 1864، كـ. 47.

70) ن. م.

مستقر بإحدى المدينتين، مراكش أو تارودانت، على سفوح الأطلس الشمالية أو الجنوبية وعلى امتداد منطقة سوس، مما يؤدي إلى صعوبة تصنيفها.

فقد التزم الاجراوي، في علاقاته مع كل، من شيوخ سكساوة ودويران وگدميوة، بمراعاة المصلحة المزدوجة، التقيد بمقتضيات السلطة المركزية، ومراعاة المصالح القبلية، عزل شيخا من سكساوة رفضته فرقته، لكنه تقيد بموافقة السلطة المركزية، التي فرضت عليه التصالح مع شيخ دويران، لتنصفه من شيخ گدميوي، إلا أنها لم تتورع من توجيهه، في تعيين شيخ لمغوسة يراعي المصالح المشتركة للقبائل المتجاورة. في حين استشارت شيوخ سوس، حينما أقدمت على عزل عامل تارودانت، وحددت بوضوح دور الشيخ واختصاصاته، لما عينت شيخ تمنارت، والزمت عامل تارودانت مساندته رغم أنه تابع له، ووافقت على إعادة تعيين شيخ مسگينة لفائدة تدخل ودي، واكتفت بإبلاغ عامل تارودانت ذلك القرار.

إن كل هذا، يوضح أن مؤسسة المشيخة، لها وضعية خاصة بهذه المنطقة الشاسعة من الجنوب، فهي ليست أداة تنفيذ أوامر العامل، فيتصرف فيها كما يشاء تعينا وعزلا وإنزال عقوبة، لكنها في نفس الوقت، تمر كل علاقاتها بالسلطة المركزية عبره، فيكون هناك تدرج سلطوي لا يحجب فيه العامل سلطة الشيخ الذي لا تخرج سلطته بدوره عن سلطة العامل، وتبقى السلطة المركزية الحلقة المنسقة بينهما.

ولذلك فإن منصب المشيخة، لم يكن يخضع لتصرفات أهواء الأفراد الذين يتولونه ، كما تصوره روبير مونطاني، رغم ما يقومون به من أعمال، تلحق أحيانا الضرر بالأفراد، وإنما كان يخضع لتعقيدات سلطوية تتفاعل فيها قرارات السلطة المركزية، وقرارات العمال وإرادة القبائل.

1 ـ 3 ـ الدعم المعنوي والمادي للولاة :

إن علاقات السلطة المركزية بالجهاز السلطوي، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، لم يكن تعنى فقط بالتعيين والعزل، وإنما كانت تعنى أيضا بدعم تلك السلطات التنفيذية عند الاقتضاء إما معنويا أو ماديا.

لقد كان الدعم المعنوي، يعتمد على كسب مزيد من ثقة السلطة المركزية والتعبير عن ذلك علانية، بحصول القائد على ظهائر الثناء، التي تعتبر كوسيلة لتزكية أعماله، أمام الملأ من القبائل والقواد، وذلك كتفويض له باستحسان ما قام به، فحرص العمال على الحصول عليها، إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة(71).

إن القائد محمد المتوگي، بعد أن استأنف الولاية على إيالته(72)، تقدم أوائل سنة 1867/1284 إلى السلطان بـ"طلبه لكتاب بالثناء عليه"(73). ولتعزيز طلبه بما يثبت استحقاقه للثناء عليه، علله "لكونه حصل رؤساء فساد الجبل"(74)، باعتبار أنه قام بخدمات في منتهى الصعوبة، فأنهى حالات من التمرد، داخل المنطقة الجبلية من إيالته دون تحديدها، يرفع مكانته داخل القبيلة، ويقوى نفوذه بالمنطقة، ويثبت صلاحيته أمام الأجهزة السلطوية المركزية والإقليمية.

لقد حرص خلفه عمر المتوگي أيضا، على كسب هذه الثقة من السلطة المركزية، فبعد توليته سنة 1869/1286 صدر "الإعلام للحاج عمر بالاعتقاد فيه، وفي والده، وإن ما سعى فيه من النصح والصلاح لا يضيع له"(75)، دون تحديد النصح والصلاح الذي سعى فيه المتوگي، وإنما حرص أن يبلغ سعيه للسلطة المركزية تزكية لمقامه عندها، والتي عبرت له عن استحسان غاياته، وإن الأمر له ماض في أسرته الحاكمة بالمنطقة. وما ذلك من المتوگيين في الواقع، إلا تبرير رسمي لأعمالهم. فحاول كل متول منهم الحصول على موافقة رسمية لأعماله، تزكية لهم أمام القبيلة.

إن القائد محمد بن عبد الله أبهي، سار أيضا في نفس الاتجاه، فبعد حوالي سنتين من توليته، تم الإعلام في سنة 1870/1287بـ "طلب القائد محمد بن الله أبهي

---

71) راجع حركة سوس والثناء على القائد محمد بن عمر البحتري، ص 146.

72) راجع ظروف إطلاق سراح محمد المتوگي. ص 177.

73) 11 ربيع الأول 1284/ 13 يوليوز 1867، كـ. 47.

74) ن. م.

75) 5 جمادى الثانية 1286/ 12 شتنبر 1869، ن.م.

الحاحي، الكتب في شأنه والثناء عليه"(76)، وكـان قرار السلطة المركزية في أمر هذا الطلب أن "سوعد"(77).

إن هـذه الطلبـات بالثنـاء والإشـادة والتقديـر، مـن كـل مـن المتوكـيـن محمد وخلفـه عمـر، ومن محمد أبهي، لها دلالات معنوية، فهي طلبات رسمية، تقدم بها أولئـك الولاة، للاعتراف الرسمي لهم بالتقدير. وما كان ذلك ليتكرر، لو لم تكن له دلالات أوسـع داخـل القبـائل، ولدى الأجهزة السلطوية، كدعم معنوي من السلطة المركزية، يزيدهم نفوذا، فيكون ذلك التقدير كترقية سلطوية واجتماعية.

لقـد كـان الدعـم المـادي فـي الواقـع، أكـثر إيجابيـة ذلك أن السلطة المركزية كـانت توافق، على مد القواد بالقوة العسكرية من جيش وعتاد، وإذا كان هذا الأمر يظهـر كأنـه شـيء واضـح، فإنـه يطـرح تسـاؤلات خاصة فيما يتعلق بالعتاد ونوعه، والذي كان يبعث به إلى القواد.

إن تتبـع هـذا الدعـم المـادي، فـي منطقـة طرفي الأطلس الكبير الغربي، يمكن رصـده بـين المتوكـيـن والسـلطة المركزيـة، فـي عهـد السـلطان المولى محمد بن عبد الرحمان.

ففي أوائل سنة 1864/1281، عقـب حركة سوس صدر، "الأمر بتوجيه مخازنية من الجيش السوسي للخدمة مع القائد عمر الشيظمي وقد كانوا مع قائد متوكة"(78) فقـد بـين هـذا أن فرقا من القوات العسكرية، كانت تنقل بين القواد، يوضعون تحت تصـرف هـذا القـائد، إلى أن تصدر لهم الأوامر للانتقال عند قائد آخر، كما حدث بـين المتوكـي والشـيظمي، ويظهـر أن أمـر انتقال القوات العسكرية، من قيادة متوكة إلى الشياظمة صدر قبيل اعتقال المتوكي(79)، ولمـا عـاد إلـى استئناف الحكم بإيالته،

76) 10 جمادى الأولى 1287/ 18 غشت 1869، ن.م.

77) ن. م.

78) 6 محرم 1281/ 11 يونيه 1864، ن.م.

79) راجع ظروف اعتقال المتوكي وتسريحه ص ص 176 - 177.

دعمته السلطة المركزية بقوة عسكرية، فتم "إقرار توجيه الفرسان 20للمتوگـي"(80). وقـد يفهـم مـن هـذا أن هنـاك قـوة محـدودة، كـانت تـلازم القائد بأمر من السلطة المركزية، ويمكن أن تلحق بقائد آخر عند الضرورة.

لقـد كـان الدعـم بالعتـاد الحربي، من أهم أنواع الدعم المادي، الذي له اعتبار فـي سياسـة السـلطة المركزيـة تجاه القواد، لأن وضع عتاد حربي متطور بيد القواد له دلالات خاصة، في السياسة العامة بالبلاد.

لقـد وضعـت السلطة المركزية عتادا هاما تحت تصرف المتوگيين، ذلك أنه في سنة 1871/1288، صـدر "الأمـر بتوجيـه بعـض المدافع، ومعلم طبجي، للقائد عمر بن سـعيد المتوگـي"(81)، وذلـك "ليسـتعين بهـا علـى كمـال الغـرض، فـي ضـرب فساد ايالته"(82). فبـين هـذا، أن السلطة المركزية، لم تكتف فقط بمد المتوگي بالعتاد الحربـي الثقيل من المدافع، وإنما أمرت بإرسال عارف حادق في استعمالها، ولا شك أنـه يكـون برفقـة فرقـة مـن المحنكـين فـي استعمال المدافع. وكان تعليل توجيه ذلك العتـاد الثقيـل، هـو القضـاء على حالات التمرد، الذي يظهر أن المتوگي ضخم منه، وتجـدد الأمـر أوائـل سـنة 1872/1289، بـ"مسـاعدة عمـر المتوگـي علـى توجيـه بعض المدافع"(83)، كأنـه يظهـر أن المدافـع التـي كـان قـد طلبهـا، وصـدر الأمـر بتوجيههـا لـم تصـل بعـد أو لـم تكـن كافيـة، وزاد علـى ذلـك فـ"طلـب مهرازا ومدفعين"(84). ممـا يبـين أنه ما زال في حاجة إلى العتاد الحربي المتطور، فأصر علـى طلبـه، وعلى تنويع السلاح من مدافع ومهارز، وكان قرار السلطة المركزية، أن "وجههـا لـه مـع مـا بالزمام من الإقامة"(85). فبـين هـذا بكـل وضـوح، أن السـلطة

80) 4 ربيع الأول 1285/ 25 يونيه 1868، ن.م.

81) 23 ذي القعدة 1288/ 3 فبراير 1872، ن.م.

82) ن. م.

83) 13 محرم 1289/ 23 مارس 1872، ن.م.

84) ن. م.

85) ن. م.

المركزية لبت حاجيات المتوگي من العتاد الحربي، مع ذخيرته، وحررت لائحة عن ذلك قدمتها للسلطان، ويزداد الأمر حيرة، حينما أبلغ المتوگي، "وأكد عليه في توجيه أثمانها"(86)، مما يوضح أن السلطة المركزية، كانت تضع كل أنواع العتاد الحربي تحت تصرف القواد، إلا أنها كما يظهر من النص، تلزمهم بأداء ثمن الذخيرة.

إن العتاد الحربي الثقيل، لم يكن مقتصرا على قائد واحد بالمنطقة، ذلك أن السلطة المركزية، أبلغت "ما طلبه الحاج عمر المتوگي من المهراز الذي عند الحنشاوي"(87). فيفهم من هذا، أن انتقال العتاد الحربي الثقيل، من قائد إلى آخر، كان يتوقف فقط على إذن من السلطة المركزية، مثل ما سبق ذكره، من انتقال الجيوش، ولا يحق لأي قائد أن يحتكر ذلك العتاد الثقيل، إنما يسلمه لغيره، بكل بساطة بمجرد ما يبلغ بأمر من السلطة المركزية، كما تسلم أيضا الذخيرة معه، فحينما طلب المتوگي المهراز، الذي عند الحنشاوي، طلب أيضا "تنفيذ إقامته من عند أمناء الصويرة"(88)، وكأن الأمر كله ما كان إلا عاديا، فإن الأمناء ما عليهم إلا تسليم حاجيات القائد المتوگي من الذخيرة، بمجرد الأمر بالتنفيذ، وهذا ما حدث، فقد صدر الأمر، "بالمساعدة والتنفيذ"(89). ورغم كل هذه الطلبات، التي تقدم بها المتوگي من الحصول على العتاد الحربي الثقيل، والذي صدر الأمر بتنفيذه له، مع دخيرته، فقد أصر على طلب مدفع آخر "من المدافع التي بدار الحنشاوي"(90) فبين هذا أن دار القائد عمر الشيظمي، كان بها عتاد حربي ثقيل مهم، وأن المتوگي كان يتزود منه، كما يتزود من أمانة الصويرة بالذخيرة.

86) 13 محرم 1289/ 23 مارس 1872، ن.م.

87) 12 صفر 1289/21 أبريل 1872، ن.م.

88) ن. م.

89) ن. م.

90) 24 ربيع الأول 1289/ 22 ماي 1873، ن.م.

لقد بينت تصرفات السلطة المركزية، أمام طلبات المتوگي التزود بالعتاد الحربي الثقيل، أنها كانت توافق على تزويده به، كما تزوده بقوة عسكرية محنكة في استعماله، وأن وجود هذا العتاد، لم يكن موقوفا على المتوگي بالمنطقة، فقد كانت دار القائد عمر الحنشاوي مركزا يتزود منه بذلك العتاد.

إن هذا كله، يدحض ما يذكره عدد من المؤرخين الأجانب، والذي لخصه بول باسكون، حول ما يتعلق بالعتاد الحربي الثقيل والقواد، فاعتبروا أن وضع عتاد حربي ثقيل تحت تصرف المدني الگلاوي، كان سببا في توسيع نفوذه، وما تم له ذلك إلا صدفة، وفي ظروف صعبة، اضطر فيها السلطان المولى الحسن، إلى تركه عنده، أثناء عودته من حركة تافلالت سنة 1893. فذكر تقرير سري لمسؤول عسكري فرنسي، كان بسيدي رحال، عقب وصول السلطان له، أنه ترك أسلحة في ذمة كل من قائدي دمنات وگلاوة، لصعوبة اجتياز تزي نْ تَلْوَاتْ، في ظروف شتوية قاسية، على أساس تسليم تلك الأسلحة، بعد أن تتيسر ظروف السير، عبر ممر تزي ن تلوات، ويخلص بول باسكون إلى أن هذه الأسلحة الثقيلة، لم ترد أبدا، وهي التي استعملها المدني الگلاوي فيما بعد لتوسيع إيالته(91).

إن هذا الاتجاه في شرح الأحداث، غير مطابق للواقع، الذي كان المولى الحسن قد تعوده مع القواد، منذ عهد والده محمد بن عبد الرحمان، كما دل على ذلك تصرفاته مع المتوگي والحنشاوي. فقد كان المنفذ لتزويد المتوگي، بما كان يحتاجه من الأسلحة الثقيلة، من المدافع والمهارز وذخيرتها. ولم يكن تنفيذها له من العاصمة مراكش، وإنما كان يأمر بنقلها من دار قائد آخر بالمنطقة، الحنشاوي، وبالذخيرة من أمانة الصويرة، وما كان مثل هذا العمل ليخوفه من أمر القواد، حتى اتخذ تركه للعتاد الحربي الثقيل عند الگلاوي، لظروف طقسية صعبة، كأنه حظ للگلاوي(92)، مكنه من دحر أعدائه، في حين أن المولى الحسن كان قد تعود تسليم القواد العتاد الثقيل بكل أنواعه، ولم يكن يتخوف أن يستعملوه في أغراض، لا توافق السلطة المركزية عليها، ما دامت تتمكن من تأديبهم.

91) Pascon. (P.) Le haouz de Marrakech. T 1. pp. 311 -312.
92) R. Montagne : Les berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc. Paris 1930. pp. 335.

1 - 4 - مسألة تأديب الولاة :

إن تأديب القواد، الذي تقوم به السلطة المركزية، يتخذ أشكالا مختلفة حسب ما يرتكبون من خروقات، تؤدي لشكوى السكان منهم، فتنزل بهم العقوبات من عزل وسجن.

لقد تكررت شكاية القبائل بالمتولين من القواد، في منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، ذلك ما قامت به قبيلة مزوضة، ضد عاملهم محمد بن أحمد المزوضي سنة 1283، فصدر الأمر للمولى الحسن، "بالبحث على ما ادعوه، وإن تحقق صدقهم، فاقبض عليه وول عليهم غيره"(93). وصدر له نفس الأمر أيضا، لما اشتكت كل من قبيلتي نفيفة ودمسيرة، بالقائد محمد المتوكي سنة 1868/1285 "أبحث في أمرهم، وإن تحقق عندك اضراره بهم، وتعديه عليهم، فاعزله عنهم، وول عليهم واحدا منهم"(94). يتبين من هذين المثالين، أن السلطة المركزية، تولي الاهتمام لشكاية السكان بالولاة بالمنطقة، إلا أنها تتعامل مع تلك الشكايات بحذر، فتأمر أولا بالبحث في صحة شكواهم، وبناء على ذلك تامر باتخاذ العقاب المناسب، إما بالعزل أو القبض، فيكون مصير القائد من الخروقات التي يرتكبها، أن تؤدي به إلى السجن إذا ثبت في حقه ما تشكي منه السكان.

لقد تم بالمنطقة سجن محمد المتوكي سنة 1864/1281، كما صدر سنة 1869/1286 "الأمر الشريف بجعل خليفة القائد عمر بن أحمد الشيظمي، حين يرد ويثقل بالحديد بعد جعله في سجن مصباح لما صدر منه من جرائم"(95) وتبين من ذلك أن سجن رجال السلطة، كان يطال الولاة وخلفاءهم، كما حدث لخليفة القائد عمر الشيظمي، بتهمة ارتكابه جرائم استوجبت الاعتقال.

---

93) 9 شوال 1283/ 14 فبراير 1867، ن.م. راجع الصراعات بين المزوضي وقبيلته ص. ص. 269- 273

94) 30 جمادى الثانية 1285/ 18 أكتوبر 1868، ن.م. راجع الصراع بين المتوكي وكل من تفيفة ودسيرة. ص.ص. 218-226

95) 4 صفر 1286/ 13 ماي 1869، ك. 47.

إن مسألة عقاب الولاة وأسبابه، تعتبر من العناصر الأساسية في تصرفات الدولة، ذلك أن الولاة هم صلة الوصلة بينها وبين السكان، ولذلك يثير عقابهم حساسية لدى الطرفين، كما يبين درجة من الضبط السلطوي، فلا يترك الولاة أحرارا في تصرفاتهم. إلا أن إشكالية العقاب والظروف المحمولة عليه، اختلفت لدى ثلاثة سلاطين من القرن التاسع، وهم بالتوالي السلطان سليمان وعبد الرحمان ومحمد، فقد أورد أكنسوس نقاشا حول موقف كل من السلطان مولاي سليمان، والسلطان مولاي عبد الرحمان من عقاب الولاة. فذكر أن المولى سليمان، كان متشددا في معاملتهم، لأن "العمال عنده محمولون على الظلم والطغيان ولا يحتاج في إثبات ظلمهم إلى بينة، لا سيما إن طالت ولايته"(96)، إلا أن اكنسوس يعقب على هذا التصرف، أنه "لما اشتهر عند العامة أن السلطان لا يحتاج في الشكاية بالعامل إلى بينة صار كل من أراد عزل عامله، اجتمعت شرذمة وشكوا إلى السلطان، فيعزله، ثم إذا لم يوافقهم عن مرادهم فعلوا مثل ذلك"(97). واستنتج أكنسوس، أن هذا التساهل، الذي كان يأخذ به المولى سليمان، في معاقبة العمال بالعزل، بمجرد الشكاية، ترتب عنه، أن " لا يستقيم للحكام حكم على الرعية، وبذلك يحصل الخلل وانحلال الأمور الدينية، فكان الضرر الناشئ عن تبديل العمال بأدنى سبب أقبح وأشد من الضرر الناشئ في الصبر على ظلم العامل"(98)، واعتبر أكنسوس بناء على هذا الاستنتاج، أن السلطان عبد الرحمان، اقتنع بمخالفة عمه في استبدال العمال بمجرد الشكاية (99)، حتى إنه كان يقول حسب ما ذكره أكنسوس "الرعية أظلم من العامل وظالم واحد أخف من ظلم العدد الكثير"(100).

إن تباين تصرف السلطانين في مسألة عقاب الولاة، يؤكد الصعوبة التي تكتنف هذا الجانب السلطوي، ولذلك فإن السلطان المولى محمد بن عبد

---

96) أكنسوس. الجيش العرمرم. ج. 1. ص 55. خـ. ع. ر.
97) أكنسوس. ن. م. ج. 1. ص 56. خـ. ع. ر.
98) أكنسوس. ن. م. ج. 1. ص 56. خـ. ع. ر.
99) أكنسوس. ن. م. ج. 1. ص 56. خـ. ع. ر.
100) أكنسوس. ن. م. ج. 1. ص 56. خـ. ع. ر.

الرحمان، التزم السير الوسط بين الموقفين تجاه العمال، فلم يكن يهمل شكاية السكان بهم، إلا أنها لم تنهض دليلا واحدا لعزلهم، فكان يأمر بإجراء البحث وذلك وفقا لموقفه الذي عبر عنه للمولى الحسن، لما أمره بالبحث في قضية شكاية نفيفة ودمسيرة بالمتوكي. "فاعلم أنا لا نحب الظلم لأحد من رعيتنا ولا نوافق عليه ولا نقر أحدا من عمالنا على الجور والتعدي ولا نرتضيه"(101).

1 - 5 - إشكالية مصادرة أملاك الولاة :

لم تكن علاقات الولاة بالسلطة المركزية، علاقة مبنية على إشكالية محدودة، يسهل الفصل فيها بالتنحية، عقابا بالعزل أو وفاة، لتتوقف متابعة السلطة المركزية للوالي، وإنما تطال قضية رئيسية، تتمثل في مصادرة الأملاك، مما يطرح إشكالية صعبة التقدير.

قد يرجع تصرف الدولة إزاء هذه القضية، إلى الدور المعقد الذي يقوم به الولاة، في النسيج السياسي المغربي، فهم بمثابة جهاز تنفيذي واسع، يتولى اختصاصات متنوعة، كضبط الأمن، وجمع الضرائب، ومراقبة السير السلمي للأعمال داخل القبائل، من أنشطة اقتصادية، وقضائية(102)، واجتماعية وثقافية، فتتيح هذه المراقبة الواسعة للولاة سيطرة، تمكنهم من استغلال كل الفرص لتكوين ثروات هامة،(103)، ولذلك فإن السلطة المركزية، كانت ترجع على هذه الثروات، فتجعلها تحت تصرفها عند تنحية الوالي قسرا أو وفاة، وذلك ما حدث، في منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، بالنسبة لقيادتي متوگة وأيت أبهي الحاحية، مع اختلاف الأسباب، والظروف لكل منهما.

لقد تعرضت ممتلكات قيادة متوگة، إلى تحويلها تحت مراقبة الدلة مرتين، حينما سجن محمد المتوگي سنة 1864/1281، ولما توفي أوائل سنة 1867/1284. فلما

101) 30 جمادى الثانية 1285/ 18 أكتوبر 1868، ك. 47.
102) أحمد التوفيق. إينولتان. ج. 2. ص 141.
103) أحمد التوفيق. ن. م. ج. 2. ص 142.

أطلق سراحه سنة 1866/1283، طلب من السلطة المركزية، "لما مكن من مفاتيح دوره، من مصاحبة عدلين، في الدخول لاختبار المحل، الذي دفن فيه العدد 460 من الضبلون"(104). يبين هذا بوضوح أن أملاكه بمدينة مراكش، كانت تحت مراقبة السلطة المركزية لما سجن، وسلمتها له بمجرد عودته للحكم. إلا أنه شك أو أخبر بذلك من خواصه، من كون ما كان مدفونا بها من المال قد سرق، فلذلك طلب أن يكون دخوله لها بمراقبة عدلين، لمعاينة مكان دفن المال، الذي "وجد منبوشا مستخرجا ما فيه"(105). فإثبات التهمة ما تأتي له إلا بحضور العدلين، اللذين حررا معاينة للأمر الواقع، وعلى إثره، اتخذت السلطة المركزية قرارها، فـ "قبضت على الحاج عبد الله بوزيان الذي كان ساكنا بها"(106). وإن هذا القرار بالقبض، ما كان يتم لولا وجود "قرائن الأخذ عليه، مع قوة التهمة، بإبدال جص المحل"(107). فنهض ذلك دليلا على صحة تهمته، باعتبار استبدال جص المحل كله، ما كان إلا تمويها لإخفاء آثار الحفر، فأيد السلطان إجراء القبض، الذي قام به المولى الحسن، على الجاني "فأمر بالتضييق عليه حتى يظهر ما اختلس"(108). فيدل هذا، أن أملاك المتوكي، رغم أنها كانت تحت تصرف الدولة أثناء سجنه، فقد حافظت عليها، والتزمت الساكن بها، ربما للحراسة، باسترجاع ما اتهم أنه اختلسه من المال، الذي كان المتوكي دفنه في داره. ولقد يفهم من تحويل ممتلكات القائد المتوكي، إلى خضوعها لمراقبة الدولة، حفظها من مثل هذه الآفة التي تعرضت لها، ريثما يبث في قضية القائد المسجون، فيكون تصرفها فيها رهينا بمصير القائد، ولما أعيد إلى الحكم، نفذت له أملاكه، وأنزل العقاب بمن وكل بحراستها، لاتهامه بارتكاب جريمة السرقة.

---

104) 15 ذي القعدة 1283/ 21 مارس 1867، ك. 47.

105) ن. م.

106) 15 ذي القعدة 1283/ 21 مارس 1867، ن.م.

107) ن. م.

108) ن. م.

ولما توفي نفس القائد المتوگي، أوائل سنة 1268/1886، طـرح مـن جديـد مصير ممتلكاتـه، فتـم "توجيـه زمام الأمناء المشتمل على ما وجد بعرصته"(109)، التـي هـي مقر سـكناه بمراكش ، مما يبين أن السلطة المركزية، قامت من جديد بوضع ممتلكات المتوگـي المتوفـى ومـا بهـا تحـت مراقبتهـا، ريثما يبث في التولية الجديدة، وإن إجراء المراقبـة، لم يكن مقتصرا فقط على الأملاك التي بالمدينة، وإنما شمل أيضا الدور التي بالباديـة، إلا أن هـذا الإجـراء تـأخر، فوقع "بيان سبب عدم التوجه لما بداره بالبادية، وهو ورود ولد آخيه الحاج عمر"(110)، الـذي مـا أن رجع إلى البادية، حتى كان في صحبته أمين "لإحصاء متروك عمه"(111). ذلـك أن السـلطة المركزية، حرصت على اطلاعهـا علـى كـل ما تركه محمد المتوگي، ورغم أنها عينت عمر المتوگي خلفا له في القيادة(112)، فلـم تعفه من إجراء إحصاء تركة عمه، فتم "الإعلام بتوجيه ما عثر عليـه الأمنـاء بـدار المتوگـي بقبيلته، وما اعتذر به الحاج عمر، ولم يسمع منه"(113). ممـا يبـين أنـه كـان يحاول عرقلة الإحصاء، وإخفاء الحقيقة على القائمين به، ومناورة علـى السـلطة المركزيـة، تقـدم ب "طلـب تثمـين مـا يقـع منه انكسار قرابته"(114). وأصـر على هذا الموقف، الذي يطالب فيه بتقويم تركة عمه، وإن "ما ينشأ عنه يدفعه بعينه انكسار خاطر قرابته"(115)، مسـتغلا التعفـف مـن اسـترجاع مـا صار إلى أفراد الأسـرة مـن التركـة. لكـن السـلطة المركزية، أصرت أولا على إظهار حقيقة التركة، "توجيـه الزمام المحال عليه أولا، ليتبين ما طلب من الحوائج"(116)، معتـبرة أن إجـراء إحصـاء حقيقـي لمتروك المتوگي، هو العمل الأول، الذي يجب القيام به، "لأن المراد

(109) 14 محرم 1286/ 26 أبريل 1869، ن.م.
(110) 14 محرم 1286/ 26 أبريل 1869، ن.م.
(111) 26 محرم 1286/ 8 ماي 1869، ن.م.
(112) راجع تولية عمر المتوگي على قيادة متوگة، ص ص 128 - 129.
(113) 24 ربيع الأول 1286/ 4 يوليوز 1869، ن.م.
(114) ن.م.
(115) 28 ربيع الثاني 1286/ 9 شتنبر 1869، ن.م.
(116) ن.م.

دفع مال بيت المال، لادفع المسائل التي لا عبرة بها"(117). فالسلطة المركزية لم تكن ترى أن متروك المتوگي، هو ملكه الخاص، ذلك أنه كان موكولا على أموال الدولة أيضا، والتي كان يجمعها من الواجبات الشرعية وغير الشرعية، علاوة على قيامه بوظائف أخرى، تتيح له التصرف في أموال الدولة، التي حرصت على جعل تركته تحت مراقبتها، ثم يظهر ما تفعل، ما يمكن أن تتنازل عنه لأسرة الهالك، وما لا يمكن، باعتباره من الحقوق العامة، التي لها وحدها حق التصرف فيها، رغم أن الحكم استمر في نفس الأسرة، إلا أن مسألة السماح بالتصرف كلية في تركة المتوفي، مرهون بموقف السلطة المركزية.

لقد عرفت قيادة أيت أبهي بحاحة أيضا، إجراءات تحويل ممتلكاتها تحت تصرف الدولة، وذلك في حالتين : في متروك الحسين بن سالم أبهي، خليفة عبد الله بن عبد الملك أبهي، ثم في أملاك قيادة أيت أبهي نفسها، بعد ثورة حاحة ضد محمد أبهي سنة 1288(118).

كان الحسين بن سالم أبهي، خليفة عبد الله أبهي، الذي ما أن توفي بمراكش(119) أواخر سنة 1284، سنة 1867حتى مات أيضا الحسين بن سالم أبهي، في ظروف غامضة، واتهم محمد بن عبد الله أبهي، الذي تولى قيادة حاحة، بأن له ضلعا في وفاته، ولذلك ألزمته السلطة المركزية، "بما كان مطالب به الحسين أسالم، وبذعيرة الافتيات في قتله ومن معه، وإخبار بالكذب في كيفية موتهم"(120). فاضطر محمد أبهي للإجابة، "عما كتب له به من موت الحسين وأخيه من الامتثال، لما أشير به عليه في ذلك، وأنه جاد في تيسير ما وظف عليه"(121). فيوضح هذا إثبات التهمة، وربما كان يسعى فيما ارتكبه

117) 24 ربيع الأول 1286/ 9 شتنبر 1869، ن.م.

118) راجع ثورة حاحة، ص ص 351-359.

119) راجع ظروف تنحية أبهي وموته، ص ص 342 - 345.

120) مهملة التاريخ أواخر جمادى الأولى سنة 1286. كـ. 47.

121) 18رجب 1285/ 4 نونبر 1868، ن.م.

للسيطرة على ثروته، إلا أن السلطة المركزية لاحقته في أمرها أيضا، فكتب لها "عن متاع ابن عمه الحسين من أنه وجه متروكه على التمام"(122)، ولكن السلطة المركزية لم تركن إلى جوابه، ذلك أن السلطان أعلم المولى الحسن، "أن الناس مطبقون على خلاف ما قال"(123)، وأن إصراره على معرفة الحقيقة، يرجع إلى كونه، يعتبر ما كان تحت يد الحسين بن سالم بأنه، "مال بيت المال لا يترك لأحد"(124). ولذلك جدت السلطة المركزية لمعرفة حقيقة أموال الحسين أسالم، فاستدعت كاتبه "في الأمان، ما كان أريد استفادته من المذكور الهالك"(125)، وكان كاتبه الطالب على إگِيدرْ(126)، هو الذي تم استدعاؤه إلى مراكش، إلا "أنه بلغه أن عامله القائد محمد بن عبد الله أبهي، يتحلف عليه وعلى الظفر به، ويتوعده بالإيقاع به"(127). ولم يقتصر على ذلك، بل "كتب في شأنه للقائد إبراهيم الاجراوي، والقائد محمد بن بله الرحماني"(128). مما أدى بعلي إگِيدَرْ أن "تخوف من ذلك وتوجه للحرم العباسي"(129). ضمانا لحياته، وأنه لم يخرج منه، حتى جدد له المولى الحسن الأمان(130). مما يثبت التهم التي وجهت لمحمد بن عبد الله أبهي، الذي يسعى بكل وسائله، أن يحول دون اتصال كاتب الحسين أُسالم، علي إگِيدَرْ، بالسلطة المركزية، لأنه هو الذي، "يبين مال الحسين أسالم أين هو، وما هو منه عند ولد السيد عبد الله أبهي، وما هو منه عند المتوگي، وما هو عند غيرهما"(131). فيفهم من هذا، أن الحسين بن سالم، ترك ثروة مهمة، توزعتها

---

122) 15 رجب 1285/ 1 نونبر 1868، ن.م.

123) ن. م.

124) ن. م.

125) 25 جمادى الأولى 1285/ 15 شتنبر 1868، ن.م.

126) رسالة موسى بن أحمد إلى المولى الحسن بتاريخ 22 شعبان 1285/ 8 دجنبر 1868.خ.ح.ر.

127) ن. الرسالة.

128) ن. الرسالة.

129) ن. الرسالة.

130) ن. الرسالة.

131) ن. الرسالة.

قـوى المنطقـة، وحـالت دون وضعها تحت تصرف الدولة، التي ترى أنها من الحقوق العامـة، يعود لها وحدها حق التصرف فيها، ولذلك بذلت قصارى جهدها للوصول إليها.

لقـد تعرضت أملاك أبهي نفسها، إلى جعلها تحت تصرف الدولة، ذلك ما أن قامت ثورة حاحة سنة 1871/1288 ضـد محمـد أبهـي (132)، حتـى أبلغـت السـلطة المركزيـة كـلا، مـن "عـامل الصويـرة وأمنائها" للقيام بـ"إحصاء أملاك ولد أبهي وما احتوت عليه دار سكناه بها"(133).

يبـين هـذا، أن السـلطة المحلية بالصويرة أجرت إحصاء عاما لأملاك أبهي، ولم يستثن حتـى سـكنى محمـد أبهـي نفسـه، بعد ما تبين أن قبيلته أطاحت به. ويثبت تصرفهـا هـذا، أن الإحصـاء والحجز على ممتلكات القائد، لا يتم فقط بعزله ووفاته، وحتـى حينمـا ترفضـه قبيلتـه، مما يبـين أن الممتلكات التي يتصرف فيها، تعتبر لدى السـلطة المركزيـة والسـلطات المحلية، بمثابة حقوق عامة، ناب عن الدولة في إدارتها. بل إن عامل الصويرة، أصدر أمرا، "بتثقيف ما يباع بها من حليه وأثاثه"(134)، وهـي الأشـياء التـي نهبـت مـن دور أبهـي بالباديـة، لما داهمها الثوار، فبين هذا أن السلطة كانت حريصة على استرجاع تلك الأموال، رغم أنها أصبحت بيد الناهبين.

لقـد الـتزمت السـلطة المحليـة بـالصويرة، بعـدم تفويـت أملاك أبهي لأي حد، وحتـى لمـا تولي محمد بن الطاهر الذوبلاني أمور حاحة، فطلب دارا من دور أبهي، "للعـامل والإمناء بذلك، أجابوا بأن النص وقع من الجانب الشريف، على عدم تنفيذ مـا لـه من دور أولاد أبهي"(135)، حرصـا عليهـا مـن أي تصـرف بـدون إذن مـن

132) راجع ثورة حاحة ضد محمد أبهي، ص ص 351 - 359.

133) 24 ربيع الثاني 1288/ 13 يوليوز 1871، كـ. 47.

134) 28 جمادى الثانية 1288/ 14 شتنبر 1871، ن.م.

135) 14 ذي الحجة 1288/ 24 فبراير 1872، ن.م.

لسلطة المركزية، فاضطر الذوبلالي للكتابة للسلطان، الذي أصدر أمره للسلطات المحلية بالصويرة بإبدال سكناه "بمحل أوسع منه"(136).

إن هذه الأمثلة المتكررة، لموقف السلطة المركزية، من ممتلكات الولاة بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، سواء المتوگيين أو الحاحيين، يبين أنه موقف له سند شرعي، باعتبار أن ما يتصرف فيه الولاة من المتوگيين، أو آل أبهي الحاحيين إبان توليتهم السلطة، ما هو، كما كرر السلطان محمد بن عبد الرحمان ذلك، إلا "مال بيت المال"، وأن هذا "المال لا يترك لأحد" منهم، عندما يبعد عن السلطة، مهما تنوعت أسباب إبعاده، سواء بالعزل، أو الثورة، أو الوفاة، ذلك السند الشرعي الذي ينطلق من مقومات الدولة الإسلامية، التي يرى ابن خلدون، أن سلاطينها يعتبرون المال الذي يؤول إلى المتولين شؤون السلطة، مهما كانت رتبتهم داخل الدولة، "إنه جزء من مالهم، كما يرون أنه جزء من دولتهم، إذ لم يكتسب إلا بها وفي ظل جاهها"(137). فيكون تبرير الاستيلاء على أموال المتوليين، أنها جزء من مال الدولة، لأنهم يتولون الجباية(138)، ولذلك فإن الأموال التي تجمع بهذه الوسلة، يجب أن تعود للدولة "للإنفاق في المصالح"(139). فما دام الأمر كذلك، فإن الدولة ترى من حقها استرجاع أموال الولاة، وجعلها تحت تصرفها، وخاصة أن طريق تكوين تلك الثروات، إنما تتم باسم الدولة، ويرى ابن خلدون أنه "يستعمل فيها الناس من غير عوض"(140). وفي هذا الصدد ذكر روبير مونطاني، أن عبد الله أبهي، أصلح أراضي فلاحية شاسعة بقبيلة حاحة، وشجر بأشجار الزيتون مساحة شاسعة بأَزَغَار بمنطقة أزغار بأيت زَلْطَنْ قرب مقر سكناه، وكانت القبائل تقوم بأعمال السخرة في مواسيم الحرث والحصاد، كما أنشأ مخازن متعددة قرب قصبته، تستودع فيها أعشار القبائل والزوايا(141).

136) ن. م.

137) عبدالرحمان ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون. دار القلم، بيروت، طبعة 1981. ص 285.

138) عبدالرحمان ابن خلدون : ن. م. ص 285.

139) عبدالرحمان ابن خلدون : ن. م. ص 285.

140) عبدالرحمان ابن خلدون : ن. م. ص 389.

141) R. Montagne : Les berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc. p. 381.

إن هـذه الأمثلـة القليلـة مـن الأعمـال التـي قـام بها عبد الله أبهي، تبين أنه ما كـان يتم ذلك لولا السلطة، التي كان يمارسها على القبائل، ولم يشذ في ذلك، فقد مـارس المتوگيـون نفس الاستغلال، فاختلطت الأعمال التي يقوم بها القائد لصالحه، بـالتي يقـوم بهـا للدولـة بإسـهام القبـائل، وخاصة أنه يمثلها في الجباية بكل أنواعها، فتكـون ثروتـه خليطا، ترى الدولة أن من حقها أن تستردها، أو تضعها تحت تصرف متـول جديـد، لينفـق منهـا علـى مصـالح الدولـة، باعتبـار أن أسـاس جمـع تلـك الإمكانات، هو سلطة القائد التي هي امتداد لسلطة الدولة.

1 - 6 - إشكالية الاستراتيجية لأگدير وتعقيدات الولاية عليه : كنموذج

لـم تقتصر مشكلة تنوع الولاية، في منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، على القبائل، بل ظهرت أيضا في مدينتي المنطقة، أگدير والصويرة.

لقـد تميزت أگديـر بوضعية إدارية خاصة، سواء من حيث التبعية السلطوية أو تموين ممثلي السلطة بها.

كـانت قيـادة أگديـر ذات طـابع مـزدوج، "لكـون قائدهـا يكـون معينا لعامل سوس وحاحة طبق الأمر الشريف"(142)، تلـك الازدواجيـة التي تتناوب فيها عمالتا تـارودانت وحاحـة التولية على أگدير، طبقا لإرادة السلطة المركزية، والتي تعلل هذا التناوب "لمصلحة اقتضت ذلك"(143). ولذلـك قبـل السـلطان طلـب عبد الله أبهي أوائل سنة 1284 "التولية على أگدير"(144)، معلـلا أن المصلحة في ذلك، كون أبهي أراد "الاستعانة بها على فساد إداوتنان"(145)، لمـا كـان يستعد لاقتحامها، فكان في حاجـة إلـى الموقـع الاسـتراتيجي الـذي يمثلـه أگدير، فلبى السلطان طلبه "فولى وأمر

142) 2 ذي الحجة 1285/ 16 مارس 1869، كـ. 47.

143) 27 محرم 1286/ 15 ماي 1869، ن.م.

144) 3 محرم 1284/ 7 ماي 1867، ن.م.

145) ن. م.

الخليفة به لمن قبله، أن يكون خليفته"(146)، فانتقلت السلطة المباشرة على أگدير، من عامل سوس إلى عامل حاحة، وبما أن الخليفة هو الذي يمارس السلطة المحلية بالنيابة، فقد صدر له الأمر من السلطة المركزية، أن يصبح خليفة عامل حاحة بدل خليفة عامل تارودانت، ويوضح هذا، أن منصب خليفة القائد بأگدير منصب قار، ويتبع عامل سوس أو حاحة حسب ما تقتضيه المصلحة، التي توافق عليها السلطة المركزية. وبذلك أصبح أگدير تابعا لحاحة منذ محرم 1284 / ماي 1867.

ولما وقع التغيير في عمالة حاحة، بتولية محمد بن عبد الله أبهي، قام في رجب 1285/ أكتوبر1868 بتوجيه "خليفته لأگدير"(147)، ولكن استمرار ولايته عليه لم تدم طويلا، إذ سرعان ما تدخلت السلطة المركزية، فأجرت التعديل في ذي القعدة 1285"الأخبار بأنك أجريت أمر أگدير، على ما كان عليه قبل إسناده للطالب عبد الله أبهي، طبق ما أمرناك به"(148)، وذلك بعد أزيد من أربعة أشهر من تعيين محمد بن عبد الله أبهي، خليفته عليه. ويكون أگدير، قد تولى عليه عبد الله أبهي، ثم ابنه محمد، مدة تقترب من سنتين، من أوائل سنة 1284 إلى أواخر 1285، ثم تدخلت السلطة المركزية، وأعادت توليته لعامل سوس، فأشعرت كل السلطات المحلية المعنية بهذا التغيير، "كتبت لوصيفنا أحمد أعلى بذلك"(149)، قائد أگدير العسكري، "ولخديمنا احميدة الشجعي"(150)، عامل تارودانت، "ولخديمنا محمد بن عبدالله"(151)، عامل حاحة، الذي صدر له الأمر أيضا، "لنقل خليفته"(152) من أگدير، رغم أنه حاول التمسك بالاستمرار في التولية عليه،

146) ن. م.

147) 10 رجب 1285/ 27 أكتوبر 1868، ن.م.

148) 19 ذي القعدة 1285/ 3 مارس 1869، ن.م.

149) 19 ذي القعدة 1285/ 3 مارس 1869، ن.م.

150) ن. م.

151) ن. م.

152) ن. م.

"الإعلام بما طلبه القائد محمد أبـه علي اجديرة"(153). إلا أن السلطان أجاب، أن سبب "كلام أبيه مع عامله كَان لمصلحة اقتضت ذلك"(154)، والتي كانت محاصرة إداوتنان، وتعتبر أگدير نقطة استراتيجية، يتمون منها إداوتنان بكل الحاجيات المعاشية، والحربية، ولذلك قبل السلطان إسناده إلى عبد الله أبهي، ولما انتفت هذه المصلحة، فإنه أعاد أگدير إلى عامل سوس، باعتبار "أن أگدير من عمالة سوس لا من عمالة حاحا"(155). وبذلك وضع السلطان الحد لرغبة أبهي، ما لم تكن هناك مصالح مستجدة تقتضي تغيير نظره.

يلاحظ أن أگدير، كان به قائد مكلف بالقوة العسكرية المتواجدة بالقصبة، وكان يتولاها أحمد بن علي لما أحيلت أگدير على أبهي، ولما وصل خليفة محمد أبهي إليه في رجب 1285/نوفمبر 1868 طلب منه، "توجيه فوارس 4 إليه من الجيش المقام عنده"(156)، إلا أن التصرف في تلك القوة ومدها لأعوان السلطة، يتوقف على إذن السلطة لمركزية، التي أحال عليها قائدها طلب خليفة أبهي، فكان جوابها "وأما الفوارس فلا يحتاج لها، لأنه نائب عن عامل حاحا، وإن احتاج لفرسان فهو يمكنه منهم"(157).

يستفاد من هذا أن أگدير، كانت فيه سلطتان محليتان، إحداهما عسكرية، والأخرى تنفيذية، ورغم أنهما تقومان بوظيفة الأمن العام بالمنطقة، فإن القوة العسكرية المتواجدة بأگدير، لا يمكن التصرف فيها، إلا بإذن مسبق من السلطة المركزية، مهما كان عدد الجنود الذي تطلبه السلطة التنفيذية من قائدها، باعتبار أنها تنوب عن سلطة تنفيذية أخرى، يمكن أن تمدها بحاجياتها من القوة. وقد يفهم

153) 27 محرم 1286/ 9 ماي 1869، ن.م.

154) ن. م.

155) ن. م.

156) 10 رجب 1285/ 27 أكتوبر 1868، ن.م.

157) ن. م.

من هذا، تجنب استغلال القوة العسكرية بأكدير، لأهداف قد تؤدي إلى تواطؤ السلطتين.

يظهر أن قائد أكدير، كانت له اختصاصات أخرى بجانب العمل العسكري، كسلطة المراقبة والتدخل، مما يسمح له بالتعامل مع القوى المحلية وسكانها، ولذلك فإن السلطة المركزية، كانت لا تتورع عن استبداله لأدنى شكوك في عمله، كما حدث للقائد أحمد بن علي، الذي أصدر السلطان الأمر للمولى الحسن أواخر سنة 1869/1285 بـ"تعيين رجل مكان الوصيف أحمد أعلي بأكدير"(158) موضحا أن سبب عزله، "لكون عامل حاحا تشكى منه بأنه يغري الفساد على قطع الطريق، ويسعى في الفتنة"(159)، وهي أمور غير مقبولة، باعتبار المنطقة مركز مرور القوافل، المتوجهة إلى الصويرة، وأن تهمة التحريض على بلبلة التدفق التجاري، كان جزاؤه العزل، وأصر السلطان على هذا الموقف، وأبلغ المولى الحسن، "أن الكلام انقضى معه بنقله من أكدير وجعل آخر مكانه"(160)، ويظهر أن هذا الأمر لم يبلغ للقائد المعني، فقد جدد السلطان الأمر للمولى الحسن، "بتكليف القائد إبراهيم الاجراوي، بأن ينظر رجلا عاقلا يتوجه لأكدير، مكان الوصيف أحمد وعلي"(161). فظلت إجراءات الاستبدال في دوائر السلطة المركزية، لأكثر من شهر، في انتظار اختيار الشخص الملائم، الذي كان إبراهيم الاجراوي مكلفا به، لأنه المتولي شؤون الجيش بقصبة مراكش(162). وقد وقع الاختيار على القائد بُويشّ، فخلف أحمد بن علي على أكدير، الذي ما أن وصل مراكش حتى كان "الأعلام بورود الوصيف أحمد وعلي من أكدير، وصحبته زمام ما ترك به من آلة الحرب وإقامتها، وجعله الكل بذمة بُويِشّ"(163). مما يوضح أن مهمته الأولى

158) 1 ذي الحجة 1285/ 15 مارس 1869، ن.م.

159) 1 ذي الحجة 1285/ 15 مارس 1869، ن.م.

160) 12 ذي الحجة 1285/ 26 مارس 1869، ن.م.

161) 18 محرم. 1286/ 11 ماي 1869، ن.م.

162) أحمد الناصري الاستقصا. ج 9، ص 81.

163) 4 صفر 1286/ 27 ماي 1869، ن.م.

بـأكدير كانت عسكرية، فلذلك قدم تقريرا عن العتاد الحربي والذخيرة، التي سلمها للقـائد الجديـد. وأرفقـه بتقريـر، "حسـابه مـع قيـم زاوية سيدي أبي القناديل، وناظر أحبـاس المسـجد، وإشهاده الدرك عليهم بالرسم"(164). ممـا يبـين أن مراقبتـه كـانت أيضـا علـى أهـم مؤسسـات اجتماعيـة بالمدينـة، وهـي الزاويـة، والمسجد، التي لكل منهمـا مسـؤولها الخـاص. ويفيـد هذا أن دخول المدينة الاجتماعية كانت محدودة، فـي حـين كـانت السـلطات المكلفـة بمراقبتهـا متعددة، فهناك سلطة عسكرية تراقب الشـؤون المدنيـة، دينيـة واجتماعيـة، وسـلطة النظارة، التي تتكلف بدخول الأحباس ومصاريفهـا، والقيـم الـذي يرعـى شـؤون زاويـة أبـي القنـاديل. وكانت هذه المراقبة رسـمية، نجـم عنهـا محاسبة الطرفين، وإثبات ما ترك بأيديهما في وثيقة رسمية، رفع نظيرهـا إلـى السـلطة المركزيـة، التي يمكن لها مراجعة السلطتين، الناظر والقيم، وقد يكشـف هـذا عـن وضعيـة خاصـة، تشـوش علـى حريـة الزاويـة فـي التصـرف فـي دخولهـا، إلا أنهـا تثبـت فـي نفـس الوقـت أن مراقبة السلطة المركزية، كانت واسعة تشمل كل المؤسسات التي تتمكن من الحصول على دخول من العموم.

وأمـا مسـألة تمويـن السلطات المحلية بأكدير، فيظهر أن هناك اختلافا بين تموين خليفة العامل، وتموين قائد أكدير.

فبالنسـبة لخليفة العامل الذي وصل إلى أكدير، نائبا عن محمد عبد الله أبهي الحاحي، فقد "بقي بلا مئونة"(165) وذلـك مـا أبلغـه قـائد أكديـر، أحمـد بن علي،

164) 4 صفر 1286/ 16 ماي 1869. ك. 47.

أما **أبو القناديل**، يسـمى أيضـا أبـو الضيـاء عـاش أوائـل القـرن العاشر الهجري وكان يحارب مع الجزوليين ضد الجراريـين الذيـن كـانوا يسـيطرون علـى سـهل سـوس ويتعـاملون مع البرتغاليين المقيمين في فونتى. وقد كان أبو القنـاديل مـع الجزوليـين مـن الأوائـل الذين بايعوا السعديين الذين عملوا على إجلاء البرتغاليين عن سوس وفونتى التي دفن فيها أبو القناديل.

ويذكـر المختـار السوسـي أن كـلا مـن الدغوغيين والركراكيين بسوس يتنازعون انتسابه إليهم، إلا أن الظهائر التي بيد أهله من آل تانوت بوجان تظهر أنه ينتمي إلى الدغوغيين.

محمد المختار السوس خلال جزولة. الجزء الثالث : المطبعة المهدية، تطوان – بدون تاريخ. ص، 167 – 168.

165) 10رجب 1285/ 27 أكتوبر 1868، ك. 47.

للسلطة المركزية، فكان الجواب، "أما منته فليدفعها له الأمناء، إن كان من قبله يقبضها من عندهم، أو من وجه آخر، فلتنفذ له منه"(166). يفيد هذا أن خليفة القائد بأكدير، له تعويضات إبان التولية عليه، تسلم له إما من جهاز الأمانة، أو من جهة أخرى غير محددة، والتي يمكن أن تحتمل عدة تفسيرات كفرضها على السكان.

وأما بالنسبة لقائد أكدير العسكري فقد وقع "استفهام أحمد أعلي الملكي عن المحل الذي كان من قبله يقبض منه المئونة لتنفذ له"(167)، فكان جوابه للسلطة المركزية، التي استفسرته عن كيفية تموين القواد العسكريين، الذين تولوا على أكدير قبله، لينفذ له على غرارهم، "بأن من قبله كانوا يقبضون أعشار ساقية الجهاد وأعشار المجاورين لأكدير"(168). مما يبين أن هناك دخولا خاصة، تنفق على القوة العسكرية المكلفة بالدفاع.

فمنذ العهد السعدي، كان محمد الشيخ السعيدي قد شق ساقية تمتد من واد سوس على الضفة اليمنى، من المكان المقابل لقرية أُزْرُو، على بعد خمسة عشر كلومترا من أكدير، وتستفيد من مياهها قبيلة مسگينة وگسيمة، على أساس تقسيم المياه بالتساوي بينهما، مقابل الدعم الحربي للدولة بالعتاد والخيل، كما تدفعان أعشار الانتاج من الساقية إلى قصبة أكدير، فعرفت بساقية الجهاد(169). ولقد استمر العمل على هذا النحو لمدة ثلاثة قرون، وحتى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كما دل على ذلك ما ذكره قائد أكدير أحمد بن علي، الذي أضاف أيضا دخول أعشار إنتاج السكان المجاورين للمدينة، "أنه هو كذلك منذ ولي"(170)

---

166) ن. م.

167) 12 ذي الحجة 1285/ 26 مارس 1869، ن.م.

168) ن. م.

169) Aziki Slimane : L'agriculture irriguée et l'aminagement d'un espace rural méridional marocain en pleine mutation: Le cas du Souss Aval. Thèse de 3ème cycle. Université d'Aix-Marseille II 1983. pp. 129-134.

هذه المعلومات تسلمتها من الأستاذ أزكي بواسطة الأستاذ الجاوي من كلية الآداب بأگادير. ولهما الشكر.

170) 12 ذي الحجة 1285/ 26 مارس 1869.

تسلم مئونته من هذه الدخول، التي يظهر أنه يكون اضطراب في دفعها، في بعض السنوات، كما حدث سنة 1868/1285، كما أبلغ ذلك أحمد بن علي، "أنه لم يأته شيئ في هذا العام من المحلين"(171). وقد يفسر ذلك نتيجة الجفاف، الذي أصاب المغرب في تلك السنة، ونجم عنه قحط شديد(172). ورغم تلك الظروف الإنتاجية، الصعبة "إلا أنه حاز البعض"(173)، من تلك الاعشار، التي تدفع للقصبة، ولكن "صيره على أصحاب محمد الحاحي، لما نزلوا عنده، والبعض حازه خليفة من ذكر"(174)، مما يفسر أن القحط لم يحل دون دفع بعض الأعشار، والتي اشتركت السلطتان العسكرية والتنفيذية في الاستفادة منها.

يتبين من الإجراءات التي سبق ذكرها، سواء على مستوى التنظيم السلطوي أو التموين، أن أگدير له وضعية سلطوية خاصة نظرا لاستراتيجيته، ولوقوعه على الحدود بين منطقتين اقتصاديتين وسكانيتين، لكل منهما خصوصياتها، من حيث المقومات والتنظيمات، هي منطقة سوس، ومنطقة حاحة، ولذلك كانت السلطة المركزية، تولي هذه النقطة التماسية والحساسة، العناية والاهتمام، فجعلتها مركزا سلطويا مختلطا بين سوس وحاحة، حتى لا يتمكن المتحكم في أگدير من الاستقلال الفعلي، مما يؤدي إلى أعمال لا تتحكم فيها السلطة المركزية. ويكفي مثالا على ذلك، أن مجرد شكاية عامل حاحة بقائد أگدير العسكري، بأنه يحرض على ارتكاب أعمال تضر بالسير التجاري، حتى صدر الأمر بعزله، وتعيين آخر مكانه، دون بحث مسبق للتحقق من الشكوى، مثل ما كان يجري عليه العمل، في الشكايات بين العمال، التي تكمن الخلفيات وراءها، وذلك اتقاء لأي تصرف، قد لا تتحكم فيه السلطة المركزية.

---

171) ن. م.

172) Miège. J. L. Le Maroc et l'Europe 1830 - 1894. T 3. p. 146. P.U.F. 1961.

المختار السوسي : المعسول، ج 15، ص 11 - 12: تحدث عن القحط الذي عم كل أنحاء المغرب "وبلدة سوس وأحوالها".

173) 12ذي الحجة 1285/ 26 مارس 1869. كـ. 47.

174) 12ذي الحجة 1285/ 26 مارس 1869. ن.م.

وقد تجلت هذه الميزة السلطوية لأكدير أيضا، في تموين الجهاز السلطوي، الذي ظل يستفيد من دخول، كانت موقوفة على أعمال الجهاد والدفاع، منذ العهد السعدي، واستمر العمل بها من نفس المكان والأعمال، التي أوقفت على الجهاد، رغم ما يعتريها من اضطرابات، إلا أن القبائل المجاورة لأكدير، استمرت في أداء ما التزمت به منذ القرن السادس عشر، وحتى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، باعتبار الجهاد واجبا مقدسا.

كانت مدينة الصويرة، في منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، المركز التجاري النشيط، المستقطب لكل فاعليات التجارة على مدى واسع، سواء في عمق المناطق الصحراوية أو الأطلسية، مما يجعلها بوابة تجارية لربط العلاقات، مع التجارة الأوربية، فاقتضى تنظيمها السلطوي ضبطا ومراقبة مستمرين على كل الأجهزة التنفيذية بها. مثل ما هو عليه الأمر في سائر المدن، فتولى السلطة المركزية عمالا يحظون بثقتها، وبقبول السكان الضمني بالمدينة مثل ما عبر عنه سكان الصويرة لما عين عامل جديد على المدينة سنة 1868/1285 "فرح أهل السويرة بولاية الحاج عمارة وورودهم عليه أجمع"(175)، وقد يطرح هذا أسئلة عما إذا كانت تلك الموافقة تعبر عن واقع الأمر أم أنها تخفي واقعا آخر لم تعبر عنه الوثيقة.

لقد كانت كل الإشكالات، التي مست التنظيم السلطوي المحلي بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، قد انصبت على الأشخاص، وعلى الاختصاصات، إلا أن الأمر يتجاوز ذلك أحيانا، حينما يقع الصراع داخل تلك الأجهزة التنفيذية المحلية نفسها، لما تحاول القيادات توسيع نفوذها الترابي. فيضفي ذلك نوعا آخر من التعقيد على خصوصيات السلطة المحلية.

1 - 7 - امتداد القيادات على حساب بعضها :

إن امتداد القيادات على حساب بعضها، يعتبر عنصرا مهما في توسيع أطماع القواد، كما يكشف عن عناصر سياسية متداخلة، تنتج عنها نزاعات مزمنة، تتجاوز

175) 21 ربيع الأول 1285/ 24 غشت 1864. ن.م.

سنين تولية القواد، مخلفة أضغانا بين القبائل، لما يرتكبه القواد وممثلوهم، من تجاوزات في حق السكان. تكون نتائجها البعيدة متجلية، في صعوبة تواجد انسجام سياسي تلقائي نابع من تكامل المصالح، التي يطغى عليها، في كثير من الأحيان، شعور بالاكتفاء بما تنتجه الأرض حرثا ومسرحا. وحتى إن كان الانسجام بين هذه المصالح، فهو لا يتجاوز الإطار المصلحي المباشر، ولا يرقى إلى ما هو أبعد من ذلك. وخاصة أن أسباب عرقلة الوصول إلى ذلك الهدف، تكمن في عدة عوامل منها كون الأشخاص المتولين، لا يسعون إلا لتحقيق الاستغلال الشخصي، الذي تزكيه أيضا منافسات داخلية وخارجية لا حدود لها في كل قيادة. ومنها أن التكافؤ بين هؤلاء الأشخاص متقارب، سواء في التكوين الفكري أو التصور الأدلوجي، أو الوفر المادي. وينجم عن هذه العوامل، أن القيادات المتنافسة، لا تشكل بالنسبة للسكان سوى وسائل متنوعة لتحقيق الأطماع، فيكونون أكثر قربا للنفور من القواد من الخضوع لهم.

إن هذا التزاوج، بين رغبات القواد، ورغبات السكان المتناقضة، يؤدي باستمرار، إلى تطلع السكان للتخلص منهم، بأشكال مختلفة، يطغى عليها طابع العنف، الذي تترجمه شكايات متواصلة لدى السلطان، مدعومة بتحركات انتفاضية، تسيطر ذكرياتها على أذهان الناس، فلا يخلد من حياة هؤلاء السكان، المنتظمين في شكل مجموعات قبلية، سوى هذا الجانب، الذي يشكل حقا، عنصرا مهما في درجة حيوية المجتمع، وفي تقارب مستوى قواه، مكونا بذلك توازنا مستمرا.

ولذلك، فإن كل من رام كسر ذلك التوازن، بين تلك القوى، لا يكون مصيره إلا الاحتجاج، والمطاردة، بكل الوسائل المتاحة، فتكون السلطة المركزية بدورها، مضطرة للحفاظ على ذلك التوازن، تغليبا للواجب، الذي تتحمله في استقرار المجتمع.

إن رفض كسر هذا التوازن، والحفاظ عليه بين القوى المتصارعة، هو الذي حاول مونطاني اعتباره رفضا باتا للسلطة بما فيها المركزية(176)، وجعله فرضية

176) Montagne (R). Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc. p. 133.

رئيسية طالما كررها، وركز عليها في أطروحته حول البرابرة والمخزن، بجنوب المغرب. وساقته هذه الفرضية لصياغة مبدإ نمو السلطة الشخصية الاستبدادية(177)، التي اعتبرها، وسيلة لتحطيم ذلك التوازن، بتحطيم أسس ومبادئ التنظيم الجماعي، الذي يخضع له المجتمع في الأطلس الكبير الغربي، ومناطق واسعة من الجنوب. بل ومناطق أخرى في شمال المغرب، كالريف، وحتى في القبائل بالجزائر(178).

لقد كان ذلك التنظيم الجماعي، متكامل المؤسسات، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا(179)، لكن تفسخه حسب مونطاني، بدأ بتزايد نمو السلطة الشخصية الاستبدادية، مما أدى إلى اضطراب، حتى انفتح الباب، لتدخل السلطة المركزية، وبسط سيطرتها على مناطق شاسعة من الجنوب، كسوس والأطلس الكبير الغربي(180).

إن صياغة التطور العام، لتوسع السلطة المركزية، داخل مناطق كانت محرمة عليها، في زعم مونطاني، لم يكن يعتمد فيها الباحث، على تسلسل الحقائق، مدعومة بالبراهين والأدلة، وإنما كانت وسيلته الكبرى، هي الاعتماد على الرواية الشفوية، سواء كان مصدرها رجال السلطة المحلية، أو أعوانهم، الذين كانوا يرافقونه، في جولاته بمنطقة الجنوب، أو من الأشخاص المستقلين عن السلطة، والذين يعبرون عن وجهات نظر السكان(181).

---

177) Montagne (R.), Ibid.

خصص مونطاني بابا لمبدأ السلطة الشخصية الاستبدادية نموها وتطورها في الأطلس الكبير الغربي وذلك تحت عنوان : الباب الثالث : ولادة ونمو السلطة الشخصية من ص 269إلى ص 391.

178) Montagne (R.), Ibid. p. 144.

179) Montagne (R.), Ibid. خصص مونطاني بابا للتنظيم الجماعي ومؤسساته السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتعقيدات تحالفاته، وذلك تحت عنوان، الباب الثاني : الجمهوريات البربرية، من ص 119إلى ص 26

180) Montagne (R.), Ibid. pp. 394-395.

181) Montagne (R.), Ibid. المقدمة. ص IX إلى ص XVI.

إن الاعتماد على الرواية الشفوية، بهذه الطريقة، هي وسيلة الباحث، لصياغة تصور تاريخ المنطقة الجنوبية منذ 1860. وهي الفترة التي يرى أنها، كانت بداية تصاعد السلطة الشخصية الاستبدادية، التي حطمت الأسس التنظيمية، لمجموعات قبلية، طالما كرر أنها، اكتست طابع دويلات مستقلة، عمرت حتى بداية عهد السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان، لما بدأ تداخل القوى المحلية، في التوسع على حساب بعضها. مما أدى إلى تغييرات في مناطق، ما تزال ذاكرة المسنين تحتفظ بتاريخها(182)، حسب زعم الباحث. تبريرا للوسيلة التي اعتمد عليها، أثناء القيام بجمع أبحاثه في الجنوب، في العشرينات من هذا القرن.

لقد كان هذا، كل ما ذكره عن الوسائل التي اعتمدها، في التأريخ لتحولات اعتبرها أساسية، في تطور منطقة الجنوب، وهو اعتماد أحادي الاتجاه، لا يكفي لصياغة تصور سليم عن تداخل القوى، بالمنطقة على حساب بعضها، كما لا يقنع لتقويم النتائج، التي خلص إليها في نهاية المطاف.

استهل مونطاني بداية فترة التحولات، وتصاعد السلطة الشخصية الاستبدادية، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بأمثلة متعددة، كتوسع المتوكيين على حساب الحاحيين، منافسيهم الالدة، حتى تنحية عبد الله أبهي عن قيادة حاحة 1868، فانفتح الباب أمام المتوكيين للتوسع، ولإحداث تحولات في الجنوب كقوة فاعلة(183).

إن دراسة هذا المثال نفسه، الذي أورده مونطاني، بشيء من الاقتضاب والاستهانة، معلقا إياه على النفوذ الشخصي المحض للقائد، قد يساعد على التعرف على بعض الميكانزمات، في امتداد القيادات على حساب بعضها، ونوع المعارضات التي تعترض القواد، وكذلك نوع التصرفات التي يمارسونها، وما يكون بها من تأثير على النسيج القبلي.

---

182) Montagne (R.), Ibid.p. 134.
183) Montagne (R.) Ibid., p. 134.

لقد كانت القيادة المتوگية، من القيادات الراسخة في القرن التاسع عشر، بالدير، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، وكانت آمالها باستمرار، هي توسيع دائرة نفوذها، ولذلك، كانت تستغل كل الظروف المواتية، لتحقيق ذلك الغرض.

فتحت تنحية عبد الله أبهي، عن سلطة حاحة، ثم وفاته، أواخر الستينات من القرن التاسع عشر، الباب لظهور الأطماع في وراثة مكانته. وكان المتوگيون، يأملون أن تؤول لهم هذه المكانة في الدير، وفي مراقبة الجنوب. وخاصة بالسيطرة على الممر الطبيعي، الرابط بين سوس والحوز، عبر إيمن تانوت، وتزي أوماشو، إسّن-أسرتو، والذي تستقر عليه القبائل الثلاثة نفيفة ودمسيرة وإداوزيكي.

وإن تتبع امتداد القيادة المتوگية على هذه المنطقة، ولفترة قصيرة، لا تتجاوز ست سنوات، ما بين 1868/1284 و 1873/1290 يبين بعض الجوانب من الحقائق، التي تنجم عن امتداد القيادات على حساب بعضها.

كانت مراقبة الممر الطبيعي بين سوس والحوز، عبر تزي أوماشو، من العوامل الرئيسية، في تقوية النفوذ الإقليمي للقوي المحلية بالمنطقة، لما يتيحه هذا الممر، من مراقبة التبادل، بين المدينتين الرئيسيتين بالمنطقة، مراكش والصويرة، والجنوب حتى الصحراء، ولما تدره نزائله من أموال، على السلطة المحلية المسيطرة عليه. وتكون مراقبته من مخارجه الشمالية، أكثر إفادة للقوى المحلية المتنافسة عليه، وهذه الأهمية ظهرت أيضا بوضوح، حتى لسلطة الحماية الفرنسية، لما عزمت سنة 1926، على إقامة مكتب المراقبة بالمنطقة، استعدادا لنزعها من القائد عبد الملك المتوگي. فكان القرار الأول الذي اتخذته، هو جعل مركز مكتب المراقبة على ذلك الممر الطبيعي ببيگودين، جنوب أرگانة بإداوزيكي، إلا أن هذا القرار سرعان ما انتقد، لأن إقامة مكتب المراقبة جنوب الممر، يجعل قبائل مهمة في الشمال بعيدة عن المراقبة، ومنها دمسيرة، ونفيفة، وسكساوة، ودويران. كما أن الحركة الاقتصادية التجارية التبادلية، تتجه نحو الشمال، إلى مراكش والصويرة، أكثر منها إلى الجنوب، ولذلك قررت سلطة الحماية إقامة مكتب المراقبة بإيمن تانوت سنة 1926.(184).

---

184) Fuchs (J) évolution d'un grand commandement marocain : Le Caid Mtouggi et le protectorat : p. 19. in C.H.E.A.M.

الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 3195:2137.

هكـذا يتوضـح أن مراقبـة الممـر، تثير أطماع القوى المحلية بالمنطقة، لما يشكله مـن دعـم لنفوذهـا، لذلـك كـان طبيعيا أن تتنافس على السيطرة عليه، فتتحين كل قـوة الفرصـة، لنزعـه من القوة المتولية عليه، في إطار مد النفوذ على حساب بعضها، وذلك ما حدث بين قيادتي حاحة ومتوگة.

كـان عبـد اللـه أبهي، في الستينات من القرن التاسع عشر، يتولى على القبائل المستقرة على الممر الطبيعي عبر تزي أوماشو(185) ولما وقـع سـوء التفـاهم بينـه وبين السلطة المركزية(186)، اسـتغله المتوگيـون، الذيـن بـدأوا يعملون كل ما في وسعهم، لـنزع تلك القبائل الثلاثة : نفيفة ودمسيرة وإداوزيكي، من قيادة حاحة. فبادر القائد محمد المتوگي، في 11ربيع الأول 1284/ 1867/7/13بـ"الإعـالم بالتزامـه مـالا لـه بال، على ولاية دمسيرة، ونفيفة، إداوزيكي"(187). وبذلـك تتـم لـه مراقبـة طريـق الحوز، سـوس، مـن شـماله إلـى جنوبه. لكن السلطة المركزية، لم توافق إلا على توليته على نفيفة ودمسيرة، دون إداوزيكي، الذين استمروا تحت تولية قيادة حاحة.

1 ـ 7 ـ 1 ـ تولية المتوگي على نفيفة ودمسيرة ومتاعبها :

إن امتـداد قيـادة متوگة على قبيلتي؛ نفيفة ودمسيرة لم يتم بسهولة، فيظهر أنه لقـي معارضـة مـن القبيلتين، أدت إلى نزاعات مستمرة بين الطرفين، مما أجبر السلطة المركزية للتدخل عدة مرات.

فلـم تمـر إلا حوالي سنة، على تولية القائد محمد المتوگي على القبيلتين، حتى حـدث نـزاع بينـه وبينهمـا، فيظهـر أنهمـا رفعتـا شكوى ضده إلى السلطة المركزية، فـأصدر السـلطان الأمر للمولى الحسن، في 4ربيـع الأول 1285/ 1868/6/25"بـالبحث

185) Montagne (R.). Ibid. p. 353.

186) المختارالسوسي : خلال جزولة ص 86.

إيليغ قديما وحديثا. ص 273.

187) 11 ربيع الأول 1284/ 13 يوليوز 1867، كـ. 47.

عن سيرته، مع دمسيرة ونفيفة(188) على أساس "إن ثبت الإضرار يؤمر بالكف"(189) كإجراء أولي ضد المتوكي، وبعد حوالي شهر من اتخاذ هذه الإجراءات، كان "الإعلام بمثال هنفيفة ودمسيرة إلى صلاح واستقامة"(190)، مما يوضح أن القبيلتين تصالحتا مع القائد، ويظهر أنهما كانتا قد أوفدتا وفدا للشكاية، "طلب الأمان والرجوع للبلاد"(191) بعد الصلح، فقررت السلطة المركزية "مساعدتهم عليه"(192)

انتهى النزاع بين الطرفين، بالصلح على يد السلطة المركزية، دون تغليب جهة على جهة، في إطار المحافظة على التوازن بين السلطة المحلية، والقوى القبلية. لكن يظهر أن قيادة متوكة قبلت القرار على مضض، إذ لم تمر سوى حوالي شهرين، حتى تجدد النزاع بين القائد والقبيلتين، وكان أشد خطورة من النزاع السابق، ذلك "أن نفيفة ودمسيرة تشكوا، بما لحقهم من أذى القائد محمد المتوكي"(193)، ولم يقتصر هذا التصرف على القائد وقوته الخاصة، وإنما شاركه "إخوته"(194) أي قبيلته، فارتكبوا أعمالا تخريبية في القبيلتين، "من القبض عليهم وهدم الديار، وقطع الأشجار، وقتل الرقاب"(195) ويفسر هذا بعض الأساليب التي يستعملها القواد، للضغط على القبائل. كما يفسر أيضا، أن هناك امتيازا لقبيلة القائد، فتشاركه في الحاق الأضرار بالقبائل الأخرى، التي تمتد عليها سلطته. وتلحق هذه التصرفات الأذى بالترابط بين القبائل، مما يفسر محاولة القبائل المحافظة على توازن القوى، والتي تعبر عنه بمحاولة رفض سلطة القائد، وذلك ما قامت به القبيلتان، نفيفة ودمسيرة، بعد ما حل بهما من التخريب "إنهم خرجوا ليلا من بلادهم خوفا

188) 4 ربيع الأول 1285/ 25 يونيه 1868، ن.م.

189) ن. التاريخ. ن. م.

190) 17 ربيع الثاني 1285/ 7 غشت 1868، ن. م.

191) ن. ت. ن. م.

192) ن. ت. ن. م.

193) 20 جمادى الثانية 1285/ 10 أكتوبر 1868، ن. م.

194) ن. ت. ن. م.

195) ن. ت. ن. م.

على أنفسهم"(196)، والتجأوا إلى مقر السلطة المركزية بمراكش، "وعرقبوا على باب دارنا"(197). وإمعانا في النيل من القائد وتشهير أمره، "استجاروا بالضريح العباسي"(198).

ولم تقتصر شكاية القبيلتين بالقائد على المولى الحسن، وإنما وجهوا شكايتهم إلى السلطان، "شكاية هنفيفة ودمسيرة بالقائد محمد المتوكي، التي قيدوها في الورقة، التي وجهت وعلمنا ما ذكروه عنه من جوره عليهم، بما قبضه منهم من المال، وحصاد زرعهم، وقطع أشجارهم، وقتل رقابهم"(199). وإن القائد لم يقتصر فقط على هذه العقوبات المادية، والتخريبية، التي أنزلها بالقبيلتين، وإنما قام بأعمال تدل على نكاية بالصلح، الذي كان قد تم من قبل بينه وبين القبيلتين، "وغدرهم وتشتيتهم بالبلاد، بعدما أدعنوا له وأعطوا يد الانقياد"(200)، ذلك إظهارا لقوته، ومحاولة منه للنيل من القوة المعارضة له في القبيلتين، ولدعم موقفه، اعتمد على قوة قبيلته، فشاركه إخوانه "بالإذاية ومعاملتهم بالعداوة السالفة بينهم"(201). فتعقدت الأمور، بأن تجاوزت التصرفات القائد وقوته الخاصة، بالاعتماد على تحريض جماعي، سعى إلى إحياء الضغائن القبلية.

لقد كان قرار السلطان إزاء هذه الشكاية، "فأعلم أنا لا نحب الظلم لأحد من رعيتنا، ولا نوافق عليه، ولا نقر أحدا من عمالنا على الجور والتعدي، ولا نرتضيه"(202) كتوجيه عام للمولى الحسن، في الخطة السياسية التي يجب تطبيقها، ولذلك، "وعليه فبوصوله إليك، ابحث في أمرهم، وإن تحقق عندك

---

196) ن. ت. ن. م.

197) ن. ت. ن. م.

198) ن. ت. ن. م.

199) 30 جمادى الثانية 1285/ 20 أكتوبر 1868، ن. م.

200) ن. ت. ن. م.

201) ن. ت. ن. م.

202) ن. ت. ن. م.

إضراره بهم، وتعديه عليهم، فاعزله عنهم، وول عليهم واحدا منهم، وأضفهم لولاية وصيفنا إبراهيم الجراوي، حتى نكون هناك ويظهر ما يكون إن شاء الله"(203)

لم يكذب السلطان المشتكين ولا صدقهم، ولكنه رسم الخطة السياسية التي يجب أن تكون عليها الأمور، بإبعاد الإضرار بالسكان عامة، ثم القيام بالبحث لدى الأطراف المتنازعة، وإن ثبت ما تشكي به الخصوم، مما حل بهم من طرف المتوگي فيكون مصيره العزل، وتولية أحد من القبيلتين، مما يبين أن الصراع مع القائد، كانت وراءه رغبات قوى محلية طامعة في تولية التصرف على القبيلتين، موحدتين أو منفصلتين ، إلا أن السلطان اعتبر ذلك إجراء موقتا، بأمره ضمهما إلى إيالة ابراهيم الاجراوي، الذي كانت إيالته تمتد على المناطق الجبلية، المجاورة للقبيلتين كسكساوة ودويران(204).

يظهر أن إجراءات البحث في قضية المتوگي، والقبيلتين نفيفة ودمسيرة، أخذت وقتا استغرق حوالي ستة أشهر، حتى اقتنعت السلطة المركزية، بعزل المتوگي عن القبيلتين، مما يؤكد صدق شكواهما، وذكر مونطاني في هذا الصدد، أن جور محمد المتوگي، ظل مشهورا في ذاكرة القبائل(205). لكن إجراءات تجديد التولية على القبيلتين، صادفت وفاة محمد المتوگي أوائل محرم 1286(206). وحل مكانه ابن أخيه عمر بن سعيد المتوگي(207)، فأصبح السلطان أمام وضعية جديدة، فلذلك خير القبيلتين فيمن يتولى عليهما، حينما أصدر للمولى الحسن في 21 محرم 1286/ 3-5-1869 "الأمر بتولية الاجراوي على دمسيرة ونفيفة، إن لم يقبلوا تولية الحاج عمر بن سعيد المتوگي ونفروا كل النفور"(208).

---

203) ن. ت. ن. م.

204) راجع عن إيالة الاجراوي، ص ص 185-188.

205) Montagne (R.), Ibid. p. 353.

206) راجع ص 179.

207) راجع ص 179-180.

208) 21 محرم 1286/ 3 ماي 1869، ك. 47.

إن هـذا، يبـين أن تحويـل توليـة قبيلـة مـن قائد إلى آخر، لم يكن يخضع لأي اعتبـارات سـوى لكفـاءة القـائد علـى التسـيير، الـذي يضمن عدم الانتفاضة ضده. وذلـك بالمحافظـة علـى تـوازن القـوى، بينه وبين القوى القبلية. وإذا عجز عن التسيير وتبـين ذلـك للسـلطة المركزيـة، فإنهـا تعزلـه لتولـي غـيره، خاصة أن قبول المتولي أو رفضـه، أوقفـه السـلطان علـى رضـى القبيلـة، الـذي عـبر عنـه "ونفروا كل النفور". فـاحتفظ للقبيلتـين بحـق توليـة المتوكـي أو رفضـه. وقـد يكون لاعتبارات متداخلة، ولوفـاة القـائد السـابق، تـأثير علـى اختيـار القبيلتـين، اللتـين فضلتا تجديد تولية قيادة متوكة، فتم في 9ربيع الأول 1286/ 1869/6/19 "الإعـلام باسـتقامة نفيفـة ودمسيرة مع المتولي عليهم"(209)، وما زاد السلطان هذا الاختيار إلا مباركته "بالدعاء"(210).

يظهـر أن الأمـور سـارت علـى نهـج مقبـول، بـين القبيلتـين نفيفـة ودمسـيرة، والقائد منذ توليته عليهما أوائل سنة 1286. لكـن بعـد سنتين تجدد النزاع بين القبيلتين والقائد، واستمر حوالي سنة من صفر 1288 إلـى نفس الشـهر من سنة 1289، وكـان صراعـا مريـرا، لـم يقتصـر فيـه الطرفـان على تبادل التهم، والشكايات لدى السلطة المركزيـة، وإنمـا تبلـور في هجوم منظم من القائد المتوكي على القبيلتين، متمكنا هذه المرة من دعم السلطة المركزية.

لقـد بـدأ المتوكـي أعمالـه القمعية ضد القبيلتين، باتهام دمسيرة، فأبلغ السلطة المركزية في 16صفر 1288/ 1871/5/7 بأنـه، قـام ب"توجيه الحركة إثر هراب دمسيرة، لما بلغهم من قتل شيخهم بالسجن"(211). ممـا يوضـح أن سـوء التفاهم، ظل مستمرا بـين القـائد، والقـوى المناهضـة لـه بقبيلـة دمسيرة، حتى أفضى به الأمر بسجن أحد شـيوخ القبيلـة، ثـم تصفيتـه، ممـا أثار استياء لدى القبيلة عبرت عنه بالهروب، تخوفا مـن سـطوة القـائد، الذي اعتبر ذلك سببا لمعاقبة القبيلة، مستعينا هذه المرة بدعم من السلطة المركزية.

209) 9 ربيع الأول 1286/ 19 يونيه 1869، ن. م.

210) ن. ت. ن. م.

211) 16 صفر 1288/ 7 ماي 1871، ن.م.

لقد تمكن أولا من الحصول على بعض العتاد الثقيل، ففي 23 ذي القعدة 1288 / 1872/2/3 صدر "الأمر بتوجيه بعض المدافع، ومعلم طبجي، للقائد عمر بن سعيد المتوكي، ليستعين بها على كمال الغرض في ضرب فساد إيالته"(212). وزاد هذا الدعم، من نفوذ المتوكي، الذي وجد الفرصة للنيل من القبيلتين. فاتهمهما بما يبرر تصرفاته القمعية. ففي 14ذي الحجة 88/ 1872/2/24 أخبر "عمر بن سعيد من أنه أراد قمع فساد دمسيرة ونفيفة"(213). وتعلل للقيام بالهجوم على القبيلتين، "لاستنكافهم عن الخدمة، واشتغالهم بما لا ينبغي"(214). دون توضيح لمعنى الخدمة التي أشار لها، وكذلك، نوع ما اشتغلت به القبيلتان، فكال لهما تهمة مبهمة، اتخذها ذريعة لمهاجمة القبيلتين.

ولم يكتف بالدعم المادي، وإنما طلب ثانيا الدعم البشري، حينما "طلب أمر السباعي والمزوضي بشد عضده من ناحيتهم برجال إخوانهم"(215)، وبذلك تصبح ثلاث قبائل متعاونة بقوتها. وهي قبائل مختلفة، في مواقعها، وأصولها العرقية، فمتوكة ومزوضة من قبائل الدير، وأولاد أبي السباع من قبائل السهل. وكذلك مزوضة ومتوكة من أصول عرقية أمازيغية، وأولاد أبي السباع من أصول عربية، إلا أن تعاون القبائل الثلاثة كان موقوفا، على إذن السلطة المركزية للقبيلتين بالانضمام إلى المتوكي، "فأمر مولانا بأمرهما بذلك وفق ما طلب"(216) المتوكي. فتكونت بذلك قوة مسلحة من قبائل متعددة، كفت السلطة المركزية الزج بقوتها في صراعات محلية. فتكلفت القبائل بقمع بعضها، وهذا له انعكاس على الاندماج السياسي التلقائي بين تلك القبائل.

212) 23 ذي القعدة 1288/ 3 فبراير 1872، ن. م.
213) 14 ذي الحجة 1288/ 24 فبراير 1872، ن. م.
214) ن. ت. ن. م.
215) ن. ت. ن. م.
216) ن. ت. ن. م.

لقد كانت نتيجة هذه القوى المتعاونة، التي تمكن المتوكي من جمعها، أن ألحقت ضررا جسيما بدمسيرة، فتقدم في 28 صفر 1289/ 1872/4/9 "الاعلام بأن ج عمر المتوكي ضيق بفساد جبل دمسيرة، حتى خرجوا من حصنيهما وهدمهما"(217) فيكون التدمير، قد لحق مواقع استراتيجية في القبيلة، والتي تشكل قاعدة اجتماعية مهمة، لأن الحصن بمثابة مؤسسة متعددة الوظائف، فهو مخزن جماعي لكل ثروات التجمع السكاني، وفي نفس الوقت ملجأ إبان الحروب(218). ويشكل هدم هذه المؤسسات ضربة قاصمة للقبيلة، ولذلك اعتبر المتوكي تخريب حصني دمسيرة، وسيلة فاعلة في قهر القبيلة الرافضة للسلطة.

إن استعمال المتوكي، وسائل قهرية قوية، لا يتوفر عليها المناهضون لسلطته من القبيلتين، كالمدافع وجموع المحاربين من القبائل المجاورة، والتضييق على القبيلتين، كلها وسائل، جعلت المناهضين له، لا يصمدون أمام تلك الإمكانات، فاضطروا للجوء إلى السلطة المركزية، فـ"توجهوا بالهدية"(219) معلنين بذلك الانقياد.

لقد حاول المتوكي، إقحام عناصر خارجية عن القبيلتين، في الصراع الذي كان بينه وبينهما. وذلك تشويشا على السلطة المركزية. فوصلتها في 27 شوال 1288 1871/1/9 "شكوى عمر المتوكي بالأجراوي، بأن صهره بن الخضر الدويراني، يأوي إليه فساد هنفيفة، ودمسيرة. ويؤذن لهم في السكنى بتْزْ گينْ وسكساوة"(220) متهما بذلك القائد إبراهيم الاجراوي، المتولي على المناطق الجبلية، بأنه يحرض الخارجين عن المتوكي، بتعاون مع صهره ابن الخضر (221) من قبيلة دويران، فتكون

---

217) 28 صفر 1289/ 7 ماي 1872.

218) راجع بحثا عن حصون قبائل مجاورة لدمسيرة لكل من قبيلة سكساوة وإدا ومحمود.
L. Dupas. Les Igoudar Seksawa et Ida-ou-Mahmoud. C.H.E.A.M. 1929.

219) 28 صفر 1289/ 7 ماي 1872، ك. 47.

220) 27 شوال 1288/ 9 يناير 1872، ن. م.

221) انظر ص ص 275-276.

منطقـة سكسـاوة ودويـران، مكانـا يأوى إليه المناهضون للمتوكي، الذي يضيف في شـكواه، أن أولئـك الخارجين عنه، "يجتمعون في دار الصهر المذكور كل ليلة"(222) متهمـا إيـاهم بتكويـن قـوة، تلقى دعما ممن يمثل الشرعية كالاجراوي، وتسبب هذه القـوة الخارجـة عـن المتوكـي، بلبلة في إيالته، ذلك أن الخارجين عنه، "يسيرون على الصـالحين مـن هنفيفة"(223). ولدعـم شـكواه بالوقـائع الصحيحـة، ذكـر أن هـؤلاء الخـارجين، "ضربـوا ذات ليلـة علـى أهـل فـم انْـتانوت، ونهبـوا لهـم ما نهبوا، وقتلوا ثلاثة رجال"(224). وتقصيـا لحقيقـة شـكوى المتوكي، "قال مولانا يبحث في ذلك، فـإن ثبـت مـا تشكى به المتوكي، فيؤمر الاجراوي بكف صهره، عما هو مشتغل به، والوقـوف عنـد حده"(226). فقـام المولـى الحسـن، بـالبحث المـأمور بـه، فـي قضيـة شـكوى المتوكي بالاجراوي، وما اتهمه به من تحريض الخارجين عليه. فكانت نتيجة البحـث، "بـأن ابـن الخضر لازم سكنى المدينة، وترك الخروج للبادية، منذ اشتكوا به قبـل، وأنـه يستبعد أن الأجراوي، يأمره بإيواء الفساد"(226). وبذلـك بـرأ البحـث، كـلا مـن الاجـراوي وصهـره، مـن تهمـة المتوكـي. لكنـه أقـر الوقـائع، التي ذكرها المتوكـي، "أن ما حل بالشكات من الضرب عليهم ليلا، ونهبهم، كله صحيح، وأن ذلـك مـن إخوانهـم الخـارجين المتواريـن بالجبـال، بإيالـة الاجـراوي وغيرهـا"(227). وبذلـك أثبـت البحـث، حقيقــة مناهضـة فئـة مـن قبيلتـي نفيفـة ودمسـيرة، للقـائد المتوكـي، والذيـن يجـدون دعمـا لمـا توفـره لهم الجبال من مأوى، وتستر الأجراوي عليهـم، إن لـم تكـن موافقتــه ـ وذلـك بالإمســاك عـن متــابعتهم ضمنيـا، إنغاصـا للمتوكـي، فـي إطـار الصراع على امتداد الولايات على حساب بعضها. وخاصة أن

---

222) 27 شوال 1288/ 9 يناير 1872، ن. م.

223) ن. ت. ن. م.

224) ن. ت. ن. م.

225) 25 ذي الحجة 1288/ 5 مارس 1872 ، ن. م.

226) ن. ت. ن. م. راجع ابن الخضر، الذي كان يسكن المدينة أي مراكش، ص ص 277-279.

227) ن. ت. ن. م.

الاجراوي، كان سيتولى أمر القبيلتين(228). إلا أنهما اختارتا المتوگي عنه، فلا بد أنه يعكر عليه الاستقرار.

وهكذا يظهر أن الصراع بين المتوگي، والقبيلتين نفيفة ودمسيرة، كان مزمنا. يحاول فيه المتوگي النيل من القبيلتين، بإخضاعهما لأوامره المطلقة، في حين تحافظ القبيلتان، على نوع من امتيازاتهما، بمناهضة المتوگي، رغم ما يلقاه من دعم من السلطة المركزية. حتى تمكنت القبيلتان من الانفصال عن تبعيته، تحت ولاة محليين من القبيلتين، فكانت نفيفة تحت قيادة إبراهيم بن حم زيدان النفيفي(229)، الذي كان مقره بإيمن تانوت. وأما دمسيرة فكانت تحت سلطة علي ابن مبارك الدمسيري(230).

1 - 7 - 2 - تولية المتوگي على إداوزيكي :

أما القبيلة الثالثة، التي تستقر على ممر سوس الحوز، إسّن-أسرتو، فهي قبيلة إداوزيكي، وتستقر في جنوبه، من الوسط حتى مخارجه، وتكمل السيطرة عليها، للقوى المتنافسة في الجنوب، إحكام مراقبة شريان تجارة مراكش والصويرة، ولذلك كان المتوگي قد سعى للتولية عليها، منذ سنة 1284، لما كان قد تقدم بطلب في ذلك للسلطة المركزية، للتولية على كل من نفيفة ودمسيرة(231). لكن السلطة المركزية، لم توافق على توليته على إداوزيكي، تاركة قائد حاحة محمد بن عبد الله أبهي متوليا عليها. إلا أن المتوگيين، كانوا يتحينون الفرص، لمد نفوذهم على قبيلة إداوزيكي، وذلك في إطار المنافسة بين القيادتين. فخلقوا أعذارا متعددة للنيل من

---

228) راجع ص 221.

229) رسالة إبراهيم بن حم بن زدان النفيفي إلى المولى الحسن بتاريخ 26 ربيع النبوي 1290/ 24 ماي 1873، خ. ح. ر.

230) رسالة علي بن مبارك الدمسيري إلى المولى الحسن بتاريخ 24رجب 1290/ 17 شتمبر 1873، خ. ح. ر.

Montagne (R.), Ibid. p. 353.

231) راجع ص 218.

ولـد أبهـي، قصـد اقتطـاع إداوزيكي من إيالته، وضمها لإيالتهم. مظهرين ولد أبهي عـاجزا عـن استتباب الأمـن وتحمـل المسؤولية، فكـالوا له مجموعة من التهم، حتى يتمكنـوا مـن تحقيـق غرضهم. فلذلك ظلوا يجددون الشكوى للسلطان، عن ضعف السلطة على إداوزيكي.

ففـي 12جمـــادى الثانيـــة 1287/ 1870/9/9 "تشـــكى أيـت المتوگـي مـن قبيلة إداوزيكي"(232)، دون توضيح موضوع التشكي وأسبابه، فكان قرار السلطان، "صدور الأمر لعاملهم ولد أبهي بقمعهم"(233). لكنـه لـم يمـر سوى شـهرين، حتى أثـار المتوگيـون مسـألة حقـوق مخلفة لهم عند إداوزيكي، دون تحديد لها. مما جعل السـلطة المركزيـة، تصـدر الأمر في 29رجـب 1287/ 1870/3/22 ، "بالكتابـة للطـالب محمـد بـن عبـد اللـه أبهـي، بقمـع فسـاد إداوزيكـي حتـى يعطـوا مـا عليهـم مـن الحقـوق لمتوگـة"(234). وبذلـك أصبـح المتوگيـون يؤثـرون علـى السـلطة المركزيـة، باظهار ولد أبهي، عاجزا عن تنفيذ القرارات، في منطقة حيوية.

لقد كان ولد أبهي بدوره، يتهم المتوگي بالتورط في إيالته بصفة عامة، ففي 2 محرم 1288 / 1871/3/24، كـانت "شـكوى محمـد بـن عبـد اللـه أبهـي بالحـاج عمر المتوگـي، مـن كونـه يسـعى في الخوض في قبيلته"(235). ولـم يـزد تدخـل السـلطة المركزية، عن إصدار "الأمر بكفه عن ذلك"(236). ممـا يبـين أن ما كان أثير من عجز ولـد أبهـي، عـن استتباب الاسـتقرار فـي إداوزيكـي، لا يستبعد منه تورط المتوگي، وخاصـة أنـه، كان يتولى القبيلة الموالية لهم من الشمال، قبيلة دمسيرة، والتي تشترك معها إداوزيكي في مصالح كثيرة.

232) 12 جمادى الثانية 1287/ 9 شتمبر 1870، ك. 47.

233) ن. ت. ن. م.

234) 29 رجب 1287/ 25 أكتوبر 1870، ن. م.

235) 2 محرم 1288/ 24 مارس 1871، ن. م.

236) ن. ت. ن. م.

ولقد تمكن المتوگي أخيرا من النيل من ولد أبهي، وإظهاره عاجزا عن التصرف، في أمر إداوزيكي، ففي 5شوال 1288/ 1871/12/29 كان المتوگي، قد "أعاد الكتب في شأن إداوزيكي، وما هم عليه من الفساد"(237). وأمام تردي الأوضاع، بصفة عامة في إيالة ولد أبهي(238)، وإصرار المتوگي على إظهار إداوزيكي، في حالة أمنية مضرة بالمواصلات بين سوس والحوز، فإن السلطة المركزية، اقتنعت أخيرا، بضرورة إسناد أمر إداوزيكي للمتوگي. فكان قرار السلطان في 5 شوال 1288/ 1871/2/29، "قد أمر مولانا أعزه الله بجعلهم إلى نظره"(239). لكن يظهر أن هذا القرار، كان داخليا بين السلطان والمولى الحسن. إذ لم يصدر الأمر الرسمي للمتوگي، بالتولية على إداوزيكي، إلا بعد ما يقرب من شهرين، في فاتح ذي الحجة 1288/ 1872/2/11 تم "إعلام الحاج عمر المتوگي، أنه ولي على قبيلة إداوزيكي"(240). وبذلك انتهت ولاية الحاحيين على قبيلة مهمة، لما تتحكم فيه من مراقبة طريق رئيسي، كانت السيطرة عليه، تضمن نفوذا اقتصاديا وسياسيا. لما تتيحه من السيطرة على مفاتيح سوس، وخاصة أن الحاحيين، كانوا يتوقون لمد نفوذهم على سوس، والذي كانوا يمارسونه من حين لآخر. وإن تولية المتوگيين على إداوزيكي، جعلهم بدورهم يرغبون في الامتداد إلى سوس، هذا الأمل الذي زاد من مكانتهم، أمام القواد المنافسين لهم في الدير.

يتبين من المشقات التي عاناها المتوگيون، ومن الدسائس التي حاكوها، لمد نفوذ قيادتهم على منطقة حيوية، بممر الأطلس الكبير الغربي، إسّن-أسرتو، أن امتداد القيادات على حساب بعضها، لم يكن يتم بيسر، مما يدل على أن التوازن بين القوى المحلية، يصعب النيل منه، خاصة أن السلطة المركزية، لا تزكي كل التصرفات التي يتخذها القواد، وإن كانت تدعمهم بصفة عامة، فقد شجبت

237) 5 شوال 1288/ 18 دجنبر 1871، ن. م.

238) انظر ص ص 351-359.

239) 5 شوال 1288/ 18 دجنبر 1871، ن. م.

240) فاتح ذي الحجة 1288/ 11 فبراير 1872.

تصرفات كل من القائدين المتوگيين، محمد، وعمر، إزاء نفيفة ودمسيرة، لما تجاوزا الحدود، بإحداث خراب اقتصادي، شاركت فيه قوى قبيلة القائدين، مما يوضح أن مسألة القيادة في قبيلة ما، تعد نوعا من الامتياز الجماعي، تشارك فيه قوى قبيلة القائد، التي تستغل الظروف، للقيام بالنهب في القبائل الأخرى، التي تخضع لسلطته. ولذلك تحاول القبائل الخاضعة له، الخروج عنه باستعمال كل الوسائل الشرعية، من لجوء إلى السلطة المركزية، وغير شرعية من ممارسة العنف واستغلال منافسة القواد، كما كان يعمل الخارجون عن سلطة المتوگي، من دمسيرة ونفيفة، باللجوء إلى سكساوة ودويران، لإثارة منافسة المتولي عليها الاجراوي. كما يتوضح أيضا، أن المنافسة قد تطول وتدبر فيها كل الدسائس، كما وقع بين كل من محمد وعمر المتوگيين، ومحمد ابن عبد الله أبهي، حول التولية على إداوزيكي، ذلك التنافس الذي دام حوالي أربع سنوات، من 84 إلى 1288 ، حتى ساعدت ظروف عامة على زعزعة مكانة قيادة حاحة.

إن هذه الصعوبات، تبين أن مسألة امتداد القيادات، لم يكن يقف على قوة شخصية القائد، أو إمكاناته القبلية وحدها، وإنما تخضع لاختيارات سلطوية مركزية، فهي التي تفوت لهذا القائد، التولية على هذه المنطقة أو تلك، في إطار المحافظة على توازن القوى المحلية من سلطوية وقبلية. ففوتت للمتوگيين التولية على نفيفة ودمسيرة، لكن لما عجزوا عن السير، وفق خطة مرسومة، أو بالغوا في إذاية القبيلتين، مزعزعين بذلك أسس التوافق، بإخلال توازن القوى، فإن السلطة المركزية نزعت منهم التولية عليهما. وأيضا لما عجز محمد ابن عبد الله أبهي، عن السير على نفس الخطة، في إداوزيكي، نزعتها منه فولت قيادة متوگة عليها.

لقد وضحت كل هذه الوقائع، أن ما ذكره مونطاني، عن بداية تصاعد السلطة الشخصية الاستبدادية، في منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، لم يكن بالشكل الذي أورده، وإن كان معتمدا لصياغة فرضيته، على فترة زادت عن نصف قرن، من بداية الستينات من القرن التاسع عشر، إلى العشرينات من القرن العشرين. في حين، أن المثال المذكور عن محاولة امتداد قيادة متوگة، ولو لفترة محدودة، لم

تتجاوز ست سنوات من 1284 إلى 1290، وفي رقعة محدودة، على ثلاثة قبائل، بممر الأطلس الكبير الغربي، يبين أن مراعاة التوازن الجماعي القبلي، يفرض نفسه على السلطة المحلية والمركزية، عند امتداد القيادات على حساب بعضها.

يبدو من النماذج المدروسة، حول الإشكالات السلطوية، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، في الستينات من القرن التاسع عشر، أن تصرف الولاة، من القواد والشيوخ، تخضع للضبط من طرف السلطة المركزية، سواء تعلق الأمر بالتعينات، أو بتحديد الإختصاصات، كما أن الامتداد الترابي للقيادات يخضع بدوره لموافقتها، مهما كانت أسبابه، لكن هذا لا يعني، أن التصرفات السلطوية المحلية تخلو من التوتر، خاصة عندما يتعلق الأمر بانقياد السكان، فكان القواد، لا يتورعون عن إلحاق الأذى بهم، مما يؤلبهم عليهم، فتتكرر الشكايات بهم، وتضطر السلطة المركزية، لأخذها بعين الاعتبار. وتزداد هذه الإشكالية السلطوية تعقيدا حينما يتعلق الأمر بالأموال.

2 ـ الجبايات و منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي في الستينات من القرن التسع عشر

تدخل الجبايات ضمن النظام السلطوي المباشر، الذي تشرف عليه الدولة، ولذلك تشكل تلك التي تتقاضاها، من منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، قضية رئيسية، في علاقاتها بقيادات المنطقة، قصد استيفائها من السكان، وخاصة أن تمويل الدولة، يعتمد في معظم دخوله مؤسسة الجباية، إلا أن هذه المؤسسة، تثير مشاكل، سواء على المستوى النظري، أو التطبقي.

إن مؤسسة الجباية على المستوى النظري، تحتاج إلى أسس إلزامية لها، مما يجعل المطالب بها راضيا بشرعيتها، وهذه مسألة ترتبط بمؤسسات الدولة الدستورية، ومن المعلوم أن هذا الجانب، كان واضحا في إطار الدولة المغربية، التي شكل الإسلام مصدر تصرفاتها، ولذلك فإن الضريبة الإلزامية وفق مبادئ الشرع،

لا تتجاوز التي تحدد أنصبتها سواء في الأموال الناضة، أو الانتاج الفلاحي، أو المواشي. ودون أن نتوغل في موضوع مؤسسة الجباية تاريخيا، خاصة، كما يقول أحمد التوفيق. "عند التمييز بين وجوه الأخذ شرعيته وغير شرعيته، لما ينطوي عليه ذلك من مناقشة"(241)، فكل ما تأكد، أن كل فترة زمنية، كانت تعرف محاولات اجتهادية، في تطبيق النصوص المتعلقة بالواجبات(242)، التي على المسلم أداؤها، لأنه على علم دائم بما يجب عليه من الواجبات الشرعية. ودون ذلك يتخذ موقف الرفض، أو التملص، مما يفرض عليه، في حين تزداد حاجيات الدولة للأموال، فتبحث عن مخرج شرعي، وتلجأ إلى الفقهاء لتبرير تصرفاتها الجبائية.

لقد كانت مشكلة الضرائب الشرعية، أو تجاوزها لفرض ضرائب جديدة، كالمكوس، إحدى الدعائم السياسية، التي لعبت دوراهاما في سياسة الدولة المغربية. وكنموذج لهذا المشكل، يمكن تتبع آثاره على مدى قرن من الزمن، من النصف الأخير من القرن الثامن عشر، إلى النصف الأخير من القرن التاسع عشر، من تولية محمد بن عبدالله 1757/1171، إلى تولية محمد بن عبدالرحمان 1859/1276، هذه المدة الزمنية، التي تولى فيها السلطة خمسة ملوك، تصرف كل منهم إزاء مشكلة الضرائب، تصرفا خاصا وفق ما تقتضيه ظروفه،فاضطر محمد بن عبدالله، أن يستصدر فتوى من الفقهاء، لفرض ضريبة المكس، نصت على أنه، "إذا لم يكن للسلطان مال، جاز له أن يقبض من الرعية، ما يستخدم به الجند، فأمرهم أن يكتبوا له تأليفا اعتمده السلطان، ووظف على الأبواب والغلات والسلع"(243). في حين أن المولى اليزيد، لما تولى سنة 1790/1204 كتب للمدن، "بترك المكس من الأسواق"(244) ليصل الأمر، إلى أن مبايعة المولى سليمان، "كان إلغاء هذه المكوس من بين الشروط، التي انعقدت عليه ولايته"(245). وذكر أكنسوس أن المكس، من بين

241) أحمد التوفيق : اينولتان، الجزء الثاني، ص 152.

242) أحمد الناصري : الاستقصا، ج 8. ص 7.

243) أحمد الناصري : الاستقصا، ج 8. ص 7.

244) محمد الضعيف : تاريخ الضعيف، ص 207. تحقيق أحمد العماري.

245) محمد المنوني : مظاهر يقظة المغرب الحديث، ص 379.

المسائل التي خالف فيها المولى سليمان والده بإلغائه(246)، وأكد الناصري بأن السلطان المولى سليمان، ما أن بويع حتى قام بـ "إسقاط المكوس، التي كانت موظفة على حواضر المغرب في الأبواب والأسواق"(247). هذه الضريبة التي اضطر المولى عبدالرحمان، إلى فرضها منذ سنة 1850/1266 حسب ما ذكره الناصري، "أحدث السلطان المكس بفاس وغيرها من الأمصار"(248). وأشار أنه كان في البداية في الجلد والبهائم، ثم استطرد، بأنه "تفاحش آمره في دولة ابنه السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان"(249)، الذي "رتب المكوس على الأبواب والمبيعات، وكتب بذلك كتبا للأفاق"(250).

إن هذا التأرجح، بين فرض المكوس، أو التخلي عنها، لم يكن يتم إلا في الإطار المرجعي، الذي تمثله النصوص الشرعية، المحددة للحقوق الجبائية المستحقة على المسلم، ولا يجوز للسلاطين تجاوزها، ولذلك يضطرون لاستصدار الفتاوى، لتبرير فرض المكوس، فكان السلطان المولى محمد بن عبدالله، قد استصدر فتوى في هذا الموضوع، كما أن السلطان المولى محمد بن عبدالرحمان، اضطر لمراجعة العلماء، والتجار، لتبرير الإجراءات المالية الإضافية، المأخوذة من السكان، إلا أن موافقة الفقهاء، ما كانت تتم، إلا بموجب حاجة السلطان إلى جند، مما يضمن الجهاد والدفاع، الذي هو مناط مشاركة الجميع. فالسلطان المولى محمد بن عبدالله، لم يرخص له الفقهاء فرض المكوس، إلا أنه في حاجة إلى أموال، "يستخدم بها الجند"(251)، في حين، أن السلطان المولى محمد بن عبدالرحمان، كان قد شرع في تكوين جيش منظم تنظيما حديثا، منذ عهد السلطان المولى

---

246) محمد أكنسوس : الجيش العرمرم : ج 2. ص 58.

247) أحمد الناصري : الاستقصا، ج 8. ص 169.

248) أحمد الناصري : الاستقصا، ج 9. ص 61.

249) أحمد الناصري : ن. م. ص 61.

250) أحمد الناصري : الاستقصا. ج 9. ص 101.

251) أحمد الناصري : الاستقصا، ج 9. ص 101.

عبدالرحمان، وهذا الجيش في حاجة إلى "مال وهو لا يكون إلا من الرعية، على وجه لا ضرر فيه"(252).

وهكذا فإن كل هذه التدابير، دلت على أن فرض أموال إضافية غير شرعية، لم يكن أمرا سهلا، يحتاج إلى مبررات، وخاصة أن مؤسسة الجباية تنعكس على السير الاقتصادي العام، فهي تمس دخول الناس، في اقتصاد صعب يخضع لمؤثرات مختلفة، في الفلاحة والتجارة والحرف، وذلك ما شعر به السلطان المولى محمد بن عبدالرحمان، لما استشار التجار، في أمر الفروض المالية، التي عزم عليها، لتخوفه من "مالا يجهله من له أدنى عقل"(253).

وإذا كانت قضية المؤسسة الضريبية، قد التزم فيها السلاطين، بالإطار المرجعي الشرعي، كلما أرادوا مسها على المستوى النظري، فإن فاعلية هذا الاتجاه، لا تتوضح أكثر إلا على المستوى التطبيقي، سواء بالنسبة للضرائب الشرعية، أو غير الشرعية.

لقد عرفت منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، تطبيقا لهذه الضرائب، التي مست الانتاج، والتجارة، والسكان، من زكاة، ومكوس، وأموال مفروضة لدواع مختلفة.

2 - 1 - الواجبات الشرعية

كانت مؤسسة الضريبة الشرعية، الزكاة، الواجب الدائم على السكان الملزم لهم أداؤه، وبما أن الانتاج الفلاحي، كان العمل الرئيسي لهم، فإن تنظيم هذه المؤسسة، كان أساسيا، وتتم بتحديد الانصبة التي تقتضي عملية الإحصاء، وتتخذ

252) أحمد الناصري : الاستقصا، ج 9. ص 102رسالة السلطان المولى محمد بن عبدالرحمان إلى أمناء مرسى البيضاء 22محرم 1277/ 9 غشت 1860.

253) أحمد الناصري : الاستقصا، ج 9. ص 102. نفس الرسالة.

لها أسلوبا خاصا، يعرف بالخرص، الذي يفيد لغويا تقدير الإنتاج، سواء من الأرض، أو من الأشجار، وعملية الخرص، يشرف عليها أشخاص لهم خبرة، يعرفون في الوثائق بالخراصة، ويعملون تحت إشراف جهاز الأمانة، وكانت الأعشار المستحقة على الحبوب، يتم تقديرها وفق طريقة رسمية محددة من السلطة المركزية، فقد وردت في رسالة موجهة منها سنة 1868/1285 إلى القائد محمد المتوكي (254)، مجموعة من التعليمات، التي تحدد طريقة الخرص، ومسؤولية القائد في السهر على تطبيقها، والعقوبات المتخذة عند المخالفة.

ففيما يتعلق بكيفية انجاز عملية الخرص، حددت الرسالة طريقتها "إنا عازمون، في أثره على توجيه الخراصة، لخرص الزرع في أندره قبل درسه، ليستوعب الخراصون جميع الحبوب، ولا يفوتهم شيء منها، ولا يكتم عنهم"(255) وبذلك تتم عملية الخرص بحضور الخراصين للاندر، ومعاينة الانتاج، ثم تقديره، وتقدير الواجب عليه من الأعشار، التي يلزم صاحب الندر بأدائها، ويسجل عليه ذلك، وبعد أعمال الدرس وتصفية الانتاج، يؤدي ما ترتب في ذمته، على شرط أن لا يخفى أي شيء عن الخراصين.

ولضمان تعميم الطريقة، حددت الرسالة مسؤولية القائد، في السهر على تطبيقها، "قدمنا الإعلام لك، لتكون على بصيرة، حتى لا يفوت الغرض، بحيث لا تترك أحدا من إيالتك، يدرس لا ما قل ولا ما جل، قبل خروجهم كائنا من كان"(256)، على أساس أن مسؤولية القائد تقتضي، إخبار السكان الخاضعين له، وفق أوامر يلزم بها الجميع ، ويبين هذا مدى السلطة الفعلية، التي يتمتع بها القائد، إذا نظرنا إلى مساحة الإيالة، وإلى مدى ما يمكن أن يلحق الانتاج، من

---

254) رسالة موجهة من السلطة المركزية إلى القائد محمد المتوكي بتاريخ 27محرم سنة 1285/ 20 ماي 1868، خ. ح. ر.

255) ن الرسالة.

256) ن. الرسالة.

أضرار، إذا استمر انتظار حضور الخراصة، أكثر مما هو لازم، وخاصة أنه الأساس في معاش السكان.

وحفاظا على صرامة عملية الخرص، وعدم الاخلال بها من أي طرف، طوق القائد والسكان بإنزال العقوبات، عند ضبط أية مخالفة. فحددت الرسالة العقوبات للطرفين.

فبالنسبة للقائد، "من عثرنا عليه درس ولوفتة واحدة فإنك تلام به"(257). وبذلك يحرم ولو نظريا، من الترخيص لأي أحد، أن يقوم بالدرس قبل تحديد الخراصة، الواجب الشرعي عليه، ولم تحدد التعليمات الصادرة للقائد نوع العقوبة، فتركتها مبهمة، ليحق للسلطة المركزية، في حالة إثبات المخالفة، أن تنزل به ما تراه ملائما.

وأما بالنسبة للشخص، الذي ضبطت عليه المخالفة، بأن درس قبل الخرص، "يعاقب هو أشد العقوبة، ويخرص له على قدر ما تخرجه الأرض التي حرثها، بأن يقف الخراصة على عينها، ويقدرون ما يجب في مثلها"(258)، فتكون عقوبة المضبوط بالمخالفة، بأن يقدر الواجب عليه، بناء على تقدير الخراصة، لما تنتجه الأرض التي يحرثها، سواء وافق الحقيقة أو خالفها، فتشكل بذلك غرامة، لأنها خالفت أساس الأعشار الذي هو الإنتاج.

لقد تبين من الإجراءات، التي تنبني عليها عملية الخرص، المحددة للأعشار، أن أساس الضريبة الشرعية هو الإنتاج، وليس وسائله، ولا يخرق هذا الأساس إلا كعقوبة تنزل بالمخالفين، إلا أن الدولة لا تلتزم أحيانا بهذه العملية، خاصة في السنوات الجافة، التي تضر بالإنتاج، مثل ما حدث سنة 1871/1288 ذلك، "أن الصابة بالدير كله ناقصة، وربما إن خرصت، لا يتحصل القدر الذي يدفعونه"(259)

257) ن. الرسالة.

258) ن. الرسالة.

259) 20 ربيع الثاني 1288/ 9 يوليوز 1871، ك. 47.

يطرح هذا إشكالية الخرص، الذي حرصت الدولة عليه، وحثت على الالتزام بخطواته، وأقرت إنزال العقوبة بكل مخالف له، لكن تطبيقه سنة 1871 فترة نقص الإنتاج، قد يؤدي إلى نقص الجباية، ولذلك فإن الدولة تجاوزته، فصدر "الأمر بدفع الواجب في نحو ما يدفعونه" (260). مكتفية باستيفاء الواجب الضريبي، بناء على التقديرات السابقة، مخالفة بذلك الأساس الضريبي، الذي هو تقدير الإنتاج الفعلي.

يظهر أن المؤسسة الضريبية الشرعية، عرفت تحولا هاما في كيفية أدائها، ذلك أن المولى الحسن، قدم للسلطان المولى محمد بن عبدالرحمان أوائل سنة 1872/1289 "الاستفهام عما يكون عليه العمل في أعشار قبائل الدير، هل يعطونها حبوبا أو مالا"(261)، وكان قرار السلطان، أنه "بعد الخرص يثمن عليهم بسوم الوقت، ويدفعون واجبه مالا"(262). كانت هذه القضية، قد طرحت سنة 1872/1289 مما يفيد أن قبائل الدير، ما تزال تدفع الضريبة الشرعية عينا، في حين يذكر جرمان عياش، أن بعد سنة 1862 "لم تبق إلا سبع قبائل صغيرة تدفع الضرائب بضاعة"(263) من بين ستين قبيلة التي وردت في سجل بليمني(264).

يتبين مما ذكره جرمان عياش، بناء على كناش بليمني، واستفسار الخليفة عن كيفية أداء أعشار قبائل الدير، أن حسم أداء الأعشار نقدا بدل عينا، لم يتم بعد، إذ ما تزال هناك قبائل منطقة برمتها تدفع عينا، وأن السلطان قرر أخيرا، أن تقوم أعشارها بثمن سعرها، ثم يؤدي الواجب نقدا.

---

260) ن. م. ونفس التاريخ

261) 15 صفر 1289/ 24 أبريل 1871، ن.م.

262) ن.م. نفس التاريخ.

263) جرمان عياش : جوانب من الأزمة المالية بالمغرب بعد الغزو الإسباني سنة 1860. ص 17. المطبعة المغربية رويال 1959.

264) جرمان عياش – ن. م. و ن. ص

يفيد هذا، أن قضية تحويل الضريبة الشرعية من الأداء العيني، إلى الأداء النقدي، مازال مطروحا أواخر أيام السلطان المولى محمد ابن عبدالرحمان، خلاف ما ذكر جرمان عياش، من كون معظم القبائل، صارت تؤدي نقدا، مؤكدا أن من الأسباب التي أرغمت السلطان على هذا الإجراء كونه في حاجة إلى الأموال(265).

يظهر أن الأمرأشد تعقيدا، لأن تجربة أداء الضرائب العينية نقدا، كانت معروفة أيضا في المغرب في عصر السعديين، حينما قام المنصور السعدي، بتقويم الضريبة المعروفة بالنائبة، والتي كانت تؤدى عينا "صارت تدفع دراهم"(266). إن هذا العمل الذي قام به المنصور، يوضح أن مسألة تحويل الضرائب، من الدفع العيني إلى الدفع النقدي، لا يخضع كما ذكر جرمان عياش فقط، إلى كون النقود لم تكن تلعب دورا هاما في اقتصاد البلاد، مما يلزم معه استيفاء الضرائب الشرعية عينا(267). وإنما الأمر يرجع بالدرجة الأولى، إلى اختيارات سياسية، كما ظهر من عمل المنصور، مما يوضح أن الكتلة النقدية الرائجة، كانت تتكافأ مع الاقتصاد، إلا أن الإبقاء على الضرائب العينية أفضل، لأن قيمة البضائع، وإن كانت تتغير بتغير السوق، تحتفظ بقيمتها الحقيقية، وذلك ما وضحه زيدان ابن المنصور، في رسالته إلى أبي زكرياء يحيى بن عبدالله، متسائلا "لو طلبنا نحن الرعية، بسعر الوقت، الذي طلع اليوم إلى أضعاف مضاعفة، ماذا تقولون"(268).

يطرح زيدان في هذه القضية، مبدأ تحريك الضريبة النقدية بتحريك الأسعار، التي ما فتئت في التصاعد، إلا أن تطبيق هذا المبدأ، يجد معارضة من كل الفئات الاجتماعية، وعلى رأسها رؤساء والزوايا والفقهاء، ويستنتج من هذا، أن تجربة أداء الضرائب الشرعية، الثابتة الإنصبة، نقدا، انتهت إلى الصعوبات، التي اعترضتها أيام السعديين، خاصة في فترة الاضطرابات التي عرفتها أوائل القرن السابع عشر.

---

265) جرمان عياش – ن. م – ص 18.

266) أحمد الناصري : الاستقصا، ج 5. ص 31.

267) جرمان عياش : ن. م. ص 16.

268) أحمد الناصري : الاستقصا، ج 6: ص 46.

لقد أخذت الأمور المالية للدولة، تتعقد في القرن التاسع عشر، والتي برزت في ميدان التطبيق، مع السلطان المولى محمد بن عبدالرحمان، خاصة عقب ما عرفته دخول الدولة، من توزيعها، بين أداء أقساط غرامة حرب تطوان، والعناية بتكوين الجيش، والإصلاحات التي عزم عليها السلطان، مما يظهر أن الحاجة الماسة إلى السيولة النقدية، دفعت السلطة المركزية إلى اختيار أداء الضرائب الشرعية العينية، الثابتة الانصبة نقدا. إلا أن هذا الاختيار، محفوف بالمخاطر من عدة جهات، سواء فيما يتعلق بالمؤدين أو السيولة النقدية.

أما ما يتعلق بالمؤدين، فإن تحويل الضريبةالشرعية العينية نقدا، نجمت عنه أضرار درس جرمان عياش بعض جوانبها، في مقالته "جوانب من الأزمة المالية بالمغرب بعد الغزو الإسباني سنة 1860(269)، مبينا أن التغيير الذي حدث على مستوى فرض الضريبة، الذي أصبحت الدولة تحدده وفق حاجياتها(270)، بدلا من القاعدة الانتاجية، أدى إلى اضطراب في توزيع الضرائب على القبائل، وسبب فيما عبر عنه أحد عمال دكالة محمد السبيطي، "ولما رمنا قبض ما فرض، وجدنا البعض من المفروض عليهم فر، عن إخوانه لضعفه"(271). إذ لم يبق أمام المؤدين، إلا إثارة الصعوبات أمام السلطات، بالامتناع عن الأداء عن طريق الفرار، والتخلي عن الإنتاج، الذي لم يعد يتخذ أساس الضريبة.

أما ما يرتبط بالسيولة النقدية للدولة، فيظهر أنها كانت تعرف الاضطراب، مما جعل الخليفة المولى الحسن، يستفسر السلطان، عن كيفية تقويم أعشار قبائل الدير، "هل الاعتبار بالحساب الشرعي أو بالتقويم"(272)، مشيرا إلى الإصلاح النقدي الذي كان السلطان قد قرره، وأصدر بموجبه ظهيرا إلى كافة العمال بتاريخ 8

269) جرمان عياش : جوانب من الأمة المالية بالمغرب بعد الغزو الإسباني سنة 1860. المطبعة المغربية رويال) الرباط 1959.

270) جرمان عياش : ن. م. ص 19.

271) جرمان عياش : ن. م. ص 21.

272) 15 صفر 1289/ 24 أبريل 1872، كـ. 24.

شوال 1285 / 22 يناير 1869 يأمرهم فيه بالسهر على تطبيقه، لموافقته للشرع (273). وتأكيدا على الالتزام بهذا الإصلاح، أجاب السلطان المولى الحسن، "بأن المعتبر هو الشرعي وهو الذي كان في صدر الإسلام، وهو أحق أن يعبر عنه بالقديم، والملوك يجددون رسمه مهمى وقع فيه تبديل، حتى أحياه سيدنا الجد سيدي الكبير(274) رحمه الله ورضي عنه، وأما هذا الصغير، إنما كان جعله سيدنا المقدس(275) بالله لمصلحة فليكن العمل على الشرعي، ولا يحسب إلا به"(276).

يؤكد هذا تمسك السلطان بالإصلاح النقدي الذي أقره، موضحا أنه مطابق للشرع، وهو الذي دأبت الدول الإسلامية المتوالية على تجديده، من حين لآخر، حتى جدده السلطان المولى محمد بن عبدالله، وهو المعنى "سيدي الكبير" سنة 1180 / 1776(277). إلا أن هذا التقويم الشرعي، حدث عليه تغيير في عهد السلطان المولى عبدالرحمان، وهو المعنى ب "سيدنا المقدس" الذي أصدر ظهيرا بتاريخ 14 ربيع الثاني 1268 / 6 فبراير 1852(278) يقر بموجبه تخفيض العملة المغربية، ويلزم العمال بتطبيقه، وقد تخلى السلطان المولى محمد بن عبدالرحمان عن هذا الإجراء بالرجوع إلى التقويم الشرعي، معللا أن "بذلك يعلم المسلم علم يقين كمال النصاب عنده، فتجب عليه فيه الزكاة، التي هي من دعائم الإسلام، أو عدم كماله، فلا يكون مخاطبا"(279). ولذلك أصر السلطان محمد بن عبد الرحمان على أن الضرائب الشرعية، الواجبة على قبائل الدير، تقوم بالحساب الشرعي،

---

273) أحمد الناصري : الاستقصا، ج 9. ص. ص 120) 121.

274) "سيدي الكبير" السلطان المولى محمد بن عبدالله (1171/1757 - 1204/1790).

275) سيدنا المقدس : السلطان المولى عبدالرحمان بن هاشم (1238/1822 - 1276 / 1859).

276) 15 صفر 1289/ 24 أبريل 1871، ك. 47.

277) أحمد الناصري : الاستقصا، ج 9. ص 120.

جرمان عياش : ن. م. ص 28.

278) أحمد الناصري : الاستقصا، ج 9. ص 64.

279) أحمد الناصري : الاستقصا، ج 9. ص 120.

لمطابقة الأنصبة الشرعية، وقد كان كل الموظفين يراعون هذا الحساب الشرعي، في حساباتهم الرسمية (280)، وذلك ما قام به عامل مزوضة، القائد على المزوضي، فقد "وجه ستمائة مثقال والستين مثقال، بالحساب القديم الواجبة عليه، زكاة ماشية إخوانه"(281) لسنة 1870/1287. وتفيد هذه الإشارة أمرين : أولهما أن الدوائر الرسمية، تمسكت بتقويم الزكاة، بالحساب الشرعي المستجد من طرف السلطان، كما تفيد ثانيا، أن قبيلة مزوضة دفعت كواجب زكاة المواشي لسنة 1870/1287، ستمائة وستين مثقالا، دون تفصيل لما كان منها نصيب الأغنام أو الأبقار أو الإبل. إلا أن هذا يفيد أن زكاة الماشية، أصبحت تدفع نقدا، سواء تم الأداء بالحساب القديم أو الشرعي المستجد(282).

تبين هذه الإجراءات المتداخلة، أن مؤسسة الضريبة الشرعية، الزكاة في الإنتاج الفلاحي والمواشي، كانت تعرف صراعا بين الاستمرار في الأداء العيني، أو التحول إلى الأداء النقدي، المستجد في إطار حاجيات الدولة إلى السيولة النقدية، إلا أنها لم تعد تتحكم في قيمتها، لأنها ارتبطت بالسعر المتقلب، التابع للكتلة النقدية الأجنبية الرائجة في البلاد، مما يجعل التحكم في تطابق الواجبات الشرعية الثابتة الأنصبة، وحاجيات الدولة أمرا صعبا، فاضطربت طريقة أداء الضريبة الشرعية، وذلك ما عانته بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، في مراحل تحولها من الأداء العيني إلى الأداء النقدي، في فترة السلطان المولى محمد بن عبدالرحمان، الذي كان يضطر للتدخل من حين لآخر، لتوضيح أسلوب التطبيق، وفق سياسته المالية العامة.

---

280) جرمان عياش : ن. م. ص 38.

281) 18 ذو قعدة 1287/ 19 فبراير 1871، ك. 47.

282) جرمان عياش : ن. م : ص 17. ذكر أن زكاة المواشي أصبحت تؤدى نقدا في بداية عهد السلطان المولى محمد بن عبدالرحمان مبرهنا على ذلك بإشارة وردت في كناش بليمني بتاريخ 1866 "وزكاة المواشي يقبض مالاناضا على العادة".

2 - 2- الواجبات غير الشرعية

لقد كانت الواجبات غير الشرعية، مركزة بالخصوص على المكوس، التي سبقت الإشارة إلى أن فرضها، يحتاج إلى قبول جماعي(283)، لأنها "طالما تشاءم منها التجار واستنكرها الفقهاء"(284)، لكونها من الناحية النظرية، لا تستند على أي نص شرعي، مما أدى إلى اجتهاد خاص في كيفية تطبيقها، تتنازل الدولة بموجبه عن حق الاستيفاء، إلى أشخاص يجبونها في شكل المكوس، وفق شروط محددة، تنص عليها العقدة المبرمة بينهم، وبين الدولة. وما يزيد هذه العملية تعقيدا، أن حق مراجعة العقد مفتوح للمشترين والدولة معا، عندما يشعر أحد الطرفين بالغبن، أو عندما يظهر منافس جديد، يقترح شراء حق الاستيفاء بالزيادة(285).

إذا كانت الدولة، قد قررت هذا الاجتهاد عامة، أي بيع حقوق الاستيفاء، فإن أسلوب تطبيقه يتعرض للتغيير، وفق ما تقتضيه الظروف، وذلك ما يتوضح من استيفاء المكوس، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، في عهد السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان، سواء فيما يتعلق بتحديد المواد المفوتة للمشترين حق استيفاء مكوسها، أو كيفية مراقبتهم، أو إجراء الصفقات معهم.

إن المواد المفوتة للمشترين حق استيفاء المكوس عنها، لم تكن حقوقا مطلقة على كل المواد، وذلك ما تبين من شكوى، رفعها مشتري أسواق الدير سنة 1870/1287 إلى "الأمناء بمراكش بالخسارة"(286). وبينوا أن أسباب الخسارة، ترجع إلى كيفية استيفاء الحقوق ذلك أنهم، "تعللوا بأن حاكم السوق، يقبض رحبة الملح والغاسول والجلد"(287)، فيوضح هذا أن هناك حقوقا تختص بها الدولة، وحقوقا

283) راجع ص ص 230-231.

284) أحمد التوفيق : إينولتان. ج 2. ص 180.

285) جرمان عياش : ن. م. ص. 23.

286) 8 شعبان 1287/ 3 نوفمبر 1870، ك. 47.

287) 8 شعبان 1287/ 3 نوفمبر 1870، ن.م.

الغاسول : المقصود في النص، عبارة عن نبات كان يجفف ثم يستعمل للغسل خاصة الصوف، وينتشر نباته =

أخرى تتنازل عنها للمتعهدين، مما يخلق الاضطراب في الاستيفاء، يؤدي إلى خسارة المشترين، كما تبين من شكوى مشتري أسواق الدير، سواء كانت حقيقية أو مختلقة، ما دام أن هناك جهتين، تتنازعان حقوق المكوس في السوق، وخاصة أن المواد التي دار عليها النزاع مواد أساسية في الرواج بالسوق، يدخل بعضها في الاستهلاك كالملح والبعض في الصناعات الحرفية كالجلد، والبعض في النظافة كالغاسول، ولحسم النزاع، تدخلت السلطة المركزية، محددة لكلا الطرفين المواد التي يختص باستيفاء الحقوق عنها، "بأن الذي يكون عليه العمل هو ما يبعث به يكون في دمة العمال"(288). فتختص الدولة باستيفاء حقوق المواد المصدرة، في حين يترك حق استيفاء بقية المواد للمتعهدين، مما أدى عمليا لازدواجية استيفاء رسوم المكوس بين جهتين، إحداهما رسمية، والأخرى غير رسمية، وتفاديا للنزاع بينهما، قرر السلطان، أن "كل واحد [يكلف] من يقبض على يده من أهل البلد، ويوصل للأمناء، وبه تحسم مادة التشكى"(289)، فيحق لكل من الطرفين ممارسة نشاطه باستيفاء الحقوق المخولة له، على أساس أن يكون الرابط بينهما، هو جهاز الأمانة بمراكش.

يظهر أن أمر تحديد حقوق الاستيفاء المتنازع عليها في الدير، بين السلطة المحلية والمتعهدين، نجم عنه بحث شؤون الأسواق بالدير، وكأمثلة عن ذلك في كل من متوكة وسكساوة.

أما متوكة فيظهر أنه صدر الأمر، بإجراء إحصاء عن أسواقها، وذلك ما يفهم من رسالة مرفوعة إلى السلطان بتاريخ 11 شعبان 1287/6 نوفمبر 1870 "وسألنا من له معرفة ضرورية بأسواق متوكة، وكم عددهم، فما ألفينا من يخبرنا عن غير الإثنين بفم تنوت، وهو الذي كائن وقع فيه الاحصى حسبما بالظهير الشريف، وبحثنا

= بالحوز، وكان ينقل بالبهائم إلى مراكش للبيع، ويسمى بالغاسول الحر.

288) ن. م و. ن. التاريخ

289) ن. م. و. ن. ت.

القائمة التي تحت اليد تضمنت بعض أماكن البيع"(290). يدل هذا أن الإحصاء الذي بدأته الأمانة عن أسواق الدير، تضمن أيضا تحديد أماكن بيع المواد، تفاديا على ما يظهر للنزاعات في استيفاء المكوس، بين ممثلي السلطة، وممثلي المشترين لحقوق الاستيفاء. إلا أن عملية الإحصاء، لم تتم إلا في سوق إيمن تانوت، الذي يعتبر سوقا رئيسيا في الدير، لكونه يقع على الطريق الرئيسي بين مراكش وسوس، كما تتفرع منه طريق آخر نحو الصويرة، بالإضافة إلى أنه سوق مركزي لمنطقة جبلية عريضة خلفه(291). ولذلك فإن دخله السنوي، يظهر أنه كان مهما أيضا، فقد ورد في نفس الرسالة، أنه "ثمانمائة مثقال"(292)، فيكون الدخل المتوسط من المكوس ليوم السوق 15.38 مثقالا.

أما بالنسبة لسكساوة، فقد كان الأمر، يدور حول سوق بها، ينعقد يوم الثلاثاء، فورد في شأنه من السلطة المركزية أمر، "بالبحث في سوق الثلاثاء المحدث بسكساوة، وفيه لحوق الضرر على المخزن، بكون الفساد يتسوقون فيه، وان ألفي كذلك، يسقط، وإلا فيباع كغيره من الأسواق"(293). يبين هذا أن الدولة كانت للأسواق بالمرصاد، حتى داخل المناطق الجبلية، فأمرت بأحد الأمرين في شأن سوق سكساوة : أما إخضاعه للمراقبة واستيفاء الحقوق، أو منع انعقاده، وقد أسفر البحث، الذي أجري عن سوق ثلاثاء سكساوة، عن "أنه قديم وبيع"(294). وبذلك رفع الالتباس حوله، فقد بين البحث أولا أنه سوق قديم بالمنطقة، وثانيا أن إجراءات بيع حقوق المكوس شملته كغيره من الأسواق، سدا لكل ذريعة بإخلال نظام المكس بالمنطقة، فشددت الرقابة، تفاديا لخلل التجارة بين أسواق الدير والجبال المجاورة له.

---

290) رسالة محمد بن شقرون وأحمد بن المفضل إلى السلطان بتاريخ 11شعبان 1287/ 6 نوفمبر 1870. خ ح ر.

291) Jacques Berque. Notes sur l'histoire des échanges dans le Haut-Atlas Occidental Eco-Soc. Civ. Juillet-September 1953 N° 3. P. 293.

292) ن. الرسالة.

293) 15 ذو حجة 1288/ 25 فبراير 1872، ك. 47.

294) 1 صفر 1289/ 11 مارس 1872، ن.م.

إن هـذه الإجـراءات بإحصـاء الأسـواق، وتحديد مرافق البيع فيها، وإخضاعها كلهـا للمكـوس، بغـض النظـر عـن مواقعهـا الجغرافيـة بين السهل والجبل، تفيد عزم السـلطة، علـى تحديـد مسـؤوليات كـل الأطـراف المشـاركة، فـي اسـتيفاء الحقـوق وضبطهـا، وخاصـة أن تلـك الحقـوق، لـم تختـص بها جهة واحدة، فاختلطت فيها السلطة بالمتعهدين،

إن إبـرام العقـود مـع المتعهديـن لاسـتيفاء المكـوس، أدى إلـى ضـرورة المراقبـة لكيفيـة إنجازهـا، وخاصة أن إمكانية خرق المتعهدين، للشروط المخولة لهم الاستيفاء، أمـر طبيعـي، مـاداموا يضـاربون بـأموال، على حقوق غير مضمونة، ولذلك اقتضت المصلحـة تكليـف سـلط مختلفـة، بتكثيف المراقبة على المتعهدين. ومثالا على ذلك، مـا وقـع لمشـتري حقـوق أبـواب أگديـر، لمـا تجاوزوا الحقوق المحددة لهم، فأبلغ قائد أگدير، السلطان في 17جمـادى الثانيـة 1283/27 أكتوبـر 1866، "أن المشـترين لبـاب أگديـر، زادوا فـي القبض على ما قدر لهم"(295)، دون توضيـح قـدر الزيـادة، التـي أضافوهـا عـن الحقـوق المحـددة لهـم أخذهـا، واعتـبر ذلـك خرقا لشروط إبرام العقد معهـم، ممـا جعل السلطان، يأمر المولى الحسن، "بالكتب لأمناء الصويرة، بأن يكتبوا لمشـتري بـاب أگديـر، ليكفوهـم عـن الزيـادة، ويقفـوا علـى الشـروط التـي وقعـت العقدة عليها"(296)، بـين المتعهديـن والسـلطة، لأن كـل تجاوز، قد يؤدي إلى إرهاق السكان، والتأثير على النشاط الاقتصادي.

يتوضـح مـن هـذا، أن جهـاز الأمانـة بالصويرة، هو الذي كان يراقب استيفاء حقـوق المكوس بأگدير، فهو الواسطة، بين السلطة المركزية والمشترين لحقوق استيفاء المكـوس، فصـدر الأمر لهذا الجهاز، بمراقبة تطبيق شروط العقد، الذي بموجبه يمارس المشـترون حـق الاسـتيفاء، والتدخـل بـالردع، لمـا خـرق المشـترون الشـروط، لكـن التعليمـات الصـادرة مـن السـلطة المركزيـة، لـم تحـدد نوع الزجر، فاكتفت بتفويض الأمر لجهاز الأمانة.

(295) 17 جمادى الثانية 1283/ 27 أكتوبر 1866، ن.م.

(296) 17 جمادى الثانية 1283/ 27 أكتوبر 1866، ن.م.

يتبين من هذه القضية، أن أجهزة المراقبة متداخلة، فالذي أبلغ بوجود الخلل في تطبيق العقد، هو قائد أگدير، والجهاز المكلف بالمراقبة والزجر، هو أمانة الصويرة، والسلطة المنسقة بين السلطتين الإقليميتين، هي السلطة المركزية. وبذلك تتكثف المراقبة بتنوع الأجهزة، حتى لا يتم التواطؤ بين المتعهدين وأية جهة، لأن خرق العقود، يؤدي إلى المس بالسياسة المالية للدولة.

لقد كان تفويت حقوق المكوس إلى المتعهدين، يحظى أحيانا باهتمام كبير، إذا كانت الصفقة ذات بال، مثل ما كان بالنسبة لبيع حقوق أبواب مدينتي الصويرة وأگدير معا، فقد أبلغ المولى الحسن السلطان، في 28 شوال 1288 / 10 يناير 1872، بأنه تم "إمضاءالبيع لمشترى أبواب الصويرة وأگدير، عن سنين 3بخمسة وثمانين ألف مثقال صغيرة"(297)، فيكون المعدل السنوي لدخل أبواب أگدير والصويرة من المكوس 333. 28 مثقالا، والمعدل الشهري 2361مثقالا صغيرا، واليومي 78.7 مثقالا صغيرة. وقد أخبر المولى الحسن أيضا "عاملي الصويرة وأگدير"(298)، دون ذكر لأمانة الصويرة. على أن هذه الصفقة ما تمت إلا "بعد ملاقاتهم [المتعهدون] بالأمين بنيس، وتكلمه باستيفاء ذلك منهم، كما شرط فأجابوا بالإمتثال"(299). ومعلوم أن بنيس كان هو الرئيس الأعلى لجهاز الأمانة، المكلف بالشؤون المالية، ويظهر من النص كأنه ضامن للمتعهدين، الذين اشتروا حقوق استيفاء أبواب أگدير والصويرة، لدى السلطة المركزية، والتي يمثلها المولى الحسن بمراكش والجنوب عامة، فأبلغ السلطان كل الإجراءات التي رافقت الصفقة، مما يبين أن المبالغ التي تمت بها مهمة ومحفوفة بالمخاطر. فاحتاجت الدولة لضمانة أكيدة من المتعهدين مثلها أمين مالية الدولة بنيس.

يتوضح من المشاكل المختلفة، التي طرحتها مسألة المكوس، بطرفي الأطلس الكبير الغربي، أنها مشاكل من نوع آخر، تخالف المشاكل التي طرحتها الضرائب

297) 28 شوال 1288/ 10 يناير 1872، ن.م.

298) ن. م. ن. ت.

299) ن. م. ن. ت.

لشرعية، ذلك أن المكوس ضريبة غير شرعية، تتحكم السلطة المركزية في توجيهها، في كل مجالاتها، فتتدخل في شأنها من حين لآخر. في حين أن الضرائب الشرعية، يستعصى عليها ذلك، لأنها فرضت بنص، وحدد الاجتهاد الفقهي أنصبتها، بغض النظر عن الحكومات الزمنية، في حين أن المكوس ضرائب ظرفية، تخضع لسلطة الدولة مباشرة.

ويظهر الاختلاف بوضوح بين الضريبتين، في المدة الزمنية لاستحقاقهما، فالضريبة الشرعية حولية نصا، في حين أن الضريبة غير الشرعية كالمكوس، مستمرة فتمثل بذلك ضرائب غير مباشرة على الإنتاج والاستهلاك، لذلك كان من الطبيعي أن تثار مشاكل متعددة في شأنها، وهي التي عرفت منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي جزءا منها.

2 ـ 3 ـ الواجبات الظرفية

لم تكن الدولة تقتصر فقط على الواجبات التي تفرض على الإنتاج، سواء بأصول شرعية كالزكاة، أو اتفاقية كالمكوس، وإنما كانت تأخذ أموالا أخرى ظرفية، تختلف أصولها، كهدايا الأعياد، أو مناسبات التولية، أو فروض محددة كواجب، ولقد شاركت منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي في هذه الأصناف.

دأبت القيادات الإقليمية على أداء الهدايا في الأعياد، حتى تحولت إلى عادات، دخلت في الارتباط السياسي، كواجبات ذات نوع من الشرعية الزمنية، مما جعل القيادات بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، حريصة على الوفاء بها. وكمثال عن أهمية هذه الهدايا، أنه في عيد الفطر لسنة 1285 فـ"إن القائد محمد المتوگي، والقائد علي المزوضي، لما قدما للعيد، أصحب الأول معه ثمانية وأربعين ألف مثقال، والثاني عشرة آلاف مثقال ودفع الجميع 58000 للأمناء"(300). فتكون

300) 2 ذو القعدة 1285/ 14 فبراير 1869، ن.م.

قبيلة متوگة قد دفعت كهدية للعيد 48 ألف مثقال، ومزوضة 10 آلاف مثقال، وتبين هذه المشاركة مكانة القبيلتين بالدير، حتى إن مزوضة لا تمثل سوى خمس متوگة.

لقد كان الصراع على السلطة الإقليمية، جعل المتنافسين عليها، يحاولون إطفاء الشرعية، على أحقيتهم بالتولية، وكانت الوسيلة الأكثر فاعلية، هي الالتزام بأداء أموال، مقابل التولية على القبيلة، وذلك ما وضح من التغيير الذي حدث على قيادتي مزوضة ومتوگة.

كان الصراع على التولية بقبيلة مزوضة سنة 1283بين شخصين (301)، يحاول كل منهما، أن يثبت أولويته على القبيلة، فورد "في شأن ولد العسري، وما تحمل به مزوضة، على أن يعطى من عنده على ولايته"(302). دون ذكر المبلغ الذي تحمل به للتولية، وكان قرار السلطان، "بأن لا بأس بتوليته على القبيلة"(303). إلا أن المبلغ الذي التزم به، يظهر أنه لم يؤده في الحين، فبعد حوالي أربع سنوات، ورد في شأنه، "جواب ما أخبر به مما بقى بذمة علي المزوضي، مما كان التزم به على الولاية من الريال 5912، دون الذعيرة وغيرها"(304). ويستنتج من هذا التماطل في الأداء، إما أن المبلغ كان باهظا، أو أنه كان ذريعة في يد القائد، للمزيد من الحصول على الأموال من القبيلة.

أما بالنسبة لمتوگة، فإنه ما أن توفي القائد محمد المتوگي أوائل سنة 1286(305) حتى حاول ابن عمه عمربن سعيد المتوگي، كسب الاستحقاق بالتولية على القبيلة، ف "التزم لبيت المال بستين ألف مثقال، مع العشرين التي التزم بها عمه"(306).

---

301) راجع النزاعات على القيادة : مزوضة. ص ص 273-276.

302) 22 ذي الحجة 1283/ 27 أبريل 1867، ن.م.

303) 22 ذي الحجة 1283/ 27 أبريل 1867، ن.م.

304) 14 محرم 1288/ 5 أبريل 1871، ن.م.

305) راجع وفاة محمد المتوگي، ص ص 179-180.

306) 26 محرم 1286/ 8 ماي 1869، ن.م.

وبذلك يتحمل بأداء ثمانين ألف مثقال، منها التي كان عمه، محمد المتوگي، قد التزم بها، عقب تسريحه من السجن، مما يبين أنها لم تؤد بعد، وما تحمل به هو شخصيا للتولية، دون ذكر للمصدر الذي يدفع منه هذه الأموال كلها. وكل ما ثبت أنه تأخر في أداء تلك الأموال(307).

لقد اكتسبت هذه الأموال الظرفية نوعا من الاستمرار، سواء تعلق الأمر بهدايا الأعياد، أو مناسبات التنافس على السلطة الإقليمية، فشكلت بذلك موارد متكررة للدولة.

أما الأموال التي تلجأ الدولة إلى فرضها، في ظروف خاصة، والمعروفة بالواجب، فقد فرضت على منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، في عهد السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان، ووردت رسالة منه في شأنها إلى المولى الحسن بتاريخ 15ذي الحجة 1288/ 25 فبراير 1872 "أنك كتبت لكل عمال الدير والحوز وعبدة والشياظمة والرحامنة، بأداء ما تخلف بذمتهم من الواجب وغيره من التقييد، الذي تركه هناك الأمين الزبدي"(308).

يبين هذا أن الواجب المفروض، كان عاما لمنطقة الجنوب، وشاملا قبائل متعددة. وكان المخزن قد قبض جزءا منه، في حين ما زال الباقي بذمة قواد المنطقة، فأمرهم باستكماله. فحاول كل قائد تبيان أسباب تأخره عن الأداء.

لقد "أجاب وصيفنا الاجراوي، بأنه أخذ في قبض مال الزكوات والأعشار وبعد دفعه، يشرع في أداء ما عليه من ذلك"(309)، تعلل الاجراوي بأن أسباب تأخره، كونه منهمكا في جمع أموال الزكوات والأعشار، مما أعاقه عن جمع ما فرض من الواجب على القبيلة، مضيفا أنه وقع له الالتباس في المفروض على قبيلة

---

307) راجع المحاسبة بين الأمانة والمتوگي، ص ص 250 251.

308) رسالة من السلطان المولى محمد بن عبدالرحمان إلى المولى الحسن بتاريخ 15ذي الحجة 1288/ 25 فبراير 1872، خ. ح. ر

309) ن. الرسالة.

وزگيتـة، ولذلـك فـ "إنـه طلـب أن يبـين لـه، هل عدد 16833 الريـال المقيـدة علـى وزگيتـة، هـو خاص بأهل الجبل الذين إلى نظره، أو عليهم وعلى السهل معا"(310)، مما يبـين أن قبيلـة وزگيتـة كـانت منقسـمة سـلطويا بـين قيـادتين، إحداهما للطرف السـاكن بـالجبل، والـذي هـو ضمـن إيالة الاجراوي الجبلية (311)، والثانيـة للطـرف السـاكن بالسهل، لكن السلطة المركزية، عاملت القبيلة، كوحدة جبائية، فقد أجاب السـلطان، عـن استفسـار الاجـراوي، بـأن "العـدد المقيـد علـى وزگيتـة، فهـو علـى جميعهم سواء في ذلك، أهل السهل أو أهل الجبل"(312).

أمـا المزوضـي فلـم تثبـت أسـباب جوهريـة، عـن تـأخره فـي الأداء، وصـارت الشـكوك حول نواياه، فعبر المولى الحسن عن ذلك، "مع ما بلغ من تموله، وأن الأداء لا يعجزه إن أراده"(313)، متهمـا إيـاه بالتمـاطل، مما يبين أن القواد يمارسونه أحيانا، إما لأسـباب حقيقية، كصعوبة جمع الأموال من القبيلة، أو لأسباب أخرى كإظهار القبيلة في موقع الضعف، أو لاستغلال الفرصة لجمع أكثر ما يمكن من القبيلة.

وأخبر السباعي، "أنه إنما بقي عليه من غير الواجب مثاقيل 40000 وزيـادة 500 وإنه أخذ في تنضيضها"(314)، إلا أن السـلطان أخـبر المولـى الحسـن، "إمـا السباعي فهـا تقييـد ما عليه يصلك مبينا فيه الباقي عليه، ليؤمر بتنضيضه وإيصاله لمحله"(315)، دون ذكـر لمبلـغ ذلـك البـاقي علـى السـباعي، ولكـن يظهـر أنـه مخـالف لما أقر به السباعي نفسه.

وأبلـغ الحنشـوى السـلطة المركزيـة، "أنـه لـم يبـق عليـه شيء من ذلك"(316) الواجب، مبرئا ساحة قبيلته من كل متابعة.

---

310) ن. الرسالة.

311) راجع إيالة الأجراوي الجبلية، ص 185.

312) ن. الرسالة.

313) ن. الرسالة.

314) ن. الرسالة.

315) ن. الرسالة.

316) ن. الرسالة.

لقد كان المتوگي، أكثر هؤلاء القواد محاسبة، مبينا أن الواجبات المتبقية عليه غير مطابقة لما أمر بأدائه، "أجاب المتوگي بأن المتبقى على عمه ثمانية عشر ألف مثقال، وعليه هو مما التزم به، ستة عشر ألف مثقال، لا واحد وخمسون ألف ريال، وثلاثمائة ريال وأربعة وثمانون ريالا، كما في التقييد المذكور، وأنه تحاسب مع الأمين المذكور، وأحضر بطائق الدفع، فألفى ما ذكر صحيحا، وكان طلب الانعام، باسقاط هذا الباقي على عمه، مما عند إبراهيم قرقوز"(317). تبين مما سبق أن المتوگي قد أدى قسطا مهما من ستين ألف مثقال، التي كان قد التزم بها، عقب توليته أوائل سنة 1286، فأدى منها أربعة وأربعين ألف مثقال، وأدى مما بقي على عمه المتوفى، ألفي مثقال، وكان قد استلم بطائق الأداء من جهاز الأمانة، استعملها عند مراجعة الأمين الزبدي المحاسبة، فبرأ ذمته مما أمر بأدائه، بتصحيح الاقساط المتبقية عليه، والتي طلب طرح جزء منها، من ديون له على إبراهيم قرقوز، المقيم بالصويرة، على أساس موالاة الأخير للسلطة المركزية، في تصفية ذلك الدين، باعتباره من التجار الذين يشتغلون لحسابها، والذي يرتبط بعلاقات التعامل التجاري، مع القواد

---

317) ن. الرسالة.

إبراهيم قرقوز ينتمي إلى أسرة آل قرقوز اليهودية، التي هاجرت من إسبانيا الأندلسية، أوائل القرن السادس عشر إلى المغرب، وعاش طرف منها في المدن المغربية، كتطوان وفاس ومراكش وسلا، ثم هاجر طرف آخر من بعد إلى الخارج، للبلدان الإسلامية العربية، كالجزائر وتونس والشرق أو لأوربا كانجليرا.

استفادت أسرة قرقوز المستقرة بالمغرب، من التجارة الخارجية، خاصة منذ أواخر القرن الثامن عشر، عقب إنشاء مدينة الصويرة، فكانت تقوم مع أسر يهودية أخرى بأعمال تجارية لصالح السلطة المركزية، خاصة في القرن التاسع عشر، مع تزايد الارتباط بالتجارة الخارجية، مما أدى لاستقرار سلمون قرقوز بالصويرة سنة 1843، وخلفه أبناءه إبراهيم ويعقوب، وكانت هذه الأسرة اليهودية تشارك في استيراد مواد مختلفة، كالأنسجة والسكر والشاي والشموع. وتصدر الحبوب واللوز والصمغ وريش النعام والزيت، وقد سمح الارتباط مع شبكة اليهود، في كل الاتجاهات بالمغرب، من الصحراء إلى البحر المتوسط، وعبر جبل طارق، مع المدن الأوربية كمرسيليا ولندن، سمح لها ذلك بربط الصلات، مع القوى النافذة في البلاد من موظفي الدولة المركزيين، والإقليميين، مما يؤدي إلى تبادل المصالح، وذلك ما ظهر من علاقات المتوگي بإبراهيم قرقوز الواردة الذكر في الوثيقة :

Témoins et acteurs.

Abitbal (Michel) Les Corcos et l'histoire du Maroc contemporain jérusalem Institut Ben Zewi 1977. pp. 21-24. et arbre généalogique de la famille Corcos.

.Schroeter Daniel : Merchants and peddlars of Essasuira

A. Social history of a Moroccan trading Towns. (1844-1886) Ph. D. Thesis Manchester (ronéotypé). pp. 198- 200.

الإقليميين والسلطة المركزية معا. لكن قرار السلطان في "ما طلبه المتوگي، من إسقاط الثمانية عشر ألف مثقال الباقية على عمه (318) مما ذكر، فحين يكمل ما عليه ولا تبقى إلا هي، يظهر ما يكون"(319). فقد علقت السلطة المركزية قبول طلب المتوگي، على شرط وفائه بديونه الشخصية، مما يفيد مرونة التعامل، على أساس الوفاء بالالتزامات.

لقد كشفت هذه الوثيقة على نوع من المحاسبة، التي كانت السلطة المركزية، تجريها مع السلطات المحلية، المكلفة باستيفاء الواجبات من الايالات، في القرن التاسع عشر، وهي محاسبة يلتزم فيها الطرفان الدقة، ومراجعة الوثائق، وتصحيح مبالغ الاقساط المدفوعة والمتبقية، واستعمال كل الوسائل الممكنة، من طرف القواد للتسديد، بما في ذلك الديون المترتبة على جهات أخرى، كما طلب المتوگي، فتتشعب الأساليب. مما يظهر، أن استخراج الأموال من القبائل أمر صعب، تسلك فيه كل الوسائل، سواء بين الدولة والعمال، أو بينهم وبين إيالاتهم.

ولقد أدت الصعوبة، التي تكتنف الحصول على الأموال من القبائل، إلى التلويح باستعمال القوة، سواء من طرف السلطة المركزية أو السلطات المحلية.

فقد استرعى المولى الحسن على قبيلة بني عامر، "وعلمنا أنك راجعتهم، وحتمت عليهم، لتنضيض ما وجب عليهم، في خرص عامه وزكاته، الذي وجهت منه نسخة، فوعدوا به في العيد الآتي، وانك ما أعلمت جانبنا العالي بالله، حتى استرعيت عليهم وانذرتهم، وان من وجه له المخازنية يضيق بهم في المعيشة، حتى يفروا وحدهم"(320)، موضحا أن التلويح بالقوة، يأتي كمرحلة نهائية. ويكون استعمال القوة، بإنزال فرقة من المخازنية، على الممتنعين عن الأداء من القبيلة، والتضييق عليهم في المعاش، بما يتكلفونه من كلف التغذية والعلف، للفرقة النازلة

---

318) راجع تولية المتوگي، ص ص 179-180 .

319) رسالة السلطان إلى المولى الحسن بتاريخ 15ذي الحجة 1285/ 29 مارس 1869، خـ. حـ. ر.

320) ن. رسالة السلطان.

بهـم، حتـى يـؤدوا أو يضطـروا لـلرحيل، إلا أن هذا التلويح، جاء كانذار من الخليفة المولى الحسن، قبل اتخاذ أي اجراء تنفيذي من السلطة المركزية.

كـانت السـلطات المحليـة، تلجأ أيضا إلى التلويح بالقوة، فالقائد عمر المتوكي، ما أن تولى أوائل سنة 1286/1869حتـى، تم "الإعـلام بمـا طلبـه المتوكـي من الخمسين فارسا، بقصد استيفاء الواجب من إيالته" (321). ممـا يبـين أن صعوبـة الحصـول علـى الأمـوال مـن الإيالـة، دفـع القائـد الجديـد، إلـى طلـب مؤازرته، بقوة ردع يستعملها فـي وجــه الممتنعين عـن الأداء، لأسـباب مختلفـة، ووافـق السلطـان علـى "تمكينـه منها" (332)، لكنـه قيـد تلـك الموافقة، بشرط، "إن لم يكن قبض شيئا" (323). بمعنـى عنـد الامتنـاع الكلـي مـن الإيالـة، ممـا يفسر أنذاك الرفض العلني، وخاصة أن القائد عمر المتوكـي كان حديث العهد بالسلطة.

ويظهـر من كل هذه الاحتياطات، التي تقيد استعمال القوة، سواء من السلطة المركزيـة أو الإقليميـة، أنهـا، ترجـع إلـى تخوف السلطان، من عواقب قد تؤدي إلى تجـاوزات، تنصـرف نتائجهـا إلـى اتجاهـات أخـرى، ذلـك أن اسـتعمال القوة كحل نهـائي للإرغـام علـى الجبايـة، هـو في الواقع، إيدان بخراب الأسس الاقتصادية، في مجتمع يعتمد على السواعد، في إطار تقنياته المحدودة.

وهكـذا فـإن الحصـول علـى الأمـوال، سـواء بـالطرق الشرعية أو الاتفاقية، أو الظرفية، لم يكن جزافا، فهو مقيد بشروط، نظرية وتطبيقية، اجتماعيا واقتصاديا.

فمـن الناحيـة النظريـة، تحتـاج كـل أنـواع جبايـة الأمـوال، إلى كسب القبول المقتنـع بــه مـن الســكان، مهمـا اختلفـت أصولـه، وإنمـا يبقـى الهـدف، هـو خلـق الاستعداد للأداء عند المطالبين.

---

(321) 5 صفر 1286/ 17 ماي 1869، ك. 74.

(322) ن. م. ن. ت.

(323) ن. م. ن. ت.

ومـن الناحية التطبيقية، تحتاج كل أنواع الجباية، إلى ضبط مستمر، في التعامل بين مختلـف السـلطات المركزيـة والمحليـة، من مراقبة، وتحديد المسؤولية، ومحاسبة، اعتمـادا علـى حوارمتواصـل بـين كـل الأجهـزة، واسـتعمال كـل الوسائل الإجرائية الممكنة الضبطية للعلاقات بين تلك الأجهزة.

ورغـم كـل هـذه التدابـير، النظريـة والتطبيقيـة، فإن الحصول على الأموال، لا يخلـو مـن اللجوء إلى استعمال الزجر، والتلويح بالقوة، عندما تستنفد كل الوسائل، لكنـه زجـر مقيدبإطفـاء الهيبة، على مشروعية الحصول على الأموال، من قبائل تكد فـي الحصول عليها، في اقتصاد يبتلع قوى سواعدها ووقتهم، يجعلهم أكثر استعدادا للنفور، من أي محاولة استبزازية، ما لم تفق وسائل دفاعهم.

وهكـذا يتمـيز التنظيـم السـلطوي، بمنطقـة طرفـي الأطلس الكبـير الغربـي بـالضبط، سـواء تعلـق الأمـر، بالولاة أو الجباية، أو تعلق بالسكان والسلطة المركزية. فيحـاول السـكان الدفـاع عـن حقوقهـم، ولـو اقتضـى الأمر استعمال أنواع الرفض، كمـا تحـرص السلطة المركزية، بدورها، على إضفاء الشرعية على تصرفاتها، بالاقناع المدعـوم مـن حـين لآخـر، باسـتعمال القـوة، فتكـون الدائـرة على السلطة المحلية، مما يجعلها تدخل في الصراعات مع القوى المحلية.

II - المنازعات بين القوى والسلطة المحليتين بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، في الستينات من القرن التاسع عشر.

إن اسـتعراض نمـاذج مـن الصراعـات، بـين القـوى والسـلطة المحليتـين، بمنطقة طرفـي الأطلـس الكبـير الغربـي، في الستينات من القرن التاسع عشر، تبين إلى حد، نوعـا مـن السـير العـام للترابط، ومحـاولات الإبقاء على اسمراره، دون ترك خيوط تلـك الصراعـات المحليـة، لتؤدي إلى أسباب القطعية، مغلبة من حين لآخر، ضرورة اللجـوء إلـى السـلطة المركزيـة. ولقـد تجلـت هـذه النمـاذج فـي التنـازع حـول الاختصاصات، أو في الصراعات الجماعية، أو الفردية.

1 ـ تنازع الاختصاصات بين الزوايا و السلطة المحلية :

كان الصراع بين القوى المحلية، في منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، يأخذ أيضا طابع تنازع الاختصاصات، خاصة بين القوى، التي يعترف لها المجتمع بحق التصرف، والذي لم يكن موقوفا فقط على السلطة المحلية، وإنما شاركتها الزوايا أيضا.

ومعلوم أن مشاركة الزوايا للسلطة في ضبط المجتمع، كانت له جذور، تطورت خلال فترة طويلة من الزمن، أصبحت فيها الزوايا عنصرا رئيسيا، في تناول القضايا، اجتماعيا، وسياسيا، واقتصاديا، تلك الزوايا التي أصبح الحديث عنها، يكتسي صبغة أساسية، في الكتابة التاريخية المغربية، باعتبارإسهاما في الأحداث العامة، التي عرفها المجتمع المغربي، منذ القرن التاسع/الخامس عشر، هذه المؤسسات التي أكدت وقعها على المجتمع، لما وفرته من خدمات، اكتسبت بصفة عامة، طابع المساعدة في تجاوز الصعاب، التي تعرض لها المجتمع المغربي، مما أكسبها احتراما اجتماعيا اتسم بالهيبة، حتى أصبحت الزاوية بمثابة عنصر أساسي، لا غنى عنه في إدارة شؤون المجتمع المغربي، ودون البحث عن مكونات هذه الزوايا، التي خصصت لها دراسات، تذهب من العام إلى الخاص والعكس(1)، فإن أدوارها المتداخلة، لم تكن مقتصرة على مد المساعدة، بتجاوز الصعاب فقط، بل أصبحت بدورها أداة استنزاف، لقوى انتاجية محلية.

وإن استمداد كل، من الزوايا والدولة، لأصولهما الشرعية، إن لم نقل الايديولوجية، من مصدر واحد الذي هو الدين، جعل تجاوز كل منهما للآخر، أمرا صعبا، في إطار منظومة تنظيمية واحدة، تضم الطرفين، فلم تكن الزوايا تنادي قط

---

1) هناك مصادر ومراجع متعددة تناولت الزوايا، بعضها بصفة عامة، وبعضها الآخر بصفة خاصة، بالاقتصار على زاوية معينة، وحاولت تلك الدراسات إبراز تلك الزوايا في تاريخ المغرب، من كل الجوانب منذ أن أصبحت إحدى الركائز التنظيمية في المجتمع المغربي .وهي دراسات متنوعة التحليل والاستنتاجات مما يبين أن مسألة الزوايا ليست أمرا سهلا لتعمق أثرها في المجتمع.

بغير توطيد الدين، كما كانت الدولة أيضا تفعله، على أن الفرق بين الطرفين، أن الزوايا يبقى عملها ميكروتطبيقي، والدولة ماكروتطبيقي، فتكون حلقات الاتصال بين الطرفين متكاملة، أحدهما يركز على الأفق المحدود المحلي، في نقاط موزعة داخل المجتمع(2)، والآخر عام شامل، مما يجعل إصغاء المجتمع لهما مختلفا، فالزوايا أكثر قربا واختلاطا بالأفراد، دون هيبة قهرية، يخالط فيها الناس المرشدين، من شيوخ، وحفدتهم، ومريديهم، فيستأنس كل بالآخر، ويسعى لخدمته عن طواعية. في حين، تتصرف الدولة بهيبة، مدعومة بقوة قهرية معنوية ومادية، فتكون المشاعر أقرب إلى الابتعاد عنها من التقرب، فلذلك تجد الدولة نفسها، مضطرة للاعتماد على الطرف الآخر، المستأنس به اجتماعيا، المألوف انطباعيا، الخلو من السلطة القهرية تعاملا.

إن هذه الوضعية المعقدة، هي التي تفسر هذا التزواج بين الدولة والزوايا، لحوالي خمسة قرون، من تاريخ المغرب، على الأقل من القرن الخامس عشر، إلى أوائل القرن العشرين(3)، دون الحديث عن فترة التبلور والنشأة، التي مازجت القرون، الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر(4).

وإن إسهام الزوايا في الحضور التنظيمي، سياسيا واجتماعيا، رفع من مكانتها، منذ أن دعمت مشروع الجهاد، في الدفاع عن القطر المغربي، هذا المشروع الذي

---

2) عبدالعزيز بنعبدالله : دعوة الحق أعداد 243 – 245.

3) يكفي ذكر مجموعة من الزوايا التي شاركت بطرق مختلفة في التنظيم العام ،وصل مثلا في القرن السابع عشر لإنشاء إمارتين هما، إمارة التازروالتيين بسوس (1613-1670) والإمارة الدلائية بالأطلس المتوسط (1636-1668) عدا مشاركة زوايا أخرى، في التأثير العام على الدولة كالوزانية في القرن التاسع عشر، وقبلها الناصرية، والتيجانية والقادرية.

إن هذه الزوايا ظلت تتأرجح، قوة وضعفا، في تعاملها مع الدولة طيلة هذه االقرون الخمسة .وهناك كتابات كثيرة عنها

4) راجع التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي لمؤلفه التادلي تحقيق أحمد التوفيق، البيضاء 1984. ولقد وردت فيه ترجمة حوالي 277من الرجال الصالحين، الذين عاش معظمهم في القرن السادس /الثاني عشر، مما يوضح التأثير الذي بدأ هؤلاء الصوفيون يمارسونه على المجتمع.

يعتبر عنصرا هاما، في المحافظة على المجتمع المغربي، سالما دون تغيير، إلى أوائل القرن العشرين، وإن كانت أشكاله تختلف، من مظاهر حربية، بالإسهام في إثارة السكان، والقيام بالعمل الحربي(5)، إلى الإسهام في المحافظة على تراث ديني تطبيقي، مصبوغ بقدسية امتزجت فيها الأهواء(6)، والرغبات، بالصرامة الدينية، في إطار مجتمع، يقتصر على التمسك بالمفاهيم الأكثر وضوحا، ولو أحيانا بشكل وهمي. لكن اعتقاد راسخ تصعب زعزعته.

لقد تحولت هذه الزوايا، مع مرور الزمن، إلى مؤسسات اقتصادية، لما أصبحت تتوفر عليه من ملكيات ما فتئت تتسع(7)، بموافقة الدولة وحمايتها، وتستغل بمساعدة السكان، الذين يقدمون لها الخدمات بأشكال مختلفة، فضلا عن إنابتها عن الدولة في التصرف، في قبض الضرائب الشرعية وتوزيعها (8)، مما أمكنها من تكوين تراكم مادي، ساعد الأسر المسيرة لها، من الإسهام في معاملات مع السكان، عن طريق الإقراض، أو المخالطات المتعددة الأوجه (9)، ووصلت بها مكانتها المزدوجة هذه، الدينية والمادية، لرعاية الأسواق الأسبوعية والموسمية(10)، بل وصل بها الأمر، أن كانت نواة لعدد من المدى(11).

وإن هذه الأدوار المتداخلة، أهلت الزوايا أخيرا، أن تكون أداة تحريك للأدوار السياسية، سواء على المستوى المحلي، لما تحرص عليه من حياد، في النزاعات

---

5) راجع القبلي : مقالته الصادرة بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ الرباط، العدد الثالث والرابع سنة 1978، ص ص 7 - 59. تحت عنوان : مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين.

6) راجع عن بعض هذه المظاهرة، وصف إفريقيا حينما استنكر الوزان بعض التصرفات، ص 209من الجزء الأول.

7) تكاد لا تخلو زاوية من الزوايا كبيرة كانت أو صغيرة من أملاك.

8) مثال على ذلك القضية التي أثير النزاع حولها بين سعيد المصلوحي وقائد مزوضة انظر ص ص 258-261.

9) مثال على ذلك : انظر دور دار إيليغ في القرن التاسع عشر : باسكون ص ص 700- 729.
Annales Eco. Soc. Civ. Mai-Aout 1980

10) بالنظر إلى معظم المواسم نجد ها تنعقد في ظل وحماية إحدى الزويا، مثل موسم تازروالت في ظل زاوية سيدي أحمد بن موسى.

11) ومثال على ذلك مدينة وزان، ومدينة أبي الجعد، وقرى هامة تطمع في التطور كسيدي إسماعيل.

المصلحية المشتركة بين السكان(12)، أو على المستوى العام، لما تقدم من دعم، أو تلطيف، أو حياد، أو معارضة، إن اقتضى الحال، لمواقف الدولة (13)، وتخطيطاتها.

إن هذا الإسهام الكبير للزوايا، في كل المجالات، هو الذي مكنها من تعلق المجتمع بها، وإن كان يدرك أحيانا، أن من يقوم بتلك الزوايا، لم يكن في مستوى الأشخاص الذين ينقاد لهم (14)، ولكنه يظهر، أن اكتشاف هذه الاعتبارات، هي وليدة القرن العشرين، لما أصبح المجتمع، يشعر أن بإمكانه تجاوز الزوايا، في تنظيم العلاقات بين التجمعات السكانية، هذا التجاوز، الذي نعيشه أواخر القرن العشرين، فنحاول معه، إطفاء صفات متعددة على الزوايا، مع العلم أن كثيرا من السكان ما زال يؤمها، ويدفع لها أقساطا من الانتاج سنويا، كواجب موروث، بالإضافة إلى عطاءات متنوعة، والمعروفة ب "الزيارات"، أو ما شابه ذلك، استمرارا لواقع محلي، كانت له دواعيه. لكن تجاوز هذه التنظيمات أمر أساسي، في التحول المعاصر لإعادة الترتيب داخل المجتمع.

إن اكتساب هذه الأهمية الكبرى للزوايا، هو الذي جعلها منبتة في كل مكان، كما كان عليه الأمر، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، واختلطت فيها زوايا محلية متواضعة، بزوايا فرعية لزوايا كبرى، ولذلك كان من الطبيعي، أن تنشأ صراعات، بين هذه الزوايا والسلطات المحلية، خاصة في التسابق على الاستئثار ببعض الامتيازات، بالتصرف مثلا في مسألة الضرائب الشرعية، كما حدث في مزوضة بين قائد القبيلة، ورئيس زاوية تامصلوحت، التي ترتبط بالقبيلة، لاستقرار

12) ظاهرة لا تخلو منها أي منطقة من المناطق المغربية.

13) مثال على الدور التلطيفي ما قام به رئيس زاوية أسيفْ يِگ، في النزاع بين السلطة المركزية وحاحة سنة 1873/1290 : انظر ص ص 380-383.

14) مسألة عبدالسلام الوزاني مثلا في القرن التاسع عشر وتعامله مع الفرنسيين وانحرافه الأخلاقي .مع ذلك احتفظت الزاوية بمكانتها.

شـرفاء ينتمون إلى الزاوية بها(15)، وهـي عنـاصر لـم يشـر لهـا بـول باسـكون، فـي استعراضه لزاوية تامصلوحت، في حديثه عن الزوايا بالحوز(16).

ومعلـوم أن شـرفاء تـامصلوحت، ترجـع أصولهـم إلى الأمغاريين بطيط (17)، وقـد اسـتقر فريـق منهـم، فـي النصـف الأول مـن القـرن السـادس عشـر، فـي حوز مراكش بتامصلوحت (18)، بقيـادة عبدالله ابن حسين، الذي قضى نحبه 1566(19)، وتمكـن خلفـاؤه مـن مـد مكانـة الزاويـة، وكسبت ثروة هامة بالحوز، حتى أصبحت حسب باسكو، من أكبر المؤسسات المادية به أوائل القرن التاسع عشر(20)، لما تولى مـولاي سـعيد بـن محمـد، المشـهور بالمصلوحي، رئاسة الزاوية، واستمر شاغلا هذا المنصـب إلـى أن كـانت وفاته في أبريل 1873(21)، فعـاصر ثـلاث سـلاطين، المولـى سـليمان، والمولـى عبد الرحمان، والمولى محمد، وتعامل معهم في اتجاهات مختلفة، تـأرجحت بـين التأييد والزجر، بل العزل عن رئاسة الزاوية سنة 1827، لمـا سـعى إلـى طلـب حماية انجلترا، ليعاد إلى منصبه بعد سنة ونصف 1828(22)، وأدت تصرفاتـه، إلـى مراقبـة الدولـة للزاويـة، وتدخلهـا، خاصـة لمـا تراكمـت الديـون عليـه، مما أدى بالسـلطان المولـى محمـد بـن عبدالرحمـان، بأن يوقف جميع معاملاته، فأصدر أمرا بذلك في أول محرم 1285"وإن تدايـن بعـد هـذا مـولاي سعيد، فلا يشهد على دينه أحد، من الشهود، ليلا يضيع أموال الناس، كما رام تضييعها فيما تحمله"(23).

فـي هـذا الإطـار المتدهـور، للواقـع المـادي للزاوية، كان المسؤول عنها مولاي سـعيد، يحـاول السـيطرة، علـى أعشار الشرفاء، المنتمين للزاوية في قبيلة مزوضة، مما

15) 12 ذي الحجة 1281/8 ماي 1865. كـ. 47.

16) Paul Pascon : Le Haouz de Marrakech. T1.

عن زاوية تامصلوحت من ص 263 إلى ص 275: مع مجموعة من الوثائق في الملحق بالجزء الثاني.

17) التشوف إلى رجال التصوف، ص 426.

18) الناصري الاستقصا ج 5 ط الدارلابيضاء.ص 48.

P. Pascon (Paul) op. cit. T 1. p. 256.

19) Pascon (Paul) op. cit. T 1. p. 275.

20) Pascon (Paul) op. cit. T 1. p. 279

21) Pascon (Paul) op. cit. T I : P. 285.

22) Pascon (Paul) op. cit. T I : P. 282 .

23) Pascon (Paul) op. cit.T.2 . مجموعة وثائق : ص 47.

أدى في 12ذي الحجة 1281/8-4-1864 بـأن "كتـب القـائد محمـد المزوضي، بتضييق مـولاي سـعيد، علـى أولاد مولاي عبدالله بن حسين، الساكنين بمزوضة، واستبداده بزكاتهم وأعشارهم، طالبا كفه عنهم" (24)، وطـالب مـن السـلطة المركزية، بالنسبة لأولئـك الشـرفاء، "إجراءهـم مجرى زوايا مزوضة، بأن يكون هو الذي يقبض منهم الواجب، ويبلغه لبيت المال"(25).

تبـين هـذه التصرفـات مـن كل، من رئيس زاوية تامصلوحت، ومن قائد قبيلة مزوضـة، وجـود تنـازع الاختصاصـات بـين الطرفـين، فـي أحقيـة جبايـة الضرائـب الشـرعية، ممـا جعـل السـلطان بالنسبة لأولئـك الشرفاء، المتنازع على زكواتهم، بأن يصـدر "الأمـر الشريف بالبحث في أمرهم، وإجرائهم على العادة القديمة، فإن كانوا يدفعـون بيـد ولـد العسـري، فيجـوزه هـو منهـم، وإن كـان مولاي سعيد، هو الذي يتولى قبض ذلك منهم، فيبقى على عادته"(26).

لقـد فصـل السـلطان فـي الـنزاع بـين الطرفـين، بـالرجوع إلـى تطبيق القاعدة العرفيـة، حسـب مـا يجـري بـه العمـل، ذلـك أن قيادة مزوضة وقع بها التغيير(27)، بعـزل القـائد القـديم ولـد العسـري، ممـا جعـل القائد الجديد، يثير قضية زكاة شرفاء أتبـاع زاويـة تـامصلوحت بالقبيلـة، ويريـد تعميـم وضعيـة جبائيـة موحدة، على كل الزوايـا بهـا، مما يتضمن بدون شك، استياء الزوايا الأخرى، أو تمنعها من دفع الزكاة لـه، ولذلك سعى القائد، إلى انتزاع امتياز زاوية تمصلوحت منها، باستيفاء الواجبات الشرعية، من أتباعها الشرفاء بقبيلة مزوضة.

يظهـر أن الـنزاع ظـل قائمـا بـين الطرفـين، حتـى جـدد المصلوحـي الكتابـة للسلطان، بعد سنة ونصف، في 10 جمـادى الثانية 1283/ 20-10-1866 مشـتكيا "مـن

24) 12 ذي الحجة 1281/8 ماي 1865. ك. 47.

25) ن م .ن .ت.

26) ن. م.

27) راجع مسألة قيادة مزوضة والصراع الفردي بها، ص ص 273-275.

كـون قـائد مزوضـة، امتنـع مـن دفع أعشار الشرفاء السـاكنين بإيالته، لمساكين شرفاء تامصلوحت، على العادة"(28)، مـبررا أحقيتـه باسـتيفاء الواجبـات الشـرعية، المرتبـة علـى شرفاء مزوضة، المنتسبين لشرفاء زاوية تامصلوحت، باعتبار أحقية فقرائهم بها، متهما القائد، بعدم تمكينه منها. فأقر السلطان بأن القائد، "يؤمر بدفع واجبهم"(29).

يبـين هـذا القـرار، أنـه امتيـاز لزاويـة تـامصلوحت، رغـم أن كل الظهائر التي منحت لها منذ 1820، لـم تعـد تشـير إلـى إعفائها من الضرائب (30)، إلا أن موافقـة السـلطان، على طلب المصلوحي، بتحويل ضرائب شرعية من شرفاء الزاوية بمزوضة، إلـى شـرفائها بتـامصلوحت، يثبـت أنـه امتيـاز فـي حقوق عامة، تنازلت عنها الدولة لطرف آخر، يعمل بموازاتها لنفس الأهداف (31).

يظهـر أن الـنزاع بـين القوتـين المحليتين، استمر رغم هذه الأوامر المخزنية لحوالي خمس سنوات أخرى، وبعد تحريات السلطة المركزية أصدرت في 10 جمـادى الثانيـة 1286 / 1869-9-17 أن "مـن عـادة شـرفاء تـامصلوحت، القـاطنين بمزوضـة، فـي دفـع زكاتهم لضعفائهم"(32)، وإثـره كـان قـرار السـلطان، "بـأن العـادة التي كانوا عليها يبقون عليها"(33).

يوضـح هـذا القـرار الأخير، أن لشـرفاء تامصلوحت، حق التصرف في انفاق زكـاتهم، مباشـرة على شرفائهم الفقراء، دون توضيح، ما إذا كان نقل تلك الأعشار كلهـا إلى فقراء تامصلوحت، كما كان يطالب به رئيس الزاوية، أم أنه يشترك معهم فقراؤهـم الكـائنون بمزوضـة. علـى أن ما يثبته هذا الإجراء، أن الدولة أقرت رسميا، أن لهم حق التصرف في حقوق عامة كامتياز خصوصي.

---

28) 10 جمادى الثانية 1283/ 1866-10-20. ك. 47.

29) 10 جمادى الثانية 1283/ 1866-10-20. ك. 47.

30) Paul Pascon : Le Haouz de Marrakech. T1. p. 280.

31) راجع عن مسائل الزاوية والدولة تجاه المجتمع، ص 255-257.

32) 10 جمادى الثانية 1288/ 1869-9-17. ك. 47.

33) ن.م. ن. ت.

لقد انتهى تنازع الاختصاص، بين السلطة المحلية بمزوضة وزاوية تامصلوحت، حول أحقية استيفاء الواجبات، بعد ثماني سنوات من التنازع، ومراجعة السلطان، انتهى لصالح الزاوية، بإقرار تصرفها في أعشارها، مما يبين، أن سبب تأييد السلطة المركزية لمطالب الزاوية، ناتج عن الأهمية التي تتمتع بها الزاوية، في تنظيم المجتمع المغربي، وخاصة أن مساندها شرعية - إلى حد - لأن حق تحويل الضرائب الشرعية من فئة غنية من أتباعها إلى فئة فقيرة منهم، لا يعدو أن يكون إلا إسهاما في إعادة توزيع الثروة، وهو من الحقوق العامة، التي تسمح للدولة التوصل إلى الضرائب، ولذلك فرغم أن كل القرائن، كانت ضد رئيس زاوية تامصلوحت لسوء تصرفاته، فإن السلطة المركزية، لم تمنع حق تحويل ضرائب شرعية إلى الزاوية، لتمسكه بحقوق مكتسبة، ما على السلطة إلا مساندتها. وقد كان سوء تسيير المصلوحي، أدى إلى تدخل السلطان بنفسه، لتوزيع دخل الزاوية، بين دائني الزاوية ورئيسها مولاي سعيد، "يدفع لهم الثلث من مستفادها، ويبقى الثلث للقيام بنفسه، والثلث يصيره على البلاد المحبسة"(34)، فقد جرد المصلوحي من التصرف في دخل الزاوية، "إلا ما هو حبس لا سبيل إلى بيعه"(35) ولذلك ما فتئ يسعى لتمويل نفقاته، ولو باسم فقراء الزاوية، وهو حق لم تتمكن الدولة إزالته منه.

إن تطورات تنازع الاختصاصات، بين زاوية تامصلوحت وقيادة مزوضة، في الستينات من القرن التاسع عشر، ما هو إلا نموذج لما يحتمل أن يجرى بين السلطة المحلية، وزوايا أخرى، بمنطقة طرفي الأطلس الغربي، لكن اشتهر من هذه النزاعات أمر قضية المصلوحي، لما يؤكد مركز الزاوية بالمنطقة، وخاصة لأدوار رئيسها، في النصف الأول من القرن التاسع عشر، إلا أن الحل الذي ارتضته الدولة، بالسماح للزاوية بتصرفات ضرائبية كامتياز، إنما يزكي وضعية عامة، قد لا تخلو منها زوايا أخرى، خاصة ذات النفوذ السلطوي بالمنطقة.

---

34) مجموعة وثائق Pascon (Paul) T2 .

تاريخ الرسالة I محرم 1285/ 24-4-1868. ص 47.

35) ن. م.

2 - النزاعات بين القوى المحلية والقواد، ص

2 ـ النزاعات بين القوي المحلية و القواد.

تميزت النزاعات بين القوي المحلية والقواد، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، بأنها لم تكن تقتصر فقط على النزاعات الجماعية، التي تحد من حين لآخر، من استبداد القواد، وإنما تنفجر أيضا في مشكل نزاعات فردية بين السلطة المحلية، والقوى المنافسة لها في القبيلة، لسعي كل منهما، لتوسيع نفوذه المادي والمعنوي داخل القبيلة.

لم يحل التنوع التضاريسي بالمنطقة، دون ترابط مصالح السكان، بين السهل والجبل، عبر شريط الدير، مما يجعل إمكانات المنطقتين وحاجاتهما متكاملة (36)، وبالتالي، ينعكس هذا التكامل، على تصرفات التجمعات السكانية لكلا المنطقتين، مما يتطلب ضبطها، حتى لا تؤدى الاضطرابات، إلى بلبلة اجتماعية، تضر بمصالح الطرفين، وخاصة أن درجة المراقبة مختلفة، باختلاف الأشكال الطوبغرافية، بين سهل وجبل.

فقد حرصت السلطة المركزية، على تواجد سلطات محلية بالمنطقة، من عمال وشيوخ، فالعمال مبتوتون بالدير، عبر مراكز استراتيجية، عند قدم جبال الأطلس الغربي، في أگرگور بوزكيتة، وامزميز وتزگين يگدميوة، وأگدير الجديد بمزوضة، وبوابوض بمتوگة (37)، وبأزَغَارْنْ أيْتْ بهى بأيت زَلْطَن بحاحا، والشيوخ بالمنطقة الجبلية، الذين يتم تعينهم من العمال، باتفاق مع السلطة المركزية(38). أو أحيانا تختص المنطقة بعامل خاص، كما كان الأمر بالنسبة لإبراهيم الأجراوى(39).

36) Berque (J) Structures sociales du Haut-Atlas. P. 99.

37) Montagne (R) Les berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc. p. 133.

38) راجع مركز الشيوخ، ص ص 184-191.

39) راجع ص 185.

ولـم يقتصـر عمل السلطة المركزية، على هذا التواجد السلطوي المتداخل، بين الجبـال الأطلسـية والسـهل، وإنمـا كـان الاهتمـام أيضـا، بتحديد سياسة التعامل بين المنطقتـين، التـي تتجلـي، فـي "التوكيـد علـى عمال الجبالة من الدير، في عدم الغفلة عنهـم، لأن منهـم ينشـأ الفسـاد لإخوانهـم، مـن أهـل الوطا"(40). فيتبـين مـن هـذا بوضـوح، أن السـلطة المركزيـة، كـانت تتشدد في مراقبة سكان الجبال، حتى تفوت فرصـة أي اضطـراب، يستغله سكان السهل، كوسيلة ضد الوجود السلطوي المحلي، بـاللجوء إلـى الجبـال، وذلـك بـالتوكيد، علـى العمـال المباشـرين للسلطة بالدير، في الانتباه لأي حركة، يقوم بها السكان بالمنطقة.

وإن حـرص السـلطة المركزيـة، علـى تطبيق تعليماتها، في مراقبة سكان الجبال والسـهل، ومـا يمكـن أن يـترتب عـن تصرفـات ثوارهـم مـن الأضـرار، جعلها تنوع أسـاليب تنبيـه العمـال، سـواء بالكتابـة أو المشـافهة، فـأخبر المولـي الحسـن السلطان "بمشـافهة عمـال الديـر، والكتابـة لهم، برد البال، لمن عسى، أن يصدر منه انحراف من جبالتهم، وإيواء لفساد السهل"(41).

يتوضـح مـن هـذه التعليمـات الصـادرة للعمـال بالمنطقـة، والتـي تصـر عليهـا السـلطة المركزية، أنها كانت بمرصاد لتحركات السكان، ومراقبة حركات تمرداتهم، التـي تـؤدي إلـي تواطـؤ الثـوار، مـن القبـائل الجبليـة والسهلية، المناهضين للسلطات المحليـة، وخاصـة أن الجبـال تقدم مقرا منيعا لهـم، مما قد تنشأ عنه بلبلة لمنطقة حيوية، تسـتفيد السـلطة المركزيـة من استقرارها، إلا أنه رغم هذه الاحتياطات، فإن المنطقة، كانت تعرف أنواعا من الصراعات الجماعية والتواطؤية.

2- 1- الصراعات الجماعية مع السلطة المحلية

إن السـلطة المركزيـة، رغـم حرصهـا علـى الحيلولـة، بـين تواطـؤ ثـوار الجبـل والسـهل بالمنطقة، فإنها ما فتئت تضطر للتدخل، ضد الصراعات الجماعية، التي يتم

40) 13 جمادى الثانية 1287/ 9-10-1870. ك. 47.

41) 16 رجب 1287 - 2/ 10-1870، ن.م.

فيها التواطؤ، بين المناهضين للسلطات المحلية، تلك الصراعات التي يتخذ فيها التواطؤ، أشكالا مختلفة، قد يكون بين ثوار مجموعة من القبائل، أو قبيلتين، أو قبيلة واحدة، مما يؤدي لتدخل سلطات محلية متعددة، للحيلولة دون استفحال حركة التواطؤ، رغم أن تلك السلطات، تحاول بدورها أحيانا، الاستفادة من انتفاضات القبائل، ما دامت لا تمس إيالتها.

إن هذه الصراعات الجماعية، التي هي تعبير عن رفض أشكال الاستغلال، الذي تحاول السلطات المحلية ممارسته، تؤدي إلى توتر عام بالمنطقة، يضر بالاستقرار، الذي تستفيد منه السلطة المركزية، فتحرص على استعادته. وبما أن أساليب انتفاضة الثوار متلونة ومعقدة، فإن السلطة المركزية أيضا، تنوع الإجراءات المتخذة، لحسم تلك النزاعات، وباستعراض بعض الأمثلة من هذه الانتفاضات، تتوضح إشكالاتها، وكذلك مواقف السلطة إزاءها.

ففي ربيع الأول 1281شتمبر 1864، تم "الإعلام بما يحاوله فساد متوگة، ومزوضة، وأولاد بوسيع، من فتح باب الفساد"(42) هذه القبائل الثلاثة، التي تشكل رقعة اقتصادية واسعة، متحكمة في ممرين رئيسيين، أحدهما نحو سوس، عبر منخفض وادي إسّن-أسرتو، والآخر نحو الصويرة، عبر سهول أراضي موازية للدير، ولذلك فإن المخزن، لم يكن ليتهاون في أمر ثوار القبائل الثلاثة، فأصدرت السلطة المركزية، "الأمر برد البال لهم، وبيان ما يرتكب في تدارك ذلك"(43). فهي لم تقتصر على إصدار الأمر باليقظة، لتطور قضية المناهضين للسلطة، بل تجاوزته بطلب المشورة، فيما تكون عليه كيفية المعالجة.

وفي محرم 1281/ يونيه 1864، صدر "الأمر بالكلام مع عامل مزوضة، فيما نهبه لهم أولاد أبي السبع، مع متاع مغوسة"(44)، فقبيلة أولاد أبى السباع تحتل

42) 29 ربيع الأول 1281/1 شتنبر 1864، ن.م.

43) 29 ربيع الأول 1281/1 شتنبر 1864، ن. م.

44) 5 محرم 10-1281/ 10-6-1864، ن. م.

السهل، في حين، تتواجد مزوضة على الدير، ومغوسة وهي من گدميوة، داخل الجبال، وأن النهب حصل، لممتلكات كل من مزوضة ومغوسة. ويظهر أن الأمر الذي صدر، كان لتقصى حقيقة الواقع، لأنه، بعد أقل من عشرين يوما، أعقبه "أمر قائد أولاد بوسيع، بالوقوف في أداء ما أخذوه لمزوضة، والتأكيد عليه فيه"(45). إلا أن هذا التوتر بين القبيلتين، لم يحل دون استمرار التواطؤ، بين المناهضين للسلطة في القبيلتين، ففي 11ربيع الثاني 1282 /3 سبتمبر 1865 ورد على السلطة المركزية، "ما أخبر به القائد محمد المزوضي بفساد بني كضيض، وإيوايهم لأولاد الزاوية من أولاد أبي السبع"(46). أما بنو كضيض، فهم فخذة من قبيلة مزوضة، كانوا على ما يظهر من إشعار القائد، خارجين عن السلطة المحلية، وتواطؤوا مع الخارجين عنها أيضا من أولاد أبي السباع، مما أدى بصدور "الأمر لابن بلعيد، بالقبض عليهم"(47)، الذي كان قائد قبيلة أولاد أبي السباع، وذلك تفاديا لاستمرار المناهضة المشتركة، بين قوى محلية ضد السلطة.

لم يكن أمر الصراعات الجماعية ضد السلطة المحلية، موقوفا فقط على السلطات المحلية المباشرة، وإنما كانت سلطات محلية أخرى، تؤمر من السلطة المركزية، بالمشاركة في ردعها. ففي 5جمادى الثاني 1280 /19 شتمبر 1863 صدر "الأمر الشريف، بجعل أمر فساد أولاد أبو سبع من أهم الأمور، وأن لا يعمل بغير إشارة الخديم عبدالله أُبِهِي في أمرهم، لنصيحته ومعرفته بهم"(48). فرغم أن قبيلة أولاد أبي السباع، ليست مجاورة لحاحا، فإن عبدالله أُبِهِي المتولى بها، كانت له حسب منطوق الأمر السلطوي، الصادر للمولى الحسن، معرفة دقيقة بالمنطقة، ولذلك يلزم عليه الاستعانة بخبرته، في شؤون ثوار المنطقة، لما يشكلونه من خطر على السلطة، وتقويض الاستقرار العام.

---

45) 24 محرم 1281 /29-6-1864، ن.م.

46) 11 ربيع الثاني 1282/ 3 / 9 / 1865، ن. م.

47) ن. الإشارة ن. م.

48) 5 جمادى الثاني 1281/19 شتنبر 1863، ن. م.

لـم تقتصـر مشـاركة عبدالله أبهي، في ردع المناهضين للسلطة، على تقديم المشورة، وإنما كلف أيضا في شوال سنة 1281/ مارس 1864، "بالقبض على الفساد من إخوان الحنشاوي الفارين لحاحا"(49)، وهم من الشياظمة، مما يغلق أمامهم أي ملجأ يركنون له، ضد سلطتهم المحلية. لكن عبدالله أبهي، بعد أكثر من شهرين، من صدور هذا الأمر له، أبلغ السلطة المركزية، "أن الشياظمة في غاية السمع والطاعة والخدمة، وليسوا أصدقاء لأهل الفساد، وإن ضرر ما عليهم، أن عاملهم ذو وجهين"(50)، مبرئا ساحة قبيلة الشياظمة، مما نسب لها، ولعله يقصد هنا الحنشاوي، إلا أنه وجه التهمة للعامل، لكون تصرفاته، هي سبب ما لحق القبيلة من الأضرار، دون أن يوضح نوعها، متهما إياه بعدم الوضوح والعجز، فعبر عن ذلك بأنه "ذو وجهين" يتصرف مع القبيلة بشكل، ومع السلطة المركزية، على ما يظهر بشكل آخر.

إذا كانت هذه النماذج، من الصراعات الجماعية مع السلطة، لم يركز الاهتمام على أسبابها وأهدافها، وإنما على سبل تطويقها، فإن المنطقة عرفت صراعات جماعية، ذات أسباب وأهداف مرتبطة بفقدان التوازن؛ إما اجتماعيا كالصراع داخل القبيلة، أو سياسيا كالصراع لرفع الظلم الممارس عليها.

ففيما يتعلق بفقدان التوازن الاجتماعي داخل القبيلة، فقد عرفت متوگة سنة 1281 /1865 صراعا بين فرقتين منها، إحداهما إداومرزوگ كما هو واضح من الوثائق، والأخرى إداونيفى جارتها، وأدى هذا الصراع، إلى تدخل سلطات محلية مجاورة، فكتب عبدالله أبهي، في رمضان 1281/فبراير 1865، يبلغ السلطة المركزية، "ما وقع بين متوگة"(51)، دون ذكر تفاصيل الأحداث، فبادرت السلطة المركزية، بإصدار "الأمر بالكتب للقائد عمر الشيظمي، برد البال لهم"(52)، فتكون الأحداث، قد وقعت بمتوگة، والمبلغ عنها قائد حاحا، والمكلف بالمراقبة، قائد الشياظمة.

49) 6 شوال 1281/4 مارس 1864، ن. م.

50) 24 ذي الحجة 1281/7 ماي 1864، ن. م.

51) 14 رمضان 1281/10 فبراير 1865، ن. م.

52) 14 رمضان 1281/10 فبراير 1865، ن. م.

لـم تقتصـر السـلطة المركزيـة، علـى هـذه التدابير، وإنما كتبت أيضا "لفريقي متوكـة، بتحذيرهمـا عاقبـة مـا اشـتغلا بـه"(53)، كـانذار مسبق، أعقبـه تنبيـه مـن السـلطان للمولى الحسن، "وأمر كل فريق بما يرده ويقمعه"(54)، ذلـك أن السـلطان حـذر الطرفـين المتنـازعين مـن متوكـة، مغبة أفعالهم. لكن يظهر أن قبيلة متوكـة، ما تـزال يقصمهـا ذلـك الـنزاع، مما أدى بعبـد اللـه أبهـي، بعـد ثلاثة أشهر، من إخبار السـلطة المركزيـة، بـأن يجـدد الكتابـة لها، في ذي القعدة 1281/ أبريـل 1865 "فـي شأن متوكـة"(55).

إن استمرار الـنزاع بـين فرقتـي متوكـة، وعـدم فعاليـة التدابير التحذيرية، التي اتخذتهـا السـلطة المركزية، جعلها تبث في القضية، لكنها راعت في قرارها، إمكانية اختـلاف الأسـباب، التـي أدت إلـى النزاعـات، ممـا اسـتلزم اتخاذ تدابير مواتية لكل حالة، ذلك "أن القتال الواقع بينهم"(56). يمكن أن ينتج عن إحدى الحالات الثلاثة.

1- "إن كـان مرتبـا علـى حقـوق"(57)، أي حقـوق مشـتركة بـين الطرفـين، حـدث التنازع عليها، فالقرار هو "يجب أن يعطي كل واحد الحق لخصمه، وينصفه مـن نفسـه"(58)، حيـث يكـون تبـادل الحقـوق، التـي لا يمكـن فهمهـا بعمـق، إلا أصحابهـا علـى أسـاس مبـدأ التصـالح، الـذي درجـت عليه العادة، لما يصاحبه من انضبـاط تلقـائي، تكظـم فيـه كـل أشـكال الانتقـام. وإمـا إذا تعـذر ذلـك التصالح، بامتنـاع أحد الطرفين "ومن لم يفعل يكون الكلام معه"(59)، تتولـى السـلطة حملـه علـى الإذعـان، ورد الحقـوق لأصحابهـا، فيكون تدخل السلطة، قد أتى في الدرجة الثانية بعد رفض التصالح .

---

53) 25 رمضان 21/1281 فبراير 1865، ن. م.

54) 25 رمضان 21/1281 فبراير1865، ن. م.

55) 25 ذي القعدة 21/1281 أبريل 1865قرار البث في قضية فريقي متوكة المتنازعين : كـ. 47.

56) ن. القرار ن. م.

57) ن. القرار ن. م.

58) ن. القرار ن. م.

59) ن. القرار ن. م.

2ـ "إن كـان بسـبب حـق قبـل إداوْمَـرْزُوگْ، فعـاملهم يتولـى قبضـه منهـم لا الفساد"(60)، ذلـك إن كـانت القضيـة واضحـة، بـأن تبين أن الحقوق مرتبة على فريـق إداوْمَرْزُوگْ، فإن السلطة، هي التي تتولى استخراجها منهم، بقوة القانون، ولا يسـمح للفريـق المتضرر، أن يقوم مقام السلطة، في الحصول على حقوقه بالقوة، لأن ذلك مدعاة للإخلال بالاستقرار، فيتحمل قسطه من المسؤولية.

3ـ "إن كـان ظلمـا وعدوانا"(61)، ذلـك بـأن توضـح أنـه، لا وجـود لحقـوق مغبونـة لأي طـرف، فـإن المتعـدى من الفريقين على الآخر، يكون قد أحدث جرما، يستحق عليـه العقاب، "فعاملهم يحميهم ويشد عضدهم"(62)، بـأن ينصـر الفريـق المظلـوم على خصمه، مدعوما بقوى خارجية، "ويعان هو وعامل حاحا عليهم، حتى يأخذهم الله بعدله"(63).

كـان ذلـك مجمـل القـرار، الـذي اتخـذه السـلطان، فـي شـأن النزاع، الذي حـدث داخـل قبيلة متوگـة، بين فريقين من فرقائها، وهو نزاع لم يكن ضد السلطة، بـل هـو نـزاع نـاتج عـن فقـدان التوازن بين الفرقاء، ولم تحدد أسبابه، ولكن حددت الأسـاليب التـي اتخـذت لإخمـاده، بعـد تحديـد مسـؤولية الجنـاة، فتعاونت السلطة المركزية، والسلطة المحلية المباشرة، وسلطات مجاورة لاحتوائه.

يظهـر أن السـلطة المركزية، كانت قد أنزلت بالمنطقة، فرقة عسكرية تأديبية، لأنـه بعـد عشـرة أشـهر مـن بثهـا فـي الـنزاع، فـي رمضـان 1282/فـبراير 1866 كـان الاستيذان، "في نهوض الحركة النازلة على متوگـة"(64)، ويظهـر أن المولـى الحسن،

---

60) ن. القرار ن. م.

61) ن. القرار ن. م.

62) ن. القرار ن. م.

63) ن. القرار ن. م.

64) 28رمضان 14/1281 فبراير 1866، كـ. 47

تقدم بذلك الطلب للسلطان، بعدما تبين له عودة دواعي الاستقرار إلى المنطقة، ووافق عليه ب "الإذن في ذلك"(65).

لقد تداخلت أساليب الضغط في هذه القضية، بين استعمال الأساليب المحلية، والأساليب السلطوية، وكانت السلطة المركزية، تعطى الأولوية للأساليب السلمية، قبل الاحتكام إلى القوة، مادام الهدف واحدا، هو عودة الاستقرار الاجتماعي، الذي تستفيد منه جميع الأطراف.

أما الصراعات الجماعية، لرفع المظالم عن القبيلة، والتي عبر عنها العروى.. بالثورات ضد العمال والقواد(66)، فقد تكررت لها أمثلة في المنطقة، منها الصراع الذي حدث بين قبيلة مزوضة، وسلطتها المحلية سنة 1867/1283، ذلك الصراع الذي تورطت فيه جهات متعددة، من داخل القبيلة وخارجها، والذي يظهر أن السلطة المركزية، اقتنعت في النهاية، بأن المسؤولية تعود على القائد.

ففي فاتح شوال 1283/6 فبراير 1867 أخبر قائد مزوضة، محمد بن أحمد، السلطة المركزية، "بخروج إيالته عنه"(67)، وأن الخارجين عنه، انقسموا قسمين، "فرار بعضهم لقبيلة أولاد أبي السباع"(68)، والقسم الآخر، "استجار بعضهم في مراكش"(69)، وكان قرار السلطان على إثر هذا الإخبار، "الأمر بشد عضده عليهم"(70). إلا أن ما يظهر، أن المولى الحسن، أخر دعم القائد، وأرسل إلى عين المكان، " من يقف على حقيقة أمرهم"(71). وخاصة أن المزوضي، اتهم أولاد

---

65) 28رمضان 1281/14 فبراير 1866، ن. م.

66) Laroui (A) les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain. P. 158.

67) رسالة السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان إلى المولى الحسن بتاريخ 1 شوال 1283/6 فبراير 1867. خ. ح. ر.

68) ن الرسالة

69) ن الرسالة

70) 1 شوال 1283/6 فبراير 1867. ك. 47.

71) رسالة السلطان المولى محمد بن عبدالرحمان إلى المولى الحسن بتاريخ 9شوال 1283/ 15 فبراير 1867. خ. ح. ر.

أبي السباع، بمساعدة الخاريجين عليه، "على ما أرادوه"(72)، ونظم لذلك غارة على الخارجين، واستصفى منهم، "ما قدر عليه من مواشيهم"(73)، التي هي قوتهم المادية، وأبلغ السلطة المركزية، "بعدد المواشي، التي استاق منهم في ضربه عليهم"(74).

لقد ازدادت القضية تعقيدا، ذلك أن الذين التجأوا إلى مراكش، من المناهضين للقائد، رفعوا شكاية ضده، "يزعمون أنهم قائمون بالخدمة، ويودون المغارم الثقيلة، ولا يوصل البعض من ذلك لبيت المال، ويلطخهم بالفساد"(75)، فاتهموا القائد بالخيانة. باختلاس جزء من الأموال، التي يتقاضاها من القبيلة، في حين، أنهم يؤدون كل ما فرض عليهم، مما عبروا عنه "بالمغارم الثقيلة". كما أنهم منضبطون، ينجزون كل خدمات الدولة، والتي لم تحدد، لكن انجازها، كان دلالة الخضوع التام للسلطة، إلا أن القائد، مع ذلك، يحاول النيل منهم، باتهامهم بالتمرد.

وعلى أثر هذه الشكاية، صدر الأمر للمولى الحسن، "بالبحث على ما ادعوه عليه، وإن تحقق صدقهم، فاقبض عليه وول عليهم غيره"(76). مما يفتح المجال حول إمكانية عزل القائد، بل وسجنه أيضا، إن ثبتت الشكوى، لكن "إن كانوا كاذبين، فشد عضده عليهم"(77)، وذلك ما كان القائد يطلبه، "بإذن مجاط ودويران في إعانته"(78)، للتضييق على قبيلة مزوضة، من الشرق الذي توجد به قبيلة مجاط، ومن الغرب الذي تعمره دويران.

72) ن الرسالة

73) ن الرسالة

74) ن الرسالة

75) 9 شوال 1283/ 15 فبراير 1867، كـ. 47.

76) ن. ت ن. م

77) ن. ت ن. م

78) رسالة السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان إلى المولى الحسن بتاريخ 9 شوال 1283/15 فبراير 1867، خـ. حـ. ر.

ولقد حاول القائد توريط أطراف متعددة، بتهمة تحريض القبيلة ضده، فاتهم قائد أولاد أبي السباع، الذي كان قد صدر له الأمر،"بالكف عن الخوض في قبيلة مزوضة، والوقوف عند حده"(79).

وكان هذا التحذير قد صدر له منذ أوائل سنة 1866/1283، قبل أن تثور قبيلة مزوضة على قائدها، بحوالي عشرة أشهر، مما يبين أن التوتر كان كامنا بين القبيلة، والقائد منذ مدة، ويحاول انتسابه إلى تحريض خارجي للقبيلة، ولذلك ركز على أن المناهضين له، فروا إلى أولاد أبي السباع، الذين دعموهم.

حاول القائد أيضا توريط عناصر أخرى محلية، من القبيلة، كاتهامه ولد الأشقر (80)، بـ "الاشتغال بالخوض في القبيلة"(81)، الذي لم يقف عند هذا الحد، بل سعى حسب اتهام القائد له، للتنسيق مع عناصر خارجية وخاصة متوگة، ذلك "أنه وجه أمه بالعار إلى المتوكي"(82)، مستعملا هذه الوسيلة الاجتماعية، التي درج عليها المجتمع في المعضلات، بتجاوز القانون، والاحتكام إلى إثارة الفضائل، وخاصة أن الذاكرة الاجتماعية، تحتفظ بالمدح على قبول العار، وبالذم على رفضه، بغض النظر عن ظروف استعماله. وزاد القائد في اتهامه للأشقر، بأنه وجه أيضا للمتوگي، "اصهار ولد العسري"(83)، ذلك كله، "ليعينه على مراده"(84)، دون تحديد ذلك المراد، فاصدر السلطان الأمر للمولى الحسن، بالبحث عن حقيقة الأمر، وإن وجدها "حقا فانْهَ المتوگي عن الدخول في أمرهم"(85). لكن لما تقابل قائد

79) 12 محرم 1283/ 5 ماي 1866، ك. 47.

80) راجع ص ص 275-276.

81) رسالة السلطان المولى محمد بن عبدالرحمان إلى المولى الحسن بتاريخ 2 شوال 1283، 7 فبراير 1867، خ. ح. ر.

82) ن. الرسالة

83) ن. الرسالة، راجع أيضا عن ولد العسري ص ص 274-275.

84) ن. الرسالة

85) ن. الرسالة

مزوضـة، وولـد الأشـقر أمـام الخليفـة، فـي شـأن الأمـوال المتخلفـة فـي ذمـة القـائد "وذكره له في وجهه، ولم يجد عنه حجة"(86)، فـأفحم ابـن الأشـقر القـائد، وأثار بذلـك شـكوك السـلطة المركزيـة، وخاصة أن المولى الحسن، استنهض القائد للأداء، "المرة بعد المرة، ولم يظهر منه شيء"(87).

لقـد عملـت كـل هـذه الملابسـات والحجـج ضـد القـائد، ممـا أقنع السلطان، "بصحة ما رماه به الخارجون"(88)، حينمـا اتهمـوه فـي شـكايتهم، بـاختلاس أموال الجبايـة. ولذلـك، رغـم أن المولى الحسن، جدد الكتابة للسلطان، بعد أكثر من شهر في ذي القعدة 1283/أبريل 1867، يطلـب صـدور، "الأمـر بشـد عضـد القائد محمد المزوضي، على إخوانه"(89)، فـإن السلطان أجابه، "فقد تقدم لك أمرنا الشريف، بما يكون عليه العمل في نازلته"(90)، ذلـك أن السـلطان اقتنـع بعـدم صلاحـه، مما فتح البـاب لإمكانيـة اسـتبداله بغيره، وكـان ولـد العسـري، قد تقدم بطلب الولاية على قبيلة مزوضة، فلقي طلبه استجابة السلطان، "بأن لا بأس بتوليته على القبيلة"(91).

لقـد تبين من هذه الواقعة، أن القائد الذي كان متوليا على قبيلة مزوضة، أساء التصـرف، ممـا أدى لثـورة القبيلة عليه، ورغم أنه حاول إقحام عناصر مختلفة، متهما إياهـا بـالتحريض، فإن استعمال القرائن والحجج بين الأطراف المتنازعة، أقنع السلطة المركزيـة، بصحة حجج المناهضين للقائد، فتم عزله، وولي آخر مكانه، بعد أكثر من شهرين، من صراعات جماعية، كان الهدف منها، رفع الظلم عن قبيلة مزوضة.

---

86) رسـالة السـلطان المولـى محمد بن عبدالرحمان إلى المولى الحسن بتاريخ 9 شـوال 15/1283 فـبراير 1867، خـ. حـ. ر.

87) 9 شوال 15/1283 فبراير 1867. خـ. حـ. ر.

88) ن. ت ن. م.

89) 17 ذو القعدة 1283/ 3 أبريل 1867، كـ. 47.

90) ن . ت ن . م .

91) ن.م.

لقد كانت الصراعات أسلوبا، تحاول القبائل ممارسته، في منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، للدفاع عن نفسها، سواء كانت أهدافها غير واضحة، بأن جمعت بين عناصر مختلفة من عدة قبائل، أو كانت محددة، بأن استهدفت إما إعادة الاستقرار الاجتماعي للقبيلة، أو رفع الظلم عنها. مما جعل السلطة، سواء المحلية وخاصة المركزية، تحاول تطويق تلك الصراعات الجماعية، بأساليب تحد من استمرارها، في منطقة امتزجت فيها مصالح سكان الجبل، والدير، والسهل، في شريط يربط مركزين حضاريين مهمين، في القرن التاسع عشر، مراكش مركز السلطة المركزية، والصويرة مركز التجارة الخارجية.

2- 2- الصراعات الفردية مع السلطة المحلية :

إن الصراعات بين القوى داخل القبائل، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، لم تقتصر على الصراعات الجماعية، مع السلطة المحلية فقط، وإنما كانت تعرف صراعات فردية معها، يسعى فيها كل طرف، لفرض مزيد من هيبته، المادية والمعنوية، داخل القبيلة، وهي صراعات اختلفت أسبابها، وكذلك نتائجها، حسب قوى الأطراف المتنازعة، فلذلك، رغم أنها كانت كلها، ذات اتجاه واحد، بين الأفراد والسلطة، إلا أن مسارها، كان يعكس قدرة كل فرد إزاء الخصم، مما ينعكس أيضا، على كيفية تدخل السلطة المركزية، لحسم تلك الصراعات، وبأمثلة من مزوضة ودويران ومتوگة، تتوضحُ نوعا ما هذه الإشكالية.

2- 2- 1- الصراعات الفردية بمزوضة : مع السلطة المحلية

تميزت الصراعات الفردية مع السلطة المحلية، في الستينات من القرن التاسع عشر بالتعقيد، ذلك أن قبيلة مزوضة، كانت تعرف توترا عاما، يظهر أنه أدى لتغيير أشخاص القيادة، بأن تم عزل القائد ولد العسري، وحل مكانه محمد بن أحمد المزوضي، أوائل سنة 1864/1281، الذي لم يستمر إلا حوالي ثلاثة سنوات، ليعزل في نهاية سنة 1867/1283، ويرجع نفس الشخص، ولد العسري إلى القيادة(91مكرر).

(91مكرر) راجع ص 272.

وأثناء تلك المدة، كان الصراع فيها بين القائد الجديد والقبيلة، وفي نفس الوقت كان صراعه أيضا، مع أفراد كولد العسري وولد الأشقر.

أما ولد العسري، فيظهر أنه لم يكن يستصيغ إبعاده عن السلطة، وخاصة أن السلطة المركزية، كانت تراقب ثروته، فصدر منها الأمر، للقائد الجديد محمد المزوضي، في 5 محرم1281/11 يونيه 1864، ب "تكليفه البحث عن متاع العسري" (92) ويظهر أن هذه المراقبة ظلت مستمرة، حوالي سنتين، ذلك أنه في 17 محرم 1283/17 يونيه 1866 وصل السلطة المركزية، "الإعلام بأن ولد الأشقر المزوضي، ورد برقيق خاله ولد العسري، الذي كان فارا عند بازي، وعدده بين ذكور 6وإناث 13وبقي عند بازى، سبعة رؤوس تقاعد عليها" (93)، فيكون مجموع هذا الرقيق خمسة وعشرين فردا، وهو عدد له بال، يعملون باستمرار لفائدة شخص واحد، وقد يفوق العدد الحقيقي هذا الرقم، ولذلك ما أن عزل ولد العسري، حتى عمد بدون شك، إلى إخفاء ما أمكن من ثروته، بمن فيها الرقيق، الذين يحتمل أن يكونوا قد فروا، أو أنه أوحي لهم بذلك، ولما اطمأن بعد سنتين من عزله، أراد استرجاع رقيقه من عند الشخص المؤمن عليه بازي، على يد أحد قرابته ولد الأشقر، ويظهر أن القائد كان لتحركاتهما بمرصاد، فأخبر بذلك السلطة المركزية، التي يحتمل أنه بعد شهرين من ذلك الإخبار، راجعت بازي، الذي كان رده في 10ربيع الثاني 1283/22 غشت 1866 "ذكر أنه دفع الرقيق المذكور لأخي الحسن، لما جاء بكتاب العسري، وباعه في سوق ثلاثاء المنابهة" (94)، فبرأ بازي نفسه، بأن ادعى تسليم الرقيق لأخي الحسن ولد الأشقر، الذي كان قد أحضر له رسالة من صاحب الرقيق العسري، ولكنه أقر،

---

92) 5 محرم 1281/ 11 يونيه 1864، ك. 47.

93) 17 محرم 1283/ 17 يونيه 1866، ن.م.

أيت بازي : أسرة كانت تشغل منصب القيادة بتالكجونْتْ بأعالي سوس، وكانت لهم علاقة بولد العسري المزوضي، فهناك طريق من أسيف المال فتشكا فتالكُجُونْت. وهناك أيت يازي آخرون بمزوضة، لكن ليسوا المقصودين في النص.

94) 10 ربيع الثاني 1283/22 غشت 1866، ن.م.

أن ذلك الشخص، بعد تسلم الرقيق، توجه به إلى سوق ثلاثاء المنابهة، المشهور بهوارة بسوس شمال تارودانت، وقد يكون ذلك، تهربا من ملاحقة السلطة له، إذا حرك ذلك الرقيق في منطقة الدير.

ومعلوم أن الصراع بين ولد العسري والقائد، الذي كان له بالمرصاد، انتهى بعودة ولد العسري للقيادة، بعد عزل القائد محمد المزوضي، على إثر ثورة القبيلة عليه(95).

أما الشخص الثاني، الذي كان الصراع بينه وبين قائد مزوضة، هو الحسن بن الأشقر، وهو من قرابة ولد العسري، ويظهر أن ذلك، أثر على علاقته مع السلطة المركزية ،خاصة بعد عزل ولد العسري، مما جعله يلجأ إلى قائد أولاد أبي السباع، فأخبر السلطان، في 26رمضان 1282/12 فبراير 1866 بـ "تعلق الحسن ولد الأشقر المزوضي، بابن بلعيد السباعي في التوسط له"(96)، الذي ما أن ورد(97) على المولى الحسن بمراكش حتى "طلب جمع شمله واستخدامه وانزاله بمحل من القبائل"(98). مما يبين أن ولد الأشقر، كان مكلفا بخدمة داخل قبيلة مزوضة، ثم فقدها على ما يظهر، أثناء عزل خاله العسري. فصدر من السلطان "الأمر بمساعدته لما يختاره"(99)، إلا أن هذا القرار، الذي اتخذه السلطان بإعادته للعمل، لم ينفذ إلا بعد خمسة أشهر، ففي 6 صفر 1283/20 يونيه 1866 أبلغ المولى الحسن عن "مخاطبة ولد الأشقر المزوضي، في المحل الذي يختاره، فاختار الخدمة وإبقاء أولاده، بأگدير أيت لحْسَنْ بالأوطاء فسوعد"(100)، دون توضيح نوع العمل الذي

95) راجع الصراعات بين القائد المزوضي والقبيلة، ص ص 269-272.

96) 26 رمضان 1282/12 فبراير 1866، ك. 47.

97) ن. ت. ن. م.

98) ن. ت. ن. م.

99) ن. ت. ن. م.

100) 6 صفر 1283/20 يونيه 1866، ن.م.

أگدير أيت الحسن والمقصود في النص أگدير أيت حْسيْن وهو بأزغار مزوضة، قرب حدود أولاد أبي السباع، وكان الحسن الأشقر خليفة القائد على المزوضي مقيما فيه ولاتزال هناك ورثته.

اختاره، ويظهر أنه استمر وجوده بقبيلة مزوضة، كما أبقى أولاده بالمكان الذي اختاره، أگدير آيت لحسن من نفس القبيلة"، إلا أن العلاقة بينه وبين قائد القبيلة، محمد بن أحمد المزوضي، سرعان ما تدهورت، حينما اتهمه القائد، بتحريض القبيلة عليه، بمساعدة عناصر خارجية، كالمتوگي(101)، ولم يقف الصراع بينهما عند هذا الحد، بل تقابلا معا، أمام المولى الحسن، فأفحم فيه ابن الأشقر القائد، باتهامه بتخلف أموال الدولة تحت يده، ولم يجد القائد جوابا عن ذلك(102). مما يبين أيضا أن ابن الأشقر، كان مكلفا بعمل له ارتباط بالجباية، لاطلاعه على حقيقة ما تخلف بيد القائد منها.

وانهت السلطة المركزية هذا الصراع، بأن أصدر السلطان للمولى الحسن الأمر، الذي مفاده، "وجه ولد الأشقر لحضرتنا السعيدة، ليريح ويستريح"(103)، ونفذ هذا الأمر، "بوصول ولد الأشقر الذي، وجهته لحضرتنا الشريفة"(104)، وبذلك أنهى الصراع بين القائد وولد الأشقر، بالفصل بينهما.

2- 2- 2- الصراعات الفردية بدويران مع السلطة المحلية

تميزت الوضعية بدويران بالتعقيد، خاصة على مستوى تنظيم السلطة، مما انعكس على الصراعات الفردية مع السلطة، فقبيلة دويران مثل قبائل الدير، تمتد مساكنها على الجبل، والدير، والسهل، لكنها من ناحية تنظيم السلطة، كانت مشيخة تابعة لإيالة الأجراوي، في الستينات من القرن التاسع عشر، فتداخلت فيها الصراعات بين أفراد السلطة أنفسهم، إذ كان المتولي فيها المشيخة محمد بن مبارك الدويراني، قد تدهورت علاقاته مع القائد، فقدم شكاية إلى السلطة المركزية، في

101) راجع ص 271.

102) راجع ص 272.

103) رسالة السلطان المولى محمد بن عبدالرحمان إلى المولى الحسن بتاريخ 2شوال 1283/8 فبراير 1867، خ. ح. ر.

104) 17 ذي القعدة 1283/ 24 مارس 1867، ن.م.

أواخر سنة 1865/1281 "بأن القائد إبراهيم الأجراوي، لم يبق عندما أمر به في شأنه"(105)، وذلك أنه صار يتآمر على الشيخ، "ويعامل ولد الخضر، بما يحمل القبيلة على الفساد"(106). فاتهم الشيخ القائد بتحريض القبيلة ضده، على يد ولد الخضر الذي تربطه علاقة المصاهرة (107) بالقائد، وبذلك كان النزاع في قبيلة دويران ذا أطراف ثلاثة، الشيخ الدويرانى، والقائد الأجراوي، المنسق مع ولد الخضر صهره، الذي ينافس الشيخ، على ما يبدو في القبيلة.

لقد أصبح الشيخ في صراع غير متكافئ، فهو في صراع مع القائد الذي يتبع له، ومع خصم ندمن القبيلة، الذي يجد دعما أعلى، فقدم الشيخ شكواه إلى السلطان، الذي أحال أمر نزاعه مع القائد على المولى الحسن، "وأعلمناك لتكون على بصيرة إذ ربما يتكلم معك وصيفنا المذكور، فيجدك الحال مبطرا بالقضية"(108).

تطور الصراع بين الأطراف الثلاثة، بأن تحول من مجرد الاتهامات، إلى ممارسة الضغط على الشيخ، بأعمال تسيء له سواء، من ولد الخضر أو العامل، ذلك أن الشيخ، بعد خمسة أشهر من رفعه الشكاية، بتواطوء القائد مع ولد الخضر، اتهم هذا الأخير، في 10جمادى الأولى 1282بأن "جعل له مينة في محل جلوسه، وأحرقت فراشه، وسلمه الله"(109)، مما يؤكد نفوذ ولد الخضر، الذي تمكن من دس لغم للشيخ في مكان إجراء الأحكام، لكن نجامنه الشيخ بعد اتلاف الأثاث. وإثر هذا العمل، أصدر السلطان "الأمر بالقبض عليه"(110)، ويظهر أن هذا

105) 26 ذي الحجة 1281/ 22 ماي 1865. كـ. 47.

106) ن. ت. ن. م.

107) رسالة السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان إلى المولى الحسن بتاريخ 25 ذي الحجة 5/1288 مارس 1872، ورد فيها ما يفهم منه علاقة المصاهرة بين الأجراوي وولد الخضر الدويراني. "القائد إبراهيم وصهره ابن الخضرالدويراني". خ. ح. ر.

108) 26 ذي الحجة 1281/2 ماي 1865، كـ. 47.

109) 10 جمادى الأولى 1282/1 أكتوبر 1865، كـ. 47.

110) ن. ت ن. م.

الإجـراء، زاد مـن حنـق العـامل علـى الشـيخ، فتمكن من الإساءة إليه، إذ بعد أربعة أشـهر، مـن محاولـة ولـد الخضـر الإضـرار بالشـيخ، تم في 14 رمضـان 1282/31 ينـاير 1866 "الإعـلام بقبـض الإجـراوي، علـى ولد شيخ دويران"(111)، فـتردت العلاقـات بـين الشـيخ والعـامل، ممـا جعـل السـلطان، يتدخـل بـأن أصـدر "الأمـر بـإصلاح الشـيخ مع عامله"(112). وعمـل المولـى الحسـن علـى تنفيذ هذا الأمر، فبعد أقل من شـهرين في 6 ذي القعدة 1282/23 مارس 1866 أخـبر السـلطان، بـ "حضـور شـيخ دويـران وتصالحه مع الأجراوي"(113).

أمـا ولـد الخضـر الـذي كـان قـد صـدر الأمر بسجنه، فقد ظل معتقلا حوالي أربعـة عشر شهرا، حتى تم في 17 شـعبان 1283/25 دجنـبر 1866 "الإعـلام بتسـريح الخضر الدويراني"(114)، إلا أن إطـلاق سـراحه، كان مشروطا بالتزام حدوده، "بعد إعطائه ضامنا بعدم صدور فساد منه"(115)، تجـاه شـيخ دويـران، بـأي كـان على ما يظهر، "ورضيه ولد الدويراني"(116)، وحتـى تبقـى هـذه المصالحـة المشـروطة سارية المفعول، وُثِّـقت "بالرسم الموجه"(117) للسـلطان، ليكـون علـى علـم بحقيقة الأمر، ليتخذ الإجراءات المناسبة، ضد خارقي تلك الشروط.

ورغـم هـذه المصالحـة، فـإن التنـافس بقـي كامنـا بين الأطراف الثلاثة، الشيخ الدويراني، والعامل الأجراوي، وولد الخضر، في انتظار ظروف تحريكه.

---

111) 14 رمضان 1282/31 يناير 1866، ن. م.

112) ن. ت ن. م.

113) 6 ذي القعدة 1282/23 مارس 1866، ن.م.

114) 17 شعبان 1283/25 دجنبر 1866، ن.م.

115) ن. ت ن. م.

116) ن. ت ن. م.

117) ن. ت ن. م.

2- 2- 3- النزاعات الفردية بمتوگة مع السلطة المحلية

كانت النزاعات الفردية مع السلطة بقبيلة متوگة، متميزة بقوة لقائد إزاءها، مهما اختلفت أسبابها، والمشاركين فيها، وعلى سبيل المثال، كانت نزاعات القائد محمد المتوگي، مع كل من ولد أجَرْ عَامْ، ومحمد البقالي، في الستينات من القرن التاسع عشر.

كان بهي ولد أجَرْ عَامْ منتميا إلى فخدة إداوْمَرْزوگْ(118)، والتي كان لها صراع ثنائي، مع فخذة أخرى من قبيلة متوگة (119) ،مما أتاح له فرصة التحرك، وخاصة أن القائد محمد المتوگي كان مسجونا(120). ولما أطلق سراحه في ربيع الثاني 1283/غشت 1866، تمت "توليته على إخوانه عدى ولد أجَرْعَامْ ومن معه"(121)، مما يوضح أن الصراع الجماعي، الذي كانت متوگة تعرفه، انعكس على القائد أيضا، ولما أطلق سراحه استثنى أجَرْعَامْ وأتباعه من إداوْمَرْزُوگْ، من تبعية سلطة المتوگي، وقد يؤدي هذا إلى تواجد سلطة أخرى، يخضع لها جزء من قبيلة متوگة، وهو أمر لا يقبله المتوگي، ولذلك سيسعى لإخضاع الخارجين عنه، مما انعكس على ولد أجَرْعَامْ، الذي تدخل عبدالله أُبهِي، بعد شهر من إعادة تولية المتوگي، في 9 جمادى الأولى 1283/19 سبتمبر 1866 "فَي شأن ولد أجَرْعَامْ من عدم خروجه من قبيلته"(122)، مما يفيد عزمه على مغادرة القبيلة، تخوفا من انتقام المتوگي، ولذلك حاول أُبهِي، التوفيق بين الطرفين، ب "إصلاحه مع عامله"(123)، ويظهر أنهما استجابا لرغبة أُبهِي، الذي "أصلح بينهما"(124).

118) Montagne (R.) Les berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc. p. 332.

119) راجع : عن الصراع بين فرق متوگة، ص ص 266-268.

120) راجع عن اعتقال محمد المتوگي ، ص ص 176-177.

121) 10 ربيع الثاني 1283/22 غشت 1866، ك. 47.

122) 9 جمادى الأولى 1283/19 شتنبر 1866، ن.م.

123) ن. ت. ن.م.

124) ن. ت ن. م.

يظهر أن ضمان سلامة بهى ولد أجرعام(125)، من سطوة المتوگي، كان بدعم عبدالله أبهي، ولذلك ما أن توفي أواخر سنة 1284(126)، حتى تغيرت الأمور بالنسبة لأجَرْعَامْ أيضا، فاضطر لمغادرة القبيلة إلى سوس، احتياطا على ما يبدو من القائد محمد المتوگي، لكن لما توفي أوائل سنة 1286، وبدأت الاستعدادات لتولية عمر بن سعيد المتوگي(127)، حاول ولد أجَرْعَامْ استغلال الوضعية الجديدة، خصوصا أنه كان مطاردا فـ "رجع مطرودا من سوس، متخوفا من الطالب حميدة"(128)، الذي كان عاملا على سوس.

ويظهر أن مطاردة أجَرْعَامْ ، قد توقفت بعدما تغيرت قيادة متوگة، رغم أن المتولي كان من نفس العائلة، كما يحتمل أن ولد أجَرْعَامْ جنح للاستكانة، بعد ما فقد سنده أُبهي الحاحي، فمالت الأمور إلى نوع من المساكنة بين الطرفين، ريثما تتجدد ظروف تحركهما.

أما الشخص الثاني، الذي كان الصراع بينه وبين القائد محمد المتوگي، فيدعى محمد البقالي، وكان يسكن إمين تانوت (129)، ويظهر أنه كان يمارس التجارة باعتبار مركز إيمن تانوت، على الطريق الرابط بين سوس والحوز، مما أكسبه علاقات ومعارف متعددة، بمن فيهم رجال السلطة المركزية، فلذلك ما أن تم اعتقاله، من طرف القائد المتوگي، حتى أسرعت جهات مختلفة، للعمل على إطلاق سراحه، واستغرقت قضيته مع المتوگي، حوالي ثلاثة أشهر من جمادى الأولى 1285، الذي اعتقل فيه، إلى أن أطلق سراحه، في أوائل رجب من نفس السنة.

---

125) Montagne (R.) Ibid : P. 332.

126) راجع عن وفاة أبهي ، ص ص 342-345.

127) راجع عن تولية عمر المتوگي، ص ص 179-181.

128) 18 ربيع الثاني 28/12864 يوليوز 1869، ك. 47

129) رسالة موسى بن أحمدإلى المولى الحسن بتاريخ 16جمادى الأولى 1285/ 4شتنبر 1868، ورد فيها لتعيين مقر البقالي "محمد البقالي من تمنتوت"

كان موسى بن أحمد، حاجب السلطان، المولى محمد بن عبدالرحمان، الشخص الذي تدخل في شأن محمد البقالي، فكتب للمولى الحسن في 13 جمادى الأولى 1285/1 شتمبر 1868، في شأن محمد البقالي، وابنه عبدالله، "الذي قبضه القائد محمد المتوگي وسجنه" (130)، مذكرا إياه أن السلطان، أمره "بالبحث عن حاله"(131)، ثم حاول التأثير عليه، فذكّره بخصال البقالي، "ولاشك أنك أعزك إلله، تعرف خبرته، واشتغاله بما يعنيه"(132)، تلك الخصال التي كان يعرفها أيضا الأجراوي، "ويعرفك بحقيقة أمره"(133)، وأصر على المولى الحسن، "أن تقف معه غاية الوقوف، ولا تقصر في أمره"(134)، واستدرك في ختام رسالته، بأن أبلغه أن السلطان، كتب "للقائد محمد المتوگي بتسريحه، ورد متاعه عليه"(135). مما يفيد أن البقالي، لم يتعرض للسجن فقط، وإنما وقع السطو على أمواله أيضا، ولهذه الأسباب، فإن السلطان، وجه "من يقف على ذلك"(136). وبعد ثلاثة أيام، أعاد موسى بن أحمد، الكتابة للمولى الحسن، في 16 جمادى الأولى 1285/4 شتمبر 1868 مبينا فيها، الخطوات المتخذة، لإطلاق سراح البقالي، مذكّرا إياه، بأن الشخص الذي وجهه السلطان، هو المخزني المشاوري، على "أن يتوجه إلى سيادتك أولا، ثم توجهه، وتوجه معه مخزني أخر من عندك"(137)، عند المتوگي، في شأن محمد البقالي، "حتى يسرحه، ويرد عليه ما أخذ منه"(138).

130) رسالة موسى بن أحمد إلى المولى الحسن بتاريخ 13جمادى الأولى عام 1285/ 1 شتمبر 1868. خ. ح. ر.
131) ن. الرسالة.
132) ن. الرسالة.
133) ن. الرسالة.
134) ن. الرسالة.
135) ن. الرسالة.
136) ن. الرسالة.
137) رسالة موسى بن أحمد إلى المولى الحسن بتاريخ 16 جمادى الأولى عام 1285 /45شتنبر 1868. خ. ح. ر.
138) ن. الرسالة.

نفـذ المولـى الحسن الأوامر السلطانية، في شأن محمد البقالي، وولده عبدالله، فـابلغ السلطان، أنهما "سرحا وأصحبوهما"(139) المخازنيـة، الذيـن كـانوا متوجهـين عنـد المتوكـي فـي أمرهمـا، إلا أن القضيـة لـم تنتـه عند هذا الحد، فقد حدثت أمور سببت في تعقيدها، سواء للبقالي شخصيا، أو خاصة ما ادعى نهبه له.

فيمـا يتعلـق بالبقـالي ذاتـه، فبعـد إطلاق سراحه هو وابنه، توجه بهما المخازنية إلـى مراكـش، إلا أن محمد البقالي، "تخلف بسكساوة لمرض اعتراه"(140)، وكـان تخلفه بموضع يسمى "بولعون"(141)، عنـد مخـرج وادي سكسـاوة إلـى السـهل،إما ابنه فإنه وصل إلى مراكش.

أمـا قضيـة ما ادعى البقالي أنه نهب له، فقد تباينت فيه حجج الطرفين، القائد الظنـين، والبقالي المتضرر، فلقد حاول القائد التبرأ مما اتهم به، بأن حصل على حجة تبرئتـه مـن متـاع البقـالي، ذلـك أنه "لما سأله عنه أجابه بأنه نقله جميعا للجبل، ولم يبق بداره شيئا، إلا ما لا بال له"(142)، وإثباتـا لتلـك الحجة، فإن القائد "أشهد عليه بذلك، وعطف على الرسم بخطه"(143)، واحتفـظ بالرسـم ليدلـي بـه عنـد الحاجة، وأخـبر بمحتـواه المولـى الحسـن. ولذلك لم يعد بإمكان البقالي، متابعة القائد بشيء. ولهـذا يظهـر أنـه آثر التخلي عن الوصول إلى مراكش، بالتخلف في الطريق، بادعاء المـرض، تاركـا مهمـة الشـكاية لابنه عبدالله، الذي ما أن وصل مراكش، عند المولى الحسـن، واسـتأمن علـى نفسـه، حتى "استظهر بالزمام الذي وجهت، المتضمن لعدد من الريال 803 والدراهم 134 والقـش والقمـاش والحلـي والعـدة، نهـب جميعـه من داره عن أخره"(144). فـأصبح السـلطان أمـام حجتـين، أولاهمـا وصـل الإخبار عن

139) رسالة موسى بن أحمد إلى المولى الحسن بتاريخ 6 رجب عام 23/1285 أكتوبر 1868. خـ. حـ. ر.

140) ن. الرسالة.

141) 7رجب 24/1285 أكتوبر 1868، كـ. 47.

142) رسالة موسى بن أحمد إلى المولى الحسن بتاريخ 6رجب عام 1285. خ. ح 23 /أكتوبر 1868.

143) ن. الرسالة.

144) ن. الرسالة.

محتواها، من القائد محمد المتوگي، يعترف فيها محمد البقالي، بأنه لم يضع له شيء من أمواله، وإنما نقلها إلى مكان آخر آمن بالجبل. والثانية صادرة عن ابنه عبدالله، بعد أن أصبح في منأى عن سطوة القائد، يدعي فيها أموالا عددها، نهبت من دارهم بإيمن تانوت، فأشكل الأمر على السلطان، الذي علق على الرسم الذي بيد المتوگي، قائلا "لاشك إن كان هذا الرسم حقيقة، فهو حجة على نفي ما يدعيه البقالي"(145).

لقد حاول كل من القائد والبقالي، النيل من الآخر، فادعى البقاليان "إنهما بريئان مما نسب إليهما"(146)، دون تحديد نوع التهمة، التي نسبها إليهما القائد، في حين ادعيا، أن القائد نهب لهما أموالا، إلا أن خطتهما فشلت، لتمكن القائد من إبطالها، بحصوله من محمد البقالي بوثيقة، يقر فيها بأنه لم ينهب له شيء.

يظهر أن هذه القضية، أنهتها السلطة المركزية، بأن أمر السلطان، بالكتابة للمتوگي، "بعدم التعرض لهما في شيء"(147)، وكذلك "بإقرارهما بمحلهما"(148)، مما يفيد أن البقاليين، عادا إلى مكان سكانهما إيمن تانوت، ليستأنفا أعمالهما.

تثبت هذه الواقعة، أن صراع المتوگي مع البقالي، كان صراعا متكافئا، لوجود دعم السلطة المركزية له، فعجز القائد عن النيل منه، بل أمر بالتزام حدوده في حقه.

لقد أفرزت الصراعات الفردية، مع السلطة المحلية، في القبائل الثلاثة، مزوضة، ودويران، ومتوگة، تناقضات، بينت درجة سلطة القواد، كما بينت أيضا مكانة المنازعين لهم، ذلك أن الخصوم المنازعين للقواد، لم يكونوا من الأشخاص

---

145) ن. الرسالة.

146) 7رجب 24/1285 أكتوبر 1868، ك. 47.

147) ن. ت ن. م.

148) ن. ت ن. م.

العـاديين، إذ كـانوا يجـدون فـي تدخل السلطة المركزية دعما، قد أدى في مزوضة، بتضـافر مـع عوامـل أخـرى إلـى عـزل القـائد، وفي دويران، إلى التوفيق بين الخصوم لكونهـم مـن رجـال السـلطة، فـي حـين كـان الأمـر بمتوگـة، قد تم عن إبراز مكانة القـائد، رغم استعانة أحد خصومه البقالي، بالسلطة المركزية، في مواجهة القائد، أما الخصم الاخر أجَرْعَامْ فقد حرم ذلك الدعم لعزلته.

يوضـح هـذا التبـاين، في حل تلك النزاعات الفردية، مع السلطة المحلية، نظرة السـلطة المركزيـة، إلـى تلـك الخصومـات، التي كانت تعج بها القبائل بالمنطقة، فقد حرصـت علـى نـوع مـن التوفيـق العـام، مـا دامت الصراعات محدودة التأثير، كما حـدث فـي دويـران ومتوگـة، وتسـتجيب لهـا، إذا كانت ذات مدى عمومي، كما حـدث فـي مزوضـة، باعتبارهـا المتضرر من أي خلل عام، قد يفرض عليها التدخل، باستعمال العنف، لوضع حد لنتائج تلك الصراعات.

يتوضـح مـن هـذه النمـاذج مـن المنازعـات بـين القـوى والسـلطة المحليتين، أن حلهـا، كـان يقـف علـى مراجعـة السـلطة المركزيـة. سـواء تعلـق الأمـر بتنـازع الاختصـاص ،أو صراعـات عامة؛ جماعية وفردية، تلك السلطة التي كانت بدورها، تلـون قـرارات الحـل، مـن قضيـة إلـى أخرى. ولن يشذ عن ذلك، نماذج أخرى، من الجانب الاقتصادي.

III ـ جوانب اقتصادية بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي في الستينات من القرن التاسع عشر:

إن تميـز نمـط الإنتـاج الشـتات بالخصائص التي ترعى الاكتفاء الذاتي ، جعل تدخـل السـلطة خاصـة المركزيـة، محـدودا فـي مجـال الاقتصـاد. يـأتي عنـد عجز المؤسسـات المحلية، عن تجاوز الصعاب التي تعترض الاستغلال الاقتصادي، وذلك ما بينته بعض النماذج في المجال الاقتصادي بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي. فجاء

تدخل السلطة المركزية، إما لحل نزاعات حول الأرض والمياه، أو لاحتكار إنتاجات، تفوق طاقة الإنتاج الشتات، أو لتنظيم المجال المشترك، بين الأطراف، كالمجال التجاري.

1 - نموذج النزاعات الاقتصادية

تشكل النزاعات الاقتصادية عنصرا حيويا، لدى القبائل المتجاورة، بمنطقة طرفي الاطلس الكبير الغربي، لانها تعكس تداخل مصالحها، وخاصة أنها قبائل مستقرة، تعيش على استغلال الطبيعة، حرثا ومياها ومرعى. فامتداد أراضي الحرث والمراعي، على طول حدود القبائل، يؤدي إلى النزاعات، كما أن امتداد الوديان عبر القبائل، وما يتفرع منها من السواقي، يثير استغلال مياهها الصراعات أيضا، ولذلك فان النزاعات في المجال الاقتصادي المحلي في المنطقة، تتبلور في محورين رئيسيين.

1 - 1 - النزاعات على الأراضي

1 - 2 - النزاعات على المياه

1 - 1 - النزاعات على الأراضي

إن النزاعات على الأراضي الزراعية، تشكل عصب الحياة في المجتمع الزراعي، ولذلك فهي تكاد تكون مستمرة وبدون انقطاع، وتظهر بالخصوص في إبان القيام بالحرث، في وضعية عقارية قانونية، تلعب فيها الجماعة الدور الرئيسي، فهي التي تبث في النزاعات حول الأرض، من حين لآخر بوسائلها المعتادة، وخاصة أنها أدرى بإشكالتيها، ومتتبعة لتطور ملاكيها، من أطراف هذه القبيلة أو تلك، وذلك بتعاون مع السلطات المحلية، ولا تتدخل السلطة المركزية، إلا حينما تعجز الجماعة، والسلطة المحلية، عن الوصول لفك النزاع، وتتوضح هذه الإشكالية، من نماذج من منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، في الستينات من القرن التاسع عشر.

لقد ثار نزاع على الأرض، بين قبيلة نفيفة، وقبيلة أولاد أبي السباع، ورفع إلى السلطة المركزية للبث فيه سنة 1854(1)، مما بين أن الحل المحلي، لم يرض الطرفين، وذلك أن كل طرف، تمسك بأحقيته في الأرض المتنازع عليها، مما يطرح مسألة أصل النزاع بينهما.

يذكر جرمان عياش، أن الساكنين للارض من نفيفة، اضطروا للتخلي عنها، سنة 1850نتيجة قحط، ولم يرجعوا إليها إلا بعد مدة، ليجدوها محتلة، من طرف سكان ينتمون إلى أولاد أبي السباع، الذين ادعوا أنها ملكهم، فثار النزاع بين الطرفين من أجلها(2).

أما الرواية من نفس المنطقة، تذكر أن سبب احتلال تلك الأرض، ترجع إلى الظروف التي سادت المنطقة، غداة قنبلة الاسطول الفرنسي للصويرة سنة 1844، مما أحدث رعبا في المنطقة، تحركت معه القبائل، فانجلى أهل تلك الأرض من نفيفة، وحل مكانهم سكان من أولاد أبي السباع(3).

يظهر من القرينتين، أن مدة احتلال أولاد أبي السباع، لأرض يدعى نفيفة أنها ملكهم، غير كافية لاثبات حق التملك لأولاد أبي السباع، فحسب استنتاج عياش، لا تتجاوز مدة الاحتلال أربع سنوات، قبل رفع القضية أمام السلطة المركزية، وحسب الرواية الشفوية من عين المكان، لا تتجاوز عشر سنوات، وهي مدة لا تنهض حجة يتمسك بها أولاد أبي السباع، ولا تتطلب اللجوء إلى السلطة المركزية، لاجلاء المحتلين لأرض نفيفة، مما يوضح أن المدة أطول من ذلك، حتى يصعب على الطرف المدعي نفيفة، اثبات حق الملكية في تلك الأرض، مما يستدعي معه استعمال حجج دامغة لا تقبل الطعن.

---

1) Ayache (Germain) : Etudes d'histoire marocaine Rabat 1979. P. 169.
2) Ayachc (G.) Ibid..: P. 169.

3) رواية شفوية مستقاة من أولاد أبي السباع.

إن الاعتماد على رسالة بعث بها قائد مزوضة للسلطان، أسهمت في توضيح مدة الاحتلال، وهي رسالة مؤرخة ب 19 ربيع الثاني 19/1270 يناير 1854(4)، في حين أن تاريخ المحضر الذي اعتمد عليه عياش في القضية، هو 20 ربيع الثاني 20/1270 يناير 1854، فتكون الرسالة أسبق من تحرير المحضر.

تفيد رسالة قائد مزوضة، أن السلطان أصدر له الامر، "أن نتوجه مع نفيفة وأولاد أبي السباع، للوقوف على البلاد التي يتنازعون فيها، وننظر من يعتمرها منذ سنين، ومن الظالم من الفريقين، ونخبرك بالجميع، فبادرنا للامثال، وشمرنا على ساعد الجد في الحال، فطفنا بها من النواحي، فألفيناها مشحونة بعمارة أولاد أبي السباع، بناء وغرسا وسكنى، وحرثا ونطافى وغدرانا وأمراسا، اعتمروها منذ سنين عديدة، من أول نصر سيدنا أيده الله للان (5)".

إن هذه الرسالة، تبين أن أولاد أبي السباع، احتلوا الأرض المتنازع عليها مع نفيفة، منذ أزيد من ثلاثين سنة باعتبار، أن المزوضي يذكر أنهم، "اعتمروها منذ سنين عديدة، من أول نصر سيدنا أيده الله للان" ومعلوم أن السلطان المولى عبد الرحمان، كان قد تولى منذ 18221238، فتكون مدة الاحتلال في نظر القائد، كافية لتنهض حجة قاطعة تخول لأولاد أبي السباع، حق امتلاك الأرض، باعتبار أنهم أحيوها، كما يذكر، بالمباني، والغرس، والنطافى.

وبذلك تزداد الأمور صعوبة، إذ أن التملك لمدة طويلة وإحياء الارض، ينهضان حجة لاستحقاق ملكيتها، وذلك ما قام به أولاد أبي السباع، فتمسكوا بحق امتلاك الأرض، تجاه الخصوم أمام السلطان، الذي وجه لجنة لعين المكان، مشكلة من ثلاثة عدول وقائدين عسكريين، فمثلت تلك اللجنة طرفي السلطة القضائية والتنفيذية، وعاينت الأرض المتنازع عليها، فثبت لها قدم استغلالها،

---

4) رسالة من قائد مزوضة أحمد بن مبارك المزوضي إلى السلطان المولى عبد الرحمان بتاريخ 19 ربيع الثاني 19/1270 يناير 1854، خ. ح. ر.

5) نفس رسالة المزوضي.

لوجود خرائب دور، ومطامير، ونطافي، وبقايا غرس، تعود لفترة قديمة، تبين أن لها ملاكين أسبق من المستقرين بها من أولاد أبي السباع، مما أكد أن نفيفة هم الملاكون لها أصلا، وأيدت مطالبهم قبيلة دويران، الذين شهدوا لصالحهم، في حين التزم سكساوة نوعا من الحياد، بادعائهم عدم معرفة الحقيقة(6).

لقد رفعت اللجنة تقريرها، للسلطان المولى عبد الرحمان، الذي أقر بتخلي أولاد أبي السباع عن الاملاك، التي احتلوها لاصحابها نفيفة، لكن بعد حصاد ما زرعوه(7).

أما بين متوگة وأولاد أبي السباع، فقد حدث نزاع على الأرض، رفع إلى السلطة المركزية، في 14 محرم 1288/5 أبريل 1871 وكان حول، "حدود البلاد المنعم بها على متوگة"(8). مما أكد أن الأرض، كان السلطان قد فوتها لمتوگة، دون ذكر الأسباب التي حملته على ذلك، إلا أن النزاع حول تلك الأرض، جعلت السلطة المركزية، تحقق في أصول المالكين، فتبين لها، "أنه بحث عنها فألفيت إنما كانت في الأصل، لاولاد أبي السباع"(9). فتكون السلطة المركزية، قد أعادت حقوق الملكية لأولاد أبي السباع، بعد أن كانت قد فوتت الأرض لمتوگة.

أما بين دويران وأولاد أبي السباع، فقد حدث نزاع أيضا على الأرض، أدى لرفع القضية للسلطة المركزية، التي أقرت في 28 محرم 1285/21 ماي 1868 "إلزام أولاد أبي السباع، بالتخلي عن بلاد الدويران"(10) مما يبين أن السلطة، اقتنعت على ما يبدو، بحجج الطرف المتضرر دويران، فأمرت بإلزام أولاد أبي السباع، بالتخلي

6) Ayache (G) Ibid. P. 169
7) Ayache (G) Ibid. P. 170

8) 14 محرم 1288 /5 أبريل 1871.، ك. 47.
أما مسألة الأراضي التي وقع النزاع حولها. فأثناء البحث في المنطقة، فلا تذكر الرواية الشفوية إلا أمثلة ترجع لأوائل القرن العشرين.
9) 14 محرم 1288/5 أبريل 1871، ن.م.
10) 28 محرم 1285/21 ماي 1868، ن.م.

عـن الأرض، التي احتلوها. لكن يظهر أن قضية البلاد المتنازع عليها بين الطرفين، لم تنتـه بهـذا القرار السلطوي، وقد يكون لأسباب توفر أولاد أبي السباع على حجج، جعلـت السـلطة المركزية، تأمر بعد أزيد من شهر، عن قرارها السابق، "باجراء قضية أولاد أبـي السباع ودويران، في البلاد التي بينهم، على ما حكمت به الشريعة"(11). فتنـازلت السـلطة المركزيـة عـن قرارهـا، وأمـرت بإحالـة القضيـة على المحكمة، على أسـاس الاحتكام إلى الحجج المدلى بها من كلا الطرفين، وذلك "من إعمال ما أدلى به الثاني أو إهماله"(12)، باعتبار أن الطرف المتعرض، هم أولاد أبي السباع.

يتبـين مـن النمـاذج الثلاثـة، أن مسـألة الـنزاع على الأرض، في منطقة السهل المجـاور لمنطقـة الديـر، تكتسـي صعوبة، ترجع إلى درجة الاستقرار والاستغلال، التي تخضـع لعوامـل مختلفـــة، مـن مناخيـــة، أو سياســـية، أو اجتماعيـــة، ممـــا يـؤدي لاضطرابـات تؤثر على استمرار الملكية العقارية، للأطراف المتواجدة بالمنطقة، ولذلك فـإن السـلطة المركزيـة راعـت بدورهـا هـذا التذبذب. فيلاحظ أنها تعاملت مع كل قضيـة، حسب ما تقتضيه الظروف، فكلفت لجنة للمعاينة وإثبات الحجج، في قضية نفيفـة وأولاد أبـي السـباع، فتبـين لهـا حـق نفيفـة الذي أيدته، في حين تبين لها من قضيـة متوگـة وأولاد أبي السباع، أن البلاد المتنازع عليها، هي من حقوق أولاد أبي السـباع، لكـن أشـكل عليهـا الأمـر، فـي قضيـة تنـازع دويران وأولاد أبي السباعي، فبعدمـا كـانت قـد أصـدرت الأمـر، بـالتخلي لأولاد أبـي السباعي، لصالح دويران، فإنهـا تنازلت عن هذا القرار، وأحالت القضية على المحكمة الشرعية، والاحتكام إلى حجج الطرفين.

إن تصرفـات السـلطة المركزيـة هـذه، تبـين مرونـة تعاملهـا فـي النزاعات على الأرض، بـين مجموعـة قبليـة بطرفـي الأطلـس الكبـير الغربـي، تشـكل نمطـا معقدا، فهنـاك ثـلاث قبـائل ديريـة مسـتقرة، هـي متوگة، ونفيفة، ودويران، تتعامل مع قبيلة

(11) 7 ربيع الأول 28/1285 يونيه 1868، ن.م.

(12) 7 ربيع الأول 28/1285 يونيه 1868، ن.م.

أولاد أبي السباع، التي تحدها من السهل، وهي أكثر قابلية للتنقل، مما يؤدي للنزاعات حول الأرض، بين هذه التشكلة القبيلة الديريةالسهلية، خاصة أن الظرفية المناخية، تتميز في المنطقة بالجفاف، مما يؤثر على المساحات المزروعة بين الامتداد والتقلص، وعدم الاستقرار، من سنة لأخرى، ينجم عنها، التنازع المستمر بين الأطراف، مما جعل السلطة المركزية، تحاول إرغام الجميع على إثبات الحقوق التي يدعيها.

1 - 2- النزاع على المياه

إن النزاع على المياه، في منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، يكتسي أهمية على طول الوديان، والتي تعرف تنظيما دقيقا لتوزيع المياه عبر سواقي، تختلف مسافاتها حسب أهمية الأرض المسقية، وحسب امتداد تلك السواقي، التي تكون دوما خاصة بالقرى المتواجدة على الوادي، وأحيانا تشترك في استغلالها أفخاذ القبيلة الواحدة، بل تتجاوز ذلك، لمشاركة قبائل أخرى في ذلك الاستغلال.

وينتج عن هذا التزايد في استغلال مياه السواقي، الممتدة بين أطراف متعددة، الاضطراب أحيانا في ضبط التوزيع، مما يؤدي إلى تدخل السلطة لحسم الموقف، وإن كان تدخلها في الواقع لا يتأتى، إلا حينما لا تستطيع الاطراف المتنازعة، التحكم إلى الأعراف التي درجت عليها، والتي تحولت إلى مجموعة من المبادئ العامة تراعى تطبيقاتها، ومثال من تلك المبادئ، كما يذكر بيرك (13)، مراعاة تدرج التقسيمات السكانية على طول الوادي، من أعلاه إلى أدناه، مما يجعل دوما حق التصرف في المياه، للأعلين من السكان عن الأدنين منهم، بحيث يكون مبدئيا، استغلال مياه الوادي للأعلين، وما فضل عنهم يكون من نصيب الأدنين، ودرجت العادة على ذلك.

---

13) Berque (J) Structures sociales du Haut Atlas. p. 108

لقد نجم عن مراعاة هذه المبادئ العامة، أن نشأت قاعدة عرفية، تتحكم إليها الأطراف، وهي التصرف "على وجه الخير"(14)، في توزيع المياه في أوقات شحها، حيث يسعى الأدنون من سكان الوادي، لحمل الأعلين، على تفويت قسط من المياه لهم، بناء على تلك القاعدة العرفية، التي غالبا ما تراعى، إلا في ظروف خاصة، حينما تتعقد الأمور، ويستحيل التفاهم، وآنذاك يفتح الباب أمام تدخل السلطة، وهذا ما توضحه بعض النماذج، من النزاعات حول توزيع المياه، في منطقة الدير، في الستينات من القرن التاسع عشر.

أرود بيرك بعض الأمثلة عن قضايا توزيع المياه، على طول وادي سكساوة، سواء في أعلى الوادي أو أسفله.

ففي أعلى الوادي، ذكر مثالا للنزاع، الذي كان بين فريقين من قبيلة سكساوة، حول ساقية لفريق إدْمَا، تستمد مياهها من أعلى الوادي عند فريق أيت حَدُّو يُّوسْ مما أدى لتجدد النزاعات بين الفريقين، حتى عقدت اتفاقية جماعية بينهما، أوائل القرن الثامن عشر، فكف أيت حَدُّو يُّوسْ عن الإضرار بساقية فريق إدْمَا(15) .

وفي أسفل الوادي، تشترك قبيلتان في استغلال الوادي، أرضا ومياها، وهما سكساوة ودويران، وتتوزع فرقاء القبيلتين على الوادي، بشكل متداخل، مما يؤدي إلى تأثير متبادل بينها، فيتأثر فريق أيت موسَى من سكساوة، في استغلال مياه رافد يدعى أدُوزْ، بفريق أيت تادارْتْ من دويران، لأن الرافد يأتي من منطقتهم، وعند مخرج وادي سكساوة، يتأثر دويران في استغلال المياه بفريق أيت عبدالله، وهم من سكساوة، فيكون التداخل بين فرقاء القبيلتين، سكساوة ودويران، قد أدى إلى توازن مبني على التناوب، في استغلال مياه وادي سكساوة (16).

---

14) 8 شوال 1282/24 فبراير1866، كـ. 47
Berque (J) op. cit. p. 108

15) Berque (J) op. cit. p 107 .
16) Berque (J) op. cit. p 106 .

انضافت قبيلة ثالثة، أولاد أبي السباع، إلى كل من سكساوةودويران في استغلال مياه وادي سكساوة، الذي يسمى وادي القَهْرَة(17)، لما يدخل السهل، فتتواجد قرى سباعية على ضفاف الوادي بعد دويران، فأصبحت ثلاث قبائل تستفيد من مياه الوادي، مما يدعو إلى ضرورة التحكم في توزيع المياه، خاصة عند شحها أو نضوبها، وذلك بواسطة سواقي، تستمد مياهها من أراضي سكساوة عند أيت عبد الله (18)، لتعبر أراضي دويران، وتستفيد منها قرى سباعية كأيت سعادة وأولاد سولة(19).

إن هذا التداخل بين القبائل الثلاثة، في استغلال مياه السواقي، لا يخلو من النزاعات، قد تصل أحيانا إلى تدخل السلطة المركزية، مثل النزاع الذي حدث بين أولاد أبي السباع، وكل من دويران وسكساوة في الستينات من القرن التاسع عشر، والذي دام حوالي ثلاث سنوات ما بين 1865/1282 و 1868/1285.

فقد بدأ هذا النزاع، في 8 شوال 1282/24 فبراير 1866، بعد أن "تشكى قائد أولاد بو السبع، بقطع الماء من ساقيتهم"(20)، فأصدر المولى الحسن قرارا، "بأن يؤمر دويران يطلقون لهم شيئا من الماء"(21)، صدر الأمر لقبيلة دويران، الموالية لأولاد أبي السباع من الأعلى، ولكن هذا الأمر لم يتخذ صفة قانونية إجبارية، بل فقط صفة حبية، "على وجه الخير"(22)، مراعاة لمبدأ التدرج على الوادي، الذي يعطي الأولوية، للأعلين على الأدنيين، فكان تدخل السلطة المركزية بصفة حميدة، على أساس تحويل الاختيار إلى الإلزام، ما دامت القبيلتان تشتركان في أمور متعددة. ولكن تدخل السلطة المركزية، لم يلق الاستجابة لدى دويران، الذين امتنعوا عن

---

17) يسمى وادي سكساوة واد القهرة عندما يدخل السهل عند دويران نسبة إلى قلعة القاهرة التي أقامها المرينيون عند مدخل الوادي.

18) Berque (J) op. cit. p 106.
19) Berque (J) op. cit. p 107.

20) 8 شوال 1282/24 فبراير 1866، ك. 47.

21) ن. م - ن. ت

22) ن. م - ن. ت

تفويت المياه لأولاد أبي السباع، وانضم لهم سكساوة في هذا الرفض، ولذلك فبعد خمسة أشهر من شكاية أولاد أبي السباع، فان قائدهم، "إبراهيم بن بلعيد السباعي، أخبر أن سكساوة ودويران امتنعوا عن تمكينهم، مما كنت نفذته لهم من ماء وادي القهرة، على وجه الخير"(23). كان هذا تدخلا من السلطان الذي أقر ما كان المولى الحسن قد أمر به، من تفويت قسط من مياه وادي القهْرَة، لأولاد أبي السباع بالصفة الحميدة، إلا أن المعنيين دويران، الذين انضم لهم سكساوة، امتنعوا عن تنفيذ قرار المولى الحسن، فأمره السلطان بـ "بيان موجب امتناعهم من ذلك"(24) ولم توضح الأسباب التي حملتهم على الامتناع، هل ترجع إلى ظروف مناخية شديدة الجفاف، لم يتمكن معها سكساوة ولا دويران من وجود مياه كافية، يمكن لها اجتياز مسافات طويلة، أو أن الأمر يرجع إلى احتدام النزاع بين القبائل الثلاثة، مما حال دون تفاهم بينها، وجعل النزاع يطول حتى أصدر السلطان ظهيرا سنة 1285 /1868 كما أورد يبرك، مفاده "أن المستغلين لوادي القهْرَة وأولاد أبي السباع في حالة نزاع"(25)، وبدون شك فان كل التدخلات الحميدة قد استنفدت، ولذلك كان قرار السلطان في القضية، "آمر أن الخمس يفوت لأولاد أبي السباع، والباقي للأولين"(26) أي دويران وسكساوة.

وبذلك يكون تدخل السلطة المركزية، في النزاع الذي كان بين القبائل الثلاثة أولاد أبي السباع المتضررين، وكل من دويران وسكساوة، حول توزيع مياه وادي القهرة متدرجا، حافظ في البداية، على أن يكون تفويت قسط من المياه لأولاد أبي السباع إلزاما عرفيا، ولما استعصى ذلك، جعله تفويتا قانونيا، لكن المقدار المأمور به، لا يتجاوز الخمس، الذى هو حق شرعي للسلطان يتصرف فيه.

لقد تجاوز تدخل السلطة المركزية هذه الطريقة، المطبقة في شأن توزيع مياه وادي القهرة، لما تصدت للنزاع على المياه بين القبائل المتواجدة على أسيف المال،

23) 22 ربيع الأول 5/1283 غشت 1866. ن.م.

24) ن. ت. ن.م.

25) Berque (J) op. cit. p. 106 .
26) Berque (J) op. cit. p. 106.

بـين كل من أهل أسيف المال، الذين ينتمون إلى قبيلة گدميوة، والقبائل التي تستفيد مـن مياه الوادي، كمزوضة ومجاط وفروگة، بواسطة مجموعة من السواقي، تستمد مياهها مـن الوادي، ويطالها من التعقيد، ما جعل السلطة المركزية، تتدخل للبث في النزاع على استغلال المياه.

تقدم قائد قبيلة مجاط بشكوى؛ في 4 شعبان 1285/20 نونبر 1868 "ما طلبه عثمـان المجاطي، من عدم إجابة فروگة، لماراموامن أخذ ما بيد إخوانه من ثلث الماء، الـذي نـابهم مـن الماء المقسـوم، بينهم وبين أهل أسيف المال، ومزوضة، أثلاثا بينهم، لتضررهم"(27)، يفيد هذا أن النزاع كان بين مجاط وفروگة، ذلك أن الأخيرين، يحاولون عرقلة استفادة الأولين، مجاط، من القسمة التي نابتهم في توزيع المياه، ويظهر أن فروگة لم يرضهم الحل، الذي كان المولى الحسن، قد اتخذه في مسألة توزيع مياه أسف المال، بين أهل أسيف المال وفروگة ومجاط ومزوضة، فحاولوا عرقلة ذلك الحل، مما كان سببا لشكاية قائد مجاط.

لقد سبق للمولى الحسن، أن قام بحل النزاع، حول توزبع مياه أسفْ المال، بين القبائل الأربعة المذكورة، فوجه لجنة إلى عين المكان، مكونة من عدلَين يمثلان السلطة القاضائية، وقائدا يمثل السلطة المركزية، و "أرباب المعرفة"(28)، يمثلون أصحاب الخبرة المعترف بها لدى الرأي العام، و"بعض أعيان كل فريق من القبائل المذكورين"(29)، أي المتنازعة على توزيع المياه. لقد مثلت هذه اللجنة كل الأطراف، السلطات القضائية والتنفيذية، والخبرة العمومية المعمول بها والمقبولة، والأطراف المتنازعة، ووجهت تلك اللجنة إلى عين المكان "حتى وقفوا على محل مجرى الماء المذكور، وطافوا به طوافا شافيا، بمحضر الأعيان المشار لهم"(30). وبناءا على ما توصلت إليه هذه اللجنة، قرر المولى الحسن تقسيم الماء بين القبائل المتنازعة

---

27) 4 شعبان 1285/20 نوفمبر 1868، كـ. 47.

28) 22 جمادى الثانية 1285/10 أكتوبر 1868، كناش 664.

29) ن. ت. ن.م.

30) ن. ت. ن.م.

عليه، أهل أسِفْ المال، وفروگة ومجاط ومزوضة، فتم "إقرار أهل أسِفْ المال على ثلثهم المعين لهم قبل، من الماء المذكور، على حاله من غير إدخال نقص عليهم فيه"(31)، ثم "قسمت الثلثين الباقين بين مجاط وفروگة ومزوضة اثلاثا سوية بينهم"(32)، وعلق السلطان على هذا الإجراء "فقد أمضينا ما فعلت من ذلك"(33). وكان المولى الحسن، قد كتب ظهائر تأمر بتطبيق ما أقره، "فعلى الواقف عليه من عمال سيدنا، وولاة أمره الشريف المعتز بالله، أن يعمل بمقتضاه، واقفا عند حده ومقتضاه"(34). وبذلك لا يجوز لأحد إحداث تغيير في هذا الإجراء، سواء الأطراف المعنية، أو المتولين للسلطة التنفيذية.

إن هذا التصرف الذي سلكته السلطة المركزية، في توزيع مياه أسيف المال، مخالف للسلوك الذي اتبعته في توزيع مياه وادي القهرة، فقد أبقت على امتياز لأهل أسيف المال، باعتبارهم الاعليين على الوادي عن القبائل الثلاثة الأخرى، مراعاة لمبدإ التدرج على الوادي، لكن الامتياز إنما منح لهم فقط الثلث من الماء، في حين قسمت الثلثين الباقين من الماء بين القبائل الثلاثة، فروگة، ومجاط، ومزوضة، سويا، ثلثا لكل قبيلة، وهذا ما حاول فروگة عرقلته، ولعل السبب في هذا التوزيع راجع لتساوي موقع القبائل الثلاثة، فكلها تقع مباشرة على السهل، عند مخرج الوادي في شكل مخروطي، فلا امتياز لقبيلة على أخرى، وفقا لمبدإ التدرج على الوادي، فعوملت على هذا الأساس في توزيع المياه.

يظهر أن مشكلة توزيع المياه بالدير، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، تتخذ أشكالا مختلفة، كما يتوضح من النموذجين على الوادين، وادي القهْرَة، ووادي أسيف المال، فقد كانت الاجراءات متنوعة، حسب ظروف كل وادي، وحسب موقع التجمعات السكانية، التي تستفيد من مياه ذلك الوادي، فراعى

31) ن. ت. ن.م.

32) 4 شعبان 20/1285 نونبر 1868، كـ. 47.

33) ن. ت. ن.م.

34) متم شعبان الأبرك عام 16/1285 دجنبر 1868. كناش 664 .

التوزيع، الالتزام بالأعراف على وادي القهْرَة، مراعاة لمبدإ تدرج السكان على الوادي، في حين اتخذ أسلوب الإلزام السلطوي، على وادي أسِفْ المال حيث، يتعذر وضوح ذلك المبدأ.

وهكذا تظهر نماذج النزاعات، على المياه والأرض، نوعا من المشاكل الاقتصادية، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، تلك النزاعات التي يستعصي فيها الحل المحلي، فتدخل السلطة المركزية، للحفاظ على التوازن، بين القبائل في استغلال المجال الاقتصادي. وقد يطال ذلك التدخل بكيفية أوسع بعض مجالات الإنتاج.

2 ـ نموذج الإنتاج المتجاوز طاقات الإنتاج الشتات : تجديد صناعة السكر :

ففيما يتعلق بمجال الإنتاج المتجاوز لطاقة أطراف الإنتاج الشتات. كان تدخل السلطة المركزية، بتعاون مع السلطات المحلية، في الستينات من القرن التاسع عشر، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، في إطار تجديد صناعة السكر(35)، القائمة على قصب السكر، وكانت محاولة زراعة قصب السكر، في كل من شيشاوة وحاحة. وقد سبق للمنطقتين أن عرفتا صناعة السكر في العهد السعدي(36).

أما بالنسبة لتجربة شيشاوة، وردت بعض المعلومات عن جانب مشاكلها، وخاصة المتعلقة باليد العاملة المشغلة،فقد حدث نزاع "في شأن أجرة الفلاحى، وابن

35) محمد المنوني : مظاهر يقظة المغرب الحديث الجزء الأول: الطبعة الثانية 1985بيروت ص.ص. 105 - 106

36) محمد المختار السوسي: إيليغ قديما وحديثا: ط 1966ص: 211

Berthier Paul : Un épisode de l'histoire de la Canne à sucre: les anciennes sucreries du Maroc. et leurs résaux hydroliques. Rabat 1966, p. 95. T I.
- Note sur la découverte et l'identification d'importants vistiges anciens d'hydrolique le cercle de Mogador B.E.P.M. N208 PP. 6-10

مقالة أيضا عن قصب السكر وصناعته في المغرب البحث العلمي 1964 ص 33-38

Amine et les autres Histoire du Maroc.P. 187

عمه اللذين كانا يخدمان قصب سكر شيشاوة، وتعيين من يتحاسب معهما على ذلك الأمر، بدفع ما يظهر باقيا لهما"(37). يتبين من هذا ضآلة عدد المشغلين، في تجربة زراعة قصب السكر بشيشاوة.

وأما تجربة حاحة، فيظهر أن محاولة زراعة قصب السكر، كانت بمنطقة وادي القصب"(38). وأظهرت تلك التجربة العراقل التي كانت، تواجه تجديد زراعة قصب السكر، سواء على مستوى التشغيل أو التصنيع.

فبالنسبة للتشغيل، تبين أن مستواه كان محدودا، في الخبرة وفي عدد المشغلين، فانعكس على الإنتاج، مما أدى بعامل حاحة، عبد الله أبهي، أن يبلغ السلطة المركزية أن "بحيرة قصب السكر بحاحا [...] تبين أن الفساد، الذي وقع فيه من عدم مقابلة الفلاحى"(39). وأضاف العامل لما استفسره المولى الحسن عن ذلك الفلاح، المكلف بزراعة قصب السكر، "أنه لم يره مدة تزيد على العام ونصف، حتى سمع به بالصويرة"(40)، متهما إياه بأنه "رجل لا يصلح لصالحة"(41) وبذلك حاول العامل توريط الفلاح فيما لحق الإنتاج من ضياع. في حين أن ذلك الفلاح، حاول توريط العامل متهما إياه، بإهمال الإنتاج حتى حل به ما أفسده، فأبلغ السلطة المركزية، بأن "فساد 13 بحيرة من قصب السكر، بسبب أن أهل حاحة، أهملوا حصادها في وقته، حتى يبس قصبها ولم ينتفع به، وتكلم مع العامل، غير ما مرة فلم يعبأ بذلك"(42).

---

37) 2 ربيع الثاني 1281/4 شتنبر 1864، ك. 47.

38) لقد حاولت التعرف في عين المكان على المنطقة التي كان بها تجديد زراعة قصب السكر، لكن أحدا لم يدلني على شيء سوى الآثار البارزة لمعمل تصفية السكر على مقربة من سوق أربعاء إداوكَرْضْ الذي يرجع إلى العهد السعدي. وقد كشف بول برتي على بعض آثار شبكة الري بالمنطقة:
أنظر نفس المراجع السالفة لبول برثي.

39) رسالة السلطان المولى محمد إلى المولى الحسن بتاريخ 10 شعبان 1283/19 دجنبر 1866، خ. ح. ر.

40) ن. الرسالة

41) ن. الرسالة

42) 12 ربيع الثاني 1283/24 شت 1866، ك. 47.

يتبين من تبادل التهم بين عامل حاحة، والفلاح المكلف بقصب السكر بحاحة، أن مستوى الخبرة كان ضعيفا، في كل أطوار الإنتاج، فلم تكن العناية كافية لتجنب الخسارة، سواء من طرف الفلاح المكلف أو العامل نفسه.

لقد حاولت السلطة المركزية، رفع مستوى التشغيل، بأن أبلغ السلطان الخليفة المولى الحسن، ان "أكتب له [عامل حاحة] بأن إخوانه اليوم، عرفوا مباشرة القصب المذكور، حتى ربما لا يحتاجون فيه إلى أحد، فليأمرهم بان يكونوا، هم المباشرون فيما يحتاجونه، ولا عليهم في الفلاح، قدم أو لم يقدم"(43). ولم تقتصر السلطة المركزية، على هذا الإجراء لرفع مستوى التشغيل، وإنما تم توجيه فلاح له خبرة إلى حاحة، وصدر الأمر لعبد الله أبهي بالعناية به، على "أن يستخدم معه رجلا أو أكثر من إخوانه من أهل الفطنة والاعتناء، بقصد التبصر في تلك الخدمة، فإن نزل بهذا الفلاح عذر يمنعه من الخدمة أو تأخر عنها، يكون ذلك الذي معه، قد عرف كيفيتها فيباشرها، ويغني عن غيره"(44).

يظهر من هذه الإجراءات، أن مسألة وجود خبرة واسعة، بزراعة قصب السكر، كانت محدودة، فحاولت السلطة المركزية تنميتها، إلا أن الطرق المتخذة، كانت بطيئة، ومقتصرة على خبرات فردية، مما ينعكس على الإنتاج.

وأما تحويل الإنتاج سكرا فلم يكن محليا، مما يضيف صعوبات أخرى، إذ كان ينقل إلى مراكش، فقام عبد الله أبهي 2 ذي القعدة 1283/13 مارس 1867 بتوجيه "ستة وثمانين حملا من قصب السكر"(45). ويبدو أن العملية تتطلب توفير قافلة تنتقل بين حاحة ومراكش، مما يضر بالإنتاج لأنه يحمل مسافة بعيدة، ولذلك بمجرد وصوله إلى مراكش، "شرع في عصره وطبخه عسلا لكون المعلم النجليزي، أخبر أنه إن لم يعصر، ويصنع عسلا يحدث في طعمه المرارة، ولا يصلح للعسلية

43) رسالة السلطان المولى محمد إلى المولى الحسن بتاريخ 10 شعبان 1283/19 دجنبر 1866 . خ. ح. ر.

44) رسالة السلطان المولى محمد إلى المولى الحسن بتاريخ 9 رمضان 1283/15 يناير 1867. خ. ح. ر.

45) 7 ذي القعدة 1283/13 مارس 1867، ك. 47.

وللسكرية، وإن عصر وصنع عسلا، كان أصلح، وأمكن اتخاذه سكرا متى أريد"(46) وبعد عصره تم توجيه عينة منه للسلطان "والمثال الذي وجهت حسن غاية"(47).

يتبين أن الإجراءات المتخذة، في تجديد صناعة السكر، كانت بطيئة، وذلك أن مراحل الإنتاج، كانت متوقفة على الأوامر السلطانية، سواء تعلق الأمر بزراعة القصب، كما توضح من مثالي شيشاوة وحاحة، أو تعلق بالتحويل الصناعي بمراكش، في حين، كانت الخبرة والتشغيل مبعثرة ومحدودة، متوقفة على أفراد، وليس على العمل الجماعي، كما كان الأمر في الميادين الزراعية الأخرى. ويدل هذا أيضا على جانب من أسباب بطء فاعلية الإصلاحات(48).

3ـ نموذج المجال المشترك الفائدة : التجارة

تعتبر التجارة، عنصرا حيويا في العلاقات البشرية، لما توفره من أسس التبادل المحلي أو البعيد المدى، مما يؤدي إلى تداخل أطراف متعددة، تدعو لوجود سلطة تنظيمية بينها، وذلك ما كان يحدث ضمن خصوصيات الإنتاج الشتات، وكنموذج ؛ ما كانت تعرفه التجارة بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، في الستينات من القرن التاسع عشر، سواء في نقل التجارة، أو ضمان رأس مال لها.

---

46) ن. ت : ن.م.
أما الأنجليزي الذي أشار بعصر السكر، فيظهر أنه هو الذي كان مكلفا بإدارة معمل السكر كما أشار إلى ذلك محمد المنوني، وقد وردت معلومات متفرقة عن بعض الخبراء الأنجليز شغلوا في معامل السكر وذلك في كناش 47
محمد المنوني : م. ن. ص 106.

47) 7 ذي القعدة 13/1283 مارس 1867، ك.47.

48) مناقشة مسألة الإصلاح : راجع الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب - الرباط، رقم 7، 1983.

3 - 1 - المرور التجاري :

يعتبر مرور التجارة عنصرا مهما، في دراسة الجوانب الاقتصادية، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، لأن التجارة تزود المدينة الرئيسية بها، الصويرة، والتي قامت أساسا على الدور التجاري، فهي منتهى القوافل الآتية من الجنوب، كما أنها منطلق توزيع المستورد من التجارة الخارجية، والذي يمتد إلى جنوب الصحراء، حتى تامبوكتو (49)، ولذلك كان من الطبيعي، أن تولي السلطات المركزية والمحلية، أولوية قصوى، لسلامة العبور التجاري ذهابا وإيابا. ذلك، أكسب المنطقة الواقعة جنوب المدينة الأهمية، لضمان علاقاتها بالمناطق البعيدة، سوس وغرب إفريقيا، والمناطق القريبة، بالأطلس والدير حتى مراكش، فكانت الطرق إلى هذه المناطق، تخترق منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، التي يغلب عليها الطابع الهضبي الجبلي، مع وديان عميقة، فشكل عوامل تسهيل زعزة أمن الطرق بها.

ودون مناقشة وضعية الطرق من الناحية التقنية، وما إذا كانت قد عرفت تغييرا كبيرا، عما كانت عليه طيلة العصور، فما يظهر، أنها استمرت على وضعيتها، من حيث المناطق التي تمر منها، عبر أراضي القبائل، لأنه لم يحدث تغيير في وسائل النقل، التي كانت ماتزال تعتمد على الطاقة الحيوانية، من استعمال الجمال والبغال والحمير. وفي المناقشة التي أجراها العروي، حول المواصلات (50) بالمغرب عموما، ذكر كثيرا بالمآخذ التي كان الأروبيون يبرزونها، عن عتاقة الوسائل المستعملة، والتي تذكرهم بماض بعيد، يعود إلى ما قبل التاريخ، وذلك لكون المغاربة، لم يستمروا في استعمال العربات، التي كانوا قد عرفوها، منذ منتصف الألف الثانية قبل الميلاد، وكذلك في العصر الروماني، لتختفي بعد ذلك، وإن كان تبرير هذا الاختفاء يعود إلى الفتح الإسلامي، الذي جلب معه استعمال الجمل(51).

---

49) Schroeter Daniel: Merchants of Essaowira p. 93.

يراجع أيضا مييج. أهمية التجارة للصويرة

Miège : Le Maroc et l'Europe. T 3 pp. 63 - 69.

50) Laroui (Abdellah). Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830-1912) pp. 41 - 43.

51) وكذلك هامش 51من نفس الصفحة Laroui. Ibid p. 41

يظهـر أن استعمال الجمـل في وسائل النقل بشمال إفريقيا، كانت له مبررات أكثر عمقـا، مما ذكـره الملاحظـون الأروبيـون، ذلـك أن شـمال إفريقيـا، هو امتداد طبيعـي لجنـوب الصحـراء، كمـا يشـكل معـه تكـاملا اقتصاديا. فاجتياز الفيافي بين الطرفين، يقتضـي استعمال وسائل أكثر ملائمة، والتي كان الجمل أهمها. لما له من قـدرات متنوعة، من تحمل العطش، والتنقل في الصحراء، بحكم تكوين خفه، الذي يسـاعده علـى السـير فـي الرمـال، إضافة إلى قدرته على أحمال ثقيلة(52). ولذلـك فـالجمل هـو الدابـة الملائمـة لوضعية مناخية جافة وحارة، وأيضا لطوبغرافية متحركة كالرمـال، والتـي يصعـب معهـا وجود طرق ثابتة، تصلح لجر العربات. فلذلك كان مـن الطبيعي أن يستمر استغلال الجمل، في المناطق الشمالية للصحراء أيضا، ولو في منـاخ وطوبغرافيـة ملائمين لغيره، مادامت له قدرات تجعله أكثر مردودية. فالعناية في أوربـا بالعربـات، والتمسـك بهـا عـبر التـاريخ، ما قبل الطاقة الحرارية(53)، لـه أيضـا مبرراتـه مخالفة لوضعية شمال إفريقيا، من أمطار مستمرة عبر السنة، ومن مناخ أكثر بـرودة، لذلـك كـانت العربـة أكثر أمنا على البضاعة والمسافرين. عكس مناخ شمال إفريقيـا، الـذي لا يعـرف هذه الوضعية، سوى في فترات محدودة من السنة، لاتزيد عـن أيـام متقطعـة، سـرعان مـا تعود بعدها الشمس ساطعة. لذلك لـم يكـن المتنقلون تجـارا أو مسـافرين، يفكـرون علـى مـا يبـدو بالتمسـك بالعربـة، مـادامت الظـروف

52) لطفـي عبـد الواحـد: العـرب فـي العصـور القديمـة مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام. ط. دار النهضة العربية بيروت: 1978. ص. ص 112)113

تحـدث البـاحث عـن أهمية الجمل في تاريخ العرب مبررا خصائصه منها، الاعتماد عليه في التنقل لكونه يتحمل العطـش لأكـثر مـن عشرين يوما، في جو حار، كما يحمل من الأثقال حمولة تصل إلى أربعة أطنان، إضافة إلى سهولة سيره على الرمال بحكم خفه.

وبجـانب هـذه الخصـائص، ذكـر أن لحمـه ولبن نوقه يستعملان في التغذية، كما يستعمل وبره وجلده لأغراض أخرى، حتى إنه عبر عن أهمية بكونه "رمز الحياة التي لا يستطيع العرب أن يتصوروها بدونه". ص 113.

53) مـن المعلـوم أن الطاقـة الحراريـة والاعتمـاد عليهـا في مجال التنقل، بدأت مع اختراع الاعتماد على البخار، الـذي نتـج عنـه فـي القـرن التاسع عشر، بداية استعمال محركات طاقوية حرارية، استعملت في التنقل باختراع القـاطرة ثـم الباخرة البخارية، ثم العربة البخارية، هذه الطاقة التي كان الفحم مولدها في البداية، ليخلفه البترول منذ نهاية القرن التاسع عشر.

الطوبغرافيـة والمناخيـة، أكثر ملاءمة لوسائل أخرى أقل كلفة كالجمل، كما أن العربة نفسها، لم تصبح فاعلة في التنقل، إلا بعد إدخال تحسينات واسعة على الطرق.

لقد كانت الطرق، ما تزال عتيقة بأوربا، حتى أدخلت عليها إصلاحات، في القرن الثامن عشر، فبدأ إنشاء طرق مستوية، تساعد على سرعة العربة، وعلى تطوير أشكالها، وصدرت مجموعة من القوانين، لتقنين أعمال شق الطرق، ففي بريطانيا، صدر قانون 1773، الذي فرض العمل ستة أيام إلزامية، على كل فرد يسكن الجماعة، التي تمر منها الطريق. وهو عمل لم يكن يقوم به إلا الفقراء(54). وفي فرنسا صدر قانون مماثل سنة 1836، الذي يجعل العناية بالطرق، من اختصاصات الولايات والجماعات (55). وأما المغرب، فقد كان إصلاح الطرق، من أعمال الجماعات، والذي أورد له العروي أمثلة من خلال ما ذكره الأجانب أنفسهم (56)، وكانت منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، لا تخرج عن هذا العمل الجماعي، ففي ذي الحجة 1286/مارس 1870 أخبر عامل أگدير، السلطة المركزية، أن "أهل حاحا وجهوا شرذمة من كل قبيلة من قبائلهم، لناحية أگدير، للملاقات بأهل سوس، في شأن الطريق"(57)، وكان من المشاركين، "نحو المائتين من ءال اورير"(58) ويذكر القائد أنه بعد لقاء الجميع، "ذهبوا لحالهم"(59)، لكنه لم يتحدث سواء عن عدد كل المشاركين، ولا عن المشاكل التي تطرقوا إليها. وإنما اكتفى بالإبلاغ عن الحدث، لكونه جمع بين تجمعين سكانيين ضخمين، حاحة وأهل سوس بأگدير،

54) C. Amtoisi et M. Tacel. Histoire économique des grandes puissances à l'époque contemporaine 1850 - 1958 Delagrave Paris 1963 p.37
55) C. Amtoisi et M Tacel. I bid p. 42.
56) Laroui : I bid p. 42.

57) 14 ذي الحجة 17/1286 مارس 1870، ك. 47.

58) ن. م: **آل أورير**: يوجدون غرب أگدير، ويذكر المختار السوسي أن أهل أورير كان لهم حصن على هضبة يأوون إليه في الحروب لكن لم تبق منه إلا الآثار (خلال جزولة ج 4ص 90). ولأورير الذي يعني بالأمازيغية ربوة أو كمة/ مكانة استراتيجية، فهو يقع على مدخل وادي تامْراغت، كما يشرف على البحر فذكر المختار السوسي أن أهل أورير يتقوتون مما في البحر (ن. م. ص 90) كما يقعون بين حاحة وأهل أگدير.

59) ن. م.

النقطة الفاصلة بين ذلك التجمعين،والحاصل من كل هذا، أنه يعتبر أحد نماذج المشاورات، التي كانت تجري بين السكان، حول مشاكل الطرق.

ولقد كان أمن الطرق، من مشاغل السلطات المحلية والمركزية، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، حرصا على سلامة المرور، تجارا ومسافرين، ويصل ذلك الحرص، حتى تنظيم مراحل السفر، وأماكن الإقامة، ذلك أنه في جمادى الأولى 1282 /سبتمبر 1865، أبلغ عامل مراكش الأجراوي، السلطة المركزية، "أن القوافل ينحرفون عن النزائل، ويبيتون في الخلاء"(60)، مما يبين أن هناك خرقا، لوضعية كانت تلتزم بها القوافل، في المبيت في النزائل، وأن تجنبها لتلك النزائل، تكون له عواقب أمنية، وكذلك اقتصادية، بالإفلات عن أداء الرسوم، التي كانت تؤدي عند كل نزالة، فكان قرار السلطة المركزية، "أن يؤمر بالنداء أن لا يسافر بليل"(61). فتضبط بذلك إجراءات السفر، تجنبا لكل ما يمكن أن ينجم عن المجازفة، بالسفر الليلي، وذلك حماية لأمن الطرق.

وقد يحدث اضطراب أمن الطرق، أحيانا، عند تنازع القوى المحلية، وذلك ماحدث بحاحة، في أوائل تولية العامل الجديد محمد بن عبد الله أُبهي (62)، سنة 1285 /1869، حينما ناهضته القبيلة، وللضغط على السلطات، انعدم الأَمن في الطرق، مما

---

60) 5 جمادى الأولى 1282 /26 شتنبر 1863، ن.م.

النزالة : مصطلح مشتق من لفظة نزل، وهي المحطة الطرقية التي تسهر على أمن الطرق، وتوجد تقريبا على رأس كل مرحلة، أي ما يقرب 20كلم، فتقدم المأوى للمسافرين كما تمكنهم من شراء الحاجيات، ويؤدى مقابل للقائمين بالنزالة. وقد ازدادت أهميتها في القرن التاسع عشر، خاصة في النصف الأخير منه، نتيجة تزايد الحركة التجارية، وأخذت أمور النزالة تتعقد، لما أخذ الأوربيون يتدخلون في شؤونها، عن طريق وكلائهم، الذين كانوا يحاولون التملص من الأداءات. راجع (الخديمي علال : من التاريخ الاجتماعي للمغرب مؤسسة النزايل والمواصلات الداخلية والتدخل الأجنبي خلال القرن التاسع عشر : أعمال ندوة التجارة في علاقاتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب : الجزء الأول، منشورات كلية الآداب، عين الشق) البيضاء 1992، ص 193 - 210.

61) ن. م.

62) راجع عن محمد ين عبد الله أبهي، معلمة المغرب، ج 1، ص 104. مطابع سلا 1989.

أدى بعامل الصويرة، أن يبلغ السلطة المركزية، في ذي القعدة 1285/ فبراير 1869 عن "انتشار فساد حاحا عن عاملهم، ومد الأيدي في الطرقات، ونهب الصادر والوارد، حتى تضرر التجار بذلك"(63)، ذلك أن الصويرة، هي المستفيدة من استقرار الطريق، الضامن لاستمرار العمليات التجارية، ولذلك ما أن وقع الاضطراب، وتضررت التجارة، حتى قام العامل بضغط من التجار، بإبلاغ السلطة المركزية. كما يؤكد ذلك أيضا، كون بعضهم أبلغ الإدارة المركزية بذلك، حينما أبلغ التاجر قرقوز، الوزير بوعشرين، في أوائل سنة 1286بنهب القوافل بين أگدير والصويرة(64).

يظهر أن استمرار معاناة الصويرة، من نقص تدفق التجارة، وتجديد الشكايات بذلك، جعل السلطان يصدر الأمر للخليفة المولى الحسن، في 30 ربيع الثاني 1286/18 غشت 1869 "بالكلام مع عامل حاحة، فيما يحل بالطريق المارة بها، من أگدير للصويرة، من القطع والفساد، وحسم مادة ذلك، والتأكيد عليه، لما بلغ للحضرة الشريفة، من نهب القوافل والمارة، حتى كادت التجارة تبطل، والسلع محصورة بسوس"(65). ويؤكد هذا انشغال السلطة المركزية، بما كان يحدث بطريق الصويرة، والذي يمس قطاعا رئيسا لحيوية الصويرة، ولذلك فان هذه الوضعية، التي تجندت السلطة لها لم تستمر طويلا، إذ لم يمر سوى حوالي شهر ونصف، حتى أبلغ عامل حاحة، السلطة المركزية، في 20 جمادى الثانية 1286 7سبتمبر 1869 "بعمارة طريق حاحة التي بين أگادير والصويرة، ولم يبق فيها خوف"(66) مؤكدا بذلك عودة الحياة الطبيعية، للطريق الرابط بين الصويرة وأگدير، وتوفير الأمن للمارة وللتجارة.

وهكذا تسهم قوى متعددة، تحت إشراف السلطة المركزية، في الاهتمام بمسألة الطرق، وتوفير أمنها، كما تؤكد ذلك نماذج من الوقائع، التي شهدتها منطقة

---

63) 10 ذي القعدة 1285/22 فبراير 1869، ك. 47.

64) Schroeter (D.) Ibid p. 182.

رسالة مؤرخة 29 ربيع الثاني 1286/7 غشت 1869

65) 30 ربيع الثاني 1286/18 غشت 1869، ك. 47.

66) 20 جمادى الثانية 1286/27 شتنبر 1869، ن.م.

طرفي الاطلس الكبير الغربي، في الستينات من القرن التاسع عشر. وذلك لضمان السير المشترك، بين أطراف الإنتاج الشتات.

3 - 2 - *ضمان التجارة*

إن استمرار ضمان التجارة، من العوامل الرئيسية، في تأمين السير الاقتصادي، المشترك الفائدة لأطراف الإنتاج الشتات، ولا يكون ذلك، إلا بتدخل سلطوي لحماية الاستمرار التجاري، وتوفير الرأسمال، والحرص على استيفاء الديون.

لقد جعلت كل هذه الخصائص الدولة، تعنى بضمان التجارة، خاصة في القرن التاسع عشر، حتى إن العروي، يرى أن دعم التجارة مافتئ يتزايد، منذ إعادة تنظيم التجارة، في عهد السلطان المولى محمد بن عبد الله، إلى غاية فرض الحماية(67). هذا الدعم، الذي تنوعت أساليبه، من تقديم القروض، وتسهيلات جمركية، بل وصل حتى تشكيل فئة من التجار، عرفوا "بتجار السلطان"(68).

لقد كان دعم التجارة، يستهدف تحكم الدولة في المداخيل، قصد توفير الأموال الضرورية لنفقاتها، ذلك الدعم الذي لم يكن في الواقع، مقتصرا على المغرب في القرن التاسع عشر. فقد نهجت الإمبراطورية العثمانية نفس السلوك، مع اختلاف في الأسباب (69). لكن هذه السياسة، التي كانت الدولتان المغربية والعثمانية، تحاولان بواسطتها تأمين دخول ثابتة، سرعان ما لقيت المعارضة من طرف الدول الأجنبية، التي حطمتها بواسطة قيود، فتحت الأبواب لمزيد من الحرية التجارية المفيدة لأوربا، فكانت بالنسبة للإمبراطورية العثمانية بواسطة معاهدة

67) Laroui (A) : op. cit, p. 104.
Miège : op. cit, pp. 230.
68) Laroui (A) : op. cit, p. 104 -108
Schroeter (D.) I bid. pp. 21 - 60
69) Ilkay Sunar : Anthropologie politique et économique: l'Empire Ottoman et sa transformation in Annales Eco. Soc. Civ. 35ème année n3-4 p.568 Mai Aout 1980. pp. 55 575.

تحاول الدولة العثمانية تقليص نفوذ الملاكين الكبار بممارسة سياسة تأييد التجار بالإضافة إلى تأمين دخول ثابتة للدولة.

1838(70)، وبالنسبة للمغرب بواسطة معاهدة 1856(71). تلك المعاهدتان اللتان كانت انجلترا رائدتهما.

هذا، ورغم العراقل الأوربية للتجارة المغربية، فإن التجار كانوا يستفيدون من تطورها. خاصة أن أهدافهم كانت دوما لا تتجاوز الأرباح الآنية، بغض النظر عن الظروف التي كانت تتم فيها، ولا الاهتمام بالمتحملين لأدائها. ففي نفس الوقت الذي كان فيه المغرب، يعاني بعد حرب تطوان(72) من خنق مداخيل الدولة، وإرهاق السكان، "بفرض إعانة لا ضرر فيها على الرعية"(73)، فإن التجار في أواخر الستينات من نفس القرن، وخاصة ذوي اليسار منهم، كانوا يعيشون في بحبوحة كما أكد ذلك صاحب الاستقصا المعاصر، فاتخذوا "المراكب الفارهة والكسى الرفيعة والذخائر النفيسة"(74)، هذه الاستفادة التي استمر التجار يغرفون منها، انعكست أيضا آثارها على منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي.

لقد كانت الصويرة المركز المحرك للتجارة الجنوبية، والتي بلغت أوجها، في الستينات من القرن التاسع عشر(75)، ذلك أن الدور التجارية تضاعفت على مدى نصف قرن، بأكثر من ست مرات، إذ كانت 8دور سنة 1805(76)، فأصبحت حوالي 52دارا سنة 1866(77)، وانعكس هذا النمو على نصيب الصويرة، من

70) Sunar (I.) Ibid. p. 569.

71) تعتبر معاهدة 1856مع القوى الأوربية، من المعاهدات الرئيسية في تاريخ المغرب المعاصر، لما نجم عنها من عواقب على مستويات متعددة، والتي يمكن إجمالها في بداية الحد من السيادة المغربية، ولذلك عني بها الباحثون:

Miège : op. cit. T 2. pp. 261-347
Laroui : op. cit. pp 250- 251

72) الناصري. أحمد. ن. م. ج 9: ص ص 84) 102
ولقد لخص موقفه من تلك الحرب وخاصة أنه المعاصر لها بقوله "ووقعة تطاوين هذه هي التي أزالت حجاب الهيبة عن بلاد المغرب" ص 107.

73) الناصري) ن. م. ج 9. ص 102

74) الناصري) ن. م. ج 9. ص 112

75) Schroeter. (D.) op. cit. p. 28
76) Schroeter. (D.) op. cit. p. 24
77) Schroeter. (D.) op. cit. p. 26

المبادلات التجارية الخارجية للمغرب، فبلغ ما بين 1859 و 1866 معدلا يتراوح ما بين 21٪ و 33٪ من حجم التبادل التجاري للمغرب(78)، وبفائض في الميزان التجاري لصالح المغرب، بحوالي 11٪، ما بين 1859و 1866(79)، كما كانت الصويرة المزود التجاري، لمناطق شاسعة تمتد حتى بني ملال شمالا، وعموم الأطلس شرقا(80)، وحتى تامبوكتو جنوبا، عبر سوس والواحات الصحراوية، من أكلميم وأقا وتندوف(81).

كان من الطبيعي وفق هذا التطور، أن تعنى الدولة بالتجار في مدينة الصويرة، فحظوا بامتيازات واسعة، من منح قروض وتسهيلات في أداء الرسوم الجمركية، والسكن، والمحلات التجارية(82). وكان التجار يقابلون هذه العناية بالولاء، الذي يعبرون عنه، بالتوافد سنويا على السلطان، لتقديم ولائهم، وكذلك بتقديم الهدايا في المناسبات(83). وأما الدولة، فكانت تأخذ بعين الاعتبار المحافظة على شؤونهم، بالحفاظ على استقرار معاملاتهم داخل المدينة، أو تجاه المناطق التي يتعاملون معها.

لقد كانت المشكلة الاقتصادية الكبرى، في الستينات من القرن التاسع عشر، تتمثل في صعوبة الملاءمة بين الكتلة النقدية الوطنية، والأسعار التي ما فتئت ترتفع، مما كان يؤثر على جوانب مختلفة من الحياة الاقتصادية، التي كانت التجارة مرآتها.

كانت مشكلة الكتلة النقدية الوطنية، تتزايد طيلة القرن التاسع عشر تعقيدا، حينما عجزت عن احتواء الضروريات المحلية، التي أخذت تتكاثر مع الارتباط بالتجارة الخارجية. فانعكس ذلك على العملة الوطنية، التي أخذت في الانخفاض مع ارتفاع الأسعار، وربط الناصري ذلك التطور، بـ "كثرة المخالطة [مع التجار

---

78) Miège : op. cit. T3. p. 64
79) Miège : op. cit. T3. p. 64
80) Miège : op. cit. T3. p. 65
81) Miège : op. cit. T3. p. 79
82) Miège : op. cit. T2. p. 230
Schroeter. op. cit. p. 23
83) Schroeter. op. cit. p. 24

الأجانب] واتساع مادة البيع والشراء"(84)، وذلك منذ 1845/1261، فأظهر بذلك عجز فصل الداء عن الدواء.

لقد ظهر هذا العجز في إجراءات السلطة، الرامية للحد من انخفاض قيمة العملة، مجردا عن علاج أسبابه(85)، وخاصة أن أسلوب عملها، لم يتجاوز قرارات تصدرها، لإحداث التوازن بين العملة والأسعار، في نفس الوقت، الذي كانت الكتلة النقدية، لا تتناسب مع المتطلبات، سواء من حيث الكم ولا المعايير، التي كانت تقوم عليها. مما فتح المجال للاعتماد تدريجيا، على العملة الأجنبية، فنتج عن هذا، تواجد نظامين نقديين في البلاد، نظام وطني، يعتمد المعيار الشرعي الإسلامي، الذي له كتلته النقدية المتوارثة، المعتمدة على الذهب والفضة والنحاس، ونظام نقدي دخيل، يعتمد المعايير الأوربية المخالفة للنظام المغربي (86)، ولما كانت الغلبة للنظام الدخيل(87)، فإن النظام النقدي المغربي، أخذ في التدهور، فحاولت السلطة وضع حد له، إلا أنها لم تنجح في ذلك. فالتجأت إلى نظام وسيط يقوم على اتباع أسلوبين متناقضين : أسلوب تعويم سعر العملة الأجنبية، بالنسبة للعملة الوطنية في مجال المعاملات، سواء التجارية أو الخدمات، وأسلوب تحديد سعرها، في مجال تقاضي رسوم الدولة وديونها. ولذلك أصدرت في ظرف أربعة عشرة سنة ثلاثة ظهائر، تحدد بها سعر العملة الأجنبية بالنسبة للوطنية، بين الريالين الإسباني والفرنسي الفعليين، والأوقية المغربية الحسابية، ففي سنة 1849/1266 حددت سعر الريال الإسباني بـ 18 أوقية والفرنسي بـ 17 أوقية، وفي سنة 1854/1270 بـ 20 أوقية للريال الإسباني و19 أوقية للريال الفرنسي، ثم سنة 1862/1278 بـ 34 أوقية للريال الإسباني و 32.5 أوقية للريال الفرنسي(88).

---

84) الناصري. أحمد: ن. م: ج 9. ص 54.

85) Miège : op. cit. T2. p. 388.

عمر آفا : مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (سوس 1822) 1906- ص ص 181- 200

86) راجع الظروف التي أدت إلى التدهور النقدي وما نجم عنها بالنسبة للنظام النقدي المغربي (أفا عمر، ن. م. ص ص 175-200).

87) الناصري. أحمد: ن. م: ج 9. ص54

88) Schroeter. op. cit. p. 144

أفا عمر: ن. م : ص 210 : أورد جدولا تتوضح منه علاقة الصرف بين العملة المغربية والأجنبية.

لقد انعكست آثار هذه المحاولات، لإثبات سعر العملة الأجنبية، بالنسبة للوطنية، في الصراع الذي عرفته التجارة في الصويرة، في الستينات من القرن التاسع عشر، حيث كان يدور حول محاولات السلطة المغربية، ضبط استيفاء الرسوم الجمركية، ومحاولات التجار التملص منها بكل الوسائل، مستغلين التناقض بين النظامين النقديين، وخاصة أن معاهدة 1856 التجارية، كبلت يد الدولة في تقويم رسومها الجمركية. خاصة في الاستيراد، والتي حددت بنسبة 10٪ من قيمة المستوردات(89). ومما زاد الأمور تعقيدا، أنه تزايد انخفاض العملة الوطنية، بالنسبة للأجنبية، وأحدث الصعوبة عند تطبيق قرارات الدولة، في استيفاء الرسوم الجمركية. فحاولت التغلب على ذلك، بشتى الطرق، كمحاولات التوفيق، بين رغبات التجار وواجبات الدولة.

فلقد حاولت إحداث نظام ازدواجية الأداء تسهيلا للتجار، وفي نفس الوقت، اكتساب المصداقية للعملة الوطنية. ففي سنة 1867/1284 صدر أمر، من السلطان لأمناء الصويرة على أساس، "أن يدفع التجار، مما سيجب عليهم في خدمة المرسى نصفه ريالا، ونصفه درهما"(90)، وقام الأمناء بإبلاغ التجار ذلك الأمر، لكن "ذكر نواب الأجناس، أنهم لا يدفعون، إلا ما تأتى لهم، ووجد بأيديهم، من أي سكة تأتت لهم"(91)، وادعى القناصل أنهم، "لايلتزمون بدفع الريال في العشرات، وكذلك الموسوقات، التي صاكتها مثاقيل، حسبما ذلك في الشروط"((92)، إشارة إلى أن تحديد القيمة، كانت بالاواق، حسب

---

89) Miège : op. cit. T2. p. 315

الفصل 6 و 7من المعاهدة.

تعليق مييج على بعض نتائج المعاهدة: ص 389

90) رسالة من الأمينين بالصويرة: عبد الكريم التازي ومحمد التازي إلى أمين الأمناء محمد بن المدني بنيس بتاريخ 8 جمادى الأولى 7/1284 شتنبر 1867، خ. ح. ر.

91) ن. ر.

92) ن. ر.

معاهدة 1856(93). وبذلك لم يتمكن الأمناء من حمل التجار، على تسديد الرسوم الجمركية بالعملتين ، وخاصة أن التجار هددوهم، ب "أنهم يحسبون ما ينشأ لهم من التعدير، بسبب طلبهم بدفع الريال، عند إرادتهم الوسق و الأعشار"(94). ولذلك فإن الأمناء راجعوا في الأمر السلطة المركزية، مذكرين بذلك الأمين بنيس، "فلما رأينا هذا منهم، خاطبنا الحضرة الشريفة بهذا، وأعلمناك به لتكونوا منه على بصيرة"(95). مما يبين التراجع، في تطبيق دفع رسوم الجماريك بالعملتين مناصفة.

كانت المحاولة الأخرى سنة 1869/1285، لما قررت السلطة المركزية، العزم على الإصلاح النقدي(96)، فقررت بالنسبة لسعر العملة الأجنبية، الرجوع إلى السعر الرسمي لسنة 1268 / 1852. فصدر الأمر من السلطان إلى الأمناء بالصويرة، "بتقويم المعشرات والصاكات على حسب الريال، بتسع عشرة أوقية"(97)، لكن هذا القرار اختلفت مواقف القناصل بالصويرة تجاهه، تبعا لمواقف دولهم، فكان جواب القنصل الأنجليزي، "بأن بشدوره، كتب له بأن يقبل"(98)، إلا أنه علق التنفيذ، على مرور ستة أشهر، أما القنصل الفرنسي فأجاب، "بأن بشدوره كتب له بعدم القبول

93) Miège : op. cit. T2. p. 317.

لائحة تحديد قيمة الرسوم عن الصادرات كلها بالأواق وهي لائحة مرفقة بمعاهدة 1856

94) ن. ر.

95) ن. ر.

96) الناصري. أحمد: ن. م: ج 9. ص120

ظهير تحديد حيثيات الإصلاح النقدي بتاريخ 8 شوال عام 1284

جرمان عياش : جوانب من الأزمة المالية بالمغرب بعد الغزو الإسباني سنة 1860. ص ص 35-39 المطبعة الملكية - الرباط سنة 1959

آفا عمر: ن. م. ص ص 223- 259

97) رسالة من الأمينين بالصويرة، عبد الحفيظ بن علي برادة ومحمد بن عبد الله إلى أمين الأمناء محمد بن المدني بنيس بتاريخ 13 ذو القعدة 25/1285 شتمبر 1869. خ. ح. ر.

25شتنبر 1869، خ.ح. ر.

98) ن. ر.

حتى يعلمه"(99)، وكان جواب القنصل الإسباني، "بأن بشدوره، كتب له بعدم القبول قطعا"(100). وأما باقي القناصل فكان موقفهم، "مثل ما أجاب به النجليز والفرانصيص"(101). وبذلك يظهر أن موافقة بريطانية وحدها، لم تكن كافية، لإقناع الممثلين الدبلوماسيين الآخرين، بقبول العودة إلى سعر سنة 1852، الذي أقرته المعاهدة التجارية سنة 1856(102)، وهدد التجار بالعزم على عدم الأداء، وفق السعر الجديد، وبأنهم سيحملون الأمناء كل الخسائر، التي تحل بتجارتهم، الذين أبلغوا الأمين بنيس، "قد تحيرنا وخفنا من الوقوع في أمر يرجع ضرره، على دار الأعشار، وربما تلزمنا العقوبة، لعدم مساعدتنا، حتى نراجع الحضرة الشريفة"(103). ونظرا لهذا الخوف، من الموقف الدبلوماسي الرافض، وتهديد التجار، فإن الأمناء يعترفون بأنهم "قد أبقينا الأمر على ما كان عليه قبل"(104). وبذلك يتوضح أن أمر المحاولة يتجه نحو الفشل، الذي انتهت إليه، حتى اضطر السلطان تحت الضغط الأجنبي إلى الانصراف عن عملية الإصلاح النقدي(105).

لقد كانت المعارضة الدبلوماسية لمحاولة تصحيح التوازن، بين السعر الرسمي المحدد للعملة، والسعر المعوم، جعلت الدولة تبحث عن وسائل بديلة، تلزم بها التجار أداء الرسوم، فجاءت بعض المحاولات التي تركز على ضبط المعايير، واتباع الصرامة، فلذلك أصدر السلطان أمرا لأمناء الصويرة، يلزمهم فيه، بتقويم السلع وفق "أسوام السلع بمراكش"(106)، لأنه اتهمهم ب "التساهل في تقويم السلع"(107)

99) ن. ر.

100) ن. ر.

101) ن. ر.

102) Schroeter (D.) op. cit. p. 146.

103) ن. ر.

104) ن. ر.

105) آفا عمر ن. م : ص 229

Schroeter (D). op. cit. p. 146.

106) رسالة من الأمين العياشي بن محمد بنيس بالصويرة إلى أمين الأمناء الحاج محمد ابن المدني بنيس بتاريخ 26 جمادى الأولى 1287/3 شتنبر 1869، خ. ح. ر.

107) ن. ر.

بـالصويرة، لكـن الأمنـاء لما أرادوا تطبيق ذلك الأمر، "امتنع التجار من دفع الأعشار على حسابه"(108)، فكـان إجـراء الأمنـاء، أن خـيروا التجـار، "فـي أمريـن إمـا دفـع الأعشـار علـى حسـب ذلـك الزمـام، أو دفـع أعشار السلعة من عينها، مثل ما يفعل الأمناء بطنجة"(109). ويظهـر أن التجـار حـاولوا عرقلـة هـذا الأمـر، حينمـا تدخـل قنصـل انجلـترا، فطلـب أن يكـون التقـويم على يد التجار، لكن الأمناء رفضوا ذلك، معللين بأن التجار يلاطف بعضهم بعضا، إذ "كيف يقوم التاجر لنفسه بالغلاء"(110). وبذلـك يظهر أن التجار، اضطروا لقبول العملية، لأنه ليس لرفضهم سند دبلوماسي، كما كان عليه الأمر في المحاولات السابقة.

إن هـذه المحاولات المستمرة لضبط سير استيفاء الرسوم، انعكست على دخول المرسـى بـالصويرة، التـي يضطـرب أمرهـا أحيانـا، حتـى إن الأمنـاء، فـي أوائـل سنة 1287/ 1870، أبلغـوا الأمـين بنيس بأنه، "لا يدخل الريال بالديوانة"(111)، ويعلـل الأمنـاء أن ذلـك يرجع، إلى كون "الريال اليوم هنا يروج بين التجار بالصرف بالدرهم، بخمسة وثلاثـون أوقيـة، كيـف يدفعه بالأعشار باثنين وثلاثون أوقيه ونصف"(112)، ولذلـك لا يدفعـون إلا بـالدراهم. وأصـر التجـار على موقفهم، لما جدد الأمناء طلب الأداء، "نصف واجب الأعشار ريالا، والنصف درهما، فلم يقبلوا"(113)، وعللـوا ذلك "أن السلعة إنما يبيعونها بالمثاقيل، فلا يدفعون الريال، ويحتجون أن الصاكة بالمثاقيل"(114)

---

108) ن. ر.

109) ن. ر.

110) ن. ر.

111) رسـالة مـن الأمـين العياشـي بن محمد بنيس بالصويرة إلى أمين الأمناء الحاج محمد ابن المدني بنيس بتاريخ 9 صفر الخير 11/1287 ماي 1870، خـ. حـ. ر.

112) ن. ر.

113) رسـالة مـن الأمينـين بـالصويرة العياشي بن محمد بنيس وعبد الخالق فرج إلى أمين الأمناء الحاج محمد بن المدني بنيس بتاريخ 25 صفر الخير عام 27/1287 ماي 1870، خـ. حـ. ر.

114) ن. ر.
Schroeter (D.) op. cit. p 145

وهـذا تذكـير بـالمواقف السـابقة. وبذلـك تكون الأمانة بمرسى الصويرة، تقبل الأداء بـالدراهم، ممـا كـان يخلـق المشـاكل عنـد دفـع تعويضـات حـرب تطوان، أو الدين الأنجليزي النـاجم عنها، فتضطر الدولة بتبديل الدراهم، بالعملات الأجنبية الإسبانية والفرنسية والأنجليزية"(115).

هـذا ورغـم الصعوبـات التـي كـانت الدولـة، تجدهـا عنـد اسـتيفاء الرسـوم الجمركيـة، علـى يد الأمناء بالصويرة، فإن ذلك لم يحل دون أخذ الاعتبار، بمصالح التجـارة فـي الفـترات الصعبـة، وذلـك مـا توضـح مـن التعـامل مع آثار الأزمة المالية والاقتصادية، التي عرفتها أوربا سنة 1867(116)، ذلـك أنـه "لما استفاض عند الخاص والعـام، مـا وقـع ببـر النصـاري من الفلس، لديار شتى، تزعزع أمر الصويرة، وخيف على تجارها واقع"(117). وقـد أدت هـذه الأزمـة إلـى انقسـام الأمناء إلى فريقين، في كيفيـة اسـتيفاء الرسـوم الجمركيـة، فريـق يحبـذ اتبـاع الصرامـة، بالغـاء نظام تأجيل الأداء، كمـا كـان عليـه الأمـر، وذلك بإحداث "قاعدة وسيرة جديدة، وهي أن كل مـن يريـد أن يوسـق أو يعشـر، فـلا نسرح له وسقه ولا نعشره، إلا بعد أداء الواجب عليه آخذا بالحزم"(118)، وذلـك حتـى "لا يبيـث عنـد أحـد قليـل ولا كثـير"(119). وبذلـك يسـلم مدخـول الجماريك، من التأخيرات أو ادعاء الإفلاس. لكن فريقا آخر مـن الأمنـاء، كان يعارض هذا الأسلوب، ويدعو لقبول السلع كالرهن على الرسوم، لأنـه تعـذر علـى التجـار أداء مـا بذممهـم، "لكساد الوقت، وبخس ثمن السلع، التي وضعوهـا رهنـا بـدار الأعشـار، وفيهـا وفاء لما بذممهم"(120)، ويعلـل ذلـك الفريـق،

115) Miège : op. cit. T2. p. 388 - 389
116) Miège : op. cit. T3. p. 137.

117) رسـالة مـن الأمينـين بالصويرة محمد بن عبد الله ويجنان البرودي إلى أمين الأمناء محمد بن المدني بنيس بتاريخ 4ربيع الأول 1283/17 يوليوز 1866، حـ. خـ. ر.

118) ن. ر.

119) ن. ر.

120) رسـالة من الأمينين بالصويرة عبد الواحد أقصبي وعمر بن عمرو الأوسي إلى أمين الأمناء محمد بن المدني بنيس بتاريخ 6 ربيع الأول 1283/19 يوليوز 1866، خـ. حـ. ر.

المدافع عن التسهيل على التجار، في أداء الرسوم موقفه، بأنه "إذا كلفنا التجار ببيع سلعهم المرهونة، تباع بأبخس الثمن لأجل الكساد، ويتخلص المخزن، وتقع الخسارة للتجار، وينقطع النفع لبيت المال"(121)، ولذلك فإن استمرار المعاملات، أولى من التضييق على التجار في أداء الرسوم، وذلك بأخذ الاعتبار الظروف، التي كان التجار يجتازونها، وخاصة أنهم في نظر ذلك الفريق المدافع عن مصالحهم، "هؤلاء التجار، من التجار الذين بانت خدمتهم على ساق الجد، وسلعهم تحت أيدينا بدار الأعشار موفورة"(122). وبذلك ترعى الدولة ضمان التجارة بالتكييف مع الظرفية الضائقة، التي كانت تعصف بالتجارة.

لقد طالت هذه الرعاية حتى الديون المتأخرة على التجار، حتى أخذت السلطة المركزية سنة 1871/1288 تكرر الأوامر لأمناء الصويرة، بأن "لا توخروا أحدا مما بذمته، وأن كل من عنده شيء تطالبوه به، وتقبضوه منه"(123)، مما جعل الأمناء يذكرون الأمين بنيس بأنهم سائرون في التنفيذ، "فها نحن نقبض منهم شيئا فشيئا"(124)، ويكرر الأمناء هذا العزم في رسالة أخرى، "وأما أهل الديون فنحن غير مقصرين في القبض منهم، ولا وجدنا ما نقبضه منهم، ولو وجدنا السبيل إلى أكثر من ذلك لقبضناه منهم، وعند كل مشاهرة، نحتاج معهم إلى طبخ ونفخ، وأنت تعرف كل شيء"(125). وهذا يبين كون الأمناء يجدون الصعوبة، في استيفاء ما ترتب من الديون على التجار، الناجمة عن تأخيرات في أداء واجبات الرسوم الجمركية، لكن في نفس الوقت، يبين أنهم حريصون على استمرار التجارة، بعدم الضغط على التجار بمزيد من الإجراءات.

---

121) ن. ر.

122) ن. ر.

123) رسالة من الأمينين بالصويرة عبد الرحمان بن محمد أقصبي والعربي فرج إلى أمين الأمناء الحاج محمد بن المدني بنيس بتاريخ 8 جمادى الأولى 26/1288 يوليوز 1871،خـ. حـ. ر.

124) ن. ر.

125) رسالة من الأمينين بالصويرة عبد الرحمان بن محمد أقصبي والعربي فرج إلى أمين الأمناء الحاج محمد بن المدني بنيس بتاريخ 18 جمادى الثانية 1288/ 4 شتنبر 1871، خـ. حـ. ر.

ولقد كشفت الإجراءات، التي كانت الأمانة بالصويرة تتخذها، تجاه التجارة، في الستينات من القرن التاسع عشر، عن محاولات مستمرة، للحفاظ على مصلحة الدولة، بضمان مداخيلها، لكن في نفس الوقت، على رعاية شؤون التجار، وإذا كانت محاولة التوازن هذه، تؤدي إلى ما كان يعبر عنه الأمناء، بما كان يحدث لهم، من لجاج مع التجار والقناصل، فإنه يظهر أن أصل المشكل ظل مستمرا، مادامت مسألة الكتلة النقدية، لم تجد لها الحل القادر على مسايرة التطور، الذي يفرضه الاندماج في التجارة الدولية.

لقد كانت رعاية الدولة لشؤون التجارة، لا تقتصر على المدينة، في الستينات من القرن التاسع عشر، وإنما كانت أيضا تهتم برعاية شؤون التجار، تجاه المناطق الداخلية، وخاصة الحرص على استيفاء الديون. ومن الأمثلة على ذلك أنه في سنة 1871/1288 وصل السلطة المركزية، "الإعلام بما يسأله تجار الصويرة، كرتيس والحزان بهى ومشار وإبراهيم قرقوز، لأشياخ حاحا"(126)، ولم يوضح ما إذا كانوا ضامنين، لكن كون الأمر يشمل قبيلة حاحة كلها، يدل على أن الديون كانت مهمة، بالإضافة إلى أن جماعة التجار الشاكية، كان لها وزن اقتصادي سواء

126) 10 رجب 25/1288 شتنبر 1871. خـ. حـ. ر.

التجار :

كرتيس هانري : إنجليزي كان يقيم بالصويرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ويقوم بأعمال تجارية لشركات انجليزية، وقد كان يتجاوز السلطات المحلية، سواء في الصويرة كما حدث سنة 1863، لما استغل محلات غير مرخص له بها من السلطة. (Schroeter Ibid, 128) وكذلك لما حاول التسرب إلى سوس، لتنشيط تجارة التهريب (Laroui les origines. p. 253) فمثل بذلك نموذج تصرفات التجار الأجانب بالموانئ المغربية، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

حزان بهى (1820- 1890) الحزان بهي أو إبراهيم أفرياض، عائلة يهودية مغربية كانت تقطن بأكَلميم، ثم هاجر أفراد منها إلى الصويرة، بعد سنة 1844ومنهم إبراهيم أفرياض الذي أصبح من التجار المقربين من المخزن، مما سهل له تكوين ثروة، وارتباطات خارجية واسعة (Schroeter Ibid, p. 46 - 50)

إبراهيم قرقوز: راجع الهامش 317 ص 250.

أجانب أو يهود، مما جعل السلطان، يصدر "الأمر بالإنصاف"(127)، بعد أن تأكد أنه "قد حل الأجل"(128).

لقد تجددت شكاية التجار، سنة 1872/1289، في "شأن دعوى كرتيس النجليزي ومن معه من تجار الصويرة، على بني تامر"(129)، مما جعل السلطان يحيل القضية على قائد حاحة، محمد بن الطاهر الذوبلالي، للتأكيد مما يدعيه التجار، من دين على قبيلة بني تامر، وكانت نتيجة البحث "أن بني تامر ما زالوا مصممين على أن ولد أُبِهِي، حاز منهم جميع ذلك"(130)، أي أن جميع الديون، ادعت القبيلة أنها أدتها للقائد السابق محمد بن عبد الله أُبِهِي(131)، فكان قرار السلطان في هذه القضية، "أن مال التجار مازال مشهوداً عليهم، ولابد لهم من دفعه لتقع البراءة منه"(132)، ويثبت هذا أن حجة التجار ما زالت سارية، باعتبار أنهم لم يقبضوا شيئا، مما كان لهم من ديون على القبيلة. وأن السلطان أمر بالدفع أولا، ثم إن كان "ولد أُبِهِي قبضه فيحاز منه"(133)، ومعلوم أن هذا الحل يظهر منه أن الضحية هي القَبِيلَة، التي دفعت الديون المستحقة عليها، لكن لم تقع براءتها منها من الدائنين، نتيجة سوء تصرف ولد أُبِهِي.

إن السلطة المركزية لم تكن دائما تساير شكاوى التجار، ومن الأمثلة على ذلك أنه في سنة 1872/1289 وصلت السلطة المركزية، "شكاية على ابن حرازم، المدعي النهب، لبني تامر من حاحا"(134)، فأحال السلطان القضية على قائد

---

127) ن. ر.

128) ن. ر.

129) 25 ربيع الأول 1289/2 يونيه 1872، ك. 47.

130) ن. م.

131) محمد عبد الله أبهى راجع عنه معلمة المغرب. ج 1 مطابع سلا، 1989، ص 104.

132) 25 ربيع الأول 1289/2 يونيه1872، ك. 47.

133) ن. م.

134) 20 صفر 1289/29 أبريل 1872، ن.م.

حاحـة، محمـد بن الطاهر الذوبلالي، الذي قام بالتحريات عن القضية، فتبين له أنه، "لـم يقـف علـى أثر لدعواه"(135)، أي المدعـي النهـب مـن طـرف قبيلـة بنـي تـامر الحاحيـة، مما جعـل السلطان ليأمر، بأن "لا يسمع كلامه بمجرد دعواه"(136)، نظـرا لغياب حجة تثبت نهب قبيلة بني تامر له.

يستنتج مـن هـذا كلـه، أن التجـار كـانوا لا يتورعون عن رفع الشكاوي إلى السـلطة المركزيـة أحيانـا تكـون مدعومة بحجج، وأحيانا أخرى تكون مجردة منها، فتجـد السـلطة المركزية نفسها، أمام وضعيات مختلفة تستلزم البث، إلا أن ما شجع هـؤلاء التجـار علـى ما يظهر، أن الدولة كانت داعمة للحركة التجارية، مسيجة لها بشتى الامتيازات.

هكـذا يلاحـظ مـن النماذج المدروسة، عن الجوانب الاقتصادية، بمنطقة طرفي الأطلـس الكبـير الغربـي، فـي الستينات من القرن التاسع عشر، أن استجابة السلطة المركزيـة، تـأتي عقـب فشـل الحلـول المحليـة. كمـا أنهـا تعمـل لصيانـة الإمكانـات الاقتصاديـة، التـي تضمـن لهـا دخـولا ثابتـة، خاصـة فـي المجـال التجـاري. إلا أن الظـروف الدوليـة التـي أخـذ المغـرب فـي تزايد الارتباط بها، وما نجم عنها من خلل التـوازن، جعلـت السـلطة تميـل إلـى حلـول، غالبـا ما تتضرر منها، كما يتضرر منها المجتمـع. وتـزداد هـذه الظـروف تـأثيرا، إذا مـا رافقتهـا محـاولات التغلغـل، بشـتى الوسـائل، في الحياة السياسية المحلية، كما حدث بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي في نفس الفترة.

135) ن. م.

136) ن. م.

136) ن. م.

IV ـ الظغوط الأجنبية و منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، في الستينات من القرن التاسع عشر

كانت الضغوط الأجنبية على المغرب، ما فتئت تتوالى طيلة القرن التاسع عشر(1)، وكانت تستهدف شخصيته بأساليب مختلفة، سلمية وحربية، باحثة عن ثغرات تنفذ منها، لتنخر الجسد المغربي، وخاصة أن هيكلته متشعبة، لوجود دولة ومجتمع ككيان، له حساسيةبأبعاد آثار الضغوط الأجنبية، وخاصة إثر تعامله معها، كقوى تسعى لتفتيته منذ أواخر القرن الخامس عشر(2). تلك الضغوط التي ما برحت تغير من أساليبها عبر القرون التالية، وفي نقط متعددة، والتي نستعرض بعضا من نماذجها، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، في الستينات من القرن التاسع عشر، تلك النماذج التي يمكن حصر غاياتها، في محاولات لإيجاد قاعدة تسهل التوغل إلى داخل البلاد، والتي اتخذت أشكالا مختلفة، منها محاولة خلق نقط اتصال مستقلة، ومحاولة تشكيل قوة بشرية محلية متعاملة، لتتوج تلك الأساليب، بمحاولة تسريب كتلة بشرية أجنبية تسهل تفتيت الكيان العام.

1 ـ محاولة تشكيل نقط الاتصال بالمنطقة النائية عن السلطة المركزية

لقد كانت المحاولات الامبريالية، لإحداث نقط الاتصال المستقلة في المناطق النائية، تنبع من خطة سياسية، تنطلق من الرغبة في تجزئة السيادة، والتشكيك في الوحدة، حينما تتاح لها فرصة التعامل مع أطراف تلك المناطق النائية(3)، مباشرة

1) إن كل الكتابات التاريخية التي تدرس فترة القرن التاسع عشر، تؤكد الضغوط الأجنبية، وآثارها على المغرب، سواء من ذلك كتابات المؤرخين المعاصرين كالناصري، أو المتأخرين كابن زيدان ، أو المحدثين الدارسين للفترة سواء المغاربة أو الأجانب ، والأمثلة كثيرة .

2) راجع آثار الضغوط البرتغالية، منذ أواخر القرن الخامس عشر، الى منتصف القرن السادس عشر، على منطقة طرف الأطلس الكبير الغربي. ص ص 86 – 97.

3) راجع حول هذا الموضوع مقالة عياش عن الشعور الوطني التي أورد فيها أمثلة متعددة عن استغلال كل إمكانيات التعامل مع المناطق النائية، وموقف السكان والسلطة المركزية من ذلك التعامل.
Germain Ayache : Le sentiment national dans le Maroc du XIX siécle in Etudes d'histoire marocaine p.p. 177 - 198 Rabat. 1979

دون المرور على يد الجهاز السياسي الإداري الوطني. وذلك ما كانت تسعى إليه الدول الأجنبية، في منطقة جنوب طرفي الأطلس الكبير الغربي، خاصة في منطقة وادي نون، حيث كثفت الدول الأوربية من جهودها، للتعامل المستقل مع أطراف محلية تكسبها شرعية الاستقلال. وكان هذا التعامل، في الستينات من القرن التاسع عشر، يسير في اتجاهين، أحدهما يستهدف إيجاد نقطة فعلية مستقلة، بادعاء إنشاء مرسى تجاري، والآخر يتعلق باسترداد الأسرى، الذين يقعون في يد السكان بتلك المنطقة.

لقد كانت محاولات إنشاء مرسى على الشاطئ المحيط، جنوب شاطئ سهل سوس، تنبني على أهداف سياسية، تدعي أن مناطق ما وراء وادي ماسة، لم تكن خاضعة للسلطة المركزية(4)، وعلى هذا الأساس، تجددت مشاريع الاتصال بأسرة آل بيروك النافذة بالمنطقة. ومنذ 1832 كان الحديث بالصويرة، عن إمكانية فتح مرسى جنوب أگدير، على مدى مسافة ثلاثة أيام(5)، فكانت محاولة فرنسا للاتصال ببيروك سنة 1836، ثم بريطانيا سنة 1836، بواسطة الرحالة الانجليزي دافيد سون الذي ربط، بين وزير خارجية بريطانيا بلمرستون وبيروك. لكن هذه المحاولة فشلت(7). ثم جددت فرنسا محاولات الاتصال بالتوالي ففي سنة 1840، -حينما تبنت الحكومة الفرنسية، سياسة إنشاء نقط الدعم - كانت بعثة الضابط بويت إلى وادي نون، لكنها فشلت(8)، لتتبعها محاولة سنة 1845 التي فشلت أيضا(9)، ثم محاولة سنة 1853، التي كانت الغاية منها، عرقلة المفاوضات، التي كانت تجري بين المغرب وانجليزا، حول معاهدة التجارة(10). ووازتها في نفس

---

4) Laroui (Abdallah). les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 - 1912) Paris 1977 p.62
5) Miège op. cit. T3 p. 80.
6) Miège op. cit. T3 p. 80.
7) De la Chapelle. (F) les Tekna du sud Marocain paris 1934. p.48
8) Miège op. cit. p. 81.
De la Chapelle. (F). op. cit. p. 49.
9) Miège op. cit. p. 81.
De la Chapelle. (F). op. cit. p.49.
10) Miège op. cit. T3 p. 82.

الوقت، محاولات كل من إسبانيا سنة 1847(11)، ثم سردينيا سنة 1851(12). وحتى الولايات المتحدة سنة 1848، حينما اقترح قنصلها العام بطنجة، على رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، التعامل المباشر مع بيروك(13). ولا يمكن تفسير هذا التهافت على المنطقة، سوى باعتبارها بوابة التجارة الصحراوية، وبلاد السوادن، انطلاقا من أگلميم، التي أخذت تجارتها تتزايد خاصة بعد إنشاء تندوف سنة 1852(14).

إن هذه المشاريع المعبرة عن المصالح المتضاربة، لم تتمكن من تحقيق أهدافها، حينما اضطرت الدول الامبريالية المقترحة لها، للاعتراف بسيادة المغرب على منطقة وادي نون، في معاهدة 1856 بموجب بند 33(15). مما بين أن محاولات إيجاد طرف مخاطب خارج السلطة الرسمية، لم تكن تستند إلا على أساليب امبريالية، ولما عجزت عن تحقيق أهدافها، اضطرت للرضوخ للأمر الواقع، وخاصة أن السلطة المركزية، لم تكن غافلة عنها، إذ كانت تتبع معظم تلك المحاولات، والتي كانت قيادة حاحة تلعب دورا فيها(16). بمراقبة تحركات بيروك تجاه الأجانب، وكانت الدولة تمزج بين التهديد والترغيب، فقد منحت بيروك امتيازا في أداء الرسوم الجمركية بالصويرة، حيث كانت بضاعته لا تؤدى سوى ما بين الثلث والربع من الرسوم الجمركية(17). لكن في نفس الوقت عاقبته، لما أخذ يتورط مع الفرنسيين سنة 1845، فاعتقلت السلطة المغربية مساعد بيروك، بوعزة العواد الصويري، لما قاد سفينة فرنسية، حتى شواطئ وادي نون، والتي لم يتم شحنها، بعد تدخل الحسين ابن هاشم، بأمر من السلطان، بعدم التعامل مع السفينة(18).

---

11) Miège op. cit. T3 p. 82.
12) Miège op. cit. T3 p. 83.
13) Schroeter D. op. cit. p. 162.
14) Miège op. cit. T3 p. 79.

15) الوثائق : مديرية الوثائق الملكية المجموعة الثانية: العدد 2 سنة 1976 ص 172. الرباط.
Miège I bid T3 p. 83

16) راجع Miège I bid T3 p. 84

17) Schroeter. Ibid p.162.
18) Schroeter. Ibid p.162.

وعرفت الستينات من القرن التاسع عشر، تزايد الأطماع الامبريالية، فكانت إسبانيا منذ 1860، تدعى حقها في إحياء مركز للصيد، مكان حصن سانتا كروز دومار بكينيا، بموجب البند 2 من الاتفاقية المغربية الإسبانية لسنة 1860(19)، مما نجم عنه اتصال بعض العملاء الإسبان، ببيروك سنة 1867، ومحاولة عقد معاهدة تجارية معه(20).

لقد كانت نتيجة محاولات الاتصالات الأجنبية ببيروك، أن رسخت عنده، الرغبة في فتح مرسى بالمنطقة، وذلك ما تيقنت منه السلطة المركزية، سنة 1867/1283 لما بلغها "ما تجاهر به ولد بيروك، من إحداث المرسى، بالمحل المسمى بالبيضة، على مرحلتين من وادي نون"(21)، مما يؤكد ما تحاول الدول الأوربية إحداثه بالمنطقة. لكن السلطة المركزية، عملت لإفشال الخطة، بتحريك جهات متعددة، فوجه السلطان محمد بن عبد الرحمان رسائل إلى قبائل سوس، لإثارتها ضد بيروك، "فبوصول كتابنا هذا إليكم، قوموا على ساق الجد، في الحيلولة بينه وبين ذلك، وانقدوا ذلك القطر المبارك، مما يضمر له هذا من المهالك"(22). جاعلا بذلك مسؤولية الدفاع عن المنطقة، مسؤولية جماعية، محددا حتى القبائل المسؤولة، من "قبائل سوس، خصوصا الذين وراء وادي ولغاس"(23)، فتكون كل قبائل منطقة ما وراء وادي ولغاس متحملة، ما يمكن أن ينتج من أخطار على الدولة، إذا تهاونوا في إنشاء مرسى بالمنطقة.

ولقد حرك السلطان جهات أخرى، للتعاون مع القبائل بالمنطقة، كعبدالله أبهي قائد حاحة، حينما صدر الأمر للمولى الحسن، بـ "تجديد المفاوضة مع الطالب

19) Miège Ibid T2 p. 369.
20) Miège Ibid T3 p. 84.

21) محرم 1283/ 26ماي 1866، ك. 47.

22) رسالة من السلطان إلى قبائل أهل سوس مؤرخة ب 13محرم 1283/ 28ماي 1866، نشرها دنيال سكروتر بملحق أطروحته:
Daniel Schroeter: Merchants and Pedlars of Essaouira: A social History of a Moroccan Trading Town (1844-1886) PH. D (Manchester 1984).

ص 486

23) ن. ر. ووادي ولغاس أصبح يعرف أيضا بوادي ماسة.

عبدالله أُبهِي، في شأن وادي نون"(24)، تلك المفاوضة التي هي عبارة عن تبادل الاستشارات عن قضية ما يرومه بيروك. فأشار عبدالله أُبهِي على المولى الحسن، "بالكتابة لولد هاشم، وبما يُكتب له به"(25)، كما اقترح المولى الحسن على أُبهِي، "بما يُكتب له به أيضا"(26)، أي للحسين بن هاشم، وبذلك ضمت الاستشارات المتبادلة أسلوب التعامل مع القضية، وإن لم تفصح عن فحواها، على أساس توجيه تلك الرسائل إلى الحسين بن هاشم، مع "الكتاب الشريف"(27)، الذي وجهه السلطان "ليقرأه قاضي ردانة، على أهل ذلك القطر، بواسطة ولد هاشم"(28).

يتوضح من هذا ، أن السلطة المركزية، لم تقتصر فقط في تحريك القبائل، ضد بيروك، على السلطات الإقليمية، وإنما اعتمدت أيضا على طرف آخر يمثل ازدواج سلطة معنوية واجتماعية بالمنطقة، كالحسين بن هاشم (29)، لأنه "فيه النفع من جهة المخزن بإظهار الوقوف والنصح، ومن جهة القبائل بجمعهم عليه بكلمة المخزن"(30)، وهذا يبين مكانة الحسين ابن هاشم، سواء بالنسبة للمخزن أو للقبائل، ولذلك فإن بيروك أيضا لجأ إليه، لأنه "لم يتأت له غيره"(31)، محاولا إغراءه إلى جانبه. لكن أعيان قبائل سوس، بعد سماعهم لكتاب السلطان، الموجه إليهم بحضور ولد هاشم، "فوضوا له في الجواب"(32)، الذي يظهر أنه يعبر عن

24) 22محرم 1283/ 6يونيه 1866، ك. 47.

25) رسالة السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان إلى المولى الحسن بتاريخ 22محرم 1283/ 6يونيه 1866. خـ. حـ. ر.

26) ن. ر.

27) ن. ر.

28) ن. ر.

29) راجع ص ص 150 – 154.

30) 25صفر 1283/ 9يوليوز 1866، ك. 47.

31) ن. ر

32) 3ربيع الأول 1283/ 16يوليوز 1866، ن.م.

"تعصب القبائل على منع المرسى"(33). وبذلك تكون كل الأطراف، ولمدة شهرين من بداية إثارة مشكل المرسى أوائل محرم 1283، إلى أواخر صفر من نفس السنة، قد تحركت بسوس، سواء القبائل أو القوى السياسية، أو القوى الاجتماعية والمعنوية، لاتخاذ موقف معارض ضد عمل بيروك، في إنشاء المرسى الذي سيفتح الباب للتدخل الأجنبي.

لقد كانت مشكلة الأسرى، الذين يقعون في يد القوى النافذة، بمنطقة وادي نون، إحدى أدوات محاولة التدخل الأجنبي بالمنطقة، والتي كان المولى الحسن، قد عالج شكلا منها أثناء حركته إلى سوس سنة 1863/1280(34). لكن الحدث تكرر من جديد، مما أدى منذ سنة 1868/1285 لإثارة مشكلة الأسرى بالمنطقة، ذلك "أن نصرانيين من جنس الصبنيون، كان أسرهما بعض وادي نون، وكانت دولتهم تتكلم في الوقوف على فكاكهما، وفق ما في الشروط"(35)، تلك الشروط التي كانت تضمها معاهدة 1856في بندها 33(36)، ولذلك راجع الإسبان السلطان في قضية الأسيرين، "وأكدوا على فكاكهما"(37)، محاولين الضغط على السلطة المركزية، بموجب مسؤوليتها الدولية، عن سلامة الأسرى بمنطقة وادي نون. مما جعلها تحرك عدة اتجاهات للضغط على الآسرين، الذين بيدهم الأسيرين، حتى يطلقوا سراحهما، فكتب السلطان إلى عامل تارودانت، حميدة بن علي، في أمر الأسيرين، "بالقيام على ساق الجد، في السعي في استنقادهما، ممن هما تحت يده، ولا يقصر في ذلك"(38). ورخص له باستعمال كل الوسائل، "إن أعوزه أمرهما

---

33) 25صفر 1283/ 9يوليوز 1866، ن.م.

34) راجع ص ص 157 – 161.

35) 13جمادى الثانية 1285/ 1أكتوبر 1868، ن.م.

36) ورد في بند 33من معاهدة 1856"إذا حصل تحريث لمركب سلطانة اكرث ابرطن بواد نون أو بناحية من سواحله فان سلطان مراكش، يستعمل جهده في تحصيل بحريته حتى يركبون إلى بلادهم"مجلة الوثائق العدد 2 سنة 1976ص 172

37) ن. ر.

38) ن. ر.

فيحتال على بعض أهل ذلك المحل، حتى يخطروا هناك، ويقبض عليهم ويثقفهم "(39). وبذلك تحدث انبلبلة بالمنطقة، حينما ينعدم أمن سكانها في التنقل، نحو المدن الرئيسية كتارودانت، مما ينعكس بالسلب على أعمالهما التجارية، فتضطر الأطراف المتشددة، لتليين مواقفها، حفاظا على استمرار التواصل السلمي بالمنطقة.

يظهر أن مشكل الأسرى تعقد، مما جعل السلطة المركزية، سنة 1871/1287 تحرك كل القوى النافذة بالمنطقة، كقائد حاحة محمد بن عبدالله أبهي، الذي صدر له الأمر، بالكتابة لولد هاشم، "يحرضه على بذل المجهود ما أمكنه، في انقاد الأسارى المذكورين، ويؤكد عليه في التحيل في فكاكهم، ولو ينال بمال، وتطالب به دولتهم"(40). وبذلك جندت الدولة، كل الأطراف السلطوية، المادية والمعنوية، ورخصت لها باستعمال كل الأساليب، بما في ذلك الإغراء المادي، الذي يظهر، أنه وقع النزاع حول القدر المالي، الذي يمكن دفعه مقابل الأسرى، فلذلك فإن ولد هاشم "طلب تعيين القدر الذي يعطى عليهم، زيادة على ما يقبض من دولتهم"(41)، وكأن الأمر مساومة من طرف الآسرين، لإرغام الدولة، على دفع أموال إضافية، زيادة على ما ستقدمه الدولة، التي تطلب إطلاق أسراها. وربما يكون هذا التصلب ناتجا عن تدخل عناصر أخرى، تسعى لعرقلة عمل السلطة في المنطقة، مما ينجم عنه فتح باب التعامل المباشر، مع الأطراف المتشددة بالمنطقة، لكن السلطة المركزية، لم تكن لتتساهل في الأمر، ولذلك صدر الأمر، فيما يتعلق بالمال المضاف، أنه كان أكثر مما يحتمل، "فلا يساعد"(42) عليه.

لقد بدأت السلطة المركزية، في البحث عن أسلوب آخر، في زعزعة مكانة بيروك المتحكم في أمر الأسرى، وخاصة أن مرابطا بالمنطقة، يدعى أحمد الطاطي،

---

39) ن. ر.

40) 26رجب 1287/ 22أكتوبر 1871، ك. 47.

41) 10ذي القعدة 1287/ 1فبراير 1871، ن.م.

42) ن. ر.

قد تدخل في الأمر، واتصل بالحبيب بيروك، فتبين له أنه مازال "على حاله من الخدلان وعمى البصيرة"(43). ولذك اتصل بأخويه محمد ودحمان، اللذين "أظهرا التوبة مما ظن بهما، من إعانته على فساد، طالبين ردهم لمكانتهم"(44). ويظهر أن الأخوين، "إن وجدوا طرفا من المال الذي يريد الفاسد أخذه، فلا يقصروا في ردعه والضيق به"(45)، وبذلك يحدث الانشقاق بين أفراد الأسرة، مما قد يسهل تسريح الأسرى، بل تجاوز المرابط المذكور ذلك، إلى اقتراح تشجيع السلطة المركزية "لنصف تكنة المقابل لنصف بيروك"(46)، الذي يسمى أيت بَلّ، والذي كانت "الكلمة فيه قديما"، ذلك أن فيه فريق أزوفْطْ، الذي يقترح المرابط أنه، "لو عضد المخزن هذا النصف، لكفى في قمع"(47) بيروك وشيعته. وبذلك يكشف الاقتراح الذي تقدم به المرابط، عن كون التوازن في اتحادية تكنة، كان بين فريقين رئيسين، فريق أيت بَلّ الذي منه فريق أزوفْطْ، وفريق أيت جمل الذي ينتمي بيروك إليه. وذلك ما كشف عنه أيضا التقرير، الذي رفع إلى الوزارة الحربية الفرنسية، في 25 غشت 1840، الذي ورد فيه كون نفوذ بيروك، لا يتجتاوز فريقه أيت جمل(48).

وهكذا تمكنت السلطة المركزية من عرقلة الأهداف الإمبريالية، بمنطقة وادي نون، التي كانت تسعى للتعامل المباشر مع قواها المحلية، سواء في إحداث المرسى بالمنطقة، أو في فداء الأسرى. وتحقق ذلك دون تحريك للقوة العسكرية، وإنما بالاعتماد على القوى المدنية المتعددة التشكيلات، حائلة دون إيجاد أطراف محاورين للقوى الأجنبية، في المنطقة النائية عن السلطة المركزية.

43) 4ذي القعدة 1287/ 26يناير 1871، ن.م.

44) ن. ر.

45) ن. ر.

46) ن. ر.

47) ن. ر.

48) De la Chapelle. I bid p.49

2 ـ محاولة تشكيل قوة بشرية متعاملة

كان السعي لتشكيل قوة بشرية محلية متعاملة، إحدى الآفات الكبرى، للتدخل الأجنبي في المغرب. فمنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بدأت تبرز فئة اجتماعية محلية تعرف بالمحميين، الذين كانوا يستظلون بالحماية الأجنبية، التي كانت تسمى بالحماية الدبلوماسية أو القنصلية، تلك الفئة التي أخذت أضرارها، تتزايد مع مرور الأيام، لأنها صارت تشكل جسما غريبا شاذا في تصرفاته، أدى في النهاية إلى مزيد من التفتت في كل المجالات، هذه الجماعة ممن يسمون مواطنين، أصبح يتأكد مع تعمق دراستها، نوع المخاطر التي كانت تشكلها، أمام النظام العام بالمغرب، سواء السلطة أو المجتمع، لما زرعته من بذور الشقاق، وإمكانية التمرد، عن كل الأعراف والقوانين المحلية، بدون حمل السلاح، إذ تكفي بطاقة تصدر من أجنبي، قنصلا أو تاجرا، حتى يصبح المحمي بمثابة مؤسسة لا تمس. في حين، يمد صاحبها، يده إلى كل ما يمكن أن يفعله، في مأمن من زجر، مادامت الامبريالية الأوربية، انتبهت إلى أهمية هذا العنصر، في تحريك الخلافات الداخلية، وتعميقها، والنيل من كل البنى السياسية والاجتماعية، وعرقلة كل عمل تقوم به الدولة، بدعوة حماية المحميين(50).

إن البحث في أصول نشأة الحماية مهم، لكن يظهر أنه يمكن تركيزه في أمر واحد، وهو درجة القوة التي أصبحت أوربا تتمتع بها، والتنسيق في المواقف، التي كانت تواجه بها التظلمات، عبر قنوات دبلوماسية، لها سياسات تهدف إلى تحقيقها، والتي كانت تتبلور في تحطيم الكيانات، في المناطق التي تتعامل معها خارج أوربا، والتشكيك في إمكانياتها المادية والفكرية، وتعميق خلافاتها، ليسهل ابتلاعها أخيرا. مع العلم، أن هذا لا يعفي تلك الكيانات من مسؤولياتها، في الدفاع والاحتياط لما كان يدبر لها.

---

50) قد لا يخلو أي بحث يتناول تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، إلى غداة فرض الحماية، من الاهتمام بظاهرة الحماية القنصلية، كما أفردت لها مقالات متعددة، بل صدرت وثائق مهمة عنها، في مجلة الوثائق العدد الرابع سنة: 1977

وأما من الناحية الانشائية لهذه الحمايات، فيظهر أن بوادرها، كانت تعرف في البلدان الإسلامية، للتوفيق بين ديانتين مختلفتين أساسا، في إدارة شؤون المواطنين، خاصة فيما يتعلق بقضية الحدود المفروضة على الجناة، واحتراما لتطبيق الأوامر الدينية، وعملا بمبدأ التسامح الديني، تنازلت البلاد الإسلامية، عن امتيازات للتجار الأجانب، كما فعلت الامبراطورية العثمانية، منذ بداية القرن السابع عشر(51)، لكن هذه الامتيازات، تحولت مع مرور الزمان، ومع نمو القوى الأوربية، إلى حقوق تدافع عنها أوربا، وتريد إقحامها في كل المعاهدات، التي أبرمت مع المغرب، خاصة في النصف الأخير من القرن الثامن عشر. فظهرت بأشكال مختلفة، في المعاهدات التي أبرمت بين المغرب والدول الأوربية، في عهد السلطان محمد بن عبدالله(52). لكن خطورة هذه الامتيازات لم تظهر أنذاك، لإمكان المغرب، على الأقل، الظهور بالمظهر المماثل للدول الأوربية، تلك الدول التي كان السلطان، يتقاضى أقساطا من الأموال من بعضها، كالسويد والدنمارك والبندقية، ضمانا لسلامة أساطيلها(53). وكيف يتصور أضرار ما تنازل عنه المغرب، من امتيازات للتجار، مع هذه الإمكانة التي تدر عليه أموالا، وهو مظهر يعبر عن قوة، لأنه لا يعقل، أن تدفع دول أموالالدولة ما لم تحس بقوتها، وخاصة أن الدفع استمر، حوالي ثمانين سنة، حتى أسقط عقب انهزام المغرب أمام القوات الفرنسية بإسلي سنة 1844(54).

لقد أخذت الامتيازات المتنازل عنها للأوربيين، طريقا أخر مع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فبدأت آثارها تظهر مباشرة، على إثر قبول المغرب

51) مجلة الوثائق، العدد الرابع. سنة 1977مديرية الوثائق الملكية - الرباط، ص 6

52) ن. م: ص ص 13 - 8

Laroui (Abdallah). les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 - 1912) p.250
53) Miège.(J) op. cit. T2 p. 401
Amine et autres Histoire du Maroc. p.276
Allan Richard Meyers. Sîdî Muh'mmad Ibn Abd Allâh les Africains. T7. p. 247

54) ذكر الناصري بهذا الصدد، أن السلطان المولى عبد الرحمان "اسقط عن جنس الدنيمرك وجنس السويد ما كانا يؤديانه إلى الدولة العلية كل سنة، فالأول خمسة وعشرون ألف ريال، والثاني عشرون ألف ريال، وكذلك اسقط عن غيرهم وظائف أخرى"، ن.م. ج 9. ص 53- 54.

معاهدات، مع كل من بريطانيا سنة 1856، وإسبانيا سنة 1861ثم فرنسا سنة 1863، هذه الأخيرة، التي عنيت بمشكل الحمايات، الممنوحة من أجهزة الدول الأجنبية، الرسمية والتجارية(55). تلك الحمايات التي أساءت إلى السير العام، في التعامل مع القوى الأجنبية، بعدما أصبحت أداة التطاول، على التنظيم الداخلي للبلاد. في المجالات المختلفة، ففي ميدان العدل، فتحت باب الإزدواج القضائي. مما كان في الواقع، بداية التشكيك في قدرة الدولة المغربية، على حماية التصرفات داخل ترابها، وعلى المستوى الاقتصادي، سببت في عرقلة كل محاولات إصلاحية، تتخذها الدولة المغربية، كما خلقت على المستوى الاجتماعي اضطرابا، لتواجد فئة تحظى باحترام مفروض.

إن هذه الوضعية الشاذة، صار أخطبوطها يمتد إلى مناطق مختلفة من المغرب، منذ الستينات من القرن التاسع عشر، فعرفت منطقة طرفي الأطلس الكبير، نماذج مختلفة لأثارها.

لقد كانت الواجبات المجباة على الأبواب، إحدى المشاكل التي أثارها تواجد المحميين، لتملصهم المستمر من أداء الواجبات، مما يسبب خسارة للمشترين للمكس، كما يخلق اضطرابا في السوق، لعدم وجود حظوظ التنافس الحر، وذلك ما حدث بمراكش، مما جعل عامل المدينة، يبلغ السلطة المركزية سنة 1871/1288 ما اشتكى به مكتري الأبواب، من كون التجار المحميين، يشترون السلع خارج أسوار المدينة، بأثمان منخفضة، ثم يدخلون تلك البضاعة إلى المدينة، "في أسمائهم، فرارا من دفع الواجب"(56) عليها، وكذلك يبيعون السلع، بأثمان مرتفعة للمشترين داخل المدينة، ويتحملون بإخراجها، دون أداء الرسوم، باعتبار أنها لهم، وهي

55) Miège (J) op. cit. T2 p. p. 395 - 409.

56) رسالة من وزير الخارجية السيد محمد برگاش إلى السلطان سيدي محمد ابن عبد الرحمان : تتعلق باحتيال خلطاء التجار الأجانب بمراكش على عدم أداء حقوق الأبواب: بتاريخ 13ذي الحجة عام 23/1288 فبراير 1872.

مجلة الوثائق : العدد الرابع : ص ص 398 - 395

أسـاليب "تمـالأ عليهـا التجـار وأصحابهم، من غير ناه ولا منته، بخروجها عن قانون التجـارة، وعودهـا بـالمضرة على بيت مال المسلمين عمره الله، وعلى غيرهم من تجار المدينة وسكانها"(57)، لأن ذلـك خلـق امتيـازا لصـالح فئـة مـن التجار، تغتني بدون الإسـهام فـي تحمـلات جبائية. في حين تتضرر الصناعات داخل المدينة، كما تتضرر العلاقـات بـين المدينـة والأريـاف، باعتبـار أن سلوك التجار المحميين، قد انحرف عن قوانـين التجــارة، ممــا يـؤدي إلـى "إفســاد أســواق المســلمين، وتعطيـل تجــارتهم وأمور معاشهم"(58).

إن هـذه الوضعيــة الجبائيــة المضطربـة، جعلـت أيضـا مشـترى مكـس مدينـة تـارودانت، سـنة 1871/1288، يتخـذون موقفـا مـن التجـار المحميـين، ممـا أدى بعـامل المدينة، لأن يبلغ السلطة المركزية، "بأن مشترى مكس رودانة لم يقبلهم"(59).

تبـين هـذه الظــاهرة المتكـررة، بمـدن منطقـة طرفـي الأطلـس الكبـير الغربـي، استفحال استغلال الحمايـات، للتهـرب مـن أداء الواجبـات، ممـا يجعـل السـلطات المحليـة، لا تتحكـم في ضبط جباية قسط من الرسوم. وهي وضعية عمت البلاد، عبر عنهـا السـلطان، بـ "أن نفقـة الأبـواب، كـانت تبـاع بمـال لـه بال، والفرض أن أهل الحمايـة لا يعطـون فيهـا شـيئا ، ثم إن أمرها صار يضعف بالتدريج، حتى صارت لا يقبـض فيها إلا ما لا بال له"(60)، وبذلـك يتوضـح أن مصـدرا مـن مصـادر الدولـة الماليـة، قـد تقلـص فـي ظـروف حرجـة، لاحتيـاج الدولـة لتغطية نفقاتها، بسبب ما تتحملـه مـن أداء تعويضات حرب تطوان وذيولها، بالإضافة إلى نفقات تجديد جهاز الدولة.

---

57) ن. رسالة. ص 396

58) ن. رسالة. ص 397

59) 25شعبان 1288/ 9نوفمبر 1871، كـ. 47.

60) رســالة مـن الســلطان المولـى محمـد بـن عبـد الرحمــان إلـى نائبــه بطنجــة محمــد بركــاش: بتــاريخ 22 رمضان 1288/ 28 يناير 1867.

الوثائق: العدد 4. سنة 1977ص 353

ولقد مس ضرر المحميين كذلك، الحقوق المشتركة بين الدولة والأفراد. حينما يتهرب المحميون من أداء واجبات النزائل، "فقد أخبر غير واحد من العمال، أن أصحاب التجار، يمتنعون من إعطاء ما جرت العادة بإعطائه في النزائل"(61)، مما يبين أن ظاهرة التملص من أداء واجبات النزائل عامة، بما في ذلك بدون شكل منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، مع أن رسوم الطريق، إنما جعلت " إعانة على عمارة الطريق، والقيام بحراستها"(62)، يستفيد منها القائمون بالحراسة، لأن "الإعطاء، هو لأجل تحصين متاع التجار وتوجيهه في الأمان، فليس الإعطاء إلا على نفعهم"(63)، وعدم الأداء يؤدي إلى بلبلة العمل التجاري، لأن القائمين على الحراسة، قد يتراخون في ذلك، وخاصة أن إعفاء المحميين، "مخالف للشروط"(64). ولذلك ألح السلطان على القبض بالنزائل، "من أصحاب التجار كغيرهم من القوافل، إذ يعمهم ما يعمها"(65)، ولكنهم إذا أصروا على عدم الأداء، فإن ذلك ينتج عنه اضطراب أمني، قد يحمل الدولة مزيدا من الأتعاب، "فإما أن يعطوا ما يعطيه غيرهم، أو يتوجه معهم مخازنية من المدينة، التي يسافرون منها بالأحمال، إلى المحل الذي يسافرون إليه، ويقومون بسخرتهم"(66)، مما يزيد في تعقيدات العمل للسلطة، سواء المركزية أو الإقليمية.

لقد أخذت مشكلة الحمايات في التعقيد، ذلك أنها لم تقتصر على مسألة الأداءات، وإنما مست أيضا اختصاصات العمال، وذلك ما جعل السلطة المركزية،

---

61) رسالة من السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان إلى نائبه بطنجة محمد بركاش : بتاريخ 28 ذي القعدة 1285/ 9 مارس 1869، ن.م.ص 379.

62) ن. ر.

63) رسالة من السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان إلى نائبه بطنجة محمد بركاش: بتاريخ 10رجب 1285 27 أكتوبر 1868. إتحاف أعلام الناس الجزء 3ص 391

64) رسالة من السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان إلى نائبه بطنجة محمد بركاش : بتاريخ 28 ذي القعدة 1285/ 9 مارس 1869. الوثائق : العدد 4.

65) ن. ر.

66) ن. ر.

تصـدر الأمـر، لعاملي حاحة والشياظمة سنة 1869/1286 "بـأن يعـاملا مـن عسـى أن يكـون إلـى نظرهمـا، مـن أهل الحماية هناك، بما يناسب، فيما تعين كلامهما معهم، وتركاه رأسا فيما لم يتعين"(67)، وتتـأكد مـن هذا الأمر الصادر للعاملين، الوضعية، التـي أصبـح عليهـا المحميون داخل المجتمع، حتى أصبحت دائرة اختصاصات العمال محـددة تجـاههم، فشكلت الحماية بذلك امتيازا، عبر أحد المحتجين عن فاعليته، بأن "صـار الناس في كل يوم يدخلون تحت الحماية"(68)، ومهمـا كـان هنـاك نـوع مـن المبالغة في هذا الرأي، فانما يعبر عن غيرة دينية، وعن استفحال وضعية الحماية.

إن اسـتعراض بعـض النمـاذج، لما أصبحت تثيره مشكلة الحماية القنصلية، من مـس دائـرة القـانون، الـذي تعمـل بـه الدولـة، سـواء فـي اسـتيفاء الرسوم، أو تحديد اختصاصـات هياكلهـا الإقليميـة، فـي منطقـة محـدودة، كطرفـي الأطلـس الكبـير الغربـي، ولفـترة محدودة، تصادف الستينات من القرن التاسع عشر، يوضح فعلا أن الحمايـة، أخـذت تشـكل فئـة محليـة متعاملـة مـع القـوى الأجنبيـة، مـا فتئت نتائج أعمالهـا، تتفـاقم علـى كـل المسـتويات، فـي العقـود التاليـة مـن القرن التاسع عشر. خاصة مع تزايد ارتباطها، مع العناصر الأوربية، الآخذة في الاستيطان بالبلاد.

3 - محاولة تسريب و توطين تشكيل بشري أوربي

كـانت الخطـط التوسـعية الأوربيـة، تعتمـد على تسريب وتوطين، التشكيلات البشـرية الأوربيـة، نحـو المنـاطق المستهدفة. فمنـذ القرن السادس عشر، كانت هذه الخطـة، قـد أدت إلـى حركـة اسـتيطانية واسعة، نجحت في مناطق مثل الأمريكيتين، وأسـتراليا، وعـدد مـن الجـزر، فـي حـين فشـلت في أقطار أخرى مثل المغرب، الذي عـرف نـوع هـذه الحركـة مـن طرف البرتغال، في النصف الأول من القرن السادس

67) 14جمادى الثانية 1286/ 21شتمبر 1869، كـ. 47.

68) رسالة محمد بن يحيى إلى أمين الأمناء محمد بنيس بتاريخ 25جمادى الأخيرة 1280/ 7دجنبر 1863. مجلة الوثائق: العدد الرابع سنة 1977ص 304

عشر، لكن المقاومة المبكرة نجحت في إفشال تلك الخطة (69). ولقد تجددت هذه الحركة بالنسبة للمغرب، في القرن التاسع عشر، والتي بدأت أهميتها في التزايد، منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأوضح مييج، أصول التشكيل البشري الأوربي الاجتماعية (70)، الذي بدأ يتسرب للمغرب ويستوطنه، واستنتج أن هذا التشكيل الاجتماعي الأوربي، كان يتصرف بنوع من التلاحم، إذ لم يكن يتأثر بالمنافسات الأوربية، التي كانت مقتصرة على الحكومات، إلا في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر (71). وحتى الفوارق الاجتماعية، لم تكن تؤثر على هذا التلاحم، إلا بعد ما تزايد توافد المهاجرين الفقراء كالإسبانيين(72).

لقد كانت السلطة المغربية، بالمرصاد لأخطار التسرب البشري الأوربي، فحاولت حصر إقامته في الموانئ المفتوحة للتجارة (73). وحتى بالنسبة لهذه المدن المفتوحة، كانت السلطة المركزية، تحاول عرقلة التواجد الأوربي بها، فمثلا لما حاول تاجران فرنسيان الاتجار بالدار البيضاء، سنة 1837/1253، بدعوى "الاختبار هل الربح بها أكثر من طنجة أو أقل"(74)، فان السلطان، المولى عبد الرحمان نبه نائبه الطالب عبد السلام السلاوي، "فاعلم أن تجار هذا الجنس، يتجرون مع فضاضة وغلظة، فإن وجدت مدافعتهما عن ذلك، وردهما عنه بما يقنعهما، بأن تحسن لهما الاقتصار على التجارة بطنجة، وتزهدهما في الدار البيضاء"(75)، وأوحى السلطان لنائبه بابعادهما، عن مدينة الدار البيضاء، بكل الوسائل، "واذكر لهما بداوة أهلها وشبه ذلك"(76). ويفضي بنا هذا إلى أن السلطان، والجهاز المنفذ، كانا يقومان

---

69) راجع ص 95.

70) Miège. (.) op. cit. T2. pp. 473 - 500.
71) Miiège op. cit. T2. p. 488.
72) Miège op. cit. T2. p. 488.
73)Miège op. cit. T2. p. 488.

74) رسالة من السلطان المولى عبد الرحمان إلى نائبه بطنجة عبد السلام السلاوي بتاريخ 13 جمادى الأولى 1253 / 15 غشت 1837، خ. ح. ر.

75) ن. ر.

76) ن. ر.

أحيانـا باختلاق الصعوبات، التي كان يمكن أن يلاقيها الأجانب، بإقامتهم في بعض المـدن، وإن أدى الأمـر، إلـى تشـويه سـمعة السـكان بمفـاهيم يقصـد بهـا، إرهـاب الأجنبـي، مثـل قـول السـلطان، بـداوة أهـل الـدار البيضـاء وشـبه ذلـك، لأن غايـة السـلطان مـن ذلـك "إنـا لا نريد تجارة هذا الجنس رأسا، وخصوصا في مرسى الدار البيضاء، التي هي عورة"(77)، وذلـك حمايـة لهـا، "فـلا ينبغـي موافقـة العـدو على الاطـلاع عليهـا، لأنـه لا تؤمـن غائلتـه فـي مثلهـا، حـين يـرى تفريطهـا وخلوها من الجيش، الذي يدافع عنها، فربما تسول له نفسه شيئا"(78).

كـان هـذا الموقـف قبـل هزيمة إسلي، حينما كانت السلطة، تحاول عرقلة إقامة الأوربيـين بـالمدن الشـاطئية، تجنبـا لمخـاطر التسـرب الأوربـي، إلـى نقـط، تسـهل لـه الاطـلاع علـى حقيقـة البـلاد. لكـن هـذه الممانعة سرعان ما أجهضت، لما اضطرت السلطة المغربية، لإبرام سلسلة من المعاهدات، ابتداء بمعاهدة 1856 التـي فتحت باب الاسـتقرار الأوربي بدعوى النشاط التجاري، والذي أخذ يتجاوز الاستقرار في المدن الشـاطئية، ويطمع في الانتشار في الداخل. فحرصت إسبانيا على إقحام شرط يدعم التسـرب الأوربـي في معاهدة 1861، فنـص الشـرط الرابـع، علـى أن "رعيـة حضـرة سـلطانة اسبانيا، لهـم أن يسـافروا ويسـتقروا ويسـكنوا، حيـث شـاءوا بايالة سلطان مراكش، دون تعرض ولا منع أحد"(79). علـى أن هـذا التصـرف مـن إقامـة وسـفر مشـروط، "نعم يتبعون في ذلك قانون البلاد، مثل رعية خاصة الأجناس"(80). فـإذا كـان المخـزن، قـد سـمح بتواجـد تشـكيل أوربـي، فانـه قيـد تصرفاته، بمراعاة قوانين البـلاد، وإذا كـانت مشـكلة الإقامـة بالمدن الشاطئية المفتوحة للتجارة مضبوطة. فان

77) ن. ر.

78) ن. ر.

79) ابن زيدان (عبد الرحمان) إتحاف أعلام الناس ج 3. ص 492

البزاز محمد الأمين قضية أمن الأوربيين بالمغرب 1895؛ مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية) العدد 7 الرباط 1980 ص 41.

80) ابن زيدان: ن. م. ص 492

البزاز: ن. م. ص 41

مشكلة تنقل الأوربيين داخل البلاد، كانت تثير كثيرا من المشاكل مع القبائل، لأن حركة الأجانب خارج المدن، لم تكن عملا بريئا. بل تدخل ضمن أهداف تجسسية، قصد استكشاف الأوضاع العامة بالمغرب، باعتبار أن المعرفة كما ذكر عياش إحدى الأسلحة، بل الأولى التي تستغل، لتهيء الطريق للاحتلال(81). فلذلك كان الأوربيون حريصين على التوغل داخل البلاد، لكن حياتهم كانت عرضة للخطر، من طرف السكان، الذين كانوا مناوئين لهم. إلا أن مناوءتهم، لم تكن نابعة مما كان يعرف بالتعصب الديني، "وإنما لها مصدرها في شعور عام لدى الأهالي. فبالنسبة لهم، أوربي متجول في بلادهم، لا يمكن أن يكون سوى مبعوث، يريد استطلاعها. جاء لدراسة الميدان قصد الغزو، فهو جاسوس، ويقتل من أجل ذلك، وليس ككافر، يخشون الغازي أكثر مما يكرهون المسيحي"(82). هذه الشهادة التي أدلى بها فوكو، كما أوردها المؤدن، دالة على أن مناوءة السكان للأجنبي، لم تكن مبنية على تطرف ديني، وإنما تخوفا من الأهداف الكامنة، وراء تجول النصراني، كأوربي استعماري، وليس كرجل دين مخالف للإسلام. وقد دفعت الريبة في الأجانب إلى استخفائهم، حينما يتجولون في المغرب. ومثال على ذلك، أن جل الذين عبروا ممر فاس ـ تازة ما بين 1805 و 1910، كانوا متنكرين بأسماء مغربية، أو مشرقية، أو يهودية، وتحت حماية المخزن أو الشرفاء(83). وأن تسعة من أحد عشر، الذين مروا بالمنطقة، جاءوا بعد معاهدة 1861 الإسبانية بشرطها الرابع، الذي لم يقبله المخزن، إلا بشرط الامتثال لأوامر الولاة، حفاظا على أمن المتجولين.

ولقد تزايد تدفق الأوربيين على المغرب، في الستينات من القرن التاسع عشر، فأدى تواجدهم إلى مشاكل، سواء داخل المدن الشاطئية (84)، أو أثناء محاولات التوغل في المناطق الداخلية، مما أوعز للسلطان المولى محمد بن عبد الرحمان كما

81) Ayache. (Germain). Histoire et colonisation in Etudes d'histoire marocaine Rabat 1979. p. 7
82) EL Mouden (Abderrahman) Exploitation et pénétration: un siècle d'"Itinéraires" dans le couloir de Fés - Taza (1805 - 1911) in Hespéris - Tamuda. Vol. XXII 1984. p. 114
83) EL Mouden (Abderrahman) op. cit p. 107

84) Miège op. cit. T2. p. 479.

جاء في رسالة له بتاريخ 30 صفر 1290/27 أبريل 1873، بأن يثير مشكلة، "الآفات التي تحدث بسبب خروج النصارى للمواسم والقبائل التي يكون فيها التشويش وما ينشأ عن ذلك من الهرج والشنآن"(85) ولذلك أبلغ نائبه بطنجة محمد بركاش، "بان يتكلم مع نواب الأجناس في ذلك، ليكتبوا لخلائفهم بالمراسى، بتحذير رعاياهم من الخروج للمواسم، التي بها أخلاط الناس، والقبائل التي لا تنالها الأحكام، والتي يكون بها التشويش، ولا يخرجون للبادية إلا بإذن عامل البلد، وموافقة على المحل الذي يتوجهون له، بواسطة قونصو جنسهم"(86)، وكل من صدرت منه مخالفة لأوامر الولاة "فدرك ما يقع عليه، ولا تقبل دعواه في المستقبل"(87).

يظهر أن الولاة كانوا ملتزمين بهذه التعليمات، ففي منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، كانت السلطات المحلية مصرة على مراقبة تنقلات الأوربيين، الذين يتجرأون على مغادرة مدينة الصويرة، للتوغل داخل المنطقة، فقد كتب القائد عبد الله أبهي، لأمناء الصويرة، سنة 1868/1282، الذين رفعوا بدورهم، مضمن رسالته، إلى الأمين محمد بن المدني بنيس، التي جاء فيها "إنه بلغنا يوم الجمعة، أن نصرانيا من الصويرة تسوق السوق، يوم الجمعة، ومعه صاحب القائد المهدي، وصار يدور في السوق، وحيث بلغنا ذلك تشوشنا من ذلك غاية"(88)، وإن هذا في نظر القائد، "ما كان أبدا، ولا علمنا به، ولا عندنا أمر سيدنا بذلك. وإن كان أمر سيدنا عندكم بهذا، واجب عليكم أن تعلمونا به، وننظره ونكون منه على بال"(89)، ثم

---

85) رسالة السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان إلى الحاج على بن سعيد بتاريخ 30 صفر 1290/29 أبريل 1873. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية. العدد 7. الرباط سنة 1980ص 41

86) ن. ر.

87) ن. ر.

88) رسالة من الأمينين محمد بن عمر الأوسى وعبد الواحد أقصبي إلى أمين الأمناء الحاج محمد بن المدني بنيس بتاريخ 21جمادى الأولى عام 1282/ 14غشت 1865. خ. ح. ر

89) ن. ر.

يذكر القائد، أن المنطقة التي وصلها النصراني، هي إداوبوزْيا، وتسوق سوقها، جمعة أيت داود(90)، وهي منطقة "كلها جبال وأوعار، ويتسوق بلادهم، جل أهل الجبال الخارجين عن الطاعة، ولا تنالهم الأحكام"(91). هذه الوضعية التي يفهم منها صعوبة تدخل السلطة، وفق رغباتها في متابعة السكان، ثم يتساءل، "وكيف يتسوق النصراني مثل هذا السوق، وقد أعلمناكم بهذا، لتكونوا منه على بصيرة"(92)، وذلك كله، لأنه "أخاف على نفسي من ملاءمة سيدنا"(93)، وخاصة أنه سبق له "بأني تكلمت مع سيدنا نصره الله في مسائل النصارى، فأجابني متى عرضت لك حاجة بينك وبينهم، فاكتب للأمناء"(94)، مما يوضح أن السلطان، كان قد حدد المسؤولية فيما يتعلق بتجول الأجانب بالبلاد، بأن جعل ضبط المراقبة، مشتركة بين الولاة وأمناء المراسي، التي ينطلق منها الأجانب. ولذلك فبمجرد استرعاء عبد الله أبهِي، مما يمكن أن يحدث، من عدم ضبط خروج ذلك الأجنبي، من الصويرة إلى حاحة، حتى قام الأمناء بمحاولة التنصل من المسؤولية "أجبناه بأنه لا علم لنا بخروج هذا الرومي، ولا مدخل لنا في الأمور المخزنية"(95)، محاولين بذلك، إلقاء مسؤولية ذلك التصرف على عامل المدينة، وخاصة أن النصراني، كان برفقة صاحب القائد، لكن مع ذلك، حاولوا القيام بالتذكير بواجبهم، "كلمنا قونصو الانجليز في شأنه، امتثالا للأمر الشريف"(96)، كما حاولوا

---

90) **جمعة أيت داود.** مركز هام بإداوبوز ياوورد ذكره، عند الوزان كمدينة بها صنائع وبها ثقافة إسلامية شهد الوزان على أهميتها، (الوزان. ن.م. ص ص 83-84) وبها مدفن الصالح المشهور سعيد بن عبد المنعم، الذي كانت له شهر في القرن السادس عشر، يؤكد ما ذكره القائد أن أيت داود ظلت كمركز حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

91) ن. رسالة من الأمينين محمد بن عمر الأوسى وعبد الواحد أقصبي إلى أمين الأمناء الحاج محمد بن المدني بنيس بتاريخ 21جمادى الأولى عام 1282/ 14غشت 1865، خـ. حـ. ر.

92) ن. ر.

93) ن. ر.

94) ن. ر.

95) ن. ر.

96) ن. ر.

إبراز صعوبة المنطقة، التي ذهب إليها النصراني المذكور، في مفاوضتهم للقنصل الأنجليزي، بأن ذلك "المحل هو آخر الحكومة، ولا يجتمع في هذا السوق، إلا من لا خلاق له"(97). لكن يظهر أن القنصل، تمسك بما في االشروط من حرية المتنقلين، وبعد ساعتين من المفاوضات، وعد "بأنه ينتظر ورود هذا الرومي للصويرة، ويكتب كواغيد بأنه لا يخرج أحد من ايالته، لسفر يوم، إلا بإذنه ومشورته"(99).

يتبين من هذا، أن الأجانب كانوا، يحاولون التملص، من القيود التي تضبط تحركاتهم، بداخل البلاد. فتضطر السلطة، لتهويل ما يمكن أن يتعرضوا له، من طرف عناصر ليست لها عليهم السلطة. لكن مع ذلك استمر الأجانب، في ارتياد المناطق الداخلية، فقد تمكن أحد الأوربيين، من التسرب إلى تارودانت سنة 1285/ 1867. مما أدى بأن يكتب عامل "وقاضى ردانة، بما وقع للناس من أجل النصراني، الذي قدم إليها"(100)، من الصويرة. فنجم عن هذا الاستياء العام، أن أمرت السلطة المركزية، "بالمبالغة في التحيل على إيصاله للصويرة بسلام، واصلا لعاملها، إن لم يخش عليه في الطريق وإلافلا"(101). مما يوضح تخوف السلطة المحلية والمركزية، مما يحدث عن غضب السكان، ضد ذلك الأجنبي، الذي وصل إلى تارودانت، فحرصت السلطة على إرجاعه للصويرة. لكن إن تبين أن حياته ستتعرض للخطر، "بأن خشي عليه في الطريق، يوجه ما فيه الكفاية، من الخيل للإتيان به للصويرة"(102). هذا الإجراء الذي أمرت به السلطة المركزية، يترجم محاولة السلطة، تجنب تحول تدمر السكان، من وصول الأجانب، إلى المناطق الداخلية، إلى أعمال تعرض حياتهم للخطر، فتضطر لحمايتهم، ولو باستعمال القوة.

---

97) ن. ر.

98) ن. ر.

99) ن. ر.

100) 23شوال 1285/ 6فبراير 1869، كـ. 47.

101) 23شوال 1285/ 6فبراير 1869. ملخص آخر، ن.م.

102) ن. الملخص.

إلا أنهـا أحيانـا تحمـل الأجـانب مغبـة ما يرتكبون فلما، "تشكى باشدور النجليز من قبـل بعـض أوبـاش حاحا"(103)، سـنة 1872/1289، فـإن السـلطة، قـامت بتحرياتهـا، وتـأكد للسـلطان، "بـأن الأمر تحقق لديه، أنه من أخلاط الناس، الذين يجتمعون في المواسـم، والقانون الاسترعاء والتبري بلزومهم مواضعهم، لما عسى أن يكون، بسبب اجتماع أخلاط القبائل"(104)، ويظهـر مـن هـذا، أن السـلطة المركزيـة، أدركـت أن هنـاك تعمـدا، فـي ارتيـاد الأمـاكن المشـبوهة كالمواسم، التي هي خليط السكان، مما يثـير حساسـيات يصعـب علـى السـلطة ضبـط نتائجهـا. وخاصـة إذا تعلـق الأمـر بالأجـانب، الذيـن يزيـد تواجدهـم فـي تلـك الأمـاكن، مـن تعقيد إجراءات الأمن، ولذلـك تحملهـم السـلطة مسـؤولية تصرفـاتهم، لعدم انضباطهم للقوانين، التي تنظم تنقلهم داخل البلاد.

إن المحـاولات المتكـررة، مـن طـرف الأجـانب للتسـرب، إلـى منطقـة طرفـي الأطلـس الكبير الغربي، في الستينات من القرن التاسع عشر، توضح مدى الأخطار، التـي يشـكلها تواجـد التشـكيل الاجتمـاعي الأوربـي بـالبلاد، والذي ما فتئ يسعى للتعـامل، مـع أطراف متعددة داخل البلاد، مما يثير مشاكل ضبط الأمن، وخاصة أن الدولـة ملزمـة وفق المعاهدات، بضمان حركة تنقل الأوربيين في عموم البلاد. لكنها فـي نفـس الوقت، تحاول عرقلة ذلك التنقل بإخضاعه لضوابط سلطوية محلية، تهربا مـن غضـب السـكان، الذين يمس تنقل الأوربيين وسطهم شعورهم، فتحاول السلطة إرهـاب الأجـانب، بالتلويح بعدم قدرتها، على تطبيق سلطتها الكاملة على السكان، لأنـه لا تنـالهم الأحكـام. مما يزيـد تعقيـدا فـي فهم النسيج السلطوي، بين السكان والسـلطة، وخاصـة فـي ظرفيـة، كـان فيهـا التسرب الأوربي، آخذا في الإزدياد، مما يؤدي إلى اضطراب في العلاقات العامة، السلطوية والاجتماعية.

---

103) 28جمادى الأولى 1289/ 3غشت 1872، ن.م.

104) ن. الملخص كناش 47.

104) ن. الملخص كناش 47.

إن كـل هـذه المحـاولات الأوربيـة، لخلـق نقـط، وفئـات التعـامل، أو التسـرب البشـري، فـي منطقـة جنـوب الصويـرة، كشـفت عن أساليب مقاومتها، سواء على الصعيـد السـلطوي، المحلي والمركـزي، أو على مستوى السكان. هذه المقاومة، التي إن لـم توقـف آثـار تلـك المحـاولات، فإنهـا أبطأتهـا فـي العقود التالية، للستينات من القـرن التاسـع عشـر، لكنها أصبحت مشكلة انضافت للمشاكل المحلية، التي تتحول أحيانا إلى أزمة سياسية، كما حدث بحاحة.

V ـ الاضطراب السياسي بحاحة (1868/1285 - 1873/1290)

عرفـت حاحـة، اضطرابا سياسيا معقدا في ظرف خمس سنوات (1290/1285)، أتـى علـى الصيـت، الذي عرف لها، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، بل وعلى الـدور، الـذي كـانت تقوم به قيادتها، آل بهِي، منذ عهد المولى محمد بن عبد الله، إلـى عهـد محمد بن عبد الرحمان، على فترة امتدت حوالي قرن، كانت حاحة فيها بقيادتهـا، بمثابـة الوسيط بين السلطة المركزية والمناطق النائية، بسوس وإيليغ، ووادي نون، تراقب المنطقة، وتتدخل في شؤونها، بأمر من السلاطين(1).

فكـانت الثقـة تتجـدد فـي قـادة آل بهـي خاصة عبد الملك أبهي، ثم ابنه عبد اللـه، واسـتفادت مـن هذه الثقة وهذا الدور قبيلة حاحة المترامية الأطراف، فشكلت القـوى التـي اعتمـد عليها آل بهي، في إنجاز ما كانوا يكلفون به، من طرف السلطة المركزيـة. لكـن هـذا الانسـجام انتهـى بتوتـر عام في المنطقة منذ 1869/1285 والـذي يرجـع إلـى أسـباب معقدة، سببت في تراجع مكانة حاحة. ويظهر ان تلك الأسباب متداخلـة، منهـا التـي ارتبطـت بـالتطور العـام، كبدايـة تراجع مدينة الصويرة، نتيجة

1) لقـد وردت معلومـات متفرقـة عـن دور قيـادة حاحـة بسـوس في المواضيع السابقة سواء في عهد عبد الملك أبهي أو في عهد عبد الله بن عبد المالك أبهي.

منافسة الموانئ الأخرى(2)، ومنهـا التي كانت مباشرة، ارتبطت باضطراب اجتماعي واسـع، رافقـه تدهـور ديمغرافـي، الـذي يظهـر أنـه نتج عن عوامل طبيعية، وتكاليف عسكرية.

لقـد عرفت المنطقة قحطا شديدا، أورد عنه المختار السوسي، نصا لمعاصر، ذكر فيه أنه، في عام 1867/1284 "رجـع عليهم فيه الغلاء والقحط والجوع الشديد، كالأول المذكور، [يعني قحط سنوات 1266 - 1267 - 1268] واشـتد علـى الأقوام الجوع، وصار الغـلاء فـي سـائر الأقطـار، كبـلاد الغـرب، والمدن ومراكش وأحوازه، وثغر الصويرة وأحوازهـا وبلدة حاحة وأحوالها"(3). فـاذا لـم تتوفـر معلومـات واسـعة حـول هـذه الكارثـة بالمنطقـة، فـان ما تأكد أنها أحدثت بلبلة اجتماعية، في نقص الموارد وهلاك الأنفـس، وارتفـاع الأسـعار، حتـى صار القمح بالصويرة، ستين مثقالا للخروبة، بعد ما كان بعشر مثاقيل(4).

لقـد واكبـت التكـاليف العسـكرية ظـروف القحط، ذلك أن إداوتنان تعرضوا لهجوم حاحة سنة 1867/1284، فذكـر صـاحب النـص المعـاصر، أن "نواحي بني تنانة كلهـم، قد تسلط عليهم القائد الحاج عبد الله بن عبد الملك الحاحي، واخوانه كلهم قبـائل حاحـة بـاجمعهم"(5)، وسـاندتهم قبـائل أخـرى، كمسـگينة، وكسـيمة

2) قـد ذكـر مييـج أن بدايـة تراجـع ميناء الصويرة بالنسبة للتجارة الخارجية، كان في أوائل الستينات من القرن التاسع عشر، ذلك أنه كانت تستحوذ منها على حوالي 38% إلـى 58%مـا بـين 1830 و 1844. لكنهـا لـم تعـد تستحوذ إلا على حوالي 21% إلى 33% ما بين 1859 أو 1866نتيجـة منافسـة موانـيء أخرى كأسفي والجديدة وخاصة الدارالبيضاء. Miège : Le Maroc et l'Europe 1830 - 1894. Rabat, 2ème éd. 1989. T III. pp. 53 - 69.

3) السوسي ـ محمد المختار: المعسول. ج 15. الدار البيضاء، طبعة النجاح. سنة 1962. ص11.

تحدث مييج عن هذه الأزمة ونتائجها على المغرب كله وذكر أنها امتدت من سنة 1867إلـى 1869، ذاكـرا أنهـا دامت ثلاث سنوات أضرت بالسكان بانتشار المجاعة والأمراض كالكوليرة وهلكت الأنفس والبهائم:

Miège op. cit. p. 146.

4) السوسي. المختار ن. م. ص 12

5) المختار السوسي : ن. م. ص 12

ودمسيرة واداوزيكي(6)، هذه القبائل التي كانت تابعة لسيطرة عبد الله أبهي، واستمر الهجوم تسعة أشهر(7)، وكانت النتائج وخيمة على إداوتنان، "قد أفسدوا بلدة إداوتنان عن آخرها، فقد يكون القتال في كل موضع نزلوا فيه"(8)، وانعكس هذا على القتلى والجرحى من الطرفين، "مات من حاحة ومن معهم نحو خمسمائة، والمجاريح بلا عدد، وثلاثمائة من الخيل، فدونها، ومات من بني تنانة ما يقرب لمائتين"(9) فتكبد الطرفان خسائر فادحة، رافقها إتلاف وسائل الإنتاج الفلاحية وإحراق الدور، لكن إداوتنان لم يخضعوا لحاحة، فقد "نجاهم الله منهم، ومن أحكامهم"(10). مما يدل على فشل الحملة في تحقيق أهدافها. وظلت الذاكرة الشعبية محتفظة بذكرى رموز حاحة، الهالكين في معارك 1867/1284، لأزيد من نصف قرن، وذلك ما تعرف عليه المختار السوسي، لما زار إدواتنان 1944/1363 فذكر، "أراني من معي، مسقط رجل كبير من أهل ايكيدر الحاحيين"(11)، مما يدل على نكبة عسكرية أصابت حاحة، واكبت آثار القحط.

لقد أدت هذه العوامل المتعددة، إلى تراجع مكانة حاحة، وحامت الشكوك حول قيادتها. مما فتح الباب لتغييرات سياسية. بدأت بتنحية عبد الله آبهى سنة 1284/ 1868 وعجز خلفه عن التسيير، مما نجم عنه اضطراب واسع، تجلى في ثورة حاحة. فحاولت السلطة المركزية، تهدئة الأوضاع بتجديد قيادة حاحة، لكن ظروف استمرار التوتر، دفعتها للزحف على حاحة سنة 1873/1290.

---

6) المختار السوسي : ن. م. ص 12

7) المختار السوسي : ن. م. ص 12

8) المختار السوسي : ن. م. ص 13

9) المختار السوسي: ن. م. ص 12

10) المختار السوسي: ن. م. ص 12

11) المختار السوسي: خلال جزولة ج 4تطوان بدون تاريخ ص: 86.

1 ـ تنحية عبد الله أبِهِي عن الحكم 1868/1284

كـانت تنحيـة عبـد اللـه أبهي عن الحكم، بمثابة نكبة أصابت قيادة حاحة، لما كـان الشـخص يتمتع به، لدى جميع الأوساط الاجتماعية من احترام وثقة، رغم أنه احـترام مكتسـب عـن طريق السلطة، الذي يكون دوما مثار الريبة. الا أن جل الذين تحدثـوا عنـه، أشـاروا إلـى المكانـة التـي كـان يتبوأهـا. فقد كتب عنه المؤرخ المعاصر أحمـد الناصري، في معرض حديثه عن حوادث سنة 1867/1284، "وفـي ذي القعـدة مـن هـذه السـنة، توفـي القـائد الأجـل أبـو محمـد عبـد الله بن عبد الملك بن بيهي الحـاحي، وكـان مـن كبـار قواد المغرب، وأهل البذل والإيثار، والمعروف له في تلك أخبار مذكورة رحمه الله"(12). شـهادة مـن معـاصر محنك، أجملت الصفات التي كـانت لعبـد اللـه أبِهِـي، ممـا أهلـه كما يذكر المختار السوسي لأن " أمدته الحكومة بعنايـة كـان جديـراً بهـا، لاخلاصـه للعرش، وقد بلغ في أوائل أيام المولى محمد بن عبد الرحمان مركزا عظيما"(13)، ذلـك المركـز الـذي قـال عنـه رويـير مونطاني "ما زال أصغـر راع يتذكـر اسـمه وأمجـاده، ومازالت الأشعار تنشد شهامته"(14). وأمـا الروايـات الشـفوية فظلـت تتحـدث عـن سـمعة عبـد اللـه أبِهِـي، ومـا فتئت تنسب له الخوارق(15).

إن هـذه الأفكـار التـي تـدور حول عبد الله أبِهِي، دالة على أن الشخص كان لـه مركـز اجتمـاعي، فـيراجع ويستعان بـه فـي الملمـات، سـواء مـن جهـة السـلطة

---

12) الناصري : ن. م. ج 9. ص 119.

13) المختار السوسي: ايليغ ص 273.

14) Montagne (R) Ibid. p. 123.

15) عـدد كثير من النـاس الذيـن تذاكرت معهم أمر عبد الله أبهي بالمنطقة، ما زالوا يذكرون أمورا كثيرة عنه، أشبه بالأسـاطير. فحكـى لـي المرحوم الحاج عبد اللطيف الحاجي، أنه في صغره أدرك أسطورة تتردد بين الناس، مفادهـا أن عبد الله أبهي، كانت له ثروة ضخمة، أثارت تساؤلات الناس، حتى اتهم أنه يستخدم الجن، لكسب المـال عـن طريـق التحويـل الكيمـاوي للمعادن. وأدى هذا لاستدعائه من طرف سلطان الوقت، تقصيا للحقيقة، فطلـب منـه عبـد اللـه أبهي مهلة حتى يحضر الوسائل التي يكتسب بها الثروة، فلما عاد إلى السلطان حمل معه الظهائر السلطانية، وقال للسلطان: إن هذه الظهائر هي التي اكسبتني الهيبة والمال.

المركزية، التي كانت تعتمده، أو من جهة كل الفئات المهيمنة بالمنطقة. فكان اختفاؤه المفاجئ قد زاد في سمعته. وخاصة أن الأحداث التي توالت على حاحة بعده كانت نقيض أيامه، وأيام من قبله، ولذلك فإن تنحيته يكتنفها غموض، وخاصة أن الأسباب التي تذكر حولها متناقضة ومبهمة.

فبالنسبة للمؤرخ المعاصر الناصري، لم يزد أن أورد كما سبق، أن عبد الله أبِهي توفي، دون توضيح لأسباب الوفاة. وأما المختار السوسي، فيذكر تعليلا يتفق مع روبير مونطاني (16)، يدور حول الروابط التي كانت بين عبد الله أبِهي والحسين ابن هاشم التازر والتي، حيث يذكر المختار السوسي، أن ابن هاشم توافد على عبد الله أبِهي بحاحة، في تاريخ يرحج أنه كان قبل سنة 1867/1283 فأكرمه "إكراما لا يزال طنينه يرن في الأسماع إلى الآن"(17). وقد يكون هذا الاتصال مبررا للنيل من مكانة عبد الله أبِهي، خصوصا أن الناس، " يقولون أن سبب غضب السلطان على الحاج عبد الله، هو أنه توصل برسالة سرية كتبها إلى الحسين، فأمالها الرسول إلى مراكش، عوض أن يسير بها إلى إيليغ"(18). لكن المختار السوسي تحفظ من هذا التأويل مبررا ذلك أنه، يقف "دائما من أمثال هذه الأقاويل المتداولة موقف الحياد"(19)، في انتظار الحجج الصحيحة. متسائلا عما إذا كان عبد الله أبِهي، قد ذهب فعلا ضحية تقاربه إلى أهاشم مع أنه، "لا يمكن لنا أن نحمل هذا التقارب إلا على ما ينفع الحكومة"(20). هذا التخمين الذي توصل له المختار السوسي، تؤكده بعض الوثائق. فقد كان عبد الله أبِهي وسيطا بين السلطة المركزية، وآل بيروك بوادي نون عن طريق الحسين بن هاشم(21)، سنة 1866/1283 لكن " ما شافه

16) Montagne (R.) op. cit p. 110.

17) المختار السوسي: ايليغ: ص 273

18) المختار السوسي : ن. م. ص 274

19) المختار السوسي : ن. م. ص 275

20) المختار السوسي : ن. م. ص 275

21) راجع ص ص 321 – 322.

به عبد الله أبهي في شأن ولد هاشم، وما حصل فيه من الشك وخيبة الظن فيه، بركونه"(22) لبيروك، يؤكد أن عبد الله أبهي كان شاكا في إخلاص ابن هاشم للسلطة المركزية، ولذلك فان السلطان، اعتبر "الطالب عبد الله لسان صدق، وولد الدار، لا يخفى شيئا مما اطلع عليه من أمره [أهاشم] خيرا أو شرا ودخوله بيننا وبين هذا الرجل، أحسن من دخول غيره، لكونه يعرف ما يأتي من أمره وما يترك، ولا يخفي عنه ما يسر من أمره وما يعلن"(23). ولهذه الأسباب، اعتمده السلطان في الاتصال مع أهاشم، وأوصى خليفته المولى الحسن بالتقيد بمشورة أبهي في علاقاته به أيضا، و"لهذا أحلناك سابقا، على خديمنا المذكور في مباشرته، وأن تصدر عن رأيه في أمره"(24). ولعل ما يمكن استنتاجه من كل هذا، صعوبة جعل اتصال أبهي بأهاشم سببا لتنحيته، الا إذا كان تأويل "سعيه في دوائر ولي العهد على خلاف ذلك"(25)، يثير الريبة التي تؤدي إلى أن "يبطش به"(26). لكن المختار السوسي قرن هذا لبطش بتعليل آخر موافق لما ذكره روبير مونطاني(27) مفاده؛ تمكن المتوكيين من التأثير على المولى الحسن، للتآمر ضد أبهي(28)، وهم الذين كانوا في تنافس مستمر معه، رغم أنه كان وراء إطلاق سراح محمد المتوكي وإعادة توليته(29). على أن هذا لا ينفي أسباب التنافس، لكون كل واحد من الطرفين، كان يطمح في مد نفوذه بالمنطقة. ويورد المختار السوسي تعليلا آخر، يذهب إلى أن هجوم عبد الله أبهي على إداوتنان، كان منه" افتياتا على الحكومة، فيكون ذلك ما عجل إليه حنقها الشديد"(30)، مع أن السلطة المركزية، كانت على

22) 1ربيع الثاني 1283/ 14يوليوز 1866، ك. 47.

23) رسالة السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان إلى المولى الحسن بتاريخ 1ربيع الثاني 1283/14 يوليوز 1866، خ. ح. ر.

24) ن. ر.

25) المختار السوسي : ن. م. ص 275

26) المختار السوسي : ن. م. ص 275

27) Montagne. (R.) op. cit p. 123.

28) المختار السوسي : ن. م. ص 275

29) راجع ص 177.

30) المختار السوسي : ن.م. ص 274

علم بهذه الحملة، لانه في 3محرم 1284/7 ماي 1867 "طلب السيد عبد الله أبهي الولاية على أكدير، للاستعانة بها على فساد إداوتنان فولى"(31)، مما يصعب معه أيضا تصديق هذا التعليل، اللهم إذا كان عبد الله أبهي، قد تجاوز ما سمح له به من التدخل، وخاصة أن الحملة كانت خسارة على إداوتنان.(32)

إن كل هذه التعليلات، لا تسمح مع الامكانات المتوفرة، الا باعتبار قضية تنحية عبد اله أبهي، "لا تزال في ذمة البحث "(33)، كما يقر بذلك المختار السوسي. لكن مهما اختلفت الأسباب حول تنحيته عن قيادة حاحة، فإن نتائجها المباشرة من الاستياء الناجم عن تلك التنحية، أدت إلى تقهقر مركز أسرة آل بهي، كما قوضت هيمنة حاحة كقبيلة وسيطة بين السلطة المركزية والمناطق السوسية، والجبال بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي.

2-تولية محمد بن عبد الله أبهي وبروز المشاكل بحاحة (1868/1285 - 1871/1288)

كانت تولية محمد بن عبد الله أبهي بداية بروز مشاكل متنوعة، خاصة من الناحية السياسية، والتي صارت تتعمق في صفوف قبيلة حاحة، لتؤدي في النهاية إلى بداية انشقاقها.

ولقد دل بروز المشاكل في عهد محمد بن عبد الله أبهي، على ضعف مركزه السياسي، سواء داخل القبيلة أو خارجها، لدى السلطة المركزية، أو القبائل المجاورة. مما كان له تأثير على إزالته عن الحكم بعد فترة وجيزة. ولذلك غالبا ما نعت محمد بن عبد الله هذا بأمَعْدور "المعتوه"، مما يدل على نقص عقلي يحول دون قيادة القبيلة. وتجلى هذا النقص في الواقع، في عجز محمد أبهي عن حل المشاكل، التي واجهته والتي أدت إلى الإطاحة به.

---

31) 3محرم 1283/ 7ماي 1867، ك. 47.

32) السوسي (المختار) خلال جزولة، ج 4، ص 86.

33) المختار السوسي : إيليغ، ص 276

أما توليته فإن أول إشارة عنها وردت في الكناش المرقم بـ 47، والـذي يلخـص مراسـلات المولـى محمد بن عبد الرحمان، قد بدأت في أواخر شهر جمادى الاولى سنة 1285، واسـتمرت الإشـارة إليـه وإلـى المشـاكل التـي واجهته حتى سقوطه أوائل سنة 1288. ولـم يذكـر شـيء في هذا الكناش، عن الظروف التي تحولت فيها القيادة إلـى محمـد بـن عبـد اللـه أبهـي. وأمـا طبيعـة المشـاكل التـي عرفهـا، فتـدور حـول مجموعـة مـن النزاعـات. بـدأت بـالصراع العـائلي، فمحاولـة مناهضـة القبيلـة لـه، فالصراع مع الجيران كالشياظمة ومتوكة.

يظهـر ان الصـراع العـائلي الـذي دشـن بـه محمـد بـن عبـد اللـه أبهي حياته السياسية، تزامن مع وفاة ابن عمه (34) الحسـين بن سالم، الذي كان خليفة عبد الله أبهي، وكان يحظى بثقته وثقة السلطة المركزية (35). ويظهـر انـه استمر في منصبه، هذا حتى كانت وفاته في بحر سنة 1868/1285 فـي ظـروف غامضـة. كما دلت على ذلـك مجموعـة مـن القرائـن، التـي يلاحـظ مـن خلالهـا ان الحسين بن سالم، كان ضحيـة مـا توفـر لديـه مـن الـثروة. ويظهـر ان هنـاك جهات متعددة تود الاستحواذ عليهـا. وقـد كان محمد بن عبد الله أبهي من المتهمين في قتله. لذلك فان السلطان أصـدر الأمـر، "بـإلزام محمـد بـن عبـد الله أبهي الحاحي، بما كان مطالبا به الحسين أسـالم، وبذعيرة الافتيات في قتله ومن معه، وإخبار بالكذب في كيفية موتهم"(36)، ممـا يفهـم منـه، أن أبهـي كـان وراء وفـاة الحسين أسالم مع آخرين، لم تبين لا درجة قرابتهـم ولا صفـاتهم. وأنـه أخفى الحقيقة على السلطة المركزية، التي صارت تطالبه بـأداء غرامـة، لـم تحـدد قيمتهـا. كما أنها طالبته بثروة الهالك، التي ادعى "أنه وجه متروكه على التمام"(37)، لكـن السلطان لم يصدقه، فأبلغ المولى الحسن، "فاعلم أن

---

34) 15رجب 1285/ انوفمبر 1868، كـ. 47.

35) رسـالة مـن محمـد الحـاج إلـى السلطان المولى عبد الرحمان . بتاريخ 29ذي القعـدة 1271/ 2غشـت 1854، خـ. حـ. ر.

36) ملخص رسالة صادرة في شهر جمادى الأولى 1285. دون تاريخ اليوم كناش 47

37) 15رجب 1285/ انوفمبر 1868، ن.م.

الناس مطبقون على خلاف ما قال، ومال بيت المال لا يترك لأحد"(38). ولذلك فان السلطة المركزية، سعت إلى البحث عن ذلك المال، فاستدعت الطالب على إگيدَرْ الذي كان كاتب الحسين بن سالم (39) في أمان. فتوجه إلى مراكش، لكن القائد محمد بن عبد الله أبِهي "يتحلف عليه وعلى الظفر به، ويتوعد بالايقاع به"(40)، ولذلك فإنه استحرم بالضريح العباسي، فجدد له السلطان الأمان معتبرا أنه، "هو الذي يبين مال الحسين أسالم، وما هو منه عند ولد السيد عبد الله أبهي، وما هو منه عند المتوگي، وما هو عند غيرهما"(41)، مما يوضح ان مال الحسين أسالم كان مهما، فشاركت أطراف متعددة في أخفائه، كمحمد بن عبد الله أبهي ومحمد المتوگي، وجهات أخرى لم تذكر، ولعلها الموجودة بالصويرة، التي كانت فيها ممتلكات الحسين بن سالم أبِهي. وإن تورط محمد بن عبد الله أبِهي في جريمة قتل أحد خواص والده، يظهر منها قصر نظره السياسي، كما تشوه سمعته.

كانت المشكلة الثانية، التي واجهها محمد بن عبد الله، هي محاولة مناهضة القبيلة له، مما أدى في 10 ذي القعدة 1285/22 فبراير 1869 بعامل الصويرة أن يخبر "انتشار فساد حاحة عن عاملهم"(42). كما ان عامل متوگة "ذكر ان الفساد شاع في قبيلة حاحا، وانهم نهبوا الدار التي كان بها كبير المحلة"(43)، مما يدل على ضراوة مقاومة الخارجين عن سلطة محمد أبِهي، الذي طلب المدد من المولى الحسن فأصدر الأمر "للمتوگي والحنشاوي، بالنهوض بأنفسهم لتلافي أمرهم، وردهم لعاملهم آمنين، من غير إحداث ضرب ولا فتح باب فتنة"(44). فسعت السلطة

---

38) ن . ر.

39) رسالة موسى بن أحمد إلى المولى الحسن بتاريخ 22شعبان 1285/ 8دجنبر 1868. خ. ح. ر.

40) ن. ر.

41) ن. ر.

42) 10ذي القعدة 1285/ 22فبراير 1869، كـ. 47.

43) 10ذي القعدة 1285/ 22فبراير 1869، ن.م.

44) 18ذي القعدة 1285/ 2مارس 1869، ن.م.

المركزية بذلك، لبذل الجهد لكف القبيلة عن التمادي في مناهضة قائدها. لان ذلك سيؤدي إلى ما عبرت عنه بالفتنة التي لا تحمد عقباها، فألحت على أن يكون وجود القوى، كوسيلة للضغط، دون أن يؤدي ذلك إلى اشتباكات مسلحة. ولتنفيذ قرارها، توجه كبير الخيل الحاج محمد بن الجيلالي (45). إلى حاحة، كما أصدر السلطان أمرا، بتوجيه "العسكر الذي كان عند الطالب علي أُحَدّ الدمناتي، حيث استغنى عنه "(46). ويظهر أن سياسة احتواء تدمر قبيلة حاحة، أتت كلها في أقل من شهر، ففي 2 ذي الحجة 1285/16 مارس 1869 تم "الإعلام بما ءآل إليه أمر حاحا، من الصلح والاذعان للخدمة مع عاملهم، واضمحلال أثر موقع الفتنة فيهم"(47).

هذا الصلح الذي دفع بأُبِهي بأن يطلب من السلطة المركزية، "تأخير عاملي الشياظمة ومتوگة عن الحركة للاستغناء عنهما"(48). فصدر الأمر لهما بذلك، كما أمر كبير الخيل ابن الجيلالي بالرجوع من حاحة (49). ووجه أُبِهي المدد الذي كان عنده من العسكر لاستغنائه عنه (50). وبذلك انتهت مناهضة قبيلة حاحة لقائدها الجديد محمد أُبِهي، لكن بعد أن تعرضت لضغط من أطراف متعددة. ولا شك أن هذا العمل كشف عن العواقب الأولية لتنحية عبد الله أُبِهي، كما جعل قبيلة حاحة تشعر بفقدان ما كانت تعرفه من شوكة، بعد أن أصبحت القبائل المجاورة تندس في قضاياها.

لقد كانت العلاقات، بين القبائل المتجاورة، بمثابة المقياس الدقيق الذي تعرف به رصانة سياسة قادتها، أو سوءها. لان عرى الارتباط وثيقة بينها، وإن فتح الباب

---

45) ن. ر.

46) ن. ر. وعن الطالب علي أحد الدمناتي راجع اينولتان لأحمد التوفيق، ج1، ص ص 126 – 127.

47) 2ذي الحجة 1285/ 16مارس 1869، ك. 47.

48) ن. ر

49) ن. ر

50) 13ذي الحجة 1285/ 27مارس 1869، ن.م.

لمشاحنات مزمنة، قد تكون عاقبتها وخيمة. وذلك ما حدث لمحمد بن عبد الله أُبهِي مع جيرانه، خاصة الشياظمة ومتوگة، تلك القبيلتان اللتان تتداخل المصالح بينهما وبين حاحة، في عدة وجهات فتحتاج إلى حفظ التوازن المستمر.

كان تبادل التهم بين كل من محمد بن عبد الله أُبهِي، وعمر الحنشاوي قائد الشياظمة، يدور حول محاولة كل طرف الكيد للآخر، وذلك ما عرفته العلاقات بينهما خلال سنة 1869/1286، ففي شهر ربيع الثاني من نفس السنة، اشتكى عامل حاحة "بتعدى عامل الشياظمة على الخوض والتشويش في ايالته، حتى وجد من يرحل جماعة منهم"(51)، ويظهر أن هذه الجماعة من حاحة، كانت قد لجأت إلى الشياظمة، ثم "رجعوا لبلادهم وعمروا دارا على الفساد"(52)، مما يبين أن قائد الشياظمة، حاول الاستفادة من تلك الجماعة بتحريضها على أُبهِي، لكنه لما استفسر من طرف السلطة المركزية، ادعى "بأنه لا يتعرض له بالحرم"(53)، دون أن يبين نوع الاستحرام الذي اتخذه ذريعة لنفي التهمة عنه. لكنه لم يمر سوى شهر، حتى تجددت التهم بين الطرفين، فاتهم عامل الشياظمة عامل حاحة "بايواء أهل الفساد"(54)، مما دفع السلطة المركزية للتصدي للقضية، فكتب المولى الحسن إلى عامل حاحة، "عما يناسب في النازلة"(55). كما وجه له ممثلا عنه "يمكنه ممن يقبضه من الفساد المذكورين، ويجعلهم بسجن الصويرة على يد عاملها"(56).

ويتوضح من هذه التهم المتبادلة، أن كلا من الطرفين، كان يحرض الخارجين على الطرف الآخر، على إحداث البلبلة في إيالة الآخر، لكن هذه التصرفات الطائشة، أدت إلى ارتكاب جريمة قتل، حاول كل طرف استغلالها للتشهير

---

51) 19ربيع الثاني 1286/ 29يوليوز 1869، ن.م.

52) 18ربيع الثاني 1286/ 28يوليوز 1869، ن.م.

53) 19ربيع الثاني 1286/ 29يوليوز 1869، ن.م.

54) 19جمادى الثانية 1286/ 26شتنبر 1869، ن.م.

55) ن. ر.

56) ن. ر.

بـالآخر، فـانتهز عامل حاحة محمد أبهي "دخول جماعة من الشياظمة بلاد اخوانه، وصـدور القتـل"(57) فيهـم، لإثبـات تعـدى الشـياظمة علـى حاحـة، ولذلـك تمـت "معاينة عدول المدينة للمقتول"(58)، الـذي "حملـه مائة فارس وراجل"(59) عـائدين بـه إلـى الشـياظمة، مبينـا بذلك سوء نوايا عامل الشياظمة عمر الحنشاوي الذي أبلغ السلطة المركزية بخلاف ذلك (60)، فوجهـت لـه أمـرا "بكـف إخوانـه مـن هـذا الفـعل"(61)، وذلك في انتظار "تقص في البحث"(62)، فـي القضيـة، نجم عنه رفع تقرير للسلطان، في 3 شعبان 1286/8 نوفمبر 1869 أقـر صحـة مـا اشـتكى بـه عـامل حاحـة، "مـن أن جماعـة مـن الشـياظمة، دخلـوا بـلاد اخوانه ليلا بقصد افسادهم، وعمـروا لـدوار، فضـرب أهلـه واحـدا منهـم وقتلـوه، وعاينه عدول المدينة، ثم قدم إخـوان المقتـول، بمـا ينيـف عـن المائـة فـارس وراجـل وحملـوه مـن وسـط بـلاد حاحـة"(63)، واستنتج المولـى الحسـن "أن إخـوان كـل واحـد منهمـا، ليسـوا بمقصريـن في الاشتغال بالافساد والاغتيال في إيالة الآخر"(64). ممـا يوضـح أن كـلا مـن القـائدين، كـان يحـرض جماعـات مـن أتباعـه للقيام خلسة باضطراب في إيالة الآخـر، ثـم يبحـث عـن حجـة تثبت تورط الطرف الآخر، وذلك ما توصل له تقرير البحـث عـن القتيـل مـن الشـياظمة بحاحة، فلما "علم القائد محمد بن عبد الله أن عاملـه المذكـور يتوصـل لـه بالاحتجـاج بـه عليـه، زاد فـي إشـهار قتلـه علـى الوجه المشار له"(65). ذلـك أن عـامل الشـياظمة كـان يريـد أن يتخذ من قتل أحد إخوانه بـأرض حاحـة، حجـة علـى عاملهـا، الـذي عمـد بـدوره إلـى إشهار القتل، بواسطة

---

57) 20جمادى الثانية 1285/ 8أكتوبر 1868، ن.م.

58) ن. ر.

59) ن. ر.

60) ن. ر.

61) ن. ر.

62) ن. ر.

63) 3شعبان 1286/ 8نوفمبر 1869، ن.م.

64) ن. ر.

65) ن. ر.

عدول استقدموا من مدينة الصويرة لإثبات الجريمة، وصفة المقتول، تبرئة لساحته وساحة قبيلته. ولقد كان موقف السلطة المركزية، بعد أن تبينت لها عناصر الجريمة، أن حاولت تأنيب الطرفين، فكتب المولى الحسن لعاملي حاحة والشياظمة "بنهي إخوانهم وكفهم عن ذلك امتثالا لأمر"(66) السلطان.

كان ذلك وجها من أوجه الصراعات القبلية، التي تستغل فيها كل العوامل لإيقاع طرف بآخر، وخاصة إذا كانت الظروف مواتية لأحد الطرفين، للاعتقاد أن بإمكانه كسب نفوذ أوسع على حساب الآخر، كما حدث بين قائد الشياظمة عمر الحنشاوي، وقائد حاحة محمد أُبِهي، في حين كانت السلطة المركزية، تحاول الحفاظ على استقرار الأوضاع، زاجرة الأطراف المتنازعة. لكن مسار الأحداث بمنطقة حاحة كانت تتجه إلى تعقيدات لم تعد في صالح قيادة أيت أُبِهي.

3- ثورة حاحة على أيت أُبِهي 1871/1288

ظلت حاحة قبيلة موحدة، تسيطر أسرة أيت أُبِهي على تسييرها السياسي، حتى قامت بالثورة عليها أوائل سنة 1871/1288، والتي جاءت نتيجة عوامل متعددة، كان أبرزها ما آل إليه الأمر بعد تنحية عبد الله أُبِهي، من عجز خلفه محمد، عن علاج المشاكل، بالدراية التي كانت تفرضها قيادة قبيلة، لها مكانة سياسية لدى المخزن، سواء في علاقاته مع مناطق طرفي الأطلس الكبير الغربي، أو مع سوس، علاوة على توفير نوع من الحماية لاستقرار الأوضاع، لمنطقة لعبت دور الخطوط الأمامية لمدينة الصويرة، بؤرة التجارة الجنوبية. ولذلك فإن السلطة المركزية، كانت في حاجة إلى شخصية قوية، تقوم بتسيير الشؤون في ذلك المكان الحيوي. ولم يكن محمد بن عبد الله أُبِهي مبرهنا على ذلك الشخص، في تصديه لعلاج عدة قضايا التي سبق ذكر بعضها. لتكون آخرها المشاكل الناجمة عن الصراع مع المتوكيين، الذين استغلوا ارتباكه، لتحريك الثورة على أيت أُبِهي، فسهل عليهم

---

66) ن. ر.

الأمر، ذلك أن قبيلة حاحة سرعان ما قامت بتلك الثورة، لما لم تأنسه من كفاءة في مسيرها. ويظهر أن السلطة المركزية، لم يعد بإمكانها دعم من لم تتوفر فيه الشروط، وذلك ما دلت عليه مجموعة من القرائن، لينتهي الأمر بخلع محمد أُبِهي، وعيشه أخيرا بعيدا عن القبيلة بمراكش.

كانت المشاكل مع القبائل المجاورة كما سبق ذكرها(67)، من العوامل الرئيسية التي كشفت ارتباكا مستمرا، في تصرفات محمد بن عبد الله أُبِهي، وتجلى هذا بخصوص، في علاقاته مع المتوكيين، فلمدة ثلاثة أشهر الأولى من سنة 1288/ 1871 كان تبادل التهم بين الطرفين، في عدة قضايا ففي 2 محرم 1288/ 24 مارس 1871 تقدم محمد بن عبد الله أُبهي بالشكوى "بالحاج عمر المتوكي من كونه يسعى في الخوض في قبيلته"(68)، الذي بلغ به الأمر أن "نهض في لف من القبائل، واشتغل بتخريب وحرق دور حاحا"(69).

لقد بدأت الصراعات بين متوكة وحاحة حول أرض، يظهر أنه كان "أنعم بها سيدي الكبير المقدس على متوكة"(70)، والسلطان المقصود بسيدي الكبير هو المولى محمد بن عبد الله مما يبين أنه صراع مزمن ،استغلت متوكة تراجع هيبة حاحة، بتنحية عبد الله أُبهي فترامت على الأرض، فحاول أُبهي التصدي لهم، فوجه "شيخا عارفا بحدود" (71) تلك الأرض، لكن المتوكي قتله مع أصحابه،

67) راجع ص ص 349-351.

68) 2محرم 1288/ 24مارس 1871، ن.م.

وتكررت نفس الشكوى 14محرم 1288 "لقيام المتوكي على ساق في إيقاد نار الفتنة في قبيلة حاحا" . كناش 47

69) 18محرم 1288/ 19أبريل 1871، ن.م.

70) رسالة من السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان إلى المولى الحسن بتاريخ 18محرم 1288/ 19أبريل 1871 خ. ح. ر.

71) ن. ر.

حسب اتهام أبِهي له بذلك (72)، ولما استفسرت السلطة المركزية المتوگي عن الاتهام، أجاب "عن المقتول بأنه من جملة أشياخ قتلهم الحاحي، وكان هذا المقتول من جملتهم، بعد أن أمنه ثم غدره خفية كعادته، وبادر إلى تهمة متوگة"(73). وبذلك تحول النزاع من الصراع على الأرض، إلى ارتكاب جريمة قتل، حاول كل طرف التنصل منها. مما جعل السلطة المركزية تتدخل للتحقيق في القضية، فقام المولى الحسن بـ "توجيه عدلين وعشرة من الخيل لمعاينة المعترضين من متوگة على إخوان"(74) أبِهي، واستنتج من ذلك التحقيق "ان المحصل من هذا الأمر، هو استخفاف المتوگي بجانب الحاحي، وتحويمه على احياء الفتنة القديمة"(75)، وأن استمرار إلحاحه على التحرش بأبِهي سيؤدي لا محالة، لرده عليه بالمثل، "ولو جبرا لخواطر قبيلته، ولفهم القديم"(76). مما يبين بوضوح أن المتوگي، مصمم على الإضرار بأبِهي، الذي لم يعد له في عينه الاحترام اللائق، وتجنبا لتفاقم الأمر فإن السلطان كتب للمتوگي "وبخناه على ما بلغنا عنه، وقرعناه وحذرناه، عاقبة ما أراد التسبب فيه من الفتنة"(77). لكن يظهر أن المتوگي لم يول كبير الاهتمام لاسترعاء السلطان، إذ لم يمر سوى ستة أيام، حتى جدد أبِهي اتهامه في 24 محرم 1288/5 أبريل 1871 بـ "أن المتوگي جمع اللفوف من مزوضة وأولاد بوسبع ودويران وسكساوة والشياظمة، وتوجه بهم لدار الشيخ المقتول"(78). دل هذا على استنفار واسع شمل جميع قبائل الدير، القريبة من حاحة، سهلا وجبلا ضد أبِهي، الذي كانت "الكرة" عليه (79) بانهزامه أمام حركة المتوگي.

---

72) ن. ر

73) ن. ر

74) ن. ر

75) ن. ر

76) ن. ر

77) ن. ر

78) 24محرم 1288/ 15أبريل 1871، ك. 47.

79) 3صفر 1288/ 24أبريل 1871، ن.م.

لقـد حـاولت السـلطة المركزيـة، وضـع حـد للصراعـات بـين المتوگي وأبهي، فبعثـت لجنـة للقيـام بالصلح بين الطرفين، مكونة من أطراف مختلطة بعض أعضائها موفـد مـن قبلهـا كمـولاي هاشم الاسماعيلي برفقة قائد (80)، والبعـض الآخـر مـن أعضـاء محليـين كـ "عـامل الصويـرة وأعيانهـا للتوسـط فـي الصلـح"(81) بينهمـا. ويظهـر أن الطرفـين اختلـف سـلوكهما تجـاه تلـك البعثـة، ذلـك أن المتوگـي أظهـر الإدعـان للصلـح، "وساعد على الانقياد"(82). فـي حـين سـجل علـى أبهـي رفـض الصلح، "تمنعتَ أنت وصممت".(83) ونجـم عـن هـذه المواقـف المختلفة، أن تجددت المعـارك بـين الطرفـين، وسـجل الذين حضروا للمنطقة لاجراء الصلح، بأنهم ضبطوا أسـرى مـن عنـاصر، كـان أبهـي استقدمهم مـن سوس مقابل، "مؤونة قدرها مثقال للفـارس وخمـس أواق لـلرجَلى وأن عددهـم سبعمائة وخمسون شخصا"(84)، ممـا يظهـر أن أبهـي، اعتقـد أن بتجييشـه لقـوة كبـيرة، يسـتطيع إلحاق الضرر بالمتوگـي. فحـاول أن يحـدث بلبلـة فـي إيالتـه، بـأن بعـث سـارية لنهـب مدشرين كبيرين من دمسيرة (85). وبذلـك خيب مساعي الصلح، الذي حاولت أطراف متعددة التوصل إليـه بـين الطرفـين، بـل ظهـر كأنه المتعدي، حتى عاتبه المولى الحسن "أما آن لك أن تقصـر وترعـوى، ولقـد طالمـا أنذرنـاك، ونصحنـاك وأرشادناك وحذرناك"(86)، بـل هدده بأن "لم يبق إلا أن نعلم سيدنا"(87) باعتبـاره السـلطة العليـا، وبذلـك تسحب الثقـة منـه. وأبلغـه أنـه قد يتخذ إجراء ميدانيا، تكون عواقبه عليه، بأن "نأمر بنهوض المحـال، والتخليـة بينكمـا، على أنه هو لا ملامة عليه لتكرر إذايتك له"(88). وبذلـك

80) الصديقي: محمد بن سعيد ايقاظ السريرة لتاريخ الصويرة ص 101

81) رسالة المولى الحسن إلى محمد أبهي بتاريخ 8ربيع الأول 1288/ 28ماي 1871، خـ. حـ. ر.

82) ن. ر

83) ن. ر

84) الصديقي: ن. م. ص 101

85) ن. رسالة المولى الحسن

86) ن. ر

87) ن. ر

88) ن. ر

نجح المتوگي في تغبير موقف السلطة المركزية من أبهي، بأن أصبحت تميل لمزاعمه. في حين فشل أبهي في إثبات حقوق قبيلته، لما سعى لأخذ "ثار الرعية" (89) استردادا لمكانته، ولكنه بهذا التصرف، تجاوز اختصاصاته، لأن أخذ "الحق لها و الانتصار لها" من حقوق السلطان(90). بل اتهمه المولى الحسن بأنه "لم يختلف اثنان، من كبير ولا صغير، في أنك صرت الآن القابض على ناصية الفتنة، الماسك بأزمتها، وعليك تدور رحاها"(91). يظهر من هذا الموقف، أن الكفة مالت عن أبهي، الذي ختم المولى الحسن رسالته إليه، "انظر ما فعلت وأنت مغلوب، فأحرى وأولى، لو كنت غالبا، فتنبه وتيقظ ولقد أعذر من أنذر"(92).

كانت السلطة المركزية، قد وضعت قوة بين القبيلتين، لكن يظهر أن أبهي استاء من وجودها، باعتبار أنها نزلت على إخوانه، "مع أنهم مظلومون ولم تنزل على متوگة الذين تسببوا في الفتنة"(93)، ولذلك فانه كتب للمولى الحسن، يطلب منه "نهوضها"(94) عن القبيلة لضعفها، مبينا أنه "لم يظهر مصداق لربطها"(95). مكررا ذلك "غير ما مرة"(96)، مشككا بذلك بأهمية تلك القوة، وكذلك في سلامة خطة المولى الحسن تجاهه. فكان جواب السلطة المركزية دبلوماسيا، إذ أجاب السلطان أبهي، أن تلك القوة وجهت أصلا لدعمه، لكن المولى الحسن أبقى ذلك المدد هناك بالمنطقة، "حتى يعرف كل واحد ما جمع من الجموع، بقصد

---

89) ن. ر

90) ن. ر

91) ن. ر

92) ن. ر

93) رسالة السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان إلى محمد أبهي بتاريخ 18ربيع الأول 1288/ 6يونيه 1871، خ. ح. ر.

94) ن. ر

95) رسالة المولى الحسن إلى محمد بن عبد الله أبهي بتاريخ 19ربيع النبوي 1288/ 7يونيه 1871، خ. ح. ر.

96) ن. ر

الفتنة، ويكون شهودا على من صدر منه شيء"(97)، في حين كان جواب المولى الحسن، ان تلك المحلة "لم تكن رابطة على الفساد" من حاحة، "وإنما كانت بصدد امتوگة".(98)

تبين من هذا أن السلطة المركزية، كانت تحاول تقصي الحقائق، مستقلة عن الطرفين المتنازعين. وخاصة أن كلا منهما، ما فتئ يكرر التهم ضد الآخر، إلا أن ما يظهر، سواء من جواب السلطان، أو الخليفة المولى الحسن، أن أُبهِي أصبح يفقد مكانته لدى السلطة المركزية، بعد أن عجز عن التلاؤم مع الظروف المحلية سواء أثناء محاولة إبرام الصلح بين الطرفين، أو الاستفادة من القوة المرابطة بالمنطقة.

لقد تطورت الأحداث بمنطقة حاحة، في النصف الأخير من شهر ربيع الأول 1288/ 6 ماي 1871، في اتجاه غير صالح محمد أُبهِي. في حين يظهر أن المتوگي أحكم خطته ضده، بإثارة أطراف من حاحة، مما جعل أُبهِي يبلغ السلطة المركزية، في 19ربيع الأول 26/1288 ماي 1871، "ان قد ظهر منهم بعض طيش، لاشتغال خديم سيدنا الحاج عمر المتوگي، بإغرائهم وإغوائهم بالمال"(99). وبذلك بدأت بوادر خروج حاحة عن أُبهِي، الذي طلب من المولى الحسن، تجديد المحلة بعد أن فر جلها عنه، فلبى طلبه "بتجديدها"(100). لكن لم تمر سوى ثلاثة أيام على هذه الأحداث، حتى أبلغ أُبهِي السلطة المركزية، في 22 ربيع الأول 29/1288 ماي 1871، "خروج إخوانك عليك باثارة خديم سيدنا الحاج عمر المتوگي، ولم يبق معك منهم إلا شرذمة"(101).

---

97) رسالة السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان إلى محمد أبهي بتاريخ 18ربيع الأول 1288/ 6يونيه 1871، خ. ح.

98) رسالة المولى الحسن إلى محمد أبهي بتاريخ 19ربيع الأول عام 1288/ 7يونيه 1871، خ. ح. ر.

99) ن. ر

100) ن. ر

101) رسالة المولى الحسن إلى محمد أبهي بتاريخ 22ربيع النبوي 1288/ 10يونيه 1871، خ. ح. ر.

لقـد كـان هـذا، إعلانا صريحا ببداية ثورة حاحة، على عاملها محمد بن عبد الله أُبهِي مدعومـة بمتوگـة، الذيـن زحفـوا "مـن ناحيـة، ونكنافـة من أخرى"(102) فحوصَر أُبهِي، بمقره أُزَغَـارْ نْـأَيْتْ زَلْطَـنْ. فكـانت هنـاك محاولـة منـع الثـوار عن الزحف عليه، بان تدخل عامل الشياظمة، فأحال بين الثوار وأُبهِي"(103). وأسـرعت السـلطة المركزيـة بتعزيـز الدفـاع عـن أُبهِـي، بـان أمـرت عمال الحوز بإعانته، "وعن قريب يقدمون عليك"(104)، لكـن المولـى الحسـن استدرك، "إن الأمر فجأ وهذا أمر ما يتأهبون فيه"(105)، كـأن الأحداث، لم يكن منتظرا أن تأخذ هذا المجري السريع، باعتبـار أنها في الأصل، كانت من الحوادث العادية، التي تقع بين العمال المتجاورين أحيانـا. والذيـن يجـدون السـند فـي جمـوع قبيلتهـم، لما يكتسيه الأمر من حساسية الدفـاع عـن المصـالح المتنـازع عليهـا. لكن يظهر أن أُبهِي، لم يكن من الطراز الذي يكسـب لقبيلتـه هيبتهـا، فارتـأت الخـروج عنـه، كحل لاستبداله. ولذلك سرعان ما فاجـأت الاحداث السلطة المركزية نفسها، لأنها اتخذت بعدا جديدا، ففي فاتح ربيع الثاني 1288/20 يونيه 1871، كـان الإخبار عن "تحزب القوم على ولد أُبهِي، واتفاقهم ان لا يرجعـوا الا بعـد هـدم داره، ونهـب ما فيها"(106) وذلـك بعـد أن فـرت عنـه محلته (107)، وتوالـت الأحـداث بسـرعة لم تترك الفرصة، لتدخل السلطة المركزية، ذلـك أنـه لـم تمر سوى سبعة أيام، حتى كان الإعلام بتاريخ 7ربيـع الثـاني 1288/27 يونيه 1871، عـن "قيـام حاحـا علـى عـاملهم، ودخولهم لداره، ونهب مافيها"(108). ولم يقتصروا على ذلك، فبعد يومين، أخبر عامل الصويرة، بتاريخ 9 ربيع الثاني 1288 29 يونيــه 1871، عــن "انصرافهــم مــن ثمـــة للصويــرة، يريــدون القبــض علـى

---

102) ن. ر

103) ن. ر

104) ن. ر

105) ن. ر

106) فاتح ربيع الثاني 1288/ 20يونيه 1871، ک. 47.

107) 28ربيع الثاني 1288/ 17يوليوز 1871، ن.م.

108) 7ربيع الثاني 1288/ 27يونيه 1871، ن.م.

خليفة الحاحي"(109)، وبعد حوالي أسبوع، أخبر الحنشاوي في 17ربيع الثاني 1288/6 يوليوز 1871 "بشروع حاحا، في تخريب دور ءايت أبِهي بأزغار"(110).

وهكذا كان النصف الأول من شهر ربيع الثاني1288 ، حدا فاصلا، لتاريخ أسرة، شاركت في حكم منطقة حيوية، برجالات شهد لهم كل من عاصرهم. وأما محمد أبِهي، الذي أطاحت به ثورة قبيلة حاحة، فان السلطة المركزية، لم تتنكر له، ولكنهاَ لم تحاول إرغام القبيلة على الإذعان له، فكاتبه السلطان في2 ربيع الثاني1288 /21 يونيه1871 ، بان "الفتنة لا تئول بخير، ولوكان الانسان غالبا فأحرى ان غلب"(111)، مما يبين أن أمره قد قضى فيه، لكونه لم يبرهن عن شخصية قوية، وأن السلطان حاول الأخذ بيده، "فاقدم على حضرتنا العالية بالله على يد ولدنا الارض، سيدي حسن أصلحه الله، فانا كتبنا له، وان داركم دار المخزن قديما وحديثا فلا نفوتكم إن شاء الله ولا نسلمك"(112). وبذلك اضطر أبِهي، لمغادرة حاحة، بعد أن "لم يبق معه أحد من مطلق اخوانه"(113)، وقد التحق به عياله، الذين كانوا قد لجأوا إلى الصويرة(114)، فأصبحوا يعيشون تحت نفقة السلطان بمراكش (115)، الذي استقر به محمد أبِهي حتى كانت وفاته سنة 1897/1314(116).

كان ذلك نهاية حكم أسرة أيت أبِهي بحاحة، التي أطاحت بها ثورة القبيلة، بعد أزيد من قرن من السلطة، من النصف الثاني من القرن الثامن عشر، إلى أوائل السبعينات من القرن التاسع عشر. وجاءت تلك الثورة، نتيجة عوامل متداخلة،

109) 9ربيع الثاني 1288/ 29يونيه 1871، ن.م.

110) 17ربيع الثاني 1288/ 6يوليوز 1871، ن.م.

111) رسالة السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان إلى محمد أبهي بتاريخ 2ربيع الثاني 1288/ 21يونيه 1871

112) ن. ر

113) 4جمادى الأولى 1288/ 3يوليوز 1871.

114) 23جمادى الأولى 1288/ 10غشت 1871.

115) ن. ر

116) المختار السوسي: ايليغ. ص 242الهامش 492

بـدأت بتنحيـة عبـد الله أُبِهِي، وعدم قدرة خلفه محمد أمعْدورْ على الصمود أمام الدسـائس سواء من الجيران، أو من المنافسين من القبيلة، الذين استثمروا استياءها من أيت أُبِهِي.

4 ـ أزمة تنصيب قيادة جديدة بحاحة (1288/1871 – 1290/1873)

ان ثـورة حاحـة علـى أيـت أُبِهـي، التـي أسـفر عنهـا خلع محمد بن عبد الله أُبِهـي، أدت إلـى إشـكالية صعوبـة تنصيـب قيـادة جديدة بحاحة، قادرة على السير بالقَبيلـة كاتحاديـة منسـجمة، وإنمـا بـدأت تعـرف نزاعـات بين الأسر المتنفذة، مما لم يساعد على استقرارها.

ولقـد حـاولت السـلطة المركزيـة، أن تنصب قيادة جديدة، بمجرد ما تأكد لها عـدم قـدرة محمـد أُبِهـي على الوقوف أمام الثورة. فبعثت بقائد إلى المنطقة في ربيع الثاني 1288/ يونيه 1871، لكـن مـا أن وصـل حتـى "استراب حاحـا نزول القائد ابن الحيلاني بوسطهم"(117)، ممـا يفهـم منـه أن القبيلـة، كانت متخوفة من نوايا السلطة المركزيـة، التـي حـاولت تفـادى كـل سوء تفاهم، فصدر من السلطان، "الأمر بتولية مـن يرضونـه"(118)، لكـن يظهـر أن صعوبـة الاختيـار مـا برحـت مكانهـا، لتعـدد المتنافسـين، ومـا يـدل على ذلك ما أبلغ إلى السلطان، "من أن كلمة حاحا إلى الآن لم تجتمع على أحد. وان اجتمعت يعلم"(119)، وتـزداد صعوبـة الاختيـار مـع وجود عـدد مـن المرشـحين، بمـن فيهـم إخـوة محمـد أُبِهـي، الذيـن كـانوا يطمحـون فـي استرجاع سلطتهم على القبيلة.

117) 25ربيع الثاني 1288/ 14يوليوز 1871، كـ. 47.

118) ن. ر

119) 30ربيع الثاني 1288/ 19يوليوز 1871، ن.م.

4 - 1 - تولي أنْفْلُوسْ على حاحة 1871/1288

لقد حاولت السلطة المركزية، أن تجدد قيادة حاحة، بتزكية تولية مبارك أنْفْلُوسْ، الذي ينتمي إلى قبيلة نكناقة، المجاورة لأيت زَلْطَنْ مقر قيادة أيت أُبِهِي المخلوعة. وكان أنْفْلوس قد انضم إلى حاشية محمد أُبِهِي، لما كان كاتبا له، كما تذكر بعض الروايات الشفوية. فاكتسب الخبرة ومعرفة بالأمور، أهلته لنيل صيت جعل حاحة تقبل توليته مبدئيا، كما ورد ذلك في رسالة بتاريخ 10جمادى الثانية 27/1288 غشت 1871، "من اتفاق قبيلة حاحا على ولاية أنفلس، وبطلبهم قراءة كتاب الولاية بالصويرة"(120)، فيكون هذا التاريخ هو بداية تولية أنْفْلُوسْ، بعد أكثر من شهرين عن الثورة على أيت أُبِهِي، وتهيء القبيلة لقبول تولية أنفلوس عليها. وان إعلان التولية، حتى ترضاه جل اتحادية حاحة، يكون بمدينة الصويرة، وليس بمقر سكناه بنكنافة، باعتبار أن المدينة مركز سلطوي مستقر، لما فيها من أطر الدولة، التي يتعامل معها الجميع، علاوة على أنها مركز حاحا الاقتصادي. وخاصة أن انتقال قيادة حاحة من أيت أُبِهِي إلى غيرهم، كان حدثا بارزا في المنطقة، بعد أن جاء على يد القبيلة، إثر ثورتها على أيت أُبهي. ولذلك فكل تعيين جديد، لابد أن يكتسي طابعا رسميا، تقبله القبيلة وأمام جل أعيانها وأعيان القبائل المجاورة، التي تشكل الصويرة ملتقى لهم.

يظهر أن قبول القبيلة تولية أنفلوس، لم يحظ بإجماع عام، ذلك أنه لم يمر سوى شهرين، حتى بدأت تبرز علامات الرفض، ففي 6 رجب 21/1288 شتمبر 1871، أخبر الحنشاوي، بـ "شأن ولد أنفلوس مع عامة حاحة"(121)، هذه الوضعية التي عبرت عنها، مراسلة أخرى من نفس القائد، بعد ستة أيام فقط، والأكثر وضوحا، ففي 12 رجب 27/1288 شتمبر 1871 أخبر، ب "إباية حاحة ولاية أنفلوس عليهم"(122)، وهي وضعية تكشف عن فشل أنفلوس، في كسب موافقة

---

120) 10جمادى الثانية 1288/ 27غشت 1871، ن.م.

121) 6رجب 1288/ 21شتنبر 1871، ن.م.

122) 12رجب 1288/ 27شتنبر 1871، ن.م.

القبيلة على توليته، مدعيا انه "رعا من عامة خاحا، ما رعا من الجسارة والغلطة"(123) فصار يطلب من السلطة المركزية الاعانة، باستنفار قبائل مختلفة كالشياظمة والرحامنة (124)، وعبدة (125)، ومتوكة، وأولاد أبي السباع(126)، لكن السلطة المركزية كانت على حذر من هذا الاستنفار، فوجهت التعليمات لقيادات المنطقة، فأصدر المولى الحسن الأمر للشياظمي، بأن يلتزم في عمله مع المناهضين لأنفلوس، " الاسترعاء عليهم وتخويفهم بما يحملهم على الرجوع للجادة"(127)، وبمثل ذلك للمتوكي والسباعي(128). مما يبين أن السلطة المركزية، لا تود تعقيد مشكل تولية أنفلوس، فسعت بأن تتم عن رضى القبيلة دون استعمال القوة. كما أن السلطان، لم يرغب في تدخل القبائل البعيدة عن المنطقة، فأصدر الأمر للمولى الحسن، بأن "لا معنى لتكليف غير الجيران شد عضده. وفيهم أن الجيران كفاية، كما قدمناه لك، إذ لا يعجزهم قضاء المراد ان نصحوا"(129). فتكون السياسة المركزية بذلك مركزة على استنفار القبائل المجاورة، على أن يقتصر عملها على الضغط، بحثا عن حل مناسب، فجددت نفس التعليمات في 29 رجب 1288/14 أكتوبر 1871، "بإبقاء الجيران على شد العضد، حتى يرجع لأنفلوس الفريق الذي كان معه"(130).

يظهر أن سياسة التطويق التي مارستها قوات القبائل على حاحة، أتت أكلها، مما حمل القائد الحنشاوي، بأن يطلب من السلطة المركزية، "إنها ضه عن حاحا،

123) رسالة السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان إلى المولى الحسن بتاريخ 16رجب 1288/ 1أكتوبر 1871. خ. ح. ر.

124) ن. ر

125) 12رجب 1288/ 27شتنبر 1871، ك. 47.

126) ن. رسالة السلطان إلى المولى الحسن

127) ن. ر

128) ن. ر

129) ن. ر

130) 29رجب 1288/ 14أكتوبر 1871، ك. 47.

ذاكـرا أنهـم فـي غايـة السكينـة والهدنـة"(131)، فــأصدر السلطـان الأمــر فــي 6 شعبان 21/1288 أكتوبر 1871، بالموافقة، فقرر "أن ينهض عنهم"(132)، الا أن التنفيـذ تأخر لما يقرب من شهرين حتى صدر الأمر في 28 رمضان 11/1288 دجنـبر 1871، بـ "تنفيـذ الأمـر الشــريف لعمـر الحنشـاوي، بإنهـاض إخوانـه عـن حاحـا، والســراغنة والمسگينى كذلك لتمام صلح"(133).

ان هـذه التصرفـات تـدل علـى أن أنفلـوس، بـدأ عهـد توليتــه بــالاضطرار للاستعانة، بقـوات القبـائل المجـاورة، وغـير المجـاورة، للضغـط علـى حاحة، حتى تم الصلـح، بينـه وبينهـا. فظهـر كأنـه مفروض على القبيلة، مما جعل ذلك الصلح غير ذي جـدوى، فـي ظـروف كـانت فيهـا القبيلـة تعـرف توتـرا محمومـا، قد تكون له أسـباب عميقـة، فحـاولت السلطة المركزية تهدئة الاوضاع، حينما اضطرت للتخلي عـن تولية أنفلوس الذي عجز عن أن يحل مكان أيت أُبِهِي، بعد تجربة لم تعمر أكثر مـن خمسة أشهر، من جمادى الثانية إلى شوال سنة 1288. وأصبـح منصبـه مقتصـرا على مشيخة قبيلة نكنافة(134).

4 ـ 2ـ تولية محمد بن الطاهر الذوبلالي على حاحة(1288/1871 - 1290/1873)

إن محاولــة إرضـاء قبيلـة حاحـة بعـد ثورتهـا، بتوليـة مـن تريـد، سـرعان مـا أجهضـت، حينمـا رفضـت توليـة مبـارك أنفلـوس، ممـا جعـل السلطة المركزية، تعين عـاملا علـى المنطقـة مـن عمال المخزن، وهو محمد بن الطاهر الذوبلالي، الذي كان متوليـا علـى أكديـر أثناء حركة المولى الحسن إلى سوس سنة 1280/1863. ويظهـر أنـه حظـى بثقـة السـلطان، ممـا جعلـه يوليـه علـى منطقة حاحا التي كانت تعرف تحركا

131) 6شعبان 1288/ 21أكتوبر 1871، ن.م.

132) ن. ر

133) 28رمضان 1288/ 11دجنبر 1871، ن.م.

134) رسـالة القـائد عبـد الملك أبهيي إلى المولى الحسن بتاريخ 29جمـادى الأولـى 1290/ 25 يوليـوز 1873، خـ. حـ. ر.

قويا، أدى إلى سقوط آل بهي عن قيادتها، وكذلك رفض تولية أنفلوس، بعد أن تم الاتفاق المبدئي على توليته، كما سبق ذكر ذلك، مما يبين أن هناك أسبابا عميقة في توتر القبيلة.

يظهر أن تولية محمد بن الطاهر الذوبلالي، كانت محاولة لإرضاء جميع الأطراف. فما أن تم تعيينه حتى أخبر في 9 ذي القعدة 1288/20 يناير 1872 "بأن حاحا وردوا عليه"(135)، كما ورد عليه أنفلوس (136) وأخبر أيضا، أنه أخذ في "تيسير الهدية"(137)، التي وجهها للسلطة المركزية، وهي "ثلاثمائة مثقال قديمة هدية صحبة 12رجل من قبيلة حاحا"(138). وقد قوبل ذلك الوفد من طرف الحضرة الشريفة، "بما ينبغي(139)، وكان ذلك التصرف من حاحا، إيذانا لرغبة الانقياد.

لقد جعلت السلطة المركزية مقر إقامة القيادة الجديدة، بمدينة الصويرة، فعين الأمناء لمحمد الذوبلالي محلا لسكناه"(140). إلا أنه اشتكى، "من ضيق المحل الذي عينه الأمناء له"(141)، مما أدى بأن يصدر السلطان الأمر، "بابداله له بمحل أوسع"(142) وأقام معه في المدينة خليفته (143). ويبدو أن اختيار إقامة العامل بمدينة الصويرة، كانت وراءه أهداف، كضمان الأمن له، بتجنب كل أعمال مناوئة له، فأصبحت

135) 9ذي القعدة 1288/ 20يناير 1872، كـ. 47.

136) ن. ر

137) 9ذي القعدة 1288/ 20يناير 1872، ن.م.

138) 17ذو القعدة 1288/ 27يناير 1872، ن.م.

139) ن. ر

140) 14ذي الحجة 1288/ 25فبراير 1872، ن.م.

141) ن. ر

142) ن. ر

143) رسالة محمد بن الطاهر الذوبلالي إلى المولى الحسن بتاريخ 1ربيع الثاني 1290/ 29 أبريل 1873، خـ. حـ. ر.

كـل القضايـا التـي عرفتهـا حاحـا، يباشـرها الذوبلالـي مـن الصويرة، من ذي القعدة 1288 إلى أن حل المولى الحسن بالمنطقة أوائل سنة 1290.

هكـذا عرفت حاحة منذ تنحية عبد الله أُبهي، صراعا سياسيا أدى إلى سقوط خلفـه محمـد أُبهـي، بعـد ثـورة قـد تكـون لهـا أسـباب كامنة، لم يظهر إلا وجهها السياسـي، الـذي تجلى في الثورة على أيت أُبهي، ونهب دورهم، واستمرار المناهضة التـي عـبرت عنهـا حاحـة، بابابة تولية أنفلوس، فنجمت عنها محاصرة القبيلة بقوى متعـددة. وإذا لـم تكن لها عواقب حربية، فإن عواقبها السياسية، توضحت في تعيين قـائد سـلطاني علـى حاحة، يقيم بالصويرة. المكان المنيع من أي عمل تحاوله القبيلة، ريثمـا تتهيـأ الظـروف للبـث فيمـا حـدث بحاحـة مـن ثـورة، قـد تؤثـر على المناطق الأخـرى، محدثـا الضـرر لاسـتمرار حيويـة الصويـرة، ذلـك التوتـر الـذي أدى فـي النهاية، إلى تدخل الدولة، فيما عرف بحركة المولى الحسن إلى حاحة.

إن هـذه النمـاذج للعلاقـات بـين السـلطة والسـكان فـي الميادين المتعددة، من تنظيـم لأجهـزة السـلطة، ونزاعـات بـين القـوى المحليـة، وشؤون اقتصادية، وضغوط أجنبيـة، وأعمـال انتفاضيـة محليـة، توضـح مـدى حاجة كل طرف للاخر، السلطة سـواء المحلية، أو المركزية، لتوفير الإمكانات والظروف التي تساعدها على الاستمرار، والسـكان لإيجـاد ظـروف أحسـن للقيـام بأنشطتهم، هذه الأنشطة التي لا يترددون فـي الدفـاع عنهـا، بخـرق كـل الضوابـط، التـي تعتقد السلطة المحلية والمركزية، أنها الأصلـح للاسـتقرار، وذلـك عندما يشعر أولـئك السكان، بأن هناك خللا وظيفيا لم يحسـن ضبطـه، سـواء بالنسبة للسـلطة المحليـة، أو المركزيـة، مما يدعو إلى نوع من المواجهة بين الطرفين وذلك ما حدث بحاحة سنة 1873/1290.

الفصل الخامس

تنظيم العلاقات بين أطراف المجتمع والسلطة في ظروف متوترة، نموذج حركة حاحة سنة 1290/ 1873. وانعكاساتها على منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي

كانت حركة المولى الحسن إلى حاحة، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، من الأعمال الكبرى التي أنجزها إبان خلافته، ومنها مباشرة تسلم السلطة، بعد وفاة السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان. وهي حركة مخالفة عن سالفتها إلى سوس، سنة 1280/ 1864(1). ذلك أن حركة سوس، كانت حركة سلمية، ارتبطت بأعمال جبائية. في حين كانت حركة حاحة، مزيجا من الأعمال، غلب عليها طابع العنف والتوتر. لما كان حدث بحاحة من قبل، من ثورة، وما نجم عنها من تصرفات القبيلة، سببت القلق للسلطة المركزية، لما للمنطقة من استراتيجية، فهي إدالة الصويرة، ووسيط سوس، لذلك كانت الحركة إلى هذه المنطقة، تستهدف إعادة الاستقرار إليها، بممارسة أنواع مختلفة من الضغوط، على قبيلة حاحة.

كانت هذه الحركة، قد استغرقت زهاء خمسة أشهر، بين الذهاب والإياب من ربيع الأول، إلى شهر رجب من سنة 1290، ذلك الشهر الذي وقعت فيه وفاة السلطان. وهي حركة دلت على حيوية بالقياس إلى حركة سوس، لكن رغم ذلك، فإن ما نشر حولها من المعلومات، لم يكن كافيا لتقويم أهميتها. فالمؤرخ المعاصر للحدث أحمد الناصري، لم يذكره إلا في معرض حديثه عن تولية المولى الحسن، بعد ما توفي السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان في 18رجب 1290، وكان

1) تراجع عن حركة سوس، ص ص 129- 170.

المولى الحسن "غائبا عن الحضرة بأبي ريقي من بلاد حاحة"(2)، دون توضيح لنوع العمل، الذي كان يقوم به. وأما ابن زيدان الذي توفرت له ظروف الاطلاع على كثير من الوثائق، فهو أيضا لم يذكر سوى معلومات مقتضبة عن الحركة، بأنه عقد للمولى الحسن على جيش عرمرم وجه إلى قبيلة حاحة، "لرتق ما فتقوا، وجمع ما فرقوا"(3)، لما قاموا به من ثورة ضد العامل أبهي(4).

يظهر أن، عدم الاكتراث، بتفاصيل مثل هذه الحركات، قد يرجع إلى قلة ما عرف عنها. أو أنها تدخل ضمن أعمال، تعود السكان وغيرهم من المؤرخين المعاصرين سماعها من حين لآخر، كأعمال تعتبر من واجبات السلطة المركزية العادية. أو أن الأمر لا يتجاوز إقليما ضيقا اقتصرت أحداثه عليه.

ومهما كانت محاولات تبرير، عدم الاهتمام بتفاصيل هذا الحدث، ممن ذكر من المؤرخين، فإنه كان مهما بالنسبة لمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي. فقد حرك كل طاقاتها البشرية والمادية، كما دل على حيوية السكان، ومحاولاتهم لرفع كل أساليب الضرر عنهم، والتي كان الجهاز السلطوي المحلي يلاحقهم بها، كلما توفرت له السلطة المطلقة، فكان أسلوب المناهضة أسلوبا صحيحا لإعادة الضبط، فتتدخل السلطة المركزية للموازنة، بين الأطراف المتنازعة، ويبلغ ذلك حده أحيانا بحضورها إلى عين المكان، مثل ما حدث في حركة حاحة.

كانت تلك الحركة تكمن وراءها دوافع متعددة، كما حركت منطقة غرب مراكش كله، بمشاركة قبائلها، بعدما انتقلت الحركة من مراكش إلى بوريقي بحاحة. وقد مارست أنواعا متعددة من الضغوط، للتمكن من وضع حد لكل الأعمال، التي نجمت عن ثورة قبيلة حاحة، وكشفت محاولة إعادة الاستقرار لها، عن أساليب دقيقة للتعامل بين السكان وأجهزة السلطة.

---

2) الناصري. (أحمد) ن. م. جـ 9. ص 128. وعن "أبي ريقي". راجع ص 281

3) ابن زيدان، (عبدالرحمان) : إتحاف أعلام الناس، ج 2، ص 122.

4) ن. م. ص 122.

I ـ الحركة و دوافعها :

كمنت وراء حركة حاحة دوافع، أقنعت السلطة المركزية بضرورة القيام بها، ذلك أن حاحة، عاشت توترا عاما، بدأ بتنحية عبد الله أبهي، ثم القيام بالثورة على خلفه محمد أبهي سنة 1871/1288، عقبها فشل كل محاولات السلطة المركزية، إعادة ضبط الأمور، مما جعلها تضطر لجرد حركة، تشارك فيها بقوة عسكرية، للقيام بما سماه ابن زيدان "رتق ما فتقوا"(5) الذي يمكن إجماله في استرداد ما نهب حاحة من دور أيت أبهي، وإرضاء أيت أبهي المعزولين عن السلطة، ووضع حد للأسباب العميقة لاضطراب حاحة.

1 ـ استرداد ما نهب من دور أيت أبهي :

إن حركة حاحة كانت تستهدف استرجاع "ما نهب من متاع المخزن بدار الوالد [عبد الله أبهي] رحمه الله، وعزائبه ومراسيه"(6)، وما يستدعى الانتباه، أن ما نهب، اعتبر من ممتلكات المخزن، وليس من ممتلكات المتولى على القبيلة. وكانت السلطة المركزية تسير في هذا الاتجاه، ذلك أنه، ما أن وقعت الثورة والنهب لممتلكات أبهي، حتى أصدرت في 24 ربيع الثاني 1288/ 6 يوليوز 1871 الأمر لعامل الصويرة وأمنائها، "بإحصاء أملاك ولد أبهي وما احتوت دار سكناه بها"(7)، ولم تقتصر على ذلك، وإنما أصدرت أمرا آخر لعامل الصويرة، "بتثقيف ما يباع بها من حليه وأثاثه"(8)، أي من متاع أبهي المنهوب.

وقد كانت السلطة المركزية، بالمرصاد لكل ما نهب من دور أيت أبهي، حتى إنه وقع الإعلام، بأن شخصين من الشياظمة، أحدهما من أشياخها" أخذا لصاحب

---

5) ن. م. ص 122.

6) رسالة عبدالملك بن عبدالله أبهي إلى المولى الحسن بتاريخ 26ربيع الثاني 23/1290 يونيه 1873. خ. ح. ر.

7) 24 ربيع الثاني 1288/ 21يونيه 1873. كناش 47.

8) 28 جمادى الثانية 1288/ 23غشت 1873. ن.م.

ولد أبهي مدجات 3الجوهر، وخواتم 3ذهب"(9)، فصدر الأمر لقائد الشياظمة الحنشاوي، "بحيازة ذلك"(10)، أعقبه أمر آخر، "بتوجيه ما ذكر للحضرة الشريفة"(11). مما يبين حرص السلطة المركزية، على عدم السماح بإتلاف ما كان بدار أبهي، وأنه لا بد من استرجاعه بكل الوسائل، ولو باستعمال القوة العسكرية. وما أن نزلت الحركة بقبيلة حاحة، حتى تم التأكيد "عليهم بتعجيل زمامات ما ضاع، وأمرناهم بأداء ما عثر عليه لدى كل قبيلة، وأن لا يدلسوا في جميع ما دخل بأيديهم"(12). وبذلك أصبحت قبيلة حاحة مطالبة باسترداد، ما نهب من دور أيت أبهي أثناء الثورة، فهي ملزمة بإحصائه، وتعيين ما أخذته كل قبيلة. مما يؤكد أهميته المادية من جهة، والسلطوية من جهة أخرى، باعتبار التنازل عنه قد يؤدي إلى فظائع أخرى، لا يمكن معها استمرار الاستقرار، والمحافظة على ممتلكات الغير، الذي هو من شروط مشروعية قيام السلطة.

2ـ الضغط العائلي لأيت أبهي على السلطة المركزية :

لم تكن أسرة أيت أبهي من الأسر البسيطة، سواء بالمنطقة أو لدى المخزن، بل هي أسرة شاركت في إدارة حاحة، وراقبت الجنوب لفترة طويلة، وخدمت السلطة المركزية، بكل ما توفر لها من دراية، منذ عهد السلطان المولى محمد بن عبد الله. واشتهر منها طوال ثلثي القرن التاسع عشر، كل من عبد الملك أبهي، وابنه عبد الله أبهي، الذي كانت تنحيته (13) نكبة لتلك الأسرة. ذلك أنها تلتها أحداث سببت في تجاوز تلك الأسرة، عقب ثورة محلية(14). ولم تتمكن الأسر المنافسة (15)

---

9) 12 جمادى الثانية 1288/ 7 غشت 1873. ن.م.

10) ن. ر.

11) 8 شعبان 1288/ 23 أكتوبر 1871. ن.م.

12) رسالة عبدالملك بن عبدالله أبهي إلى المولى الحسن بتاريخ 26 ربيع الثاني 23/1290 يونيه 1873.خ. ح. ر.

13) راجع ص. ص. 343- 345.

14) راجع ص. ص. 351- 359.

15) راجع عن (تولية أنفلوس)، ص ص 360- 362.

لأيت أبهي، من حسن توجيه حاحة بعدها، مما خلق فرصا لطموحهم في العودة إلى حكم القبيلة وخاصة أن أفرادها مازالوا على قيد الحياة. وكان بعضهم مقيما بمراكش كمحمد أبهي(16) المخلوع، والبعض بـمْسْكّالة بالشياظمة.(17)

لم تكن أسرة آل بهي لتتنازل بسهولة، فقد كان أفراد منها جادين في استرداد السلطة، فكان محمد أبهي، يعمل في هذا الاتجاه، وكان أنصاره من قبيلة حاحة، يحضونه على ذلك، "فاجمع طرفك، وقم على ساق الجد، لتداوي عارك، والمال مخلوف، وفي علمك أن حاحة يرضون سيدنا بأموالهم"(18). مما يبين أن حاحة ما زالوا متخوفين من عودة آل بهي للحكم، وأنهم يحاولون إبعادهم بكل الوسائل، ولو اقتضى الحال استعمال الأموال. ربما لتعويض مما نهبوه وصار المخزن يطالبهم به.

لم يكن محمد هو الوحيد، الذي يتصل بالسلطة المركزية. فإن أخاه عبدالملك، كاتب المولى الحسن في 21 صفر 1289/ 30 أبريل 1872، مذكرا إياه "المطلوب منك سيدي، أعزك الله، أن لا تنسانا، ولو بالدعاء"(19)، مما يفهم منه أنه يرغب في شيء أكثر من ذلك، ولم يفصح عنه، وإن لم ينله، فعلى الأقل الدعاء، كأضعف الإيمان، وما مثله في الواقع يرضيه ذلك.

إن هذه الضغوط العائلية، أتت أكلها في الواقع، ذلك أن عبد الملك هذا تمكن أخيرا من الحصول على التولية، على قبيلة حاحة أثناء الحركة إليها.

---

16) راجع ص 358.

17) رسالة عبدالملك بن عبدالله أبهي إلى المولى الحسن بتاريخ 29 جمادى الأولى 1290/ 25 يوليوز 1873. خ. ح. ر.

18) رسالة من شخص يدعى سي محمد إلى محمد بن عبدالله أبهي بتاريخ 15 صفر 1289/ 24 أبريل 1872. خ. ح. ر.

19) رسالة عبدالملك بن عبدالله أبهي إلى المولى الحسن بتاريخ 21صفر 1289/ 30أبريل 1872. خ. ح. ر.

3ـ استمرار الاضطرابات بحاحة بعد ثورتها على أيت أبهي 1288/ 1871

دلت كل القرائن أن حاحة، كانت ماتزال في حالة من الاضطراب، رغم ما نجم عن ثورتها من خلع محمد أبهي، ومحاولة إرضاء السلطة المركزية لها(20). ذلك أنه ما تزال الظروف مواتية، لاستمرار "الخوض التام في حاحة، لزياغتهم ولفسادهم"(21) دون توضيح لمقصود الزيغ والفساد. وذلك ما كانت تعرفه أوائل سنة 1289/ 1872، مما يدل أن تعقيد الأمور ما زال مستمرا بحاحة، حتى إنه صارت أخبار تتوارد عن حاحة، "جزافا عمن لا خبر عنده، من نقلة الأخبار سوى غتها وسمينها ليطمئن خاطر مولانا الشريف"(22). ذلك ما ورد في رسالة من مجهول إلى المولى الحسن، مما يستنتج منه، أن أخبارا كثيرة، كانت تتوارد على السلطة المركزية. وأن نفس الرسالة عبرت عن كون "ما نبغ ببعض حاحا، إنما هو جعجعة بلا طحن، وخلاف بلا ثمر، وليس سيدي فيه تشويش أصلا، ولا أثر له في الكلية"(23).

يكشف هذا ـ مهما كانت دوافع الباعث ـ أن منطقة حاحة كانت تعرف حركة غامضة، لم تتوضح أهدافها(24)، مما سبب قلقا للسلطة المركزية. وخاصة أن المنطقة كما هو معروف، كان لها تأثير كبير على سوس، وأن كل ما يحدث بها، ينعكس على المناطق الجنوبية، حتى إن "ذلك القطع من وادي ولغاس، فإنهم لما

---

20) راجع ص.ص. 359ـ 360.

21) رسالة من شخص يدعى سي محمد إلى محمد بن عبدالله أبهي بتاريخ 15 صفر 1289/ 24 أبريل 1872. خ. ح. ر.

22) رسالة من مجهول إلى المولى الحسن بتاريخ 8جمادى الأولى 1290/ 4يوليوز 1873. خ. ح. ر.

23) ن. ر.

24) رواية شفوية متواترة بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، وكأنها أسطورة، مفادها أن سلطانا سينصر بيوريقى بحاحة، مما أزعج السلطة المركزية، فكانت الحركة إلى حاحة بقيادة المولى الحسن، الذي كانت بيعته الأولى بيوريقى، بعد وفاة السلطان المولى محمد. وهذه الرواية ينسبها الحاكون إلى كتب التنبؤات المعروفة بالجعفرية.

أحسوا بخروجك [المولى الحسن]، قالوا ذلك علينا، إذا صلحت حاحة"(25). مما يزيل الغبار عن كون حاحة، كانت فعلا في حالة مضطربة، وأن إصلاحها واستقرارها، لا يقتصر عليها فقط، بل يؤثر على المناطق الجنوبية، بما فيها ما وراء وادي ولغاس(26)، باعتباره من المناطق النائية.

وقد نتج عن توارد أخبار الحركة إلى الجنوب، أن "الحاصل هذه الساعة من فضل الله، ذهب الله بهذه الفتن والضغائن بين المسلمين. فكل من أكل أحدا في تلك الساعة الماضية صار يؤديه"(27). مما يبين أن الظروف السائدة بالمنطقة من قبل، كانت مضطربة ومتوترة تحتاج إلى إعادة الاستقرار، ولن يتم ذلك إلا بحضور الحركة، قصد حصر عوامل الاضطراب، لما ينجم عنها من عواقب لا تقتصر على حاحة وحدها.

II ـ الحركة و ممارساتها السياسية و التنظيمية والتنفيذية :

كانت حركة حاحة متميزة بالتخطيط في كل أعمالها، وبالمراجعة بين المولى الحسن الذي كان يقود الحركة، والسلطان المولى محمد بن عبد الرحمان، وكذلك بينه وبين الجهاز السلطوي والعسكري، المرافق له أثناء الحركة. فكانت القرارات والتصرفات، تتخذ بعد أن تنال الموافقة من كل الأطراف. مع الحرص على تفادي الخسائر، خاصة لما استعملت القوة ضد القبائل الحاحية، التي كانت ترفض الانصياع، فتنوعت الأساليب حتى يعود الاستقرار إلى المنطقة. اسقرار ترضى عنه كل الأطراف، وخاصة القبيلة التي بإمكانها نقضه، كلما رأت أنه غير مجد. وقد

25) رسالة من عبدالله بن عمر البطمي إلى المولى الحسن بتاريخ 20 ربيع الثاني 1290/ 17 يونيه 1873. خ. ح. ر.

26) تراجع ص.ص. 148- 150.

27) ن. رسالة البطمي إلى المولى الحسن.

تم إنجاز مهام تلك الحركة، عبر سلسلة من التصرفات، انطلقت بانتقال الحركة إلى عين المكان، والاستعدادات العامة في إطار تنفيذ مخطط اعتمد تعدد الأساليب.

1 ـ التنقل والاستعدادات من مراكش إلى بوريقي :

اختلفت مدة تنقل حركة حاحة، عن مدة تنقل حركة سوس، ذلك أن هذه الأخيرة، استغرق تنقلها من مراكش إلى أمسكروض، عند بداية سهل سوس، حوالي شهر، يوافق شهر صفر 1280(28). في حين تميز تنقل حركة حاحة ببطء، خرجت من مراكش في أوائل ربيع الأول 1290/ ماي 1873(29)، لتصل إلى بوريقي بحاحة، في 20ربيع الثاني 1290/ 16يونيه 1873(30)، فيكون تنقلها قد استغرق خمسين يوما، في مسافة كانت القوافل تقطعها في ثلاثة أيام حتى الصويرة(31).

لقد قسمت الإقامة بين المراكز المتواجدة بالطريق، خرجت المحلة من مراكش، وأقامت بعين معزوزة(32)، لتنتقل منها إلى مشرع ابن الكرار، في تاريخ 21ربيع الأول 1290/ 19ماي 1873(33)، ثم لزاوية ابن الأحوال، (34)، التي انتقلت منها بتاريخ 24ربيع الأول / 22ماي 1873إلى "أجدير ببلاد شيشاوة"(35)، ثم إلى ضفة

28) راجع مراحل حركة سوس. ص ص، 130- 134.

29) 8 ربيع الأول 1290/ 6 ماي 1873. ك. 47.

30) رسالة موسى بن أحمد إلى المولى الحسن بتاريخ 19ربيع الثاني 1290/ 16يونيه 1873خ. ح. ر. 20 ربيع الثاني 1290/ 17يونيه 1873. ك. 47.

31) راجع Schroeter. Ibid

32) ن. ر. **عين معزوزة** : توجد بسعادة جنوب شرق اثنين الودايه غرب مراكش.

33) 20 ربيع الأول 1220/ 19 ماي 1873. ك. 47.

34) **زاوية ابن الأحول** تقع على الطريق الرابط بين مراكش وشيشاوة على ضفة وادي بو لخراص

35) رسالة موسى بن أحمد إلى المولى الحسن بتاريخ 24ربيع الأول 1290/ 22ماي 1873. خ. ح. ر.

أجدير : المكان الذي نزل به المولى الحسن أثناء التوجه إلى حاحة ويوجد بشيشاوة ويسمى أگدير نْ أيت علي، ويقع على الضفة اليمنى لوادي شيشاوة.

نهر شيشاوة(36). فكانت مدة إقامتها بمنطقة شيشاوة حوالي خمس عشرة يوما، لتنتقل في 11ربيع الثاني 1290/ 8يونيه 1873إلى سيدي المختار(37)، وأقامت فيه عدة أيام، لتصل إلى تَافْتَّاشْتْ(38)، ثم انتقلت منها إلى مْسْكَّالَة، في 18ربيع الثاني 1290/14 يونيه 1873(39) وبعد يومين، اتجهت "للتخييم ببوريقى، جعله الله منزلا سعيدا، وقضى غرض سيدنا على أحسن حال"(40).

كانت الاستعدادات تتهيأ أثناء هذا التنقل البطيء، فصارت القبائل تتوافد على المولى الحسن، للمشاركة في الحركة، فتقدم المئونة، وتستعرض الحراك. ففي 8 ربيع الأول 1290/ 6ماي 1873، ومنذ بداية انطلاق الحركة، ورد عليها "النفيفي، والدمسيري، بحركة إخوانهما"(41). وأما استقرارها بشيشارة، فكان "بقصد المقام بها حتى تجتمع المحلة"(42) فاستمر التوافد عليها، فقدم المجاطي المئونة(43)، كما رابط معها "السباعي والمزوضي والمجاطي، وانتظار غيرهم"(44)، ووفد عليها ولد النفيفي، "حتى يجتمع عليه ما عينه علينا سيدنا نصره الله، [من] واجب مئونة

---

36) رسالة موسى ابن أحمد إلى المولى الحسن بتاريخ 8 ربيع الثاني 1290/5 يونيه 1873. خ. ح. ر.

37) 11 ربيع الثاني 1290/8 يونيه 1873. ك. 47.

سيدي المختار : مركز بأولاد أبي السباع على طريق الصويرة على بعد 25كلم غرب شيشاوة، وينتمي إلى السيد المختار (1040- 1084) الذي عاش في القرن الحادي عشر /السابع عشر، وأخذ مركز سيدي المختار يزداد أهمية مع إنشاء مدينة الصويرة. فأصبح سوقا كما ينعقد فيه موسم سنوي، وبه مدرسة عتيقة (السباعي، مولاي أحمد : الابداع والاتباع في تزكية شرف أبناء أبي السباع. مطبعة الجنوب، الدارالبيضاء 1994. ص 94).

رسالة موسى ابن أحمد إلى المولى الحسن بتاريخ 8ربيع الثاني 1290/5 يونيه 1873. خ. ح. ر.

38) ن. ر

39) 18 ربيع الثاني 1290/ 15 يونيه 1873. ك. 47.

40) رسالة موسى بن أحمد إلى المولى الحسن بتاريخ 19 ربيع الثاني 1290/16 يونيه 1873. خ. ح. ر.

41) 8ربيع الأول 1290/ 9ماي 1873. ك. 47.

42) رسالة موسى بن أحمد إلى المولى الحسن بتاريخ 24ربيع الأول 1290/ 22ماي 1873. خ. ج. ر.

43) ن. رسالة موسى بن أحمد.

44) 28 ربيع الأول 129/ 26 ماي 1873. ك. 47.

الجيش السعيد ويؤديه عنا"(45)، وطلب النفيفي من المولى الحسن، أن ينوب عنه ابنه في الحركة، لانشغاله بالبناء الذي خرب في الماضي(46). وأما المتوكي، فقد أمر قبيلته "بالحركة على حد الصائم"(47)، وكانت المئونة عليها "ثلاثة ليال وبالإعادة"(48)، فوجه المتوكي معظم الحاركين للإتيان بها من القبيلة، لكنه فوجئ، بصدور الأمر له باستعراض حراكه، فطلب تأخير الاستعراض، لغياب جل الحاركين معللا أنه، "ما أردنا أن نكون في زمام مولانا بهذا القدر، الذي نحن به هناك الآن، لأن القبائل حاركون بالعدد المقدور عندهم، ونحن أكثر منهم عددا الآن، في الخيل والرمات"(49). مما يوضح أن قبيلة متوكة، جندت أعدادا كثيرة للمشاركة في حركة حاحة، التي هبت لها كل قبائل الدير.

كانت قبيلة حاحة التي توجهت لها الحركة، تحاول التخفيف من تأثيرها، ولذلك توافد أعيان تلك القبيلة، على الخليفة أثناء إقامته بشيشاوة. لكنهم لم يأتوا في وفد واحد، وإنما في وفود متفرقة، ففي 8ربيع الثاني 1290/ 5يونيه 1873، كانت "الطائفة الواردة من حاحة، المتقدم الإعلام بورودها، إنما هي من لف أنْفْلوس، الملموزين بالفساد"(50). مما يبين أن السلطة المركزية، صارت تتهم هذا الفريق، بكونه يساعد على استمرار الاضطراب بحاحة، وخاصة أن أنفلوس لم يتمكن من تولية منصب القيادة بها(51)، ولذلك فالمتولى على حاحة، محمد بن الطاهر الذوبلالي، ذكر المولى الحسن أنه، "بلغنا خبر أن ولد أنفلوس، قدم لحضرتك، وحين سمعوا هذا القبائل يقدموا ما وسعهم ذلك لأنهم عرفوا إن رجع من عندك،

45) رسالة القائد إبراهيم بن حم زدان النفيفي إلى المولى الحسن بتاريخ 26ربيع النبوي 1290/ 24ماي 1873.

46) ن. رسالة النفيفي.

47) رسالة عمر بن سعيد المتوكي إلى المولى الحسن بتاريخ 6ربيع الثاني 1290/ 3يونيه 1873. خ. ح. ر.

48) ن. رسالة المتوكي

49) ن. رسالة المتوكي

50) 8ربيع الثاني 1290/ 5يونيه 1873. ك. 47.

51) راجع ص.ص. 360- 362.

يشوش كل من كان يخدم مع سيدنا، وهو غرضه، سوى في ملاقة سيدنا هذه المرة، حتى ينظرونه القبائل"(52). وبذلك يتهم الذوبلالي أنفلوس، بأنه إنما يسعى بلقائه المولى الحسن ليكسب مركزا أمام القبائل المشاركة في الحركة، والتي كانت تستعد لاقتحام حاحة، فيضمن له دورا، في كل الأعمال التي تقوم بها الحركة، واعتبر الذوبلالي ذلك، هدفا حيويا لأنفلوس، الذي برر تبليغه بأنفلوس، بأنه "لو كان ما كان، وجب علينا الإعلام لسيدنا"(53). وأما الفريق الآخر، فكان مع الذوبلالي، الذي صدر له الأمر في 12ربيع الثاني 1290/ 9 يونيه 1873، بتوجيه "من كان معه من أعيان حاحة"(54). فوجههم مع خليفته لملاقاة المولى الحسن.

لقد أبلغ الخليفة السلطة المركزية، بمجرى أحداث توافد أعيان حاحة عليه، وما عوملوا به، كما يظهر ذلك من رسالة موسى بن أحمد، إلى المولى الحسن بتاريخ 18ربيع الثاني 1290/ 15 يونيه 1873، والتي جاء فيها، الخبر عن "ورود أعيان حاحا لف أنفلوس فقد [ ] بالمدافع، وتطارحهم على سيدي بالعارات، والشفاعات، وما قابلتهم به. وكذلك اللف الآخر، المنحاش للقائد محمد بن الطاهر الذوبلالي، وأن الجميع أظهروا التوبة والإتابة، والرغبة في خاطر مولانا ورضاه، وتيسير الأمور كلها على ما يوافق غرض مولانا"(55). مما يوضح أن كلا الفريقين، استشعرا خطورة الظرفية، وما يمكن أن تتعرض له القبيلة من التنكيل، من قبل جيش المخزن، وحراك القبائل. وهو أمر يصعب تحمله، فحاول الأعيان، مهما كانت الخلافات بين فريقيهم، الظهور بموقف واحد، هو إرضاء السلطة المركزية. وما أن انتقلت الحركة إلى بوريقي، حتى قدم هدَّاية حاحة ليس فقط على المولى

---

52) رسالة محمد بن الطاهر الذوبلالي إلى المولى الحسن بتاريخ 12ربيع الثاني 1290/ 9يونيه 1873. خ. ح. ر.

53) ن. رسالة الذوبلالي

54) رسالة أخرى لمحمد بن الطاهر الذوبلالي إلى المولى الحسن بتاريخ 12ربيع الثاني 1290/ 9يونيه 1873. خ. ح. ر.

55) رسالة موسى بن أحمد إلى المولى الحسن بتاريخ 18ربيع الثاني 1290/ 15يونيه 1873. خ. ح. ر.

الحسن، وإنما أيضا على السلطان بمراكش، "انهم وردوا وتلاقوا بالجانب العالي بالله، وقد توجهوا"(56)، وذلك كله قصد تخفيف وطأة الحركة.

وأما السلطة المركزية، فكانت بداية عملها في مواجهة حاحة، هو تجديد التولية على قيادتها، ففي 19 ربيع الثاني 1290/ 16 يونيه 1873، وجه موسى بن أحمد إلى المولى الحسن، "كتاب تولية عبد الملك ولد السيد عبد الله أبهي، على قبيلة حاحة. فإذا وليته عليهم، فادفع له الكتاب الشريف، ليجمعهم ويقرأه عليهم"(57). وبذلك تحقق طموح عبد الملك بن عبد الله أبهي. كما رجعت أسرة آل أُبهي إلى ممارسة السلطة على حاحة، وذلك ما كانت القبيلة تخشاه، لمدة سنتين بعد ثورتها سنة 1288/ 1871. إلا أن تواجد المولى الحسن بقوة مشتركة، مركزية وقبلية بمنطقة حاحا، أدى إلى "قبولهم توليته، وإعلانهم بالفرح والرضى، وأن الأحوال صلحت واستقامت"(58). إذ لم يكن أمام أعيان قبيلة حاحة، إلا ذلك الموقف، تفاديا لمزيد من ممارسة الضغط، الذي قد ينهك القبيلة.

2 ـ الخطة التنظيمية والسياسية للحركة :

تميزت حركة حاحة بالتنظيم، سواء في اختيار مركز القيادة، أو تكوين جهاز تسييري للأعمال العسكرية. بالإضافة إلى نهج خطة سياسية، تراعي الخطوط العريضة، التي كان السلطان يذكر بها المولى الحسن.

إن اختيار بوريقي كمركز، لإقامة القيادة العليا للحركة، كان كما يظهر، له أسباب ودواعي، فبوريقي يقع في منطقة فسيحة، يشكل وادى القصب قاعدته، بالإضافة إلى وجود دور للإقامة، وبه مكان معروف، بتَـلْعَرْصْتْ، تقول الرواية الشفوية من عين المكان، إن المولى الحسن نزل بها، وهي عبارة عن حائط، بوسطه

---

56) 29 ربيع الثاني 1290/ 18 يونيه 1873 ك. 47.

57) رسالة موسى بن أحمد إلى المولى الحسن بتاريخ 19 ربيع الثاني 1290/ 16 يونيه 1873. خ. ج. ر.

58) 29 ربيع الثاني 1290/ 26 يونيه 1873. ك. 47.

دار متوسطة، والمكان قريب من زاوية سيدي عبد الواسع، كما تغزر المياه بالمنطقة. وبوريقي موقع استراتيجي، فهو ملتقى الطرق المتجهة إلى أعماق حاحة، جنوبا وشرقا، وإلى الصويرة غربا، ومراكش شرقا، حيث يقيم السلطان. كما أنه قريب من حدود قبائل، الشياظمة ومتوگة، مع حاحة، مما يشكل حساسية رغبة الكل في المحافظة على سلامة المحلة.

كانت العناية أيضا مهتمة بالتنظيم، فقد تشكلت خلية للتسيير، التي كانت تعنى خاصة بالأعمال العسكرية، تكونت من مجموعة من قواد الجيش، كالقائد الحاج بوعبيد، الذي كان كوسيط بين الخليفة والحركة، وبعض القواد الذين حظوا بثقة الخليفة، وعلى رأسهم القائد محمد بن عمر البحتري العبدي، الذي يظهر أن المولى الحسن، أسند له تسيير الأعمال العسكرية، أثناء اقتحام الحركة لحاحة. بالإضافة إلى عناصر محلية من قبيلة حاحة، على رأسهم القائد عبد الملك بن عبد الله أبهي، والشيخ مبارك أنفلوس، والطالب علي إگيدَرْ، بالإضافة إلى هذه الخلية، تتم مراجعة بعض القواد الآخرين، إذا تعلق الأمر بمشاركتهم في الأعمال العسكرية، كالمتوگي زيادة على شيوخ قبائل حاحة. شكلت هذه العناصر، الخلية التي ترد أسماؤهم في الوثائق والذين كانوا يكاتبون المولى الحسن ببوريقي، لما توغلوا في حاحة. وكانوا في نفس الوقت، يدلون بآرائهم في كيفية التسيير، وخاصة أن السلطان كان يحرص على "التفاوض مع كبراء المحلة"(59) لإنجاح خطتها.

وأما الخطة السياسية للحركة، فكانت تتلخص فيما أكد عليه السلطان، بكون "الحاصل أن السياسة، هي مسايرة من يظهر الصلاح، والوقوف فيه، والإغضاء على ما في البواطن"(60)، وبذلك حدد السلطان هدف الحركة، وهو رجوع الاستقرار والنظام إلى المنطقة. فإن أظهرت قبيلة حاحة الانقياد، فهو كاف، دون البحث عما إذا كان ذلك صادرا من الأعماق أو لا، وقوفا عند المصلحة

59) 14 جمادى الأولى 10/1290 يوليوز 1873. ن.م.

60) 11 جمادى الأولى 17/1290 يوليوز 1873. ك. 47.

العامة، التي توافق الظاهر وليس الباطن. ودون إبادة الجهود في أمور، لا تحقق أي هدف عملي، الذي هو "القيام على ساق الجد، في كسر شوكة الفساد، وتشتيت جمعهم، فإن حصل المقصود في فرقة، انكسرت شوكة الجميع، بحول الله"(61). وإن هذا الاتجاه، كان السلطان يحرص عليه، في كل التعليمات التي كان يصدرها للمولى الحسن،" قف وقوف الجد، في حسم مادة فساد المفسدين، وإقامة اعوجاج تلك القبيلة"(62).

تلك كانت الخطوط العريضة للخطة السياسية، التي كان المولى الحسن ينفذها، باتفاق مع الخلية التسييرية، والتي كانت تمزج بين السياسة واللين، ما دامت القبيلة قد اظهرت الانقياد، واستعمال القوة والعنف، عندما ترفضه، وذلك ما توضح من تدابير تنفيذية متنوعة.

3 ـ الأساليب التنفيذية للحركة :

حرصت الحركة على تنفيذ الخطة السياسية، التي تستهدف وضع حد لمناهضة قبيلة حاحة، مما اقتضى تنويع الأساليب، بممارسة ضغوط مختلفة ؛ معنوية، ومادية، وعسكرية، لتبديد كل مجهودات القبيلة، في رص صفوفها، لتنظيم مقاومة الحركة.

3 ـ 1 ـ الضغط المعنوي :

استعملت السلطة المركزية، الضغط المعنوي على قبيلة حاحة، بتهويل المصير الذي ينتظر المناهضين للسلطة المركزية، وذلك بالاستعانة ببعض الأطراف، التي كانت لها حظوة لدى القبيلة، ومنهم السيد عبد الله بن عمر البطمي وهو رئيس زاوية أسيف يّـگْ، الموجودة شمال أمسكروض، بإداوتنان، على الطريق الرابط بين

61) 14 جمادى الأولى 1290/ 10 يوليوز 1873. كـ. 47.

62) 16 جمادى الأولى 1290/ 12 يوليوز 1873. كـ. 47.

مراكش وأگدير. هذا الشخص الذي كانت لأسرته حظوة عند السكان، وعند السلطة المركزية، التي كانت تنفذ له عطاء من الصويرة(63). وكان عبد الله ابن عمر هذا، قد زار المولى الحسن، قبيل الحركة، ثم قفل راجعا إلى زاويته بأسيف يِّگ. ومن هناك صار يتتبع تنقل الخليفة، من مراكش إلى أن "وصلنا خبر سيدنا بنزوله ببلد خدامه حاحة، وأنالوك بالسمع والطاعة والهداية، وذلك الظن فيهم أبدا، مع دار سيدنا سلفا وخلفا"(64). ثم ذكر الخليفة بأنه، "لما رجعنا من حضرتك الشريفة، ونزلنا عليهم، على نية إطفاء ذات البين والفتنة الواقعة، فبشرناهم جميعا، هؤلاء وهؤلاء، فوجدناهم كلهم، على السمع والطاعة لسيدنا نصره الله، فالله يهديهم ويجبر كسرتهم، ويصلحهم على يد سيدنا، بجاه النبي وآله"(65). مما يبين أنه كان يتتبع ما كانت حاحة تعج به من الأحداث، وأنه بدون شك، كان يمارس ضغوطا على أعيانها، الذين قد يعرضون عليه شكاويهم، التي لا محالة، كان ينقلها إلى السلطة المركزية. ولذلك لما عاد من زيارة تلك السلطة، توقف بحاحة، لممارسة دوره التأثيري كرجل مصلح، يحاول رأب الصدع، دون أن يلوم أحدا من الأطراف، بل حاول التأثير المعنوي أيضا على الخليفة، لتخفيف وطأة الحملة تفاديا للخسائر. فصار يشرح له ما وقع فعلا بحاحة "إن الله تعالى قدر عليهم هذه الفعلة، المقدرة عليهم، فإنهم ندموا على ذلك كله، فقد شكوا علينا ذلك كله بألسنتهم"(66). مما يبين أن القبيلة وأعيانها، كانوا يتأهبون أمرا قد يقع بهم، فاستعملوا بدورهم، الوسائط التي تخدم الطرفين، السلطة المركزية، ومصلحة القبيلة، لتجنب كل مالا تحمد عقباه. وأن هذا المرابط تعدى دور الوساطة، "والآن ياسيدنا نسئل من الله ومن كمال فضلك، وبحق النبوة، أن تكون في همهم، والشفع فيهم، وتكون الواصلة الرحمة، بينهم وبين أبيك، سيدنا نصره الله، فإنهم

---

63) المختار السوسي : المعسول. ج الخامس عشر. ص ص 80- 81. طبعة النجاح ـ الدارالبيضاء. سنة 1962.

64) رسالة عبدالله بن عمر البطمي بتاريخ 20 ربيع الثاني 1290/ 17 يونيه 1873. خـ. حـ. ر.

65) ن. ر.

66) ن. ر.

لا شك محسوب من داخل الخدمة أبدا"(67). فيكشف هذا أن السلطة المركزية، كانت تمارس الضغط المعنوي على القبيلة، بواسطة أمثال هؤلاء الرجال، الذين يحاولون أداء دورهم، فيستمعون للقبيلة، ويبلغون ضررها، ويستمعون للسلطة، فيبلغون غرضها، فيكسبون ثقة الجميع. على أن هذا الأسلوب، بين أن هناك أحداثا خطيرة، ارتكبت بحاحة، وأن القبيلة لما جد الجد، تبين لها صعوبة المقاومة، فسعت للظهور بمظهر الضعف، وبين هذا اضطرابا معنويا، تحاول السلطة المركزية، والمساعدون لها، الاستفادة منه، ولذلك ما أن تولى عبد الملك أبهي، قيادة حاحة، حتى كاتب المولى الحسن، مبينا أن "المطلوب والمرغوب من سيدنا الشريف، أدام الله سبحانه فضله، وأسعد أمره وأيامه، أن يجود على مملوكه وخديمه ووصيفه، بفتح أملاكه بالصويرة"(68). وكانت هذه الأملاك كما سبق ذكره، قد تحولت إلى نظر السلطة المركزية(69)، معللا طلبه، "لأجل أن تسمع القبيلة ذالك، وتعطي رأسها للخدمة والطاعة، كما كان قبل وأكثر"(70)، وأسهب في شرح أهمية التأثير المعنوي، الذي يوقعه هذا العمل على القبيلة، "وذلك عندهم من أهم المهمات، إذا سمعوا بفتح ذلك، فإنهم الآن يتحدثون بذلك، ويكثرون بها الذكر"(71). ولم يقتصر على طلب إحالة إملاك أيت أبهي عليه، وتأثير ذلك على القبيلة، وإنما يزيد "فضلا إذا كانت خليفتنا هنالك"(72) ذلك، أن الصويرة المركز الحيوي بالمنطقة، قد يزيد وجود خليفة أبهي بها، من التأثير المعنوي، ليس فقط على قبيلة حاحة، بل على كل القبائل التي تؤم الصويرة لإنجاز أعمالها، كما قد يؤثر على سكان المدينة وتجارها، ويزيد من هيبة السلطة المركزية بالمنطقة أجمع. وبما أن العامل المعنوي

---

67) ن. ر.

68) رسالة من عبدالملك أبهي إلى المولى الحسن بتاريخ 25 جمادى الأولى 1290/ 21 يوليوز 1873. خ. ح. ر.

69) راجع ص ص 202- 204.

70) ن رسالة عبدالملك أبهي.

71) ن. ر.

72) ن. ر.

يسـهل قبـول الواقع، فقد حاولت السلطة المركزية ممارسته بطريقة مزدوجة، بتحريك الأشـخاص المحترمين لـدى قبيلـة حاحـة، وبإعـادة الاعتبـار لمـن سـبقت نكبتهم من نفس القبيلة.

3 –2– الضغط المادي : المئونة والسخرة :

إذا كـان الضغـط المعنـوي الـذي مورس على قبيلة حاحة، يستهدف النيل من قدرتهـا، علـى الاسـتمرار فـي مناهضـة الحركـة، بزرع نوع من الرعب، فإن الضغط المـادي، كـان أخطـر، لأنـه يـؤدي إلـى سـلبها الوسائل المادية، التي تعتمد عليها في المناهضـة، وخاصـة مـا يتعلـق منهـا، بالجـانب المعاشي من حبوب، ومواشي، وإدام. بالإضافـة إلـى إجبارهـا علـى أداء أقسـاط ماليـة، للذيـن يقومون بالخدمات، لصالح السلطة المركزية.

ولقـد اتخـذ الضغـط المـادي شـكلين رئيسـيين، هما المئونة، التي كانت تدفع للمحلـة، والسخارى، التي كانت تدفع لأعوان السلطة. وإن كانت هاتان الوسيلتان معروفتـين ومتواترتـين فـي الأسـلوب السـلطوي المغربي، فإنهما تتحولان إلى متاعب للقبـائل، حينمـا تطـول مـدة تحمـل القبيلـة لهمـا. وهذا ما وقع بالنسبة لحاحة، التي تحملت أعباء الضغط المادي، مدة وجود الحركة بأراضيها.

3- 2 - 1- المئونة :

كـانت المئونـة المفروضـة علـى حاحـة، العنصـر الرئيسـي فـي الضغط المادي. واستمرت المعلومات تتوارد عنها، من أوائل ربيع الثاني 1290/ يونيـه 1873(73)، إلـى أن كـانت آخـر إشـارة عنهـا فـي 15 رجـب 1290/ 8 شـتنبر 1873(74)، قبـل وفـاة السـلطان بثلاثـة أيـام فقـط، فيكون تأثيرها قد استمر حوالي ثلاثة أشهر ونصف، مما جعلها عملا مرهقا للقبيلة.

73) رسالة من الذوبلالي إلى المولى الحسن بتاريخ 1 ربيع الثاني 1290/ 29 ماي 1873. خـ. حـ. ر.

74) رسالة محمد بن عمر إلى إلى المولى الحسن بتاريخ 15 رجب 1290/8 شتنبر 1873. خـ. حـ. ر.

لقد أخذت الاستعدادات، تجري لجمع المئونة بحاحة، منذ أن حلت المحلة بشيشاوة، فطلب القائد محمد الذوبلالي من الخليفة، في فاتح ربيع الثاني 1290/ 29 ماي 1873 "أن يمن علينا بمائتين من الخيل، من المحلة السعيدة، تأتي لنا بسرعة. لنوجهها للقبائل الذين وراء الواد، كمثل بني تامر جوار أگدير، وبني جلولة، وبني تغماوة، ومجرادة، وبني گزوته، ليعجلوا لنا بالمئونة"(75). شمل الإجراء معظم القبائل الواقعة جنوب وادي إگوزلن، ويظهر أن توجيه قوة عسكرية للإشراف على جمع المئونة، يجعل تلك القبائل تسرع في أدائها، تجنبا لإقامة تلك القوة العسكرية وسطها. وبذلك بدأ تأثير دفع المئونة على القبيلة كوسيلة ضغط عليها.

ولما اقتربت المحلة من بوريقي، تزايد الاهتمام بدفع المئونة، ذلك أن عبد الملك أبهي، وصله كتاب من الخليفة، "مع ما حصره علاف جيش سيدنا"(76)، فيكون رئيس الجيش المرافق للخليفة، قد أبلغ عبد الملك أبهي، المقادير التي تحتاجها المحلة من المئونة. إلا أن عبد الملك أبهي، احتج على تلك المقادير، "أحضرت بعض القبيلة، فاستكثروا ما قيد عليهم"(77). مما يوضح أن تلك المقادير، تجحف بإمكانات القبيلة، فاحتج عليها أعيانها، ولذلك يزيد أبهي، "نطلب من سيدنا أن يأذن لنا بالمحاسبة معه"(78)، وذلك محافظة على إمكانات القبيلة، التي رغم كونها تواجه حملة، فإنها ما تزال، تحتج على ما يزيد عن طاقتها، وحاول الأعيان، أن يحملوا مسؤولية ذلك للعلاف فقط. لكن القبيلة ما أن حلت المحلة ببوريقي، حتى قدمت، "ما آمر به سيدي من المئونة، ها هي موجودة ومويسرة، تفرق على جيش سي السعيد قبل الزوال"(79)، ويظهر أن العلاف الذي رافق المحلة، هو سعيد بن موسى، الذي يتولى هذا المنصب على المستوى المركزي،في عهد المولى الحسن(80)

---

75) رسالة محمد الذوبلالي إلى المولى الحسن بتاريخ 1 ربيع الثاني 29/1290 ماي 1873. خـ. حـ. ر.

76) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 14 ربيع الثاني 12/1290 ماي 1873. خـ. حـ. ر.

77) ن. ر.

78) ن. ر.

79) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 24 ربيع الثاني 21/1290 يونيه 1873. خـ. حـ. ر.

80) العلاف المرافق للمولى الحسن في حركة حاحة كما يظهر من الوثيقة كان سعيد بن موسى أخو أحمد حاجب السلطان بمثابة وزير الدفاع

قد تكونت خلية تكلفت بقبض المئونة من القبيلة، ثم تقوم بدفعها للمحلة، وترأسها كل، من "الورّات، ومحمد بكمام، الواقفين على مئونة المحلة"(81). ولما أخذت المحلة توزع أفرادها على القبيلة، فإن ذلك أثار، استمرار قبض المئونة منها كاملة، مع أن طرفا من الجيش، لم يعد مقيما مع الخليفة في معسكره، فلذلك أصدر أمره للعامل أبهي، "بإسقاط مؤنة المحلة السعيدة، مؤنة الخيل الخارجة معي للبلد، وقدرها عشر خروبة وثلاثة أرباع شعير، أو ثلاث خرارب دقيق، وخمسة وثلاثون رطلا ونصف رطل من السمن، وأربع شاة ونصف شاة، والباقي آمر سيدنا أعزه الله، بتوجهه للمحلة السعيدة"(82)، فبين هذا أن المئونة كانت متنوعة، فهي من الحبوب لتوفير علف البهائم، ودقيق وسمن ولحم، لتوفير معاش الجنود، فتتحمل القبيلة ثقلا لتوفير ذلك كله. وقد تم تبليغ الإجراء الذي أمر به الخليفة، للمكلف بالمئونة الورات، على أساس "أن يسقط ذلك، ويدفع الباقي للمحلة"(83)، فشمل المسقوط من المئونة، القسط الذي تأخذه الفرقة العسكرية، المرافقة للعامل، مباشرة من القبيلة، لأنها في وسطها، في حين يسلم الباقي المفروض للمكلف، الذي يدفعه للمحلة.

إن تعدد الأصناف من المئونة، التي تطالب به القبائل، أحدث حرجا لقبيلة أيت تامَرْ، ذلك أنهم "جاءوا بواجب مئونتهم، إلا أنها محتوية على دقيق الشعير، لعدم وجود القمح في بلادهم، وطلبوا من فضل سيدنا، أعزه الله و[من] جود كرمه، أن يقبله منهم، ويتجاوز عنهم فيه، وإلا فإن كانوا لا محيد لهم عن دقيق البر، فليمهلوا إلى أن يكيلوه بعد خمسة أيام، أجلا لهم لبعد بلدهم، وفقدانه منها، ولو تجوز عنهم فيه، كان أفضل وأولى، كما هو معهود من سمحتكم"(84). ذلك

Laroui (Abdellah) : Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 - 1912) p. 85. =

81) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 3 جمادى الأولى سنة 1290/29 يونيه 1873. خ. ح. ر.

82) رسالة عبدالملك أبهي إلي الخليفة بتاريخ 20 جمادى الأولى 1290/16 يوليوز 1873. خ. ح. ر.

83) ن. ر.

84) رسالة من عمر بن الحسن إلى الخليفة بتاريخ 9جمادى الثانية 1290/ 4غشت 1873.

مـا أبلغـه للخليفـة، شخص يدعى عمر بن الحسن، ويظهر أنه كان من أعضاء الخلية المكلفـة بقبض المئونة. فيكشف هذا أن بعض القبائل، عجزت عن استيفاء ما كلفت بـه، وخاصـة مـا لا تحتـوي عليـه المنطقـة كـالقمح، الـذي يكـون إنتاجه قليلا. كما يكشـف أيضـا أن القبيلـة، قد تستغل ذلك النقص للتأثير على السلطة المركزية، تجنبا لمزيد من الإرهاق، فتتعلل بالخصاص، كوسيلة دفاعية.

لقـد كـان كـل تـأخير في دفع المئونة يستوجب العقوبة، وذلك ما تعرضت له القبـائل الحاحيـة، التـي لـم تسـتكمل الأقسـاط المفروضـة عليهـا من المئونة، مما أدى لتفريق، "الخيل الذين كانوا خرجوا على القبائل، بسبب المئونة المسكورة"(85) قصـد قبضهـا، علـى أسـاس أن تغرم القبائل، بدفع سخاري القائمين باستيفاء مؤخر المئونة. لكـن يظهـر أن أولئـك الأفـراد من القوة العسكرية، يحاولون التماطل في الانصراف عـن القبـائل، والرجـوع إلى المحلة، مما يزيد في إرهاق القبائل، فلذلك فإن القائد عبد الملـك أبهي، طلب من الخليفة، "إن قبضوا سخاريهم، أن يطلعوا لمحلهم بالمحلة"(86)، تجنبا لما يمكن أن يثيرة بقاؤهم، من مزيد المشاكل مع القبائل.

وهكـذا تظهـر النمـاذج الـواردة عـن مشـاكل مئونة المحلة، التي كانت تدفعها قبـائل حاحـة، أثنـاء وجـود المحلة بها، مدى تأثيرها عليها، ومدى الاستنزاف المادي، الذي كانت تتعرض له.

3 - 2 - 2 - السخرة :

لقـد كـانت السـخرة الوسـيلة الثانيـة، فـي الضغط المادي على القبيلة، وتتنوع أسـباب السـخاري، كمـا تتعدد أنواعها. على أنها تكون في معظمها، أقساطا مالية، تفـرض علـى القبـائل، لفـائدة الأشـخاص الذيـن توفدهـم السـلطة المركزيـة، للقيـام بأعمـال سـلطوية بالمنطقـة، وقـد تحـدد قيمتهـا مـن طـرف السلطة المركزية أحيانا،

---

85) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 21 جمادى الأولى 17/1290 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

86) ن. ر.

وأحيانا يترك التصرف فيها للقواد، الذين يقومون بتنفيذها. على أنهم يقومون بتبليغ السلطة المركزية، بما دفعوه لأولئك الأشخاص، ربما يكون ذلك تفاديا من الشكاية بهم، لدى السلطة المركزية، عن تقصيرهم في العناية بالمكلفين بتبليغ الأوامر، أو تجنبا لإثارة الشكوك حول الاختلاسات، التي يمكن أن يقوم بها القواد، من المبالغ التي قبضوها فعلا من القبيلة. أو احتياطا لشكاية القبائل بإرهاقهم، بمبالغ لا تناسب أنواع الادعاءات، التي فرضت عليهم من أجلها. والحاصل أن السلطة المركزية، تكون على علم بما يفوت من أموال السكان لأعوانها.

كانت السخاري التي دفعتها قبيلة حاحة، أثناء وجود الحركة بها، منقسمة إلى نوعين : ما كان منها كمقابل للعمل، الذي قام به أعوان السلطة، وما كان منها كامتياز، لبعض خواص الدولة.

إن السخاري التي كانت كمقابل للأعمال، التي قام بها أعوان السلطة، كانت بمثابة أجرة لهم، عن العمل الذي أنجزوه، ولكنه أجر دفعته قبيلة حاحة. وتنوعت الأعمال التي أنجزها أعوان السلطة، وكأمثلة عنها، أن بعضها تعلق بتبليغ رسائل من السلطة المركزية للقبائل الحاحية، قصد أمرها في فصل بعض الدعاوي، فقد ورد أحد أعوان السلطة المركزية، ويدعى بَالخْير الجرار، على القائد عبد الملك أبهي، يبلغه الأوامر لفصل دعاوي التجار الأجانب على حاحة، وأمره الخليفة أن يدفع له، "سخرة مستنيبه، وهو خديم سيدنا الطالب السيد البشير بن القائد بريك الحبشي"(87). فتكون السخرة هنا لشخصين، أحدهما حضر للقبيلة، منجزا عملا مأمورا به، وآخرلم يحضر ولكنه رئيسه المباشر، وكانت سخرة حامل الرسالة، على قبيلة بني جَرْطْ، فقبض منها "مائة مثقال"(88)، وأما سخرة مستنيبه، فما زالت بذمة القائد(89)، في انتظار ما يكون أمر الخليفة فيها(90). وبذلك تكشف السخرة أنها تستغل أحيانا، لأداء أجور متعددى المسؤولية تفرض على القبيلة.

87) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 25 جمادى الأولى 21/1290 يوليوز 1873. خ. ح. ر.

88) ن. ر.

89) ن. ر.

90) ن. ر.

قـد تثـير السـخرة أحيانـا الـنزاع، مثـل مـا حـدث للسـيد إدريس بن الصادق البخـاري الذي كان قد حمل رسالة من السلطان، إلى القائد الذوبلالي، يأمره فيها، بفصـل دعـاوى التجـار الأجانب على أيْتْ زَلْطَنْ(91) مـن حاحـا، "فأنزلـه عليهـم، حتـى اسـتوجب عليهـم في مبائته، ما يزيد على الخمسين مثقالا، فلما طالبها، ترامى فيـه علـي بـن عـدى وإخوانـه فـي سـوقهم، بمحضـر أنـاس، وسـلبه تسـعة ريال من شـــكارته، ومــا خلـص إلا رجـل مـن تَـكُـشْـتْ، بعـد أن أخرجـوه برأســه"(92)، وتَـكُـشْـتْ فرقـة مـن أيـت زَلْطَـنْ، فصـدر الأمر من الخليفة للقائد عبد الملك أبهي، بـأن يـلزم المتهمـين "رد مـا أُخـذ لـه وما ترتب له عليهم، من المبائت"(93). وهكـذا تحولـت السـخرة إلـى نـزاع بـين أيـت زلطـن وعـون السـلطة، حتـى أدت إلى ادعاء السـطو، والامتنـاع عـن أداء السـخرة، ممـا اسـتدعى تدخل السلطة المركزية، لاتخاذ إجـراءات الأمـر بـالدفع، ممـا يبـين أن السـخرة، قد لا تتحملها القبيلة، إذا ما شعرت بأنهـا غـير منصفـة، كما حدث لأيت زلطن، نتيجة بقاء العون بها، مدة دون سبب معقول.

قـد تكـون السـخرة أيضـا، مقـابل أعمال إدارية محضة، ومثال على ذلك أن الخليفـة، كـان قـد كلـف ابـن خالـه، السيد أحمد ابن عبد القادر الجامعي، بإحصاء حركـة حاحـة، ولما أنجز ذلك العمل، فإن العامل أبهي مكنه، "عشرين ريالا سخرته، ولصاحبه السيد إبراهيم، إثنا عشر ريال، سخرته أيضا"(94)، وبذلـك يكـون قد دفع اثنين وثلاثين ريالا، مقابل عمل إداري يخص مصلحة الدولة.

إن السـخرة قـد تكـون أيضـا، امتيـازا لبعـض الخـواص، الذيـن تتفضل عليهم السـلطة المركزيـة، بتعيـين مصـدر، يقبضـون منهـا تلـك السـخرة، وذلـك ما حدث بحاحـا. فمـا أن حلت المحلة بشيشاوة، حتى أوفد الخليفة شخصا، يدعي المولى علي

91) رسالة من عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 21 جمادى الثانية 17/1290 غشت 1873. خـ. حـ. ر.

92) ن. ر.

93) ن. ر.

94) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 28 جمادى الأولى 24/1290 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

ابن عبد العزيز إلى حاحا، آمرا عاملها الذوبلالي، "أن نجعل له مبائت النفع، على قبائل حاحا كافة"(95)، فعبر عن الامتياز المنعم به، "بمبائت النفع" تتكفل حاحة كافة بأدائها، كوسيلة للضغط عليها، إشعارا لها بقوة الدولة، منذ بداية نزول الحركة إليها، زعزعة لمعنوياتها. فجمع العامل أعيان حاحة، الذين "حضروا فقرأنا عليهم كتاب سيدنا، وجعلنا لسيدنا الشريف [المنعم عليه] ثلاثين أوقية، لكل ليلة على حاحا، وخمسة دجاجة، والسخرة عند تمام نهوضه، من يوم تاريخه 22 ربيع الأول، أو أن يأمر سيدنا بنهوضه عليهم، فيفرضوا له ما وقف عليهم، في الأيام على عادتهم"(96)، ويتوضح من هذا، أن القائد وضع القبيلة أمام اختيارين : إما أداء بطيء، على أساس الدفع لكل ليلة، وهو مقدار محدد بثلاثين أوقية وخمس دجاجات، بالإضافة إلى سخرة، لم يحدد مبلغها. جاعلا بداية الأداء من 22 ربيع الأول، أي شهرا قبل نزول الحركة إلى حاحة، أو أن يتم الفرض المباشر والمسرع الأداء، ولم يحدد مقداره، على أساس أن يتم الاتفاق عليه بين القبيلة. لكن يظهر أن الاختيارين لم يروقا لحاحة، فلذلك فإنهم تماطلوا في الأداء، مما أدى بالمعني بالأمر بأن يلح على القائد الذوبلالي، بأن يبلغ الخليفة، ما عليه القبيلة تجاهه، التي "لا زالوا لم يفرضوا له شيئا"(97). ربما يكون ذلك التماطل، لاستنكار القبيلة ما فرض عليها أداؤه، دون مبرر، غير انتفاع المنعم عليه بذلك الفرض.

يتوضح من تصرف القبيلة الحاحية، إزاء السخاري المفروضة عليها، أنها لا تقبلها إلا على مضض، وعند التلويح باستعمال القوة. لكن يظهر أن ذلك الموقف، يستمد شرعيته، من كون بعض تلك السخاري لا مبرر لها، إلا وجود الحركة بالمنطقة، فتحاول القبيلة التملص منها، أو على الأقل التماطل في أدائها.

ومهما كان تعدد دواعي فرض السخاري، على قبيلة حاحة، فإنها شكلت عنصرا مهما، في الضغط المادي على القبيلة، مثل المئونة. مما جعل تلك الوسيلتين،

95) رسالة من القائد محمد الذوبلالي إلى الخليفة بتاريخ 22 ربيع الثاني 1290/ 19 يونيه 1873. خـ. حـ. ر.
96) ن. ر.
97) ن. ر.

أداة في يد السلطة، بلبلت مواقف قبيلة حاحة المناهضة، بحرمانها من جزء من إنتاجها المادي، لتسهيل الضغط العسكري.

3 ـ 3 ـ الضغط العسكري المباشر :

شكل الضغط العسكري المباشر، العنصر الرئيسي في حركة حاحة، ذلك أن وجود القوة العسكرية وسط القبيلة، عاضد تأثير وتنفيذ الضغوط الأخرى، كما شل كل أشكال المقاومة، وخاصة أن وجود تلك القوة، دام حوالي ثلاثة أشهر، منذ أن حلت المحلة ببوريقي، حتى كانت وفاة السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان. فمارست ضغطا مستمرا على حاحا، وإن تميز بقلة العمليات العسكرية، فإنه شكل عبئا ثقيلا على القبيلة، لما يفرضه من إرهاب مستمر، ومراقبة لكل حركات القبائل الحاحية، التي استفرغت كل قواها المادية، وفشلت كل مناوراتها، في صد تلك الحركة، والظهور بالمظهر القوي أمام السلطة المركزية، التي راهنت بدورها على مكث الحركة وسط القبيلة، تهدد وتفاوض، للوصول في النهاية إلى حلول للمشاكل العامة، التي كانت من أسباب الحركة، تلك الحركة التي كانت لها خليتها وخطتها التنفيذية، والتي ميزت عند عمليات المجابهة، بناء على تنوع طوبغرافية القبائل الحاحية، بين وضعيتين : سمتهما قبائل وطئية، وقبائل جبلية.

3 ـ 3 ـ 1 ـ الخلية التنفيذية للحركة :

تكونت خلية تنفيذية للحركة أثناء توغلها في حاحة، روعي في تركيبها، ما يضمن للسلطة المركزية، الوثوق بأعمالها وإجراءاتها.

تشكلت خلية التنفيذ منذ انطلاق الحركة، من بوريقي، من مجموعة من الأشخاص، الذين يظهر أن السلطة المركزية، كانت تعتمد عليهم، وقد تولى رئاسة تلك الخلية، القائد محمد بن عمر العبدي، الذي تواترت مراسلاته إلى المولى الحسن، منذ أن انطلقت الحركة من بوريقي، نحو وسط حاحة، إلى أن رحلت عنها. وتميزت كتاباته بالدقة في الأمور، وعبر ابن عمر نفسه عن ذلك، "وقد وجب

علينـا، إعـلام سـيدي، لتطمئن نفسك، وحيث وجب إخبار النهار لسيادتك، وجب علينا إخبار الليل، لتبقى أحوال سيدنا صالحة"(98). وطبـق ابـن عمر هذه الخطة، في معظـم مراسـلاته، فأفادت كثيرا، في كيفية إنجاز حركة حاحة، في جوانب متعددة. لكـن لغـة ابـن عمـر، لـم تكـن سليمة، يمزج فيها بين التعابير الفصيحة والعامية، مع أخطـاء فـي الإمـلاء. ويظهـر أنه كان يعنى بتبليغ الهدف، ولا ضير، ما دام المخاطب يفهمه، ويخصه بالسرية.

كـان الشـخص الثـاني، الذي شارك ابن عمر في تولي المسؤولية، والكتابة إلى المولـى الحسـن، هـو قـائد حاحا عبد الملك بن عبد الله أبهي، إلا أن مراسلاته تميزت بالإيجـاز. أمـا الشخص الثالث، فهو الطالب على بن محمد إِگّيدَرْ، والذي لم تكن لـه مسؤولية واضحة كما يظهر مما قال له ابن عمر، "ما أنت مكَلف بالمحلة، ولا بأمر من الأمور، ولا أمرك عامل شيء"(99). وهـذا أمـر مسـتغرب، إلا أن على إِگّيدَرْ، له مركـز داخـل قبيلـة حاحـة، فهـو ينتمي إلى قبيلة بني زَلْطَن، ويظهر أنه كان يحظى بثقـة الخليفـة، الـذي استعمله كعنصـر للتدخل، والكتابة بالأمور، التي كانت تجري بالمحلـة. وعبر هـو نفسـه عـن ذلـك، فـي إحـدى مراسـلاته، "الحمد لله، ما كلفني سـيدي بـأموره هـل تكون الزيادة والنقصان على ما يراه سيدي نظرا وأي مزية تبقى لمن خالف مظنون سيدي، قبح الله شتات الشياطين"(100). ثـم أكـد ذلك بوضوح، أكـثر فـي مراسـلة أخـرى، "وتعلـم سـيدي أن لا شـيء فـي هـذه الكتابة، إلا مجرد الإعـلام، وإلا فـالمكلفون قـائمون بمـا كلفهـم سـيدي، ولا كن يجب على المملوك، إعلام سيدي بما حدث"(101). ويفهـم مـن هـذا كلـه، أن إِگّيـدَرْ، كـان عينـا علـى المحلـة، وعلـى أعمـال مسـيريها. ولذلك كان في خلاف معهم، حيث لا يتورع كل مـن محمد بن عمر، وعبد الملك أبهي، عن التبليغ به، واتهامه بالقيام بإفساد القبيلة،

---

98) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 26 جمادى الأولى 1290/22 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

99) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 25 جمادى الأولى 1290/21 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

100) رسالة علي إگّيدر إلى الخليفة بتاريخ 14 جمادى الأولى 1290/10 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

101) رسالة علي إگّيدر إلى الخليفة بتاريخ 22 جمادى الأولى 1290/18 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

كلما واتتهما الفرصة. وقد جعلت هذه الخطة، المولى الحسن، يكون على علم دقيق، بما كان يجري بالمحلة، لتعدد وجهات نظر الكاتبين إليه بأعمالها.

كان الشخص الرابع الذي تكفل بالقوة النظامية، هو القائد الحاج بوعبيد، خال الخليفة. كما كان يتكفل أيضا، بنقل الأخبار الشديدة السرية، إلى المولى الحسن. فقد ورد في مراسلة لابن عمر، أن "خديم سيدنا القائد بوعبيد فيه كفاية بما يشافهك"(102).

كانت هذه الخلية هي التي تتولى ربط العلاقة، بين الخليفة ببوريقي، والحركة، التي كانت متوغلة بحاحة، مع بروز من حين لآخر، لأشخاص يقومون بمهام محدودة، ككاتب الخليفة محمد بن الفضيل(103)، بالإضافة إلى أشياخ حاحة، ومرابطيها، وأعيانها.

إن كل هذا، يبين أن حركة حاحة، كانت حركة جماعية، ذلك أن السلطة المركزية، تحاول استغلال كل الامكانيات، للضغط على القبيلة، والوصول إلى أهدافها، بأقل الخسائر. فلم تكن تتبع خطة منفردة الرأي، بل كان الخليفة ينصت للجميع، "لازلت تسمع كلامهم جميعا"(104)، كما أقر ابن عمر. وبذلك كانت السلطة المركزية، تحاول الاستفادة من خبرة، وإمكانات كل الأطراف، تعزيزا للضغط العسكري المباشر، الذي كان يتم وفق خطة.

3 - 3 - 2 - الخطة التنفيذية للحركة :

إن الخطة التي نهجتها حركة حاحة، لا يمكن إدراك كل إجراءاتها، إلا بتتبع مراحل الحركة، في إطار علاقاتها الزجرية مع قبائل إتحادية حاحة، تلك الخطة التي

---

102) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 22 جمادى الأولى 1290/18 يوليوز 1873. خ. ح. ر.

103) رسالة عبدالملك بن عبدالله أبهي إلى المولى الحسن بتاريخ 25 جمادى الثانية 1290/20 غشت 1873. خ. ح. ر.

104) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 16 جمادى الأولى 1290/ 12 يوليوز 1873. خ. ح. ر.

كانت تمزج، بين العمل السياسي، والعمل العسكري، والتي تكمن في عدة تصورات، ووسائل ضبطية دقيقة.

كانت الخطة الأولى، التي بدأت بها الحركة عملها، هي توزيع عدد من الجنود، من الفرق النظامية، على القبائل الحاجية، استهدفت في البداية، الإشراف على جمع المؤن(105)، لكن يظهر أنها ظلت في تلك القبائل، حتى تم استدعاؤها(106).

تكونت تلك الفرق النظامية الموزعة على القبائل، من "مائتان وخمسة وسبعون فارسا، فيهم إحدى عشر قوادا، وثلاث وعشرون مقدمين، وباقيهم مخازنية"(107)، وكان عدد من المخازنية، برفقة قوادهم، كالقائد سليمان الشرادي، بإدَ اوسَارَنْ، ومعه 25 جنديا،(108) والقائد عمر الزمراني، بإمْجْرَدْ، مع عدد من المخَازنيَة(109)، والقائد محمد ابن بو بكر، بإدَاوكْلُولْ، ومعه 25 من الجنود(110)، والقائد ادريس، بإدَ اوْ تْغْمَّة، ومعه 40 جنديا(111)، والقائد الشواني عند، إداوكَزُّو(112)، والقائد عمر العسكري عند، أيت عيسي(113)، كما كان هناك أيضا مخازنية، موزعون على القبائل الأخرى، ولم يذكر قوادهم، فكان 34 جنديا عند أيت تَامَرْ(114)، و 26 مخازني، عند إداوْبوزْيا(115) وعدد منهم عند إداوْجَرْط.(116)

105) راجع ص 384.

106) راجع ص 401.

107) رسالة عبدالملك بن عبدالله أبهي إلى الخليفة بتاريخ 26 ربيع الثاني 1290/ 23 يونيه 1873. خـ. حـ. ر.

108) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 11 جمادى الأولى سنة 1290/7 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

109) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 11 جمادى الأولى سنة 1290/7 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

110) ن. رسالة ابن عمر.

111) ن. ر.

112) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 9 جمادى الأولى 1290/5 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

113) ن. ر.

114) رسالة ابن عمر إلى الخليفة بتاريخ 11 جمادى الأولى سنة 1290/7 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

115) ن. ر.

116) ن. م.

ولـم يذكـر شـيء عـن توزيـع الجنـود ببقيـة القبـائل، كـأيت زَلْطِنْ، ونكنافة، وإداوزَمْـزَمْ، قـد يرجـع ذلـك، إلى كونها قريبة من مكان المحلة، ببوريقي. أو لضمان انقيادهـا للسـلطة، خاصـة أن رجالاتهـا، كعبـد الملـك أبهي وإگيدر من أيت زلطن، وأنْفْلوس من نكنافة، كانوا عمدة الدولة(117).

كـانت الخطـة الثانيـة التـي نهجتهـا الحركـة، هـي المزج بين السياسة والعنف، كمنـح الأمـان، لكـل مـن يـتراجع عـن الخروج عن السلطة، جماعات وأفرادا، كما كـانت تقبـل توافدهـم علـى الخليفـة، بهداياهم للصفـح عنهم، بالإضافة إلى توجيه رسـائل مـن السلطة المركزية، لتقرأ على القبائل، تعد المنضبطين بالصفح، عن كل ما سـلف، محـذرة الجميع، من مغبة الاستمرار في المناهضة. ولقد كانت هذه الوسائل السـلمية فعالـة، لأنهـا تـؤدي إلـى خلـق بلبلـة فـي صفـوف المنـاهضين للسـلطة، والمتعـاطفين معهـم، وخاصـة أنهـا كـانت توجـه أساسا للأعيان، ويتكفل المرابطون، والمتصلون بالسلطة من القبائل، بتبليغها.

وبجـانب هـذه الوسائل السلمية، كانت الحركة لا تتورع عن استعمال وسائل العنـف، مـن القصـف بـالنيران، لكـل تجمعـات الثـائرين، وإحـراق دورهـم، ونهـب زروعهـم، وتشـتيت ممتلكـاتهم، وإلقـاء القبـض علـى من تعثر عليه منهم، لكن هذه الوسـائل العنيفـة، كـانت محـدودة، سـرعان ما تتوقف، لأن السلطة المركزية كانت تحـرص علـى اسـتعمال السياسـة والحيلة(118). ولقـد كـان المكلـف بالحركـة القـائد محمـد ابـن عمر يكرر في مراسلاته، التأكيد على ذلك، ويعبر عنه أحيانا بمثل "رب حيلة أنفع من قبيلة"(119).

ولقـد يرجـع تحبيـذ استعمال الوسائل السلمية، إلى كون الاتحادية الحاحية، لم تكـن سهلة المراس، فتحاول السلطة المركزية، كسب ود عدد أكثر من السكان، عن

---

117) كانت لهم أدوار متعددة في كل مراحل الحركة.

118) رسالة ابن عمر إلى الخليفة بتاريخ 9 جمادى الأولى 5/1290 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

119) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 10 جمادى الأولى 6/1290 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

طريق السلم والسياسة، تفاديا لما يمكن أن يحدث، إذا تحول الأمر، إلى صراع عسكري، بين الحركة والقبائل الحاحية، التي لها إمكانات طبوغرافية تسهل التمادي في الاضطراب، لفترة طويلة.

كانت الخطة الثالثة المنهجة في حركة حاحة، هي مراعاة الوضع الطبوغرافي، لاتحادية حاحة، التي تقع في مقدمة منطقة جبلية، تمتد إلى مشارف البحر، ولذلك كانت خطة الحركة، تأخذ بالاعتبار تلك الوضعية الشديدة التعقيد. فميزت بين نوعين من القبائل، اعتمادا على طبوغرافية المنطقة، فسمت القبائل الموجودة بالمنطقة الهضبية، السهلة المسالك والمرور، "أهل الوطأ"(120)، وأما القبائل التي توجد بالمناطق الصعبة، الوعرة المسالك "الجبالة"(121)، وأهل الجبال

لقد كان المولى الحسن يلح على ابن عمر، بمراعاة هذه الوضعية، "ذكر سيدي إياي، ثم إياي، أن نساعد حاحة حتى يتوغلوا في الجبل، ويعظم علينا الأمر"(122). فقد كان الاهتمام منصبا على القبائل المسماة بأهل الوطأ، لأن "الحكمة كلها في أهل الوطأ، فإذا انحكموا وانضبط أمرهم، كما ينبغي، فالجبل في اليد"(123). يوضح ذلك أن تهدئة القبائل الهضبية أولى، فهو يساعد على تهدئة القبائل الأخرى، التي وراءها في المناطق الجبلية. ويؤكد محمد بن عمر للخليفة، "أنني لا نساعد حاحة حتى يتوغلوا بالجبل، فإني على بال من ذلك وجاعلوه نصب عيني"(124). وإنه لم يكن الوحيد الذي حرص على التمييز، بين القبائل الحاحية في كيفية إخضاعها، بل شاركه نفس الرأي أيضا، "الطالب مبارك أنفلوس، يذكر ذلك مرة بعد مرة، وإنه لا خير في طلوع الجبل، بل يكفينا الوطأ"(125).

---

120) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 16 جمادى الأولى 1290/12 يولبوز 1873. خـ. حـ. ر.

121) رسالة علي إكَيدر للمولى الحسن بتاريخ 22 جمادى الأولى 1290/ 18 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

122) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 16 جمادى الأولى 1290/12 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

123) ن. ر.

124) ن. ر.

125) ن. ر.

يتوضح من حرص الحركة على الفصل بين نوعين من القبائل، الوطئية والجبلية، كونها تحاول عدم مواجهة الطرفين معا، خشية لانقلاب الأمور، "بعد أن كنا غالبين نصيروا مغلوبين"(126). ولذلك كان التحذير من مغبة التسرع.

إن هذه النماذج من خطط الحركة، تجاه حاحة، دلت على أن رجال السلطة المركزية، والطاقم التنفيذي للحركة، كانوا حريصين على التقدم حثيثا في تحقيق أهداف الحركة، تلك الخطط التي روعي تنفيذها، عند ممارسة العمليات العسكرية في الميدان، أثناء المجابهة العسكرية مع القبائل.

3 ـ 3 ـ 3 ـ المجابهة العسكرية مع القبائل الحاحية :

تميز الضغط العسكري، بمجابهة عسكرية مع القبائل الحاحية، تلك المجابهة التي شاركت فيها قوات مشتركة قبلية ونظامية.

تكونت القوة القبلية من حراك قبائل منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، كقبائل گدميوة (127)، ومزوضة، ونفيفة، ودويران، ودمسيرة، ومتوگة، وشاركت فيها قبائل أخرى كأولاد أبي السباع، والشياظمة، إضافة إلى حركة حاحة(128)، المشكلة من غير المناهضين للسلطة.

أما القوة النظامية، فتكونت من جيش المخزن، الذي يتوفر على أسلحة وتدريب يفوق إمكانيات القبائل.

إن أهم ما تميز به وجود تلك القوة، لما توغلت بحاحة، هو انضباطها للأوامر، ومراعاة تجنب الخسائر، وإثارة مشاكل جانبية، ولذلك قلت عملياتها العسكرية. إذ

---

126) ن. ر.

127) رسالة عبدالملك بن أبهي إلى الخليفة بتاريخ 24 جمادى الأولى 1290/20 يوليوز 1873 طلب من الخليفة "أن يجود علينا بجميع إيالة القائد السيد إبراهيم الأجراوي" راجع إيالته بصفحة 185 مما يبين أن قبائل معظم سفح الأطلس الكبير الغربي الشمالي شاركت في حركة حاحة منها التى ذكرناها والتي لم تذكر.

128) رسالة محمد بن عمر إلى المولى الحسن بتاريخ 24 جمادى الأولي 1290/20 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

يظهر أنها اكتفت بتكوين ضغط إرهابي على اتحادية حاحة، وخاصة أن المجابهة التزمت التعامل بانفراد مع القبائل، بنوعيها الوطئية والجبلية.

3 - 3 - 3 - 1 - المجابهة العسكرية مع القبائل الوطئية :

يظهر أن المجابهة العسكرية مع القبائل الحاحية، بدأت بمجرد وصول الحركة إلى بوريقي، إذ لم تمر سوى أربعة أيام على استقرارها، حتى صدر لها الأمر في 24 ربيع الثاني 1290/ 21 يونيه 1873 من السلطان بأنه "لم يبق إلا النهوض لتحصيل الغرض"(129).

انطلقت الحركة لمجابهة القبائل الوطئية، التي يظهر أن مقاومتها للحركة، لم تكن موحدة، ذلك أن هناك قبائل منها، لم يذكر شيء عن كيفية انضباطها، مما يدل على أن معارضتها كانت عارضة، كإداوزَمْزَمْ الذين انقادوا للحركة وأسهموا (130) فيها، وحذا حذوهم إداوگرْضْ، الذين كان مجرد وجود المخازنية(131) بوسطهم كافيا للانضباط، رغم أن بعض ثوارهم، قد انضموا إلى ثوار إداوسَارَنْ(132).

قد يرجع خضوع القبيلتين للحركة بسهولة، إلى وقوعهما مع قبيلة أيت زَلْطَنْ بمجاورة قبائل، تعتبر أشد نكاية لها من الحركة، كمتوگة والشياظمة وأولاد أبي السباع، وما يؤكد ذلك أن القائد عبد الملك أبهي، لما طولب بزيادة العدد في حراكه، أثناء تقدم الحركة وسط القبيلة، تعلل بأنه لا يمكن له ذلك، لما "من العداوة بينهم وبين متوگة وأولاد أبو السبع"(133)، مما يجعل تلك القبائل الثلاثة، تهتم بتوفير الاستقرار لها، خشية هجوم القبائل الأخرى، فانقادت بسهولة للحركة.

---

129) ملخص رسالة بتاريخ 24ربيع الثاني 21/1290 يونيه . 1873 كناش 47.

130) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 6 جمادى الأولى 1290/ 2 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

131) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 8 جمادى الثانية 3/1290 غشت 1873. خـ. حـ. ر.

132) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 10 جمادى الأولى 6/1290 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

133) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 24 جمادى الأولى 1290/ 20 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

لقد أسهمت عوامل أخرى في سهولة انقياد أيت زلطن، من كون قبيلتهم مقر قيادة أيت أبهي، ألفت الانقياد والسمو على القبائل الأخرى، ولذلك ما أن حلت المحلة ببوريقي، حتى هيأت نفسها للمشاركة في الحركة. فأنهى القائد عبد الملك أبهي للخليفة، "أن قبيلة بني زلطن عادوا على عارهم، وطلبوا مني أن أطلب من مولانا أيده الله، أن يأذن للطالب الأرضي سيدي على إِگْدَرْ، على أن يقدم معهم للحركة"(134)، والتي شاركت فيها، لما توغلت داخل القبيلة.

كانت قبيلة نَكْنَافَة قد انضبطت أيضا بسهولة، وهي مقر الشيخ مبارك أنفْلوس، الذي كان طموحه يتشوف إلى إدارة قبيلة حاحة، ولذلك لم يكن يسمح لقبيلته، بالقيام بما يشكك في صلاحه.

ويظهر أن هناك صراعا خفيا بين القبيلتين لقيادة حاحة، حتى إن ما حدث بحاحة من ثورة، وما نجم عنها من أحداث، كانت "حقيقة ذلك سيدي وجلية أمره وقصاراه، هو أن قبيلي نكنافة وأيت زلطن، مختلفتان متنافرتان من الباطن، وكل منهما يحتال في أن يجعل المخزن طوع يده، يبعث به في أغراضه كيف شاء، حتى يقضي وطره فيما ليس من لفه، وحين سيدي لم يتمكنوا من ذلك، وبارت حيلهم، وأيسوا من شده في القبائل. لكن سيدي لما عرفوا الحقيقة، وانكشف الغبار ووضح الصبح لدى عينين، وانجلى النهار، وما بقيت تنفعهم حيلة، ولا يسمع لهم كلام في لف ولا قبيلة، وأعلمت سيدي بباطن الأمر وكنهه"(135)، ذلك ما عبر عنه باعث مجهول إلى المولى الحسن، محملا مسؤولية ما وقع بحاحة، إلى تنافس القبيلتين أيت زَلْطن ونكْنَافَة، ورغبة كل منهما في التحكم في القبائل الحاحية الأخرى، باسم السلطة المركزية.

ومهما كانت المبالغة في كون كل ما حدث بحاحة، إنما يرجع إلى التنافس القبلي، فإنه يكشف نوعا من الصراعات المحلية، التي ما فتئ أشخاص ذوو مقدرة،

134) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 5 جمادى الأولى 1290/1 يوليوز 1873خـ. حـ. ر.

135) رسالة من باعث مجهول إلى المولى الحسن بتاريخ 8 جمادى الأولى 1290/ 4 يوليوز 1873خـ. حـ. ر.

يستغلونها كـأنْفْلوس. ولذلـك ما أن بدأت الحركة تنقلها داخل حاحة، حتى "أكرم السيد مبـارك أنفلوس، جميع من توجه معنا بالطعام، أدخلنا منزله، نحن وجملة من خاصة الأشياخ، وما قصر كثر الله خيره"(136)، ذلـك مـا أخـبر بـه ابـن عمر، دلالة على استقامة قبيلـة نَكنافَة، بزعامة شيخها، بل إن الأمر تعدى ذلك، "وعامة حراك أيـت زَلْطَنْ وبني زَمْزَمْ، أطعمهم بنحو مائة ماعون من الطعام، وتصافح إخوانه، وبنو زلطـن، وتغـافروا فيما بينهم، بعد الإطعام"(137)، ممـا يؤكـد مـا ذهـب إليـه البـاعث المجهول، وأن تصالح القبيلتين ما تم إلا بنزول الحركة بحاحة.

يظهـر أن التصـالح بـين القبيلتـين ظل مشوشا، خاصة أن بعض الأشخاص، ما انفكـوا يحركـون الضغـائن، ذلـك أن "الطـالب علـي إگيدَرْ اشتغل بما لا يعني، بين بني زلطن ونكنافة"(138). وقـد يرجـع هـذا إلـى كـون إگيـدر، لا يرغب في أن يتم التصـالح علـى يـد أنفلـوس، ولذلـك فإنـه "مهما جلس في الجماعة، يذكر الذي لا يصلح من جانب"(139) نكنافـة، ولذلـك فـإن ابـن عمـر، يقترح على الخليفة وسيلة "حتـى يبعـده مـن هنـا، وإن زاد جلوسـه هنـا فسـيقع ما يقع بين هاتين القبيلتين بني زلطـن ونكنافـة، فـلا نكـره انتقالـه مـن هنـا، لـترك القيل والقال، ليبقين صالحين مع بعضهمـا بعضـا، ويضمحـل مـا كـان بينهما، ويتركهم مع عاملهم، ونحن نسايرهم حتى يجمع الله كلمتهم"(140).

يتوضـح مـن هـذا أن التنـافس بـين القبيلتـين، كان شديدا، وأن آثاره ما زالت فاعلـة، ممـا دفـع ابـن عمـر ليقـترح إبعاد المتهم بالتشويش بين القبيلتين، لكن لما وجه الخليفـة "الأمـر الشـريف علـى الطـالب علـي إگيـدَرْ بـالقدوم لـدى حضـرة سيدنا السـعيد، قـام وقعـد، وازبدورعـد، وقال بحضرتي، وءال على نفسه أنه لم يبق أحدا

136) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 6 جمادى الأولى 1290/ 2 يوليوز 1873خـ. حـ. ر.

137) ن.ر.

138) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 11 جمادي الأولى 1290/7 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

139) ن.ر.

140) ن.ر.

من بني زلطن وإدا وسارَنْ وغيرهم من أجانب لفهم، وقد ظهر ذلك في وجهه، وقال بحضرتي، فكيف وأن لف بني زلطن تحرقونه، ولف أنفلوس يبقى بلا حرق"،(141) واتهمه بأنه "ربما تكلم مع من حضر من بني زلطن، ووجه لإداوسارن، وأنكم ما خدامين إلا عند أنفلوس، يلعب عليكم"(142) محرضا إياهم.

إن هذه الاعتبارات التي تخوف ابن عمر، أن ينجم عنها صراع، بين القبيلتين المتنافستين، ويقع ما لا تحمد عقباه، وخاصة بعد أن "تحقق لي أن هذه القبيلتين، يخرجان للفساد"(143)، جعلته يقدم على عمل يخالف أمر الخليفة، فيما يتعلق برحيل إگيدر عن المحلة، "حصرته عن القدوم لديك، لما اقتضته المصلحة، وأعطيته خط يدي، بأني منعته من القدوم، وإن قدومه معنا أولى من القدوم عند سيدنا"(144). وحيث أن الأمر فيه سرية، فإن ابن عمر أكمل قوله، "لايشفى الغليل إلا المشافهة"(145)، ولذلك فإنه يطلب من الخليفة، "أن لا تصعب علينا من أمره"(146)، ولم يكتف ابن عمر، بطلب إبقاء إگيدر مع المحلة، وإنما اقترح على الخليفة، الكيفية التي يجيبه بها عن رسالته، "والجواب هو سيدي أن تجاوبني ذلك حصرت الطالب علي عن القدوم علينا، لما اقتضته المصلحة، فلا بأس في ذلك، فأبقه عندك، وحيث يقضي الغرض وجهه إلينا، لقضاء غراض لنا به ولا بد"(147).

تلك كانت خطة العمل التي نهجها ابن عمر، في معالجة أمر الصراع بين أيت زَلْطَنْ ونَكْنافَة، وأما إگيدَرْ فإنه اعتذر عن القدوم لدى الخليفة، "فلا يمكنني التحول أمام هذا اللف، إلا بعد حلول القائد وسطهم، ولا زال العنف التام واللفيف

---

141) رسالة من محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 12 جمادى الأولى 8/1290 يوليوز 1873خ. حـ. ر.

142) ن.ر.

143) ن.ر.

144) ن.ر.

145) ن.ر.

146) ن.ر.

147) ن.ر.

فيما بينهم، على ما يعرف سيدي فيهم"(148)، معتبرا أن حلول القائد عبد الملك أبهي، بوسط الحركة، السبيل الأوحد لإنهاء النزاعات، بين أيت زلطن ونكنافة، وكل هذا يظهر مدى الصراع الخفي، الذي كان بين القبيلتين، كما يبين تصرفات زعمائها.

كانت الحركة بعد انطلاقها من بوريقي، وعبور أراضي نكنافة، قد استقرت في 6 جمادى الأولى 1290/ 2 يوليوز 1873 بـ"المحل الذي أمر سيدي بالحلول فيه، أعني التّليت"(149) هذا المكان الذي يوجد بأرض إداوسارَنْ، ويعرف بإمين التّليتْ، ويشكل مركزا هاما كملتقى الطرق. واختير هذا المكان لنزول الحركة، لمراقبة القبائل الحاحية، ذلك أن ابن عمر أخبر الخليفة، أنه "لا نبرح من المحل الذي نحن فيه، لأنه حاجز وسد بابا لا يمكن فتحه لأهل الفساد، وإن وقع التزحزح من جانبنا، اتسع الخرق عن الراقع"(150).

ولقد بدأت الاستعدادات لمواجهة الثوار، لكن بمراعاة خطة توجيهية تعتمد على التأني، ذلك أن الخليفة أصر على، "أن نوخر البارود، وأن لا يخرج حتى تجتمع ما هنا متفرقة من خيل المخازنية، والمخازنية"(151)، تلك القوة التي كانت موزعة على القبائل الحاحية(152)، والتي صدرت لها الأوامر، لتلتحق بالحركة. ذلك ما أبلغه ابن عمر للخليفة، "فإننا كتبنا للأشياخ الذين عندهم المخازنية، بأننا على نية ضرب الشردمة الفاسدة، فليوجهوا أصحاب سيدنا، الذين عندهم، ليكونوا إعانة وتقوية لجيشه السعيد"(153).

---

148) رسالة علي إگيدر إلى الخليفة بتاريخ 14 جمادى الأولى 1290/ 10 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

149) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 6 جمادى الأولى 1290/2 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

150) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 10 جمادى الأولى 1290/6 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

151) رسالة محمد بن عمر إلي الخليفة بتاريخ 9 جمادى الأولى سنة 1290/5 يوليوز. 1873خـ. حـ. ر.

152) راجع ص. ص. 384 ثم 393- 394.

153) ن.ر.

كـانت قبيلـة إدَاوسـارَنْ، يسودها اضطراب، مما أظهر الاختلاف بين الأعيان، الذيـن أذعنـوا للسـلطة، والمتمنعـين من القبيلة، الذين يفضلون مقاومة الحركة، إلا أن أمرهـم لـم يدم طويلا، ولـم يكلف كثيرا. فقد قام أعيان قبيلة إداوسارَنْ بالتوافد على الخليفـة بيوريقـي، منـذ البدايـة، للاعتـذار عمـا صـدر عـن القبيلة. فأنهى القائد عبد الملـك أبهي للمولى الحسن، "أن قبيلة بني سيّارَة جاءوا الآن وأرادوا أن يُعركبوا على مدافـع مولانـا أعـزه اللـه، وشاوروني في ذلك. وأمرتهم بالتأني حتى ننظر أمر سيدنا أيـده الله، وأدام علينا سعادته، ونطلب من سيدنا أن يأمرنا بما نأمرهم به، بما هو مراد مولانـا أطـال اللـه بقـاؤه وعـزه، ليكـون العمـل علـى ذلك" (154)، لكـن يظهـر أن استمرار الاختلافات بالقبيلة، جعل هذا التوافد دون جدوى.

ولمـا اتجهـت الحركة من نَكْنافَة إلى إداوسارَنْ، وجدت جماعة من أعيانها عند الحـدود بـين القبيلتين، الذين "رحبوا بنا، وأنزلونا بوسط الجماعة"(155)، ثـم أخـذت الاتصـالات تجـري، بـين تلـك الجماعـة المنقـادة مـن الأعيـان، وابـن عمر الذي أبلغ الخليفـة، "أن أشـياخ إداوسـارن قدمـوا عندنـا، قـرب صـلاة العصر، وطلبوا شيئا من رمـات بنـي زلطـن، وشـيئا مـن خيلهـم، وتوجهـوا معهـم ليأتوا بإخوانهم، إن كانوا صـالحين وتبعوهم في صلاحهم وأرشدهم الله للخير" (156). يبـين هـذا بوضـوح أن إداوِسـارَنْ لـم تكـن كلمتهـم واحـدة، وأن هنـاك مفاوضـات بـين الأعيـان، بزعامـة الشـيوخ، وبـين المتمنعـين، وكـانت السـلطة تدعـم المنحـازين لها، بمدد من الحراك، قصـد التـأثير علـى الثـوار، فـي نفـس الوقـت الـذي كانت فيه تراقب التفاوض، بين أطـراف قبيلـة إداوِسارَنْ، الذين يخشى ابن عمر، أن "يقع لجاج بين أشياخ إداوسارن

---

154) رسالة عبد الملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 4 جمادى الأولى 1290/30 يونيه . 1873خـ. حـ. ر.

التعرقيب : يكـون بقطع عروق القائمتين الخلفيتين للثور، فيسير على ذنبه، ويعتبر ذلك كإعلان عن التظلم، وهـو أسـلوب آخـر للتشـكي، لأنـه لا توجـد أية أمارة أخرى وراء تلك العادة ولما يرى السلطان تلك الحالة تذبح تلك البهائم.

155) رسالة محمد بن عمر إلي الخليفة بتاريخ 6 جمادى الأولى 1290/2 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

156) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 10 جمادى الأولى 129/6 يوليوز . 1873خـ. حـ. ر.

مع إخوانهم، ويخرج البارود بينهم"(157) نظرا للاختلافات بينهم، لكن يظهر أن التفاوض أدى إلى اتفاق بين إداوِسارن، وعلى الأقل بين الأغلبية منهم ،مما جعل الشيخ الحاج ابراهيم بويمُرن من أشياخ إداوسارَنْ، يوجه رقاصا إلى ابن عمر، ذاكرا له "أنه يقدم اليوم بجميع إخوانه إداوسارن وبحركته، وقد قدمت منهم البارحة نحو الأربعين من الرمات للحركة، وأنه لا شك أن الله يصلح أمر إداوسارن، وإن أصلحه فيضعف أمر الفساد، وتقع الزيادة بحول الله في أهل الصلاح"(158).

لقد كانت خطة الحركة تعطي الأولوية للعمل السياسي، ولذلك فإن ابن عمر، أخبر الخليفة بأنه "ورد علينا الحاج ابراهيم بويمورن، ومعه أشياخ قبيلة إداوِسارَنْ، وقدموا في غاية النشط والفرح والسرور، من كون قبيلتهم قد أصلح الله أمرها، مع أنهم لا زالوا لم يقدموا بالحركة"(159) ولهذه الاعتبارات من بوادر الانقياد، يلح ابن عمر على الخليفة، "أن المطلوب من كمال فضلك،أن تكتب لنا كتابا خاصا في شأنهم، بأنني أخبرتك بصلاحهم، وأنهم قبيلة صالحة، ويبالغ سيدي معهم، لنقرأه عليهم حين يقدمون عامتهم، ليأمن خوفهم وتطمئن أنفسهم ويزدادوا في الخدمة"(160)، ولم يقصر ابن عمر تأثير مثل ذلك الكتاب على إداوِسارَنْ فقط، وإنما تنبأ بمفعوله أيضا، على القبائل الأخرى، ذاكرا "بحيث يسمعون قبائل أخرى ذلك، يدعنون للصلاح من غير مشقة ولا تعب ولا نصب، لأنه سيدي كما علمت، يدرك بحيلة ملا يدرك بقوة، وليعجل لنا سيدي بهذا الكتاب"(161). وبذلك يوضح ابن عمر أن العمل السياسي، الذي يعتمد على

---

157) ن.ر.

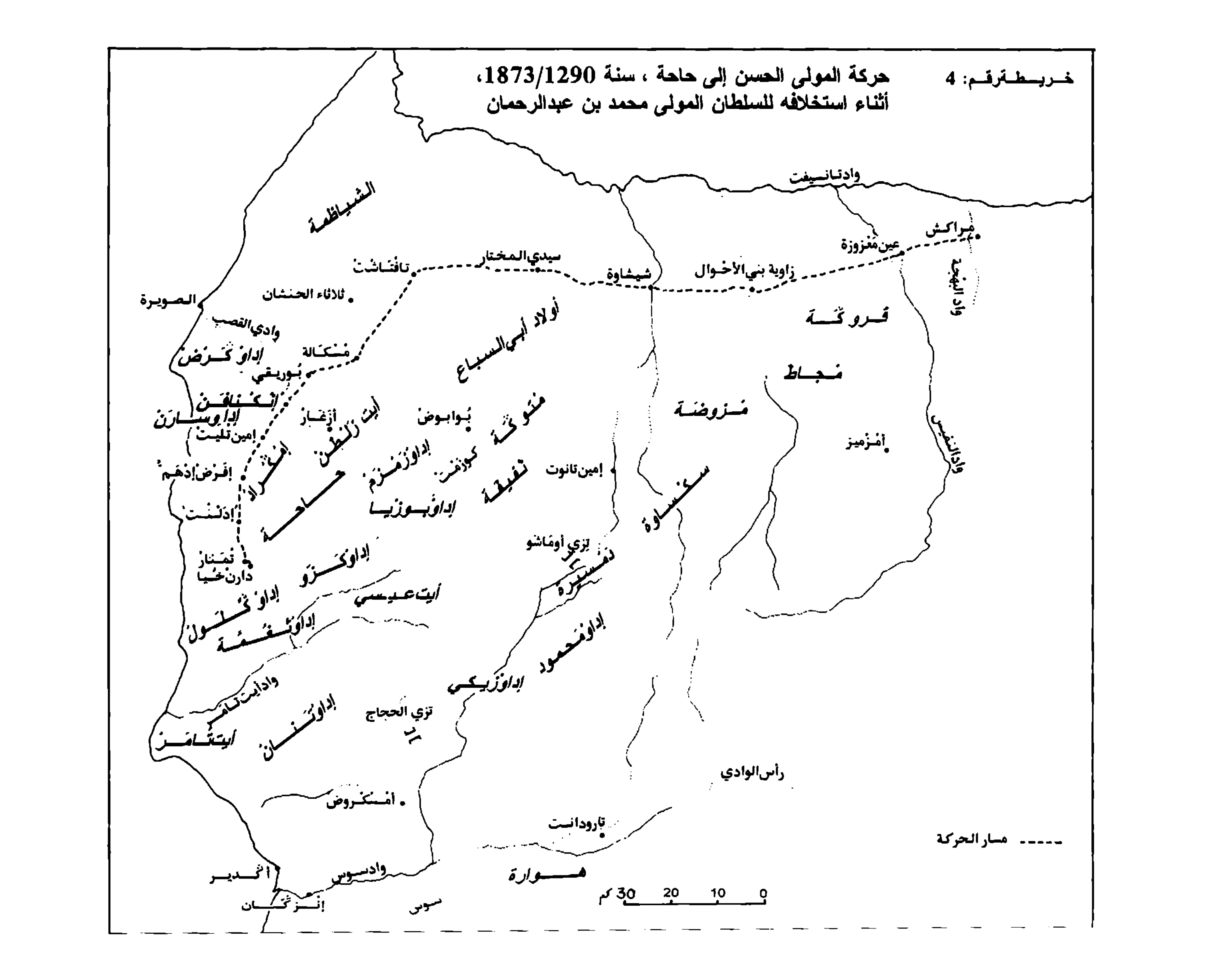
158) رسالة أخرى من ابن عمر إلى الخليفة بتاريخ 10 جمادى الأولى 1290/6 يوليوز. 1873خـ. حـ. ر.

الحاج إبراهيم بويمرن أو بمورِّين ينتمي إلى أسرة تقول الرواية الشفوية من عين المكان أنها هاجرت من سوس إلى حاحة، وقد أصبحت مشهورة، توارث عدد من أفرادها منصب المشيخة بقبيلة إداوِسارَنْ، ويوجد مقرها بإداوْعَـزًا قرب معدن الملح.

159) رسالة أخرى من ابن عمر إلي الخليفة بتاريخ 10 جمادى الأولى 1290/6 يوليوز. 1873خـ. حـ. ر.

160) ن.ر.

161) ن.ر.



خريطة رقم: 4
حركة المولى الحسن إلى حاحة، سنة 1873/1290،
أثناء استخلافه للسلطان المولى محمد بن عبدالرحمان
وادتانسيفت
مراكش
عين مزوزة
زاوية بني الأخوال
شيشاوة
سيدي المختار
تافتاشت
الشياظمة
ثلاثاء الحنشان
الصويرة
وادي القصب
إداوكرض
منكالة
بوريقي
أولاد أبي السباع
إكنافن
إداوسارن
أزغار
أيت زلطن
بوابوض
منتوكة
إمين تليت
إداوزمزم
كوزفن
تفيقة
إمين تانوت
إقرض إدهم
إداوبوزيا
حاحة
إدانشت
تمنار
دار نخيا
إداوكزو
أيت عيسى
تزي أوماشو
دمسيرة
إداوتغمة
إداومحمود
وادأيت تامر
إداوزيكي
إداوتنان
تزي الحجاج
أيت تامر
مزوضة
مجاط
فروكة
أمزميز
سكساوة
وادالنفيس
رأس الوادي
أمسكروض
تارودانت
مسار الحركة
أكدير
وادسوس
هوارة
إنزكان
سوس
0 10 20 30 كم

طمأنـة أفـراد القبيلة بالإشادة بصلاحهم، قد يسهل من سرعة انضباطهم، كما يربك مواقف القبائل الأخرى.

يظهـر أن الثـوار أيضـا أخـذوا يميلون للتفاوض مع ابن عمر، فحاولوا الاتصال بـه، إلا أنـه اشـترط "إن كـان منهم أهل الحل والعقد، فليتوجهوا منهم نحو العشرين رجـلا نتكلـم معهـم فـلا بـأس، وإن كـانوا مطلـق الناس، الذين لا خلاق لهم، فلن نقدم من غير إذن مولانا"(162)، وذلـك تعزيـزا لهيبـة السـلطة، وتشـكيكا لإمكانات الثـوار، بعـد أن انسـحب منهـم عـدد مـن إخوانهـم، الذيـن انضمـوا إلـى صفـوف المنقـادين مـع الأشـياخ. لكـن رغم ذلك، فإن البقية من الثوار استمروا في المناهضة، نجـم عنهـا، "أنهـم تضـاربوا مـع فرقـة منهـم يقـال لهـم بنـو جزولَـة فـي بلادهـم، وكسروهم وطردوهم إلى أن دخلوا بلاد إداكَلّول"(163)، جـيرانهم، فقـام ابـن عمـر بدعـم المنحـازين للسـلطة، فمدهـم برمـاة مـن نفيفـة ودمسـيرة، إضافة إلى من كان توجـه معهـم مـن رمـاة وخيـل أيـت زلطـن، "زدنـاهم لهـم تقويـة وإعانـة، ربما يتغلظون عليهم"(164).

ويلاحـظ مـن تصـرف قيـادة الحركـة، أنهـا اعتمـدت فـي سـحق بقيـة الثوار بإداوسـارَنْ علـى المنقـادين مـن القبيلـة، مدعومـين بحـراك بعـض القبـائل، فـي حين لازمـت القـوة النظاميــة الحيطـة، فـي انتظـار مـا سيؤول إليـه أمـر القبـائل الأخـرى كمَجْرَادَة.

لقـد كـانت قبيلـة إمْـجْـرادْ، علـى مـا يظهـر، المكـان الذي اجتمع فيه الثوار، وذلـك مـا يستفاد مما أنهـاه ابن عمر للخليفة، في 2 جمـادى الأولـى 1290/ 28 يونيـه 1873 "إنـه بلغنـا أن فرقـة مـن مْجْـرَادة، وفرقـة مـن بنـي جَـلُّولَة، وفرقـة مـن بنـي يسـارة، اجتمعـوا فـي موضـع يقـال لـه، سـيدي صـالح بقبيلة مجرادة، المعروف من مجرادة

162) رسالة ابن عمر إلى الخليفة بتاريخ 10 جمادى الأولى 1290/6 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

163) رسالة ابن عمر إلى الخليفة بتاريخ 11 جمادى الأولى 1290/7 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

164) ن.ر.ر.

إرْهالْ "(165). لكن مهاجمة هؤلاء الثوار، كان متوقفا على ما عبر عنه ابن عمر، "إذا كمل صلاح قبيلة إداوسارن، واجتمع المدد من عند سيدنا، وظهرت لنا فيهم الفرصة، فنضربوهم بالبارود"(166)، معتبرا أن ذلك "هو الأولى، ليضمحل أمرهم وتنكسر شوكتهم، ويتشتت شملهم، وتتجدد الخدمة عند هؤلاء القبائل"(167).

لقد وقعت أول مصادمة بين الحركة، والثوار الذين كانوا محصنين، بدار الشيخ أحمد نْ أيت الْحْسَنْ، فداهمتهم الحركة "في الساعة العاشرة، فوجدناهم معهم، بين دار الشيخ أحمد والْحْسَن، فخرج بها نحو عشرة عمارة ذي البارود، وخرجوا منها هاربين"(168)، ثم أعقب ابن عمر هذا البلاغ للخليفة بآخر، يبشره فيه بأن الثوار، "لما رأوا مدد سيدنا، وقع فيهم الرعب، وخرجوا مسرعين منهزمين"(169)، بعد تبادل إطلاق النار بين الطرفين، فغنمت الحركة من الثوار، حوالي خمسة عشر مكحلة، كما ألقي القبض على البعض منهم(170). فكانت هذه الواقعة، المعركة التي تصدى فيها الثوار للحركة، لكن يظهر أن عدم توازن القوى بين الطرفين، أدى لتراجع الثوار وفرارهم.

استأنفت الحركة تقدمها في أراضي إِمْجْرادْ، التي أخذت قراها تستسلم للحركة، فلما حلت "بأيت حَمٍّ، عرقبوا على المحلة السعيدة، وطلبوا الأمان

165) رسالة من ابن عمر إلى الخليفة بتاريخ 2 جمادى الأولى 1290/28 يونيه . 1873خـ. حـ. ر.
سيدي صالح يقع ضريحه قرب إمِينْ تْلِيتْ بباب جبل امْسْتِتَنْ بقبيلة إمْجْراد.

166) رسالة ابن عمر إلى الخليفة بتاريخ 10 جمادى الأولى 1290/6 يوليوز . 1873خـ. حـ. ر.

167) ن.ر.

168) رسالة ابن عمر إلى الخليفة بتاريخ 11 جمادى الأولى 1290/7 يوليوز . 1873خـ. حـ. ر.
الشيخ أحمد بن الحسن من عائلة إدْلاَمين ويوجد مقر تلك الأسرة ببرج عبٍّ وهم من فرقة إموشْكينْ من قبيلة إمْجراد.

169) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 11 جمادى الأولى 1290/7 يوليوز . 1873خـ. حـ. ر.

170) ن.ر.

لأنفسهم وزادوا رماتهم معنا"(171)، ثم دخلت المحلة "بلاد أيت حَجٌّ، تعرضوا وعرقبوا على محلة سيدنا، طالبين أمان سيدنا عن أنفسهم وعن دورهم، فأمنا عليهم، لكونك سيدي، قلت لنا من كان صالحا وانحاش كرها، فأمنوا عليه ومن كان فاسدا وطفرتم به، فإذا لم تطفروا به، فأحرقوا دورهم"(172). ثم واصلت الحركة تحركها حتى وصلت أرض "أيت عَبٌّ فعرقبوا أيضا على محلة سيدنا السعيدة طالبين الأمان. فأمنا عليهم كما كنت ذكرت لنا لكونهم كانوا يترددون إلينا وكانوا طلبوا منا عددا من الرامي ليعمروا دورهم، ونزلنا عليهم بعد أن خضنا بلاد مَكْرادْ طولا وعرضا ولم نعثر على أحد بعد الهزيمة"(173).

انهارت مقاومة الثوار بقبيلة إمْجْراد، بعد أن تعرضوا لعمليات عسكرية عنيفة، مزجت بين الصفح واستعمال القوة، بما في ذلك حرق الدور، الذي اعترض عليه مبدئيا علي إگيدَرْ، "قال لا خير في الحرق، فإنه إذا رأوا الغير عدم الحرق يسهل الأمر، كمثل بني جَلُّولة، وتركنا الأمر من جانب الحرق، حتى يأتي أمر سيدنا بما عليه العمل"(174). ويتوضح من هذا أن الأشخاص المكلفين بالحركة، رغم تنافسهم كابن عمر وإگيدر، فقد كانا يحترمان آراء بعضهم البعض، في انتظار ما سيؤول إليه الأمر. ومع ذلك فقد تم حرق الدور، التي تخلى عنها أصحابها بما فيها، "الدار التي كتب سيدنا على حرقها متاعت حماد ولْحْسَن، فقد حرقوها بني زلطن، وها كتابهم يصل سيدنا لتطالعه، وهو مستحرم بباب سيدي بوعثمان،

---

171) رسالة أخرى لمحمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 11 جمادى الأولى 1290/7 يوليوز 1873خ. ح. ر.
ايت حم، دوار كبير قرب اثْنين إيمن الشْليتْ وهم من فرقة من قبيلة إمجراد .

172) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 11جمادى الأولى 1290/ 7يوليوز 1873. خ. ح. ر.
أيت حج، دوار كبير من فرقة إزْناگنْ من قبيلة إمْجراد.

173) ن .ر.

أيت عب دوار كبير، تذكر الرواية الشفوية من المنطقة أنه كان مركزا مهما، توجد فيه بقايا برج فوق أكمة تنسب للحاج عبدالله أبهي، وكان يقيم فيه خليفته، وأيت عب من فرقة إزْناگن من قبيلة إمجراد.

174) ن .ر.

ويطلب الأمان من سيدنا، ليقدم بإخوانه"(175). ويظهر أن هذا القرار، الذي اتخذ بإحراق دار الشيخ أحمد ابن الحسن، أنه عقاب له لإيوائه الثوار. وتخويفا لمن يجرؤ على مثل ذلك العمل، كما قامت الحركة أيضا، بأكل زرع قبيلة إِمْـجْـراد(176).

وإن مداهمة الحركة للقبيلة، نتج عنها أن "صارت بلاد مْكّْراد خاوية لا نفس فيها"(177)، ولذلك يقترح ابن عمر إقامة الحراسة، بالمراكز الرئيسية، تتكون من رماة القبائل الحاحية المشاركة في الحركة، فتكون خمسين من رماة نكنافة، ينزلون بأيت عَبٍّ، وخمسين من رماة أيت زلطن، ينزلون بأيت التّليتْ، فيكون التواصل مع المحلة التي نزلت بغدير إدا وْهَمٌّ(178)، وذلك كله لكون "بلاد مكراد خلت منهم ووقع الخوف بالطريق"(179)، ويظهر أن تخوف ابن عمر من وقوع أحداث بالطريق، تكون الحركة مسؤولة عنها، من الأسباب التي دفعته للحرص على إقامة الحراسة من القبائل الحاحية، ريثما تتهيأ الظروف، لاستقرار الأوضاع بقبيلة إمْجْرادْ.

ولقد أخذ أعيان القبيلة في الاتصال بالحركة، فوفد منهم عليها "الحاج بِهِي وْبهي ومن معه، يتكلفون بما في يدهم من مكراد"(180)، وتكفل أنفلوس أيضا، بمن كان في لفه من إِمْـجْـراد(181). فبدأت المفاوضات مع الثوار من قبيلة إِمْـجْـراد، الذين أخذوا يتوافدون على المحلة. فعلاوة على الفريق الذي تكفل به الحاج بِهِي

---

175) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 12 جمادى الأولى 1290/ 8 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.
سيدي بوعثمان، يوجد ضريحه بجوار سوق أربعاء إداوكّْرض.

176) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 13 جمادى الأولى 1290/ 9 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

177) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 12 جمادى الأولى 1290/8 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

178) ن .ر.
غدير ادْهَمٌّ يعرف بإفَرْضْ إدْهَـمٌّ، دوار كبير من فرقة إموشكّيْن من قبيلة إمجراد، وكان الطريق القديم يمر بجواره.

179) ن .ر.

180) ن .ر **الحاج بهي أبهي**، من شرفاء أيت بهي قرب سيدي صالح من فرقة إموشكّيْن وهم شرفاء محترمون.

181) ن .ر..

أبهي، الذي هو "من ذوي العرض والمروؤة"(182)، وكذلك الفريق الذي تكفل به أنفلوس، فإن فريقا آخر من قبيلة إمْجْراد، "يقال لهم ازْناقَة، عرقبوا اليوم على المحلة السعيدة، وقد أعطيناهم الأمان على يد مرابط منهم"(183)، ولم يقف التصالح عند هذا الحد، وإنما عزم أعيان إمْجْراد على أنهم، "يقدمون كلهم اليوم أو غدا، عند سيادة سيدنا، بمحاضرهم يعرقبون على سيدنا"(184). وأما الحركة فما زالت مقيمة بإمْجْراد، حتى يعمروا بلادهم التي ما زالت خاوية(185).

وهكذا فبعد أربعة أيام من مداهمة الحركة لإمْجْراد، صار أمرها إلى ما أبلغه علي إگيدر للخليفة في 14 جمادى الأولى 1290/ 10 يوليوز 1873، "أما بعد ينهى لكريم علم سيدنا، أن وعيد الله نفد في هذا القوم، وحرقت دورهم، وتشتت أمتعتهم، وتمزقت مجامع المفسدين"(186). ويظهر من كلامه أن الحرق وقع فعلا، رغم معارضته له، كما سبق ذكر ذلك، وأن الحركة نالت من الثوار الذين لم يجدوا بدا من الاستسلام والانقياد، "وها نفر وإخوانهم ومرابطيهم، يحضرون حضرة سيدنا النبيه، بالذبائح والهدايا، ليستعطفوا سيدي في إخوانهم المشتتين في الغياهب، وفيهم من المساكين والضعفاء، ما لا يخفي على سيدي"(187). ويؤكد هذا أن أعيان إمْكْراد والمرابطين منهم، توافدوا على الخليفة بيوريقي، كإعلان عن الخضوع، وطلب الصفح عنهم، حتى ترجع القبيلة إلى دورها وتستقر أمورها.

لقد كان القرار الذي اتخذه الخليفة تجاه إمْجْراد، بعد سبعة أيام من مداهمة الحركة للقبيلة، واستعطافها له، أن أصدر أمره إلى كافة القوات المشاركة في الحركة، كما يظهر ذلك من أمره لكل من القائدين؛ عمر بن سعيد المتوگي(188)،

---

182) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 13 جمادى الأولى 1290/ 9 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

183) ن .ر.

أزناگة فرقة من قبيلة إمجراد.

184) ن .ر.

185) ن .ر.

186) رسالة علي إگيدر إلى الخليفة بتاريخ 14 جمادى الأولى 1290/ 10 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

187) ن .ر.

وعبد الله بن بلعيد السباعي(189)، "بأنه أمن على قبيلة مْجْرادة، لكونهم أصلحوا وتابوا وانقادوا للخدمة، وأنابوا، وأقر مولانا بالكف عنهم،وأن نامر إخواننا، بعدم التعرض لهم بحال، ولا في نفس ولا في متاع ولا مال"(190). وبذلك توقفت الأعمال العسكرية ضد قبيلة إمْجْراد، بعد أن انقادت للسلطة المركزية.

وأما الحركة، فإنها مازالت مقيمة بإمْكّراد في انتظار صدور الأمر لها، للتحرك نحو قبيلة إداوكّلُولْ المجاورة لإمكّراد.

إن قبيلة إداوگلول من القبائل الهامة، في اتحادية حاحة، وخاصة أنها تحتل مركزا وسط القبائل الشمالية والجنوبية، وإن انقيادها يعتبر انتصارا للحركة على الثوار لما لها من تأثير في القبائل الجنوبية خاصة الجبلية.

وقد كان أعيان قبيلة إداوگلول، على اتصال بالحركة، منذ أن حلت بإداوسَارَنْ حتى إن أحد شيوخ إداوگلول، ويدعى عبدالرحمان بوالعشرات(191)، أكدَ لمسيري الحركة، أنه إذا "تبث صلاح إداوسارن، يقدم عند إخوانه إداوقلول، لأنهم مجاورين لهم، ولكونه ذكر، أن إخوانه، لازالوا على الصلاح والخدمة المخزانية، فيأتي بهم للحركة"(192). وإن ابن عمر، مازال ينتظر ما يكون عليه العمل، في أمر إداوگلول، المنحازين لجانب السلطة الذين طلبوا الآمان من الخليفة "فهل تقبل منهم ذلك أم لا. وإذا صلح أمرهم فليوجه سيدي لهم عاملهم ليتولى أمرهم، وتستقيم معه خدمتهم"(193).

---

188) رسالة عمر بن سعيد المتوگي إلى الخليفة بتاريخ 17 جمادى الأولى 1290/ 9 يوليوز . 1873خـ. حـ. ر.

189) رسالة عبدالله بن بلعيد السباعي إلى الخليفة بتاريخ 19 جمادى الأولى 1290/ 15 يوليوز . 1873خـ. حـ. ر.
ملحوظة : تحمل الرسالتان نفس المعنى والعبارات رغم اختلاف تاريخهما.

190) رسالة عمر بن سعيد المتوگي إلي الخليفة بتاريخ 17 جمادى الأولى 1290/ 13 يوليوز . 1873خـ. حـ. ر.

191) عبدالرحمان بولعشرات ينتمي إلى أسرة توجد بيومْجّي بفرقة إمْرّيْن قرب تمنار، من قبيلة إداوگلول.

192) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 10 جمادى الأولى 1290/6 يوليوز . 1873خـ. حـ. ر.

193) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 12 جمادى الأولى 1290/8 يوليوز . 1873خـ. حـ. ر.

ولما انتصرت الحركة على إمگراد، فإن إداوگّلول أصابهم الذهول، مما حل بجيرانهم. ويصف على إگيدَرْ ذلك قائلا، "إن بني جلولة مثل مْجْرادة، تفرقوا كذلك، خالين الديار، عامرين القفار"(194)، واقترح على الخليفة الزحف على إداوگّلُول، وإنزال العقوبة بهم من تشتيت الأمتعة والأموال، باستغلال "حالة الذهول التي أصابتهم"(195).

لم يستعجل الخليفة اتخاذ قرار انتقال الحركة إلى إداوگّلُول، وخاصة أن وضعية إمْجْراد لم تستقر بعد، كما أن الاتصالات كانت تجري بين أعيان إداوگلول، وكل من ابن عمر، وعبد الملك أبهي، في شأن تهيء الظروف لانتقال الحركة إلى إداوگلول. وفضل الخليفة قبل العمل العسكري، التمهيد بالعمل السياسي، فوجه القائد الحاج بوعبيد إلى الحركة، فالتقى هناك بأعيان إداگلول، وهم عشرون فارسا، كانوا قد وفدوا على ابن عمر، وخليفة العامل، بهديتهم، وهي ثوران وناقة، فاجتمع القائد بوعبيد بهم، وتداول معهم في "شأن المجمع، وسط بلدتهم، يقرءون شريف كتاب سيدي فيه، وعينوا له موضع سوق الأربعاء بأسْوا، على حد بلاد بني گزوتة"(196). فتوجه القائد بوعبيد إلى عين المكان، برفقة عشرة فرسان، ومقدم زاوية سيدي عبد المنعم، وهي الزاوية الرئيسية بحاحة، كما هو معلوم(197). وحضرت قبيلة إداوگلُول، ذلك المجمع حين "قرءوا كتاب سيدنا، وادعنوا لما أمرهم فيه سيدنا"(198). وأما المرابطون الذين كانوا في رفقة بوعبيد، فقد بالغوا "في تسكين من به الخوف، وأمنوا عليه بأمان سيدي، فلم يبق يمشي ويجيء، إلا من له الغرض في الفساد، بمشاورة الصاحب وإذنه"(199). هذا الشخص الذي

---

194) رسالة علي إگيدر إلي الخليفة بتاريخ 14 جمادى الأولى 1290/10 يوليوز 1873خـ. حـ. ر.

195) ن.ر.

196) رسالة علي إگيدر إلي الخليفة بتاريخ 18 جمادى الأولى 1290/14 يوليوز 1873خـ. حـ. ر.
سوق أربعاء أسْوَا يسمى به سوق يقع بين القبائل الثلاثة إداوگّلـول و إداوْكَـزُّو وأيت عيسي.

197) ن.ر.

198) رسالة علي إگيدر إلى الخليفة بتاريخ 20 جمادى الأولى 1290/16 يوليوز 1873خـ. حـ. ر.

199) رسالة علي إگيدر إلى الخليفة بتاريخ 21جمادى الأولى 1290/ 17يوليوز 1873خـ. حـ. ر.

يتهمه إگيدر، بتحريض قبيلة إداوگلول، والتي ما يزال منها القليل طائشا، "من جماعة إدَ گَرْگانْ وجماعة إداوْزَكُّو"(200) وهما فرقتان تقعان مباشرة في مقدمة الجبل، مما يسهل على أفرادها إمكانية المناهضة. وبتلك الطريقة السياسية، بدأ التهيء لانتقال الحركة إلى إداوگلول، التي جدد إگيدر طلبه من الخليفة، الأمر بانتقالها، ملتزما بسلامتها، "إن خرجت عمارة بارود على محلة سيدي من بني جلولة، يأخذني بها سيدي، والنهوض إليهم بحول الله بكرة غدا إن شاء الله، فلا بأس، إن كتب سيدي لابن عمر العبدي يأذنه بالنهوض"(201).

يظهر أن الخليفة كان ما يزال يتريث في انتقال الحركة إلى إداوْگُلُّول، ريثما يستكمل التهيء لذلك. فبعد العمل السياسي بقراءة كتاب الأمان، وطمأنة الناس من طرف المرابطين، بدأ العمل الأمني، بتوزيع المخازنية على القبائل كلها، بما فيها قبيلة إمگراد (202) التي كانت الحركة ما تزال مقيمة فيها. إضافة إلى استعداد إداوْگلول لاستقبال الحركة، حينما طلب أعيانهم من القائد عبد الملك أبهي، "أين يكون ملاقنا معهم، هل على حد بلادهم أم لا"(203) فكان جوابه، "بأن تلقوا معهم غدا إن شاء الله ببلدهم"(204).

لقد بدأ تنفيذ إجراءات الانتقال، يوم 23جمادى الأولى 1290/ 19يوليوز 1873 بإرسال قوات مكونة من مائة رام وخمسين من الخيل(205)، وأعقبتها دفعة أخرى، مكونة من خليفة العامل أبهي، وحراك "بني زَمْزَمْ، وبني جَرْطْ، وبني يسَّارة، جازوا لبني جلولة أمام المحلة ليوجدوا المئونة، لان القبيلة أعني بني جلولة في انتظار المحلة هذه يومين على حد بلادهم، وتوقف الجميع على إذن سيدي"(206)، وكرر إگيدر

200) ن .ر.

201) ن .ر.

202) ن .ر.

203) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 22 جمادى الأولى 1290/ 18 يوليوز . 1873خ. ح. ر.

204) ن .ر.

205) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 23 جمادى الأولى 1290/ 19 يوليوز . 1873خ. ح. ر.

206) رسالة علي إگيدر إلي الخليفة بتاريخ 22 جمادى الأولى 1290/18 يوليوز . 1873خ. ح. ر.

رغبته في الأمر بانتقال الحركة، معللا أن "هذا التمطل لا طائل تحته، إلا زيادة مكث المحلة بلا فائدة"(207). وقد شاركه في رغبته، القائد عبد الملك أبهي، معللا ذلك "أردنا المحلة تقوم عن هذا المحل، لأن أهله متعبين معنا في الزرع والمئونة، ويتكلفوا غاية مع أنهم كما في علم سيدنا أعزه الله، بجميع ما وقع لهم"(208).

ولقد حدث حادث عجل بانتقال الحركة، ذلك أن القوات التي سبق إرسالها إلى إداوكَّلول، وصلت حتى إداوكَزّو، ووقع الفتك بها من طرف الثوار(209)، فلما بلغ الخبر لابن عمر في الساعة الثانية عشر ليلا من يوم 23 جمادى الأولى / 19 يوليوز 1873، اجتمع بكل من عبد الملك أبهي وعلى إگيدر، فقرر النهوض لإداوگّلول صبيحة يوم 24 جمادى الأولى 1290/ 20 يوليوز 1873، وأبلغ الخليفة ذلك القرار، "والآن نحن بحول الله على نية النهوض اليوم لإداوگلول بعد المشاورة"(210)، وبمثل ذلك أخبر أبهي "أمرنا السيد محمد بن عمر، بالنهوض صباح تاريخه محدى بلد جلولة"(211)، وبذلك انتقلت الحركة من المكان الذي كانت به، "المسمى إدَلْنْتَ بمْجْرادة ودخلنا بني جلولة"(212).

دخلت الحركة قبيلة إداوگلول، فاستقبلها أعيانها بقيادة الشيخ أبي العشرات، ويصف القائد عبد الملك أبهي، مسار الحركة قائلا، "فرحوا بنا غاية وساروا معنا في الطريق، حتى وصلوا دارا، تسمى دار الحاج محمد نْـخُيا، ونزلنا بها نحن، وخديم سيدنا القائد محمد بن عمر"(213). ثم قامت الحركة بتنظيم الحراسة، "خوفا

---

207) ن.ر.

208) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 23 جمادى الأولى 1290/ 19 يوليوز 1873م. خ. ح. ر.

209) رسالة علي إگيدر إلى الخليفة بتاريخ 24 جمادى الأولى 1290/20 يوليوز 1873م. خ. ح. ر.

210) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 24 جمادى الأولى 1290/20 يوليوز 1873م. خ. ح. ر.

211) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 24 جمادى الأولى 1290/ 20 يوليوز 1873م. خ. ح. ر.

212) رسالة أخرى من عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 24 جمادى الأولى 1290/ 20 يوليوز 1873م. خ. ح. ر.

إدَلْنْتً : يقع ببسيط مرتفع على وادي إگوزلُنْ يوجد به سوق السبت القديم، وبه نطافى وهي ما تزال مستغلة وكان الطريق القديم يمر به.

213) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 24 جمادى الأولى 1290/ 20 يوليوز 1873م. خ. ح. ر.

دار الحاج محمد نْخُيا بإداوزَيْكو قرب تمنار بقبيلة إداوگلول.

من الآفات"(214)، لأن الثوار لا زالوا متحصنين بالجبال(215)، وبذلك استقرت الحركة بقبيلة إداوْگلول، التي أخذت الأمور فيها تعود لمجراها، كما أخبر ابن عمر الخليفة بذلك، "إن قبيلة إداوكلول قد صلح جلهم، وعمروا دورهم، ولم يبق منهم خارجا إلا قليلا"(216)، فهم لم يعودوا بعد إلى منازلهم(217).

لقد كانت القبيلتان الجنوبيتان، إداوْتْغُمَّة، وأيت تامر، تراقبان تحرك الحركة، كما كانتا على اتصال بها. كانت قبيلة إداوْتْغُمَّة على اتصال مع الحركة، فحضروا قراءة كتاب الأمان الذي كان الخليفة، قد وجهه إلى قبيلة إداوْگلول، مع الحاج بوعبيد والمرابطين(218)، وأخبر إگيدر الخليفة، أن "بنو غماوة تبرءوا من الرحيل والفساد"(219)، مما يبين أن قبيلة إداوْتْغُمَّة، لم تشارك في الاضطرابات التي كانت تجتاح حاحة.

ولما نزلت الحركة بإداوْگلول، تخوفت قبيلة إداوْتْغُمَّة من غائلتها، فوجه الخليفة القائد بوعبيد اليها، "وبيده كتابان شريفان مضمنهما تأمينهما، فقد توجه لديهم وتلاقى معهم، وكانوا بقصد القدوم معه، فإذا به عرض لهم عارض، وقد ذكروا له أنهم يقدمون يومنا الجمعة أو يوم السبت"(220)، وقد يرجع تأخيرها إلى تهيء الظروف للتوافد على الخليفة، مما يستدعي التداول بين أعيان القبيلة، وأما القائد بوعبيد، فقد رجع بعد أن أدى مهمته، بتقديم ضمانات سلمية للقبيلة، قصد حملها على التخلي عن كل أشكال المناهضة.

---

214) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 26 جمادى الأولى 22/1290 يوليوز 1873م. خ. ح. ر.

215) ن .ر.

216) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 29 جمادى الأولى 1290/ 25 يوليوز 1873م. خ. ح. ر.

217) ن .ر.

218) رسالة علي إگيدر إلى الخليفة بتاريخ 20 جمادى الأولى 16/1290 يوليوز 1873م. خ. ح. ر.

219) ن .ر.

220) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 27 جمادى الأولى 23/1290 يوليوز 1873م. خ. ح. ر.

وزيادة في طمأنة القبيلة، فضل ابن عمر التريث في انتقال الحركة إليها، "تأخرنا عن الرحيل عندهم، حتى يقدمون علينا ونتلاقوا معهم"(221)، وكذلك حتى يقدموا على الخليفة، وبذلك "يصلح الله أمرهم، ويستقيم بحول الله شأنهم"(222) فضمنت الحركة خضوع إداوْتْغْمّة بدون مشقة.

أما قبيلة أيت تامر، فقد أجرى شيخها الحاج الحسن التّكْزريني، اتصالات مع الحركة منذ أن حلت بإمگراد، فدفع مئونة قبيلته لها، كما "توجه للملاقة مع سيدنا، ومعه القبيلة بقصد الهدية لسيادتك، ففيه كفاية"(223)، وذالك ما أخبر به محمد بن عمر، مما يوضح أن أيت تامر، لم تبد أي معارضة سواء في دفع المؤن، أو الانقياد التام.

وهكذا فلمدة شهر جمادى الأولى 1290/ يوليوز 1873، تمكنت الحركة من التوغل في القبائل الحاحية المصطلح عليها بالوطئية، والتي تساقطت أمامها، واحدة تلو الأخرى، منذ أن انطلقت من بوريقي وخيمت بإداوسارن، ولم تستعمل العنف إلا بإمگراد ولمدة قصيرة، لتعود إلى أسلوب التفاوض والمهادنة، حتى خيمت بإداوْگلول، وبذلك فككت كل محاولات الثوار تدريجيا، ولم يبق أمامها سوى القبائل الجبلية.

3 - 3 - 3 - 2 - مجابهة الحركة للقبائل الجبلية الحاحية :

لقد كانت القبائل الحاحية التي تعرف في الوثائق بالقبائل الجبلية، هي القبائل الثلاثة، "إداوْبوزْيا، وإدا وْكازّو، وأيت عيسي، الواقعة شرق الاتحادية الحاحية. وتقع إداوْبوزْ يامنها، على الهضبة التي تنسب لها، وأما كلا من إداوكازّو وأيت عيسي، فتقعان على المرتفعات الممتدة شمال إداوتنان، وبذلك فإن القبائل الثلاثة، تجاور قبائل متوغلة في الأماكن الوعرة المسالك، مما يجعل كل عمل عسكري ضدها

---

221) ن.ر.

222) ن.ر.

223) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 10 جمادى الأولى 1290/6 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

محفوفا بالفشل، لأن بإمكان أفراد تلك القبائل الثلاثة، أن يتحركوا في اتجاهات آمنة داخل القبائل المجاورة، وبذلك فإن المحلة لم تكن متسرعة في الضغط على القبائل الثلاثة، في انتظار ما تحققه من تهدئة الأوضاع في المناطق الوطئية.

لم تكن القبائل الثلاثة بمعزل عن الأحداث، فكانت تراقب ما سيؤول إليه الأمر، بين الحركة والقبائل الوطئية، وخاصة أن مصالحها متصلة بتلك القبائل، في كل المرافق الاقتصادية، من الشراكة في استغلال أراضي الحرث، والغابات والطرق والأسواق، إضافة إلى أنها جزء من الاتحادية الحاحية. وإن كل تمييز بينها وبين الأطراف الاتحادية الأخرى، ما هو إلا ظرفي، اقتضته استراتيجية تنقل الحركة داخل قبيلة حاحة.

كانت خطة الحركة مبنية، على التفريق بين القبائل، حتى يسهل إخضاعها. ولذلك تعاملت معها على أساس التمييز، بين الأسهل منها والممتنع. فكانت القبائل الوطئية، أكثر سهولة في التنقل، فحرصت الحركة على مجابهتها أولا، فأخرت كل إمكانيات المجابهة مع القبائل الجبلية(224).

ولما استقرت الحركة وسط قبيلة إمگراد، ملحقة الهزيمة بالثوار(225)، بدأ التفكير في مجابهة القبائل الجبلية الحاحية، لكن يظهر أن كيفية المجابهة كان الاختلاف حولها.

يرى ابن عمر، أن الحركة نحو القبائل الجبلية مغامرة، للصعوبات التي تكتنفها، ومنها، ضرورة ضمان ولاء القبائل الجبلية "لكون تطويع الجبل صعب، يحتاج لأمور، منها كون من أعلاه ومن وراءه، يكون عند كلمتنا"(226)، ومنها كذلك طول المدة التي تقتضيها "لأن حركة الجبل تارة تجلس سنة وتارة نصفها،

---

224) راجع خطة الحركة، ص 379.

225) راجع ص 409.

226) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 16 جمادى الأولى 1290/12 يوليوز . 1873خـ. حـ. ر.

وبعد ذلك، فيها ما فيها"(227). ولهذه الأسباب ومزيدا في الاحتياط، يقترح، إن كان لا بد من الحركة نحو القبائل الجبلية الحاحية، أن تكون القوات المشاركة فيها، مقتصرة على حراك القبائل فقط، "نحركوا لهم بأنفسنا، لا بمحلة سيدنا"(228)، حتى لا تتورط القوات النظامية، في عمليات عسكرية تحتاج إلى التجديد والتموين، في مناطق وعرة، في حين أن حركة القبائل أكثر مرونة، في التحرك والتعويض، علاوة على أن تحقيق النتائج المرضية، غير مضمون، مما قد ينال من فاعلية تلك القوات.

أما علي إگيدر، فيذهب في خطته تجاه القبائل الجبلية إلى حد مهاجمتها، فكان هو "ومن معه يقولون له لا بد من الطلوع"(229) إلى الجبل، لكن ابن عمر كان يعارض هذا الاتجاه، "ونضرب عن كلامهم صفحا"(230). وازداد إگيدر رغبة في مهاجمة تلك القبائل، خاصة بعد ما داهمت الحركة قبيلة إمْگراد، فيقترح على الخليفة، "الغدر بالجبالة حالة دهشهم ورعبهم، واشتغال غيرهم من فساد حاحة بروءوسهم"(231). باستغلال انهزام الثوار، وحالة اليأس التي سادتهم.

وأما الخليفة، فكان مصرا على التعامل السياسي مع القبائل الجبلية(232)، محذرا الحركة أثناء عملها في إمْگراد، من ترك "حاحة حتى تتوغلوا بالجبل"(233)، مشجعا أسلوب التضييق على القبائل الجبلية، بالاتصال مع أعيان إداوتنان، فقد أبلغه إگيدر "يعلم سيدي ما كلفتني به، من الكتب لمن يضيق بأيت عيسي وادكَزُّو من بني تنانة. فها نفولة شيخ عبد الله أخراز، والحاج محمد أمغار، يوجهها سيدي

227) ن.ر.ر.

228) ن.ر.

229) ن.ر.

230) ن.ر.

231) رسالة علي إگيدر إلى الخليفة بتاريخ 14 جمادى الأولى 1290/ 10 يوليوز 1873م. خ. ح. ر.

232) راجع صفحة 395.

233) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 16 جمادى الأولى 1290/12 يوليوز 1873م. خ. ح. ر.

صحبـة كتابـه الشـريف، لسـيدي الحـاج عبـد اللـه البطمـي"(234)، ممـا يفيـد، أن الاتصـالات كـانت تجـري مـع المكلفـين، مـن الشـيوخ، وذوي النفـوذ مـن المرابطين بإداوتنـان كعبـد اللـه البطمـي، الـذي سـبق لـه أن تحـاور مـع حاحـة، وشـرح قضيتهم للخليفة(235). ويظهـر أن الاتصال مع أعيان إداوتنان، كان قصد حثهم لمنع تقـديم أي عون للقبائل الجبلية الحاحية المجاورة لهم، كأيت عيسي وإداوكَـزُّو، فتميل تلك القبائل إلى الانقياد نتيجة المحاصرة.

وأمـا بالنسـبة للقبـائل الثلاثـة، فمنـذ أن حلت الحركة بإمْكَراد، كانت تتهيب الأمـر، فصـارت تعقـد الاجتماعـات فـي مجامعهـا، قصـد تهـيء الظـروف لإنهـاء المناهضة.

لقـد أبلـغ إكَيـدر للخليفـة، أنـه "سـمعنا سيدي على جبال أيت عيسي، أنهم افـترقوا فـي مجمعهـم، وتشـاجروا حتـى توقفـوا علـى البارود فيما بينهم، أظن ذلك صحيـح، لأن الشـرفاء أيـت كَمْـهَـمَّـدْ جـاءوا بظهـير سـيدنا نصـره اللـه، ونحـن ببوريقي، وردناهم حتى يتخلص أمر فساد إخوانهم، ولاشك أنهم لم يقصروا"(236) ويوضـح هـذا أن أيـت عيسـي كـانوا فـي حالـة مناهضـة، وأن انشـقاقا حـدث بين الأعيـان، وبقيـة القبيلـة، ويحـاول الشرفاء الذين كانوا من قبل، قد اتصلوا بالحركة، منـذ أن حلـت ببوريقـي، تهدئـة الأوضـاع. ويضيـف إكَيـدر أن هنـاك شيخا يدعى أحمد بوكريم لا يقصر في تهدئة القبيلة(237)، وأن أيـت عيسـي هـؤلاء، يدعـون أن

---

234) رسالة علي إكَيدر إلى الخليفة بتاريخ 14 جمادى الأولى 1290/ 10 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

235) راجع دور البطمي ص. ص. 380-382.

236) رسالة علي إكَيدر إلي الخليفة بتاريخ 18جمادى الأولى 1290/ 14يوليوز. 1873

شرفاء أيت كَمْـهْـنْـدْ : فرقـة مـن قبيلـة أيـت عيسـي، وينتمـون للأشراف الأدراسة، وتستقر تلك الفرقة بمنطقة الهضاب الوسطى، وبها سوق يسمى إكَمْـهَـنْـد.

237) ن .ر.

الشيخ أحمد بوكريم ما تزال له ورثة بدوار تَـكَـنْـزا بأيت عيسي

أسباب فسادهم، إنما هي ناتجة عن انقيادهم لإداوْكَزُّو، حتى شبهوا أنفسهم كما جاء على لسان إگيدر، "كالرعاة اداكزو"(238).

أما إداوْكـازُّو فقد حضروا مع إداوگلول وإداوْتَغُمَّة، المجمع الذي قرأ عليهم فيه القائد بوعبيد، كتاب الأمان بإداوگلول(239). وأنهم صاروا بدورهم يتنصلون من مسؤولية المناهضة، وهم "يشتكون بالضعف، وأن بني جلولة هم الذين أفسدوهم بزعمهم"(240). ويفهم من هذا أن إداوگلول، كان لهم تأثير على إداوْكـازّو وأنهم يحرضونهم على الاستمرار في المناهضة، ولما أدعنوا للحركة سقط في أيدي إداوْكـازُّو، وأتباعهم أيت عيسي، ولكن إگيدر، يستنتج من تضارب مواقف تلك القبائل، "إنما هو أعذار، حيث أدركهم ما حل بهم من سطوة سيدنا"(241). ولذلك أصر على "الانتقال إليهم عزما"(242).

لم يقتصر الاضطراب على أيت عيسي وإداوْكازُّو، وإنما ظهرت أثاره أيضا على إداوْيوزْيا، مما جعل إگيدر يبلغ الخليفة، أنه "قد توارد علينا أصحاب اذكزو وأيت عيسى واذوبزي، فالأعيان من كل قبيلة في الهم، ويتشوفون للخدمة، يسر الله الأسباب"(243).

وهكذا عم الاضطراب القبائل الجبلية، نتيجة توغل الحركة وسط حاحة، وتراجع مناهضتها من قبيلة لأخرى، مما أدى إلى تجدد الاتصالات، بين أعيان تلك القبائل وقادة الحركة، لكن يظهر أن الثوار، ما زال لهم تأثير داخل تلك الجبال، مما جعل المتصلين بالحركة، يتخوفون من انتقامهم منهم، ومثال على ذلك، أن شيخ

---

238) رسالة علي إگيدر إلى الخليفة بتاريخ 20 جمادى الأولى 16/1290 يوليوز . 1873خـ. حـ. ر.

239) ن .ر.

240) ن .ر.

241) ن .ر.

242) ن .ر.

243) رسالة علي إكيدر إلي الخليفة بتاريخ 21 جمادى الأولى 17/1290 يوليوز . 1873خـ. حـ. ر.

قبيلة إداوْكـزُّو، محمد الكزوتي، طلب من قادة الحركة، حامية تنزل بدار ابن أخيه، المدعو الحاج حم بن ابراهيم. وقد لبي طلبه، فتوجهت إلى عين المكان فرقة مكونة من مائة رام وخمسين فارسا، "لتكون عنده عمارة، لأنه يخاف من الفساد أن يفسدوهم" (244).

لم يستسغ الثوار الذين ما زالوا يتحركون بحاحة، توغل قوات من الحركة، داخل المناطق الجبلية، فهاجموها. ويذكر إگيدر أنهم كانوا من "مفسدي بني جلولة ومن مْجْرادة تقوية لبني كزوتة" (245)، فهاجموا الدار المحمية، مما أحدث فزعا لدى قيادة الحركة. فقررت على إثر ذلك الهجوم، كما سبق ذكر ذلك(246)، الانتقال من إمگراد إلى إداوْگلّول، لتشديد الحصار على الثوار، وعلى القبائل الجبلية لحملها على الانقياد.

لقد بدأت نتائج الاتصالات، مع أعيان القبائل الجبلية تؤتى أكلها، ابتداء من شهر جمادى الثانية 1290/ غشت 1873، بعد أن مكثت الحركة أكثر من شهر، بوسط قبيلة حاحة، فأنهى القائد عبد الملك أبهي إلى الخليفة، أن "رجلا ورد من عند القبائل الثلاث، إدوكَزُّو وإداوبْزْيَ وأيت عيسي، وأخبر أنهم عملوا جمعا يوم تاريخه، وتوافقوا بينهم على أن يقدموا عندك غدا، إن شاء الله، بعد تاريخه وعملوا تأويلا لهديتهم" (247). لكن يظهر أنهم تأخروا عن القدوم لدى الخليفة في الموعد الذي حددوه، مما جعله يتهم أبهي بالتراخي، فحاول أن يبرر أسباب تأخره، بأنها متعلقة بتأخر وفد القبائل الثلاثة عن القدوم عليه، "وما أخرنا يوم تاريخه عن القدوم إلا انتظار قبيلة گزوة وبني زيادة، فإنهم أرسلوا إلينا وطلبوا انتظارهم، ليجتمعوا معنا للحضرة السعيدة، وما وصلوا إلا بعد صلاة المغرب، وها هم معنا ومعهم

244) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 22 جمادى الأولى 1290/20 يوليوز 1873. خ. ح. ر.

245) رسالة علي إكيدر إلى الخليفة بتاريخ 24 جمادى الأولى 1290/ 20 يوليوز 1873. خ. ح. ر.

246) راجع انتقال الحركة من إمجراد إلى إداوگلول، ص. ص. 412- 413.

247) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 2 جمادى الثانية 1290/28 يوليوز 1873. خ. ح. ر.

بهائمهم للتعرقيب"(248). وقد كان الاستفسار الذي وجه الخليفة لأبهي، لم يصله إلا في "نصف الليل، نهظنا ساعة قراءة الكتاب الشريف"(249)، فأصبحوا ببوريقي عند محلة الخليفة "ها نحن سيدي أبقى الله علينا عزك وأدام علينا إرشادك، عند مسجد برق، ننتظر أمر سيدنا الشريف، هل ندخل سيدنا الشريف، قبل أن يدخل للسوان المبارك، أو نجلسوا هنا حتى يكون سيدنا أعزه الله جالسا بالسوان"(250). وبذلك تم امتثال وفد القبائل الثلاثة، أمام الخليفة ببوريقي.

واستكمالا لهذه اللقاءات بين قادة الحركة، وأعيان القبائل الثلاثة، فإن وفدا من قادة الحركة، مكون من القائد محمد بن عمر، وكاتب الخليفة السيد محمد بن الفضيل، والشيخ مبارك أنفلوس، توجه إلى حدود بني گزوة، فتلاقى هناك مع وفد القبائل الثلاثة، "وهم بني گزوة وبني زيادة وبني عيسي"(251). وبعد ذلك اللقاء قدمت وفود القبائل الثلاثة، على الخليفة بهديتها، وهي "مائتي مثقالا بالتثنية وثلاث تيران، الواحد يعرقب على الارواء، واثنان على المدفع"(252)، ويطلب أبهي من الخليفة "القبول منهم وأن يوكدهم سيدنا أعزه الله على الحزم، والخدمة لما هو المراد بهم، وأن يستطيعوا للأمور الشريفة"(253). وهكذا مالت القبائل الثلاثة للانقياد، دون استعمال العنف معها.

---

248) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 5 جمادى الثانية 1290/31 يوليوز 1873م. خ. ح. ر.

249) ن.ر.

250) ن.ر.

السوان : خيمة تقام للسلطان خارج مكان إقامته المعروف بأفراگ، وذلك أثناء السفر، وفي تلك الخيمة، يستقبل الوزراء والكتاب والوفود، كما يستمع للمظالم ويصدر الأوامر، وتعتبر بذلك كمقر عمل للسلطان، أثناء التنقل (ابن زيدان : عبدالرحمان العز والصولة في معالم نظم الدولة الجزء الأول، المطبعة الملكية، الرباط، 1961، ص 244.)

251) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 5 جمادى الثانية 1290/31 يوليوز 1873م. خ. ح. ر.

252) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 8 جمادى الثانية 1290/3 غشت 1873م. خ. ح. ر.

253) ن.ر.

يبـدو بالنسـبة لإداوْبوزْيا، أن هناك طرفا آخر، كان يتوسط بينهم وبين الخليفة، وهـو القـائد عمر ابن سعيد المتوكي، قائد متوكّة جيرانهم، فقد توجه إليهم، ولما حل بالمكـان المسـمى "بكُـزَمْـت أخرجـت المحلـة حَضْـرون حتـى اهتز جميع الجبل، ولما سـمعوا بُزْيـادَة بحضـرون، أدخلهـم الرعـب والفـزع، وأرسـلوا بجـيرانهـم، فوجهت إليهـم اثنان من أشياخ كُزَمْت حتى التقوا بهم"(254). وأثنـاء التفـاوض، دار النقـاش بـين أعيـان إداوْبوزْيـا، وجماعة كانت ماتزال تنزع للاستمرار في المناهضة، فاتهمت المتوكـي، بأنـه "تكفل بصلاحكم وخدمتكم أو فساد بلادكم بالحرق وغيره، فكونوا رجالا وعمروا جبلكم"(255). لكـن يظهـر أن المجتمعين لـم يسـايروهم، "فلم يقبلوا لهم بُزْيادة فسادا"(256). ثـم إن أولئـك المجتمعـين حضـروا عنـد المتوكي، الذي أبلغ الخليفـة أنـه، "لـم نقصـر معهـم فـي جميـع مـا أمرنـا بـه سيدنا، من الخدمة الشريفة والانقياد للطاعة"(257).

يظهـر أن تدخـل المتوكـي، لـم يقتصـر علـى الوساطة، بين إداوْبوزْيا والخليفة، وإنمـا أيضـا لإصـلاح العلاقـة بينهم وبين عاملهم أبهي، فلذلك طلب من الخليفة، أن يـأمر أبهـي بتوجيه خليفته المدعو تُـمْحَنْدين، للقاء بأعيان إداوبوزيا. لكن أبهي اعتذر للخليفـة عـن إرساله، لأن "الخليفة تمحندين، هو الذي أقام لنا بالأمور جميعا"(258)، ولذلـك لا يمكنـه الاسـتغناء عنه، فيقترح بدلا منه إرسال الشيخ أحمد نيت الْـحْسن الزلطني (259) لملاقاة أعيان إداوبوزيا.

---

254) رسالة عمر بن سعيد المتوكي إلي الخليفة بتاريخ 10 جمادى الثانية 1290/ 5 غشت 1873م. خـ. حـ. ر.
كُزَمْـت : فرقة من متوكـة تقع على حدود إداوبوزيا.

255) ن .ر.

256) ن .ر.

257) ن .ر.

258) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 8 جمادى الثانية 1290/ 3 غشت 1873م. خـ. حـ. ر.

259) ن .ر.

لقد أبلغ الخليفة رغبة أبهي، للمتوگي الذي اعترض عليها، مدعيا أن أعيان إداوبوزيا، يرغبون في لقاء خليفة أبهي تمحندين، فهم "رغبوا ذلك كلهم واتفقوا عليه لكونه عم العامل"(260)، ويعتذر المتوگي عن إبلاغهم استبداله بغيره، "وإن ذكرنا إليهم أحمد نيت الحسن، بعد ما ذكرنا إياهم تمحندين، يقتضي لهم ذلك الغدر من جانبنا، ويفرون منا والمطلوب من سيدنا أن يساعدنا، فيما نحن مكلفون به، بتوجيه تُمْحَنْدين خليفة للمحل المعين. وإن اقتضى نظر سيدنا رباطه معنا بكُزْمْتْ، فمرحبا به لأنه عم عامل سيدنا، وإن تعذر مجيئه فها دَوْبُوزْية، متى وردوا بعرقبتهم للحضرة الشريفة، ويسمع منهم مولانا قولهم، فنظره أوسع على الجميع وأما أحمد أَلْحْسن لا يجالسونه، لأن العداوة بينهم"(261).

لقد كشفت أقوال المتوگي، أن الأمور ما تزال متوترة بإداوْبوزْيا، وأن الضغائن لم تدفن بعد، رغم إظهار بوادر الانقياد. وإن كان كلامه يحتمل منه أيضا المغالاة والتعقيد، تاركا مسؤولية البث للخليفة.

وهكذا، إذا كانت الحركة، مضطرة عند مجابهة القبائل الوطئية، للتنقل وسط معظمها، فإن مجابهة القبائل الجبلية، لم يقتض منها مثل ذلك التصرف، فقد اكتفت بتشديد الضغط، والمحاصرة، والتفاوض، مما جعل تلك القبائل الجبلية بدورها تبدي انقيادها.

III - الحركة و صعوبات إعادة الاستقرار لحاحة :

كانت حركة حاحة تستهدف في عمقها، إعادة الاستقرار لمنطقة حاحة، بعدما عرفت الثورة ضد أيت أبهي، إلا أن ما يظهر من ملابسات تلك الثورة، أنها

260) رسالة أخرى للمتوگي إلى الخليفة بتاريخ 10 جمادى الثانية 1290/5 غشت 1873. خـ. حـ. ر.
261) ن.ر.

امتدت لتشمل عدة قضايا مرتبطة بالتسيير العام، والشطط في استعمال السلطة، أو طلب المزيد من القبيلة. فكانت الثورة ضد أيت أبهي، وسيلة لرفض كل ما يفوق طاقة القبيلة، ولذلك حتى بعد أن أقصى أيت أبهي من الحكم، لم ترجع الأمور إلى الاستكانة، بل امتدت التشنجات الثورية، لتعرقل كل أعمال السلطة المركزية بالمنطقة، فأصبح لزاما عليها لاسترجاع هيبتها، تنظيم حركة إلى حاحة بعد حوالي سنتين من قيام الثورة. مما يوضح التخوف من أن عدم استقرار المنطقة، قد تكون له انعكاسات على منطقة شاسعة، تمتد إلى سوس وأطرافه وإلى الجبال، وكلها مناطق تتوفر على ضروريات للدولة، من إنتاج وعوامل التجارة، عبر بوابة الصويرة.

ولهذه الأسباب كانت الحركة إلى حاحة، الصمام لهذه المنطقة الشاسعة، ضرورية لإعادة هيبة الدولة. لكن ما لوحظ من خلال قرارات السلطة المركزية، بعد حلول الخليفة بمنطقة حاحة، أنها جنحت إلى التعامل مع الاتحادية الحاحية بحذر ورصانة، قصد كسب ودها. فكانت الحركة المتنقلة بحاحة أكثر من ثلاثة أشهر، تسعى للمحافظة على الولاء الجماعي، وما يأتي لها ذلك، إلا بتسوية المشاكل التي تشكو منها القبيلة، على أساس تبادل التراضي بين الطرفين، وإن كانت السلطة المركزية تنزع لفرض حلولها.

فإذا كانت الحركة منذ بداية شهر جمادى الأولى 1290/ يوليوز 1873، تقوم بمواجهة القبائل الحاحية، بكل أنواع الردع، حتى استقرت بإداوْكّلول، في آخر الشهر، وتمكنت من ضبط الأمن العام، فإن شهر جمادى الثانية 1290/ غشت 1873 عرفت فيه طرح المشاكل، التي نجم عنها اضطراب حاحة عامة في كل المجالات، سواء ما تعلق بسير الحركة نفسها، أو بالتسيير العام للقبيلة، أو بالوضع الجبائي لها، الذي يظهر أنه كان الهاجس الأساس للسلطة المركزية، مما كان له من تأجيج في الصعوبات المحلية بحاحة.

1 ـ تنافس أعضاء القيادة ومشاكل الحركة

كـانت الخليـة القـائدة للحـركـة، مشـكلة مـن أعضـاء مختلفي النزعات والمهام(262). واعتمد الخليفة أعضاء تلك الخلية، في الكتابة إليه، عن كل المشاكل التي تتعرض لها الحركة، وبينت مراجعة كتاباتهم عن وجود تنافس بين أولئك الأفراد، واختلاف وجهات النظر، عند تبليغ كيفية جريان الوقائع، واقتراحات الحلول. وقد برزت هذه السمات التنافسية في مجموعة من القضايا، ارتبطت بسير الحركة، أثناء توغلها في حاحة، من إجراءات أمنية وتوفير امتدادات المياه، والالتزام بالتعهد بالأمان.

1 ـ 1 ـ الإجراءات الأمنية والحركة :

إن توفير الأمن وظروفه للحركة ولأفرادها كان عملا رئيسا، حرص عليه أفراد القيادة، إلا أن الحفاظ على ذلك الأمن، أحدث الاختلافات بين أولئك الأفراد، خاصة بعد ما تعرضت الحركة لأحداث هددت أمنها، سواء لما قامت بتوفير الحامية للمنطقة الجبلية، أو بالانتقال من إمْكّراد إلى إداوْكّلّول.

1 ـ 1 ـ 1 ـ الإدالة الجبلية والثوار :

كانت المنطقة الجبلية، ما تزال لم تظهر بعد الانقياد التام (263)، لما حلت الحركة بإمْكّراد، وبذلك كان الأفراد المتصلون بها من تلك المنطقة، متخوفين من الثوار، فطلب الشيخ محمد الكازوتي من قيادة الحركة، إرسال قوة نظامية إلى الجبل، لحماية دار ابن أخيه المدعو الحاج حم بن ابراهيم(264). فأرسلت فرقة مكونة من مائة رام وخمسين فارسا، وصدرت لها الأوامر، "ووكدناهم غاية أن لا

262) راجع خلية قيادة الحركة، ص. ص. 390- 392.

263) راجع خطة الحركة تجاه الجبال : وكذلك مبادئ صعوبة حركة الجبل : ص. ص. 395 ثم 416.

264) راجع ص. 413.

رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 22 جمادى الأولى 1290/18 يوليوز 1873. خ. ح. ر.

يخرجون الباررود، بل يكونوا عندهم إدالة فقط"(265). كان ذلك قرار عبد الملك أبهي، الذي أكد في رسالة أخرى، أن الإدالة وصلت إلى محلها، "بسلامة وعافية"(266). وأكد ابن عمر نفس الشيء، "أن الخيل والرمات التي توجهت بالأمس دخلت دار من وجهت إليه"(267) وأما علي إگيدر، فاعتبر تلك الإدالة، "أبلغ نكاية للجبالة، ومن وراء هذه، لا يمكن لبني كزوته الجمع في بلدتهم، والكلام الآن مع من والهم من أيت عيسي"(268)، وبذلك اعتبرت الإدالة رادعة للثوار، باتفاق مواقف كل أفراد القيادة.

لقد تعرضت تلك الإدالة لهجوم الثوار، لخصه إگيدر بأنه جاء بعد أن تم الاتفاق، بين الثوار من إداوْگّلّول وإمْگراد وإداوْكَزُّو "حتى اجتمع ما يزيد على خمسمائة رام بقرب الدار، التي فيها العمارة، وصاروا يحرقون زرائيب النحل قربها، وخرج إليهم خيل العمارة، وأخرجوا على من بازاء الدار، وخرج كمين الفساد من وراء الدار، وتشابكوا هنيئة وراغ نكنافة وتبعهم آخرون. وقامت الكسرة، وحال المفسدون بين الدار والخيل. وتصرف وعيد الله وقدره، ومات صهري وفرسه، بباب الدار، وواحد من أهل الدار، وشخصين آخرين لم ندر من هم. وضاع من الخيل 3وبقي بالدار من البغال 5ونحو عشرين مكحلة وحرقت الدار، بعد نهب ما فيها والأمر لله"(269)، مبينا الخسائر التي أنزلها الثوار بالإدالة، وهي أربعة قتلى، وضياع بهائم الاستعمال، ونهب الدار ثم حرقها. وأكد عبد الملك أبهي الواقعة، مشيرا إلى كون الإدالة، "جاءهم الفساد وأحدقوا بهم، وحصروهم أشد الحصر، وخرجوا يتضاربون معهم، حتى أخرجوهم الفساد من الدوار، وهم نحو خمسمائة، وتفرقوا إخواننا"(270)، وبذلك اتفق إكيدر وأبهي

(265) ن.ر.

(266) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 23 جمادى الأولى 1290/19 يوليوز 1873خـ. حـ. ر.

(267) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 23 جمادى الأولى 1290/19 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

(268) رسالة علي إگيدر إلى الخليفة بتاريخ 22 جمادى الأولى 1290/18 يوليوز 1873خـ. حـ. ر.

(269) رسالة علي إگيدر إلى الخليفة بتاريخ 24 جمادى الأولى 1290/20 يوليوز 1873خـ. حـ. ر.

(270) رسالة عبدالملك أبهي بتاريخ 24 جمادى الأولى 1290/20 يوليوز 1873خـ. حـ. ر.

على هزيمة الإدالة، وتشتيتها، كما اتفقا مبدئيا على عدد الثوار، بأنه خمسمائة رام لكن أبهي عاد فأبلغ الخليفة أن عددهم، "مائة وشيئ ما وهو الصحيح"(271) فحقق الثوار الانتصار على الإدالة، التي تعد مقدمة للحركة في المنطقة الجبلية.

إن الهجوم على الإدالة، وإلحاق الخسائر بها، جعل أفراد قيادة الحركة مربكين. فحاول كل واحد منهم التنصل من المسؤولية. بل أظهروا جميعا تخوفات وتحليلات تخالف ما عبروا عنه قبل الهزيمة.

ففي ما يتعلق باتخاذ قرار إرسال الحامية، بدأ كل طرف في تبرير موقفه. فأنهى عبد الملك أبهي للخليفة، أنه ورد عليه شخصان من مكان الواقعة، فأخبراه بانهزام الإدالة، "فذهبت معهما إلى خديم سيدنا، القائد السيد محمد بن عمر، حتى استفاد منهما الخبر"(272)، إشارة إلى مشاركة ابن عمر في اتخاذ قرار إرسال تلك الإدالة إلى المنطقة الجبلية. وأكد إگيدر اتفاق القائدين على إرسالها، حينما أبلغ الخليفة، "فلا زائد يجب به إعلام سيدي، غير ما قدم العامل وابن عمر لسيدنا عزه الله، من توجيه 50 فارسا ومائة من الرمات لكزوتة، لاقتضاء المصلحة العامة"(273)، مؤكدا أن أمر إرسال الإدالة اتفق عليه الجميع، لقضاء المصلحة في ترهيب الثوار. لكن ما أن وقعت الواقعة، حتى غير لهجته، فأنهى للخليفة، "أن العمارة التي وجهها العامل لبني كزوتة، على ما طلب الشيخ، بموافقة القائد محمد بن عمر، ومشاورته فيها، ظانين فيها المصلحة وقمع المفسدين"(274) قد انهزمت، فظهر من كلامه، كأن الأمر غريب عنه، ولم يشارك فيه، بل تنكر لتنائه على العمل بكونه نكاية للجبالة، كما سبق أن وصف به من قبل، إرسال تلك الإدالة(275).

---

271) رسالة أخرى لعبد الملك أبهي بتاريخ 24 جمادى الأولى 20/1290 يوليوز 1873م. خ. ر.

272) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 24 جمادى الأولى 20/1290 يوليوز 1873م. خ. ر.

273) رسالة علي إگيدر إلى الخليفة بتاريخ 22 جمادى الأولى 20/1290 يوليوز 1873م. خ. ر.

274) رسالة علي إگيدر إلى الخليفة بتاريخ 24 جمادى الأولى 20/1290 يوليوز 1873م. خ. ر.

275) راجع إرسال الإدالة ص 426.

لقد ظهر ابن عمر، أشد المنتقدين لإرسال الحامية للمنطقة الجبلية، فأنهى للخليفة أنه "دخل عليٍّ خديم سيدنا، القائد عبد الملك، وعلي إگيدر، وقال إنه وردوا عليه رقاصة، وأن تلك الخمسين فارسا، والمائة من الرمات، التي كان وجهوها لعمارة التي بالجبل بادوكلول، اجتمعوا عليه الفساد وقت صلاة الظهر"(276) فانهزمت تلك الإدالة، وتراجعت. ثم بين بوضوح، أنه غير مسؤول فيما حدث "هاذا الذي كنا نحترز منه من أمر الجبل، حتى أوقعونا فيه من غير علم منا ولا مشورتنا، الله الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وقد كنا حذرناهم وأنذرناهم. ولم ينفع فيهم تحذير ولا إنذار"(277). وكأنه وجد الفرصة للتبليغ بالمسؤولين معه في القيادة، مما يوضح مدى التنافس بين أولئك الأفراد، إذ لا يرعوى أحد منهم، أن يتنصل مما ليس صالحا، في حين يحاول ادعاء كل الصواب لنفسه. مثل ما يحاول ابن عمر أن يدعيه، بكونه لم يكن على علم بإرسال الإدالة، ولا استشير فيه، ولا روعي رأيه، وذلك مخالف لما سبق ذكره قبل الايقاع بتلك الإدالة.

وأما ما يتعلق بما وقع للإدالة، فقد أبرز إگيدر تحليلا مفاده، "وسبب اجتماع المفسدين وجرأتهم، هو انتظار إذن سيدي بالانتقال لهنا، لأن الشياطين كثروا الأقوال، فمن قائل أن الحركة عادت لبوريقي، ومنهم من يقول إن أبواب مراكش حصروا عليه مسفوية، وتشاطين الفساد لا تنحصر، ولكن النزول هنا والله أعلم قاطع لدابرهم"(278). ذلك أن ما حدث من تشتيت الإدالة، وقع لما كانت الحركة ما تزال بإمگراد، فانتقلت مباشرة إلى إداوگّلول(279). فاعتبر إگيدر التماطل في الانتقال أمرا أوله الثوار، لبث إشاعات ساعدت على تكتلهم، وجرأتهم على مهاجمة الإدالة، والفتك بها. وهي وسيلة دلت على أن الثوار أنفسهم، كانوا يمارسون إرهابا نفسيا على القبيلة، لحملها على عدم الانقياد، وإشاعات الثوار دقيقة، تمس السلطة المركزية، ذلك أن كل بلبلة في استقرارها، يساعد في

276) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 24 جمادى الأولى 1290/20 يوليوز 1873م. خ. ح. ر.

277) ن. ر.

278) رسالة علي إگيدر إلى الخليفة بتاريخ 24جمادى الأولى 1290/20 يوليوز 1873م. خ. ح. ر.

279) راجع إجراءات الانتقال .ص.ص. 412- 414.

الانقضاض على الأجهزة التنفيذية الأخرى. فلذلك أشاعوا وقوع اضطرابات بمراكش، وأن الحركة المتمركزة بحاحة، تستعد للجلاء، فسهل بذلك الإيقاع بالإدالة التي وجهت لتخويفهم.

ولقد برهن عمل الثوار، على أن كل طرف، يحاول الضغط على الطرف الآخر، بكل وسائله المتاحة، ولم يسلم أفراد الخلية القيادية، من آثار تلك الضغوط، التي عكستها وجهات نظرهم ،ومناقشتهم، الشيء الذي تأكد بوضوح أكثر في معالجتهم لتوفير الأمن لانتقال الحركة من إمكراد إلى إداوكلول.

1 - 1 - 2 - انتقال الحركة من إمݣراد إلى إداوݣلول والتدابير الأمنية :

كانت الحركة مقيمة بإمكراد، حتى صدر لها الأمر بالانتقال إلى إداوكلول، عقب الفتك بإدالة الجبل، ولذلك اتخذت التدابير لتوفير الأمن لها، تضمنها أمر صادر من الخليفة، قرأه العامل على الحركة، ولخصه إكيدر "لتكون المشاورة لأبي العشرات، والنزول والنهوض حيث أرادت القبيلة، لا حيث أراد العمال والمحلة، وعاين ذلك وأكد عليه العامل. كما أكد ابن عمر على العمال، ليسلكوا الناس بلاد بني جلوله، بالسكينة والوقر"(280). يوضح هذا أن انتقال الحركة من إمكراد لإداوكلول، أحيط بتدابير أمنية ترعى شعور قبيلة إداوكلول، التي ستحل بها الحركة، ولذلك صدرت الأوامر لمراعاة إرادة القبيلة المضيفة، ويكون جميع المشاركين فيها، عند إشارة أعيانها، في تعيين أماكن التنقل والنزول حتى إن المحلة لم تعد تأديبية، بقدر ما أصبحت ضيفة على القبيلة، التي رحبت بها. وهذا شكل آخر من التصرفات، التي تربط الأجهزة التنفيذية بالمجتمع في القرن التاسع عشر.

وإذا كان أعضاء خلية القيادة، قد اتفقوا على مراعاة الشعور العام، عند تنقل الحركة، مخافة من إثارة المشاكل، فإن الواقع غير ذلك، فقد حدث حادث ملخصه، أن بعض الحراك، من نكنافة، حاولوا استغلال الظرفية، للانقضاض على

---

280) ن.ر.إكيدر

إداوكلول، مما سبب حرجا لقيادة الحركة، وخاصة أن الأمر كاد أن يتطور إلى إثارة الحزازات، بين حراك القبائل المتنافسة، وربما يسبب اشعال فتيل حرب، تنعكس على الحركة بأجمعها، فتختل ظروف الأمن، التي كانت خلية القيادة تحاول الحفاظ عليها.

كانت مسؤولية الحدث، موضع النقاش بين أفراد القيادة، فسعى كل طرف للتنصل منها، ملخصا الوقائع وفق وجهة نظره، بل استغل كل منهم ذلك بالتبليغ بالآخر.

لقد لخص إكيدر، وقائع الحادثة التي وقعت بعد دخول الحركة أرض إداوكلول، فقال "لم يلبث سراح نكنافة، لما وصلنا الدار الأولى من بني جلولة، إلى أن خرجوا من الطريق يمينا وشمالا، وكلمت مع السيد مبارك في شأنهم، ولم يأبى، ومع ق محمد ابن عمر، فأرسل لردهم، فامتنعوا. وذهبت للعامل وأرسل أصحابه، وقال لهم إن كانوا حاحة ولم يردوا فكتفوهم، وأبى واحد منهم الرجوع، فكتفه أصحاب القائد، وقام سيدي مبارك وقعد، وقال إخوانه لا يمسهم أحدهم، وجازوا على دار أخرى، وضربوهم بعمارة بارود، وتقلق ق محمد بن عمر لذلك"(281). فبين إكيدر الأحداث كأنها عادية، ما فيها إلا خروج جماعة من نكنافة، عن الأوامر الصادرة للحركة، والقيام بأعمال عدوانية ضد إداوكلول، وأنه ما قام إلا بالواجب بالتدخل لدى من يعنيهم الأمر، عند العامل وابن عمر، ومبارك أنفلوس باعتباره المسؤول عن حراك نكنافة، الذي استنكر ما قام به العامل، فاظهر إكيدر نفسه بريئا من أي شيء.

وأما ابن عمر، فلخص الحادثة بخلاف ما سبقت روايته، فقال "إننا لما دخلنا بلاد قبيلة إداوكلول، خرج عن الطريق نفر من رمات نكنافة، مع أنهم لم يمدوا أيديهم هم وغيرهم في شيء، فلهذا بيناهم وعرفناهم. وجهت فارسا من عندي،

281) ن.ر.

والطـالب مبـارك أنفلـوس فارسا ليأتوا بهم، فإذا بالطالب علي إگيدر غار عن فرسه، واسـتقل بنفسـه، ومعـه البعض من بني زلطن، فوصل لرجل من نكنافة وضربه بداية مكحلتـه، وقبضـه وكتفـه، ودفعـه لبعـض المخازنيـة. فلمـا رأوه إخوانـه، وقـع فيهـم الضجيـج والخصومـة مـع إگيـدر ومـن معـه، فلمـا رأيـت ذلك قدمت عليه ووبخته وماقصرت من جانبه"(282). يلاحـظ مـن كلام ابن عمر، اتفاقه مع إگيدر في وقوع الحـدث، وأن أفـراد مـن رمـاة نكنافـة هم المسببون له، بمحاولة الاعتداء والاستفزاز، لكنـه اختلف معه، خاصة في معالجة الأمر، بأن ادعى أنه هو وأنفلوس، حاولا وضع حـد لتصـرف أولئـك الرمـاة النكنافيين، إلا أن إگيدر سرعان ما قام بأعمال منفردة، أثـارت الخصومـة بـين نكنافـة وأيـت زلطـن، مما نجم عنه تدخله المباشر وتوبيخه له، تفاديـا مـن اسـتمرار الـنزاع بين الطرفين، وأن هذا التوبيخ كان له أثره على الطرفين، لأنهـم "لما رأوا ذلك صبروا وسكتوا، ولولا ما فعلت ذلك، لكان البارود بينهم"(283) وهكذا تطور الحدث البسيط إلى إيقاظ الحزازات بين نكنافة وأيت زلطن.

ولـم يقـف الحـادث عنـد هـذا الحد، وإنما استمرت تفاعلاته، فبعد نزول المحلة بالمكـان الـذي عينـه لهـا إداوْگلـول، ذكـر إگيدر، أن القائد محمد بن عمر، "سرح المسـجون، وسـكن النـاس، فلـم يضع لبني جلولة قيمة إبرة، إلا أن القلق حصل لابن عمر، خاف من إظهار اللفيف"(284). ويؤكـد بذلـك أن الأمـور عاديـة، وإن كانت قـد سـببت التوتـر للمسـؤول ابن عمر، الذي تخوف من تطور الحدث، إلى نزاعات بين القبائل مما يضر بالمحلة.

وأمـا ابـن عمـر، فقـد اسـتغل الحدث للنيل من إگيدر، فرغم أ نه اتفق معه في كون المسجون واحدا، والذي أطلق سراحه، "سرحت المسجون"(285)، فإنـه أضاف عنصـرا آخـر فـي الحـادث، لـم يشـر إليه إگيدر، وهو موقف العامل أبهي. فأبلغ ابن

282) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 25 جمادى الأولى 21/1290 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

283) ن .ر.

284) ن .ر .إگـيدر.

285) ن .ر .ابن عمر.

عمـر للخليفـة، "وقـد شـكى عليٌّ العامل بذلك، فقال انظر ما فعل هاذا الطالب، لو خرج البارود في وسط هذه القبيلة، كيف يكون أمرنا"(286). مما يبـين في الواقع أن توفـير ظـروف أمن الحركة، لا يتم بمدى قوتها، بقدر ما يتم بانضباط المشاركين فيها مـن القبـائل، وكذلـك انضبـاط القبيلة التي قصدتها، وأن أي خلل في ذلك النسيج قـد يقـوض كـل مـا تسـعى لـه الحركـة. وهذا ما اعبر عنه فعلا أبهي، "كيف يكون أمرنا" سواء كان ذلك حقا أو غيره، وذلك ما أوصله ابن عمر للخليفة.

وقـد توضـح تشـهير ابـن عمـر بإگيدر، حينما اتهمه بأن، "لا سلامة منه ومن رأيـه، والـذي اسـتفهمت منـه، أنـه لا يكـره إيقـاد الفتن حيث علم تسويد صحيفته لدى سيدنا وساء ظنه، صعب عليه القدوم هناك من أجل ذلك"(287). فيلقـى اللـوم علـى إگيـدر، متهمـا إياه بالسـعي فـي توريـط الحركة، بإثارة النزاعات، وذلك كله تهربـا مـن مفارقته للحركة، حتى أن ذكر "أن العامل حيث تكلم معي في أمره على توجيهـه، فقلـت إن كـان يسـلم توجهه، فلا بأس من الخوض في القبيلة والوسوسة، فقـال لا يسلم من ذلك. والحاصل سيدي إن اقتضت المصلحة بقاءه على هذه الحالة فلا بأس"(288).

ويسـتنتج مـن هـذه المواقـف المتضاربة، وسعي كل طرف للكيد للآخر، مدى المنافسـة التـي كـانت بـين أفـراد القيـادة، لكـن مـع ذلـك كـانت مصلحـة الحركة، والسـلطة المركزيـة، تحجـب آثار تلك المنافسة. كما تبين أيضا أن أولئك الأفراد كان لكـل منهم دوره، حتى إن اقتراح إبعاد إگيدر صعب التنفيذ، مما يؤكد إما أن له وزنا داخـل القبيلـة، أو أن الخليفـة نفسـه لا يرغـب فـي إبعـاده بتركـه عينا على الحركة. ولذلـك فـإن ابـن عمـر، رغـم ما تشكى به من إگيدر، فإنه ختم رسالته "ومقصودنا تكون على بال ولا تجاوبني عن هذا الكتاب، بل اكتم أمره"(289). تفاديـا من إفشاء

---

286) ن.ر.

287) ن.ر.

288) ن.ر.

289) ن.ر.

الأسرار، وأهداف كل طرف من الأطراف القيادية، فتكون السلطة المركزية، هي المستفيدة من توفر المعلومات، عن كل ما كان يحدث بالحركة، وما يمكن أن يلحق بها من أضرار، التي وصلت إلى نقص امدادات المياه.

1 - 2 - نقص امدادات المياه والحركة :

كان تنقل الحركة بحاحة يتم في فصل الصيف من سنة 1873/1290. وهي منطقة قليلة المياه الجارية، التي تنحصر في جريان غير دائم بالوديان، أو عيون محدودة. ويعتمد معظم السكان على الآبار، والنطافي بالخصوص، ولذلك كان من الطبيعي، أن تتأثر الحركة بهذه الوضعية، في مسألة توفير المياه لها. وخاصة إذا دام استقرارها فترة أطول. وهذا ما حدث إذ منذ أن حلت بإداوݣلول في أواخر شهر جمادى الأولى لم تبرح المكان، حتى أنهى ابن عمر للخليفة في 23 جمادى الثانية 1890/ 18 غشت 1873 "كون المحلة في غاية العطش، بنفوذ الماء في المحل الذي نحن فيه" (290).

قد صادف نقص امدادات المياه للحركة شهر غشت، ومعلوم أن المنطقة آنذاك تعرف تناقص المياه، وإن مكث الحركة حوالي شهر بمكان واحد، كاف للإتيان على ما يمكن أن يكون مخزونا من المياه، في النطافي، كما قد يؤثر على مياه الآبار، لأن الحركة تحتاج إلى استهلاك المياه لمصالح متعددة في تلبية حاجيات البشر والبهائم.

وإن إحاطة الخليفة بنقص امدادات المياه، جعله يستفسر كلا من العامل أبهي، وشيخ إداوݣلول أبو العشرات، اللذين كانا موجودين آنذاك ببوريقي فأشارا على الخليفة برحيل الحركة إلى دار بإداوتْغُمَّة مدعيين، أنها "محصنة والماء فيها كثير، وكونها عمل المخزن جيد" (291)، لكن الخليفة علق تنفيذ اقتراحهما على

290) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 23جمادى الثانية 1290/ 14غشت 1873. خ. ح. ر.
291) ن.ر.

مراجعة ابن عمر، مما يبين أنه كان يتريث لاستقصاء وجهات النظر، لما قد يكون في الأمر من مكايد.

لقد اعترض ابن عمر انتقال الحركة، موضحا للخليفة، أن "مقصود أبو العشرات رب البلاد اندفاع المحلة عنهم"(292)، مضيفا أن المنطقة الجبلية ما تزال فيها بعض المقاومة، ولذلك "إذا انتقلنا لإداوتغمة، اتسع الأمر على الجبل ومقصودنا إذا قضى الله أمره في الجبالة، وصلح شأنهم، ننتقل حيث شئنا"(293). فبين ابن عمر، أن أبا العشرات إنما يريد فقط باقتراحه، إبعاد المحلة عن قبيلته إداوْگلول، لما تتحمله من توفير حاجياتها. كما اعتبر انتقال الحركة غير موات، لأنه يفسح المجال لاتساع مقاومة الجبل، ولذلك فإنه يقترح على الخليفة، "كلف قبيلة إداوكلول، يفرضون المطافئ ذي المياه، على الاقسام المجاورين للمحلة، حتى يقضي غرض سيادتكم"(294)، وذلك ما كان يتهرب منه أبو العشرات لأنه قد يحدث ضجرا للقبيلة، أو ربما امتناعا عن التنازل عن نطافي المياه، في ظرف زماني، تعتبر فيه المياه بمنطقة شبه جافة، من المخزونات الضرورية.

وأما بالنسبة للدار التي اقترح العامل والشيخ الانتقال إليها بإداوْتْغُمَّة، فبين ابن عمر للخليفة وضعيتها، "المطافي التي فيها فاسدين، والبير ماؤه قليل"(295)، إضافة إلى أنها ليست للمخزن، "بل هي لطالب ذي العلم، ومعه ثلاثة أو أربعة ملكا لهم ولآبائهم وأجدادهم"(296)، وإنما كان محمد أبهي قد سيطر عليها، وبنى فيها أبراجا، ويظهر أنه بعد ثورة حاحة عليه، رجع لها أربابها، "وما زالوا أربابها ساكنين بها"(297). وبذلك نقض ادعاءات كل من العامل والشيخ.

---

292) ن.ر.

293) ن.ر.

294) ن.ر.

295) ن.ر.

296) ن.ر.

297) ن.ر.

دار المخزن بإداوْ تُغُمَّة، تقول الرواية الشفوية من المنطقة إنها دار القاضي بإدكْسِيمورْ، أصبحت خربة، وبها آثار الأبراج والنطافي.

لقد بين هذا الجدل حول إيجاد المياه للحركة، عن كون كل طرف يرعى المصلحة المكلف بها، فابن عمر ما يهمه هو توفير المياه، أيا كان مصدرها، ولو بإلزام القبيلة بها. وأما أبو العشرات ما كان يهمه إلا حماية قبيلته، بإبعاد الحركة عنها، ولو باقتراحات غير عملية، وأما القائد أبهي، ما كان يهمه إلا اصطناع حيلة لاسترجاع الدار، التي كان أخوه قد سيطر عليها. كما برهن ذلك الجدل أيضا عن كون استمرار مكث الحركة بحاحة، بدأ يخلق سأما، لدي السكان والمسؤولين المحليين، إضافة إلى تناقض المواقف ومحاولات التنصل من المسؤولية، التي كانت المنافسات تؤججها بين أفراد القيادة. وكلها عوامل معرقلة لاستكمال أهداف الحركة، في استرجاع الاستقرار لحاحة، الذي يعتبر المس بالعهود للثوار أحد موانعه.

1 - 3 - الالتزام بالتعهد بالأمان للثوار :

كانت استراتيجية الحركة، منذ أن حلت بحاحة، هو تحقيق الأهداف، بأقل الخسائر، وإن هذا لا يتأتى إلا بسلوك سياسة رفع لواء الأمان والصفح(298)، وقبول كل ما يمكن أن يسهم في استقرار القبيلة، حتى ترجع لأداء وظيفتها، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، لأن اضطرابها يحول دون تحقيق ذلك، وخاصة أن السلطة المركزية في ظرفية زمانية حرجة، كانت فيها في حاجة إلى مزيد من الاستقرار العام. فاستعمال العنف لا يزيد إلا في التباعد بينها وبين القبائل، التي هي في حاجة لدعمها المادي والبشري. ولذلك فإن أحد دعائمها السياسية خاصة تجاه الجماعة، هو الصفح، الذي يمحو كل آثار الاختلاف والمناهضة، التي تقوم بها القبيلة. ذلك الصفح، الذي رأينا تكرره بمنح الأمان لكل المنطبطين، والمتخلين عن المقاومة، أثناء تنقل الحركة باتحادية حاحة.

ما أن وصلت الحركة إلى إداوگلول، ومكثت بها وبدأت الأمور في الانضباط، حتى اعتبر ذلك نصرا للسلطة المركزية، فعجلت بتوجيه أمر للعامل عبد

298) راجع مبادئ الحركة ص، 379.

الملك أبهي، لـ"استنهاض إخواننا حاحا، وشحذ قريحتهم وحث عزمهم وأمر سيدنا أعزه الله بإجماعهم كبيرا وصغيرا، حتى يقرأ الكتاب الشريف، الوارد من الحضرة الشريفة، ليبلغ الشاهد الغائب"(299). وقد قام عبد الملك أبهي بتنفيذ هذا الأمر، "فجمعنا الجميع، كبيرا وصغيرا، حتى أسرده كاتب خديم سيدنا القائد محمد بن عمر، وشرحه أيضا، الطالب سيد علي ابن محمد إگيدر، بلغتهم حتى استبصروه جميعا واسمعوا وأطاعوا لأمر سيدنا"(300).

يتبين من هذا، أن توجيهات عامة، وجهتها السلطة المركزية، يلزم على الجميع تنفيذها. ولضمان ذلك ،لا بد من خلق الثقة بين الحركة والسكان تنبنى على اطمئنان القبيلة كما عبر عن ذلك ابن عمر، "أن نؤمن على أمان سيادتك، الصادر والوارد والفار والقاعد"(301). فيسود الاطمئنان كافة السكان، بالتزام أفراد القيادة، تطبيق مبدأ الأمان.

وإن المنافسة بين أفراد القيادة، أثرت على تطبيق مبدأ التعهد بالأمان، للثوار وللفارين من القبيلة الحاحية، والأمثلة متعددة حول هذا الموضوع، كما يتبين من الحالات الآتية.

لقد أبلغ ابن عمر الخليفة، أن رجلا يدعى الحاج حم من فرقة إدَاگَّرْگَانْ بإداوكلول، كان قد فر من قبيلته مع إخوانه، واستقر عند إداوتنان بامسكروط(302) فذكر ابن عمر، أنه "وجهت عليه وأمنت عليه على أمان سيدي، وقدم هو وإخوانه نحو العشرين كانونا أو ثلاثين، ولقيته مع العامل، وقام بواجب خدمته ،ذلك يعلمه كل واحد من القبيلة"(303). لكنه حدث ما عكر هذا الأمان، الذي بدونه ما كان

299) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 3 جمادى الثانية 1290/29 يوليوز 1873م. حـ. ر.

300) ن .ر.

301) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 17 جمادى الثانية 1290/12 غشت 1873م. حـ. ر.

302) ن .ر.

303) ن .ر.

ذلك الشخص، ليجرؤ على العودة إلى القبيلة من مكان، كان آمنا فيه على نفسه وإخوانه. وذلك أن "الطالب على إگيدر، كتب عليه لخليفة العامل، الذي معنا وقبض عليه"(304)، وكان ذلك غدرا، لما كان ابن عمر قد التزم به، من التعهد بالأمان لذلك الشخص، واعتبر تصرف إگيدر، طعنا لشخصه، ويرى ابن عمر، حتى إن كان القبض على ذلك الشخص فلا يتم إلا "بإذن سيادتك، فمن الواجب، العامل هو الذي يكتب على قبضه، ولا علينا في ذلك"(305)، على أساس التسلسل السلطوي، فيكون الخليفة هو الذي يصدر الأمر بالقبض، ويطبقه العامل، وليس بأمر من شخص، لم تكن له أية صفة رسمية في قيادة الحركة.

أما الحالة الأخرى التي اعتبرها ابن عمر أيضا خلطا للمسؤولية، في التعهد بالأمان للثوار، اتهامه لإگيدر، بأن "جميع ما يقع ينسبه لنفسه، كمثل رجوع أولئك الناس، الذين كنا وجهنا لحضرتك السعيدة، أهل الجبالة، فإنه كتب للناس وأخبرهم، وأنه هو الذي ردهم نكاية لنا، وإفسادا لعملنا"(306). فبين ابن عمر بجلاء، أن ادعاء إگيدر ينقض عمله، ويفسده، مما يخلق الصعوبات لمصداقيته عند السكان.

لقد بلغ التشكك حول أفراد القيادة، وعدم الاطمئنان إليهم ذروته، حتى مس شخص ابن عمر، الذي تشكى للخليفة، "إن كنت على هذه الحالة، وإن لم تبقى لي الكلمة ولا عهد في هذا الأمر، فالمطلوب من سيادتك وكمال فضلك، أن تنقضني [تنقدني] من هذه القبيلة، فإني لا أقدر على عنفها وكثرة كلامها"(307)، مما يوضح أن سكان القبيلة الحاحية، كانوا يستشعرون الصراع بين أفراد القيادة، ويستغلونه للنيل منهم. كما حدث لابن عمر، مما شكك في العهود والأمان، التي كانوا يتوعدون بها الجميع.

---

304) ن.ر.

305) ن.ر.

306) ن.ر.

307) ن.ر.

إن الصراع بين إگيدر وابن عمر، تحول إلى هاجس يقض مضجع ابن عمر، الذي صار يتجسس على إگيدر، ويستطلع مواقف الناس منه، "اختبرتهم، فوجدتهم لا يساوي عندهم قدر بعوضة، إنما يتكلم معهم بأجوبتك الشريفة، التي توجهها إليه، فيظهرها لهم، ويقول لهم ها نحن نتكلم عليكم، ونرغب عنكم حتى ظهر لهم الآن أمره، واتضح نهاره"(308). فاعتبر ابن عمر أن مكانة إگيدر، إنما يستمدها من اتصاله بالخليفة وتبادل المكاتبة معه. وليس من مركزه لدى قبيلة حاحة، التي ادعى ابن عمر أنها لا تقدره. واعتبارا لذلك فإن ابن عمر طلب من الخليفة نقل إگيدر من الحركة، بتوجيه استدعاء إليه، "فيتوجه طوعا أو كرها، وحيث يحل محله فاقطع عليه المكاتب للقبيلة، واجعل عليه الأرصاد لتستقيم أمر هاذه القبيلة"(309). لكن يظهر أن هذا الاقتراح لم يأخذ به الخليفة.

إن مجمل هذه الشواهد، توضح مدى استحكام المنافسة بين أفراد القيادة، مما ينعكس على أهداف الحركة، حتى إن صعوبة تحقيق كل خطوة من خطواتها، يحاول كل طرف أن يعزوها إلى الطرف الآخر، فيحولون بذلك الاهتمام بحل المشاكل الرئيسية إلى المشاكل الثانوية. كان ذلك ما حدث، سواء فيما يتعلق بضمان أمن الحركة أثناء تنقلها، وكذلك أثناء البحث عن توفير المياه لها، أو حول ضمان دعائم الاستقرار، المبني على اطمئنان القبيلة. لكن رغم مساوئ ذلك الصراع، فإنه كان يبين من جانب آخر، تمسك كل طرف بوجهة نظره، مما ينعكس أكثر في التسيير، وتحديد المسؤوليات.

2 ـ التنظيم السلطوي و تحديد المسؤوليات :

إذا كانت السلطة المركزية، لما جردت الحركة إلى حاحة، قد وضعت في مخططها العام، إعادة الاستقرار إلى المنطقة، فإن ذلك لا يتم فقط بممارسة أنواع

308) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 28جمادى الأولى 1209/ 24يوليوز 1873خـ. حـ. ر.

309) ن.ر.

الضغوط على القبيلة، بل يقتضي أيضا النظر في مشاكل المنطقة التي منها التنظيم السلطوي، أي كيفية ترتيب العلاقة بين السلطة والسكان. لأن ضمان استمرار الاستقرار، مرهون بتحديد مسؤوليات كل الأطراف المتعايشة. حتى يلتزم كل طرف بما أنيط به، وأن الإخلال بذلك الالتزام، يؤدي لا محالة إلى كسر التوازن الاجتماعي، الذي هو من مهام تواجد السلطة، سواء المركزية أو المحلية وغالبا ما يكون الشطط في ممارسة السلط، من جملة أسباب خلل التوازن، لأن الأجهزة التنفيذية، لا تتورع عن استغلال كل الفرص المتاحة، لإظهار قوتها، سواء أمام المخَاطَب أي السكان، أو المخاطِب أي السلطة العليا الآمرة. فيكون صد تلك السلطة، من طرف السكان، برفض الانقياد لرغباتها. لكن إذا أصرت تلك السلطة الوسيطة، على نهجها المجحف، تنقلب الأمور ضدها، كما حدث بحاحة، حينما قامت الاتحادية الحاحية، بثورتها ضد أيت أبهي(310)، التي انعكست على الأجهزة التنفيذية المساعدة كالشيوخ. ولذلك كان من الواجب لإعادة الاستقرار للمنطقة، بعد أن حلت الحركة بها، أن تعالج علاقات الجهاز التنفيذي بالقبيلة، سواء العامل أو الشيوخ، في إطار تنظيم محلي يعتمد في توازنه أيضا اللفوفية. وكذلك تحديد المسؤوليات لكل الأطراف، بما في ذلك التقصي في مشاركة القبائل الاتحادية في الأعمال التخريبية، التي وقعت بممتلكات أيت أبهي.

1.2. الأجهزة التنفيذية و ضبط العلاقات بالقبيلة :

كانت الأجهزة التنفيذية بمنطقة حاحة، محددة في جهازي العامل والشيوخ، هذان الجهازان اللذان اجتهدت السلطة المركزية، لإعادة الهيبة لهما، منذ أن توغلت الحركة بحاحة.

310) راجع ثورة حاحة على أيت أبهي .ص. ص. 351- 359.

2- 1- 1- العامل ومسؤولياته :

كانت مشكلة عمالة حاحة ،من المشاكل الكبرى التي كانت وراء أحداثها. فبعد الثورة على محمد أبهي، حاولت السلطة المركزية تعويضه بمسؤول محلي(311)، لكن التجربة فشلت، فعينت عاملا أجنبيا عنها(312)، وما أن حلت الحركة بحاحة، حتى كان أول عمل تقوم به، هو تعيين عامل جديد، على الاتحادية الحاحية، وهو عبد الملك بن عبد الله أبهي(313). من نفس العائلة، التي أطاحت الثورة بها. ولا شك أن ذلك يعتبر إعلانا صريحا، لرفض الأعمال التي قامت بها القبيلة.

لقد بدأ ظهور مشكلة تحديد مسؤولية العامل الجديد، تجاه قضايا متنوعة أثناء وجود الحركة بحاحة، والتي مست جوانب مختلفة من علاقاته بالقبيلة، نستعرض بعضا من نماذجها.

كان انقسام الحركة أثناء تواجدها بحاحة إلى قسمين، قد أحدث اشكالية لدى العامل، تدعو إلى تحديد مسؤوليته، هل يرافق القسم المتوغل من الحركة داخل أراضي حاحة ؟ أم يبقى مع القسم القائم منها ببوريقي ؟

يظهر أن العامل، قد فضل البقاء مع المحلة القائمة ببوريقي، معللا ذلك، ب"أن أعيان حاحة كلها، أخص منهم الشيخ أحمد نيت الحسن الزلطني، اجتمعوا عندي، وطلبوا مني أن أبقى هنا بالمحلة السعيدة، تحت رجل سيدنا ومولانا الخليفة. وأن لا نفارق جيشه السعيد، لأن سيدنا نزل الآن ببلدنا، ولذلك لا يصلح إليّ أن أذهب لداخل وسط البلد، وأن يبقى سيدنا وراءنا"(314)، وبذلك حدد العامل مسؤوليته بإيعاز، كما يدعي، من أعيان القبيلة، هذا الاختيار الذي قد تكون له

---

311) راجع محاولة تنصيب أنفلوس وفشلها .ص. ص. 360- 362.

312) راجع تولية محمد الذوبلالي على حاحة .ص. ص. 362-363.

313) راجع تعيين عبد الملك أبهي .ص. 378.

314) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 16جمادى الأولى 1290/ 12يوليوز .1873م. حـ. ر.

أسباب، منها عدم رغبة الجميع في مرافقة العامل للحركة، مما يمكن أن يسبب فيه من صعوبات للقبيلة، فهو من العائلة التي كانت قد نحتها عن الحكم. لكن مهما كانت مبررات اختيار العامل، فإنه يدل على استعظامه لمسؤوليته.

لم يأخذ الخليفة باختيار أبهي، وإنما تم توجيهه إلى الحركة، مزودا بتعليمات منها ما أشار له ابن عمر المسؤول عن الحركة، "أمرته أن يكون عند إشارتنا، ولا يحيد قط عنها أصلا. وأن ينزل قُبَّته بإزاء قبتنا، وأن لا ينزل دارا من دور حاحة"(315). ويستفاد من هذه التعليمات، خضوع العامل في كل تصرفاته لقائد الحركة ابن عمر، مما يعقد تحديد مسؤولياته.

يظهر أن العامل ما إن حل بالحركة، حتى بدأ يتخذ مبادرات خاصة تجاه القبيلة، مما جعل ابن عمر يبلغ الخليفة، أن "العامل لا يتكلم معه في أمر من الأمور"(316)، متهما إياه، بأنه "مشغول بأمر نفسه، إذا دخل قبة سدها عليه، فلا يصل أحد إليه من القبيلة، ولا من الأشياخ، وإذا دخل دارا فكذلك"(317)، حتى إنه فوض الأمور إلى خليفته تُـمْخَنْدين، "الذي يحكم بين الناس، ومن أراد أن يهدي هدية يهديها إليه، ويكون جميع الكلام معه"(318). واعتبر ابن عمر هذا التصرف انحرافا عن الطريقة، التي تلزم العامل أن يسلكها، تجاه القبيلة، لأن "هذا الأمر لم يصل إبانه الآن، حتى تستقيم القبيلة، إنما يلزمه أن يباشر القبيلة، لتتألف قلوبهم، وتطمئن أنفسهم"(319). فوضح بذلك أن القبيلة الحاحية في حاجة إلى ضمد جروحها. ولا يكون ذلك الا بممارسة سياسة طمأنة تجاهها، يجب على العامل تحقيقها، ما دام هو السلطة المباشرة، لتنفيذ أوامر السلطة المركزية.

---

315) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 22جمادي الأولى 1290/ 18يوليوز .1873خ. ح. ر.

316) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 23جمادى الأولى 1290/ 19يوليوز .1873خ. ح. ر.

317) ن .ر.

318) ن .ر.

319) ن .ر.

ولقد زعم ابن عمر، أن أبهي يسعى للانفراد بالسلطة الحقيقية، في الحركة تجاه القبيلة، كاتما عليه الأمور، حتى صار "لا خبر عندي من القبيلة، ولا من جانب الأشياخ، إنما نسمعه من المخازنية"(320)، ولذلك يقترح على الخليفة، وضع حد لهذا التصرف، ب"توجيه القائد الحاج بوعبيد، ليتولى الكلام مع العامل، بأمر من سيدنا، ويكون يدفع له صلابة الكلام، ونحن له إعانة، لعل الله يعالج أمور هذه القبيلة، حتى تجتمع كلمتهم"(321).

يتوضح من هذا الصراع الخفي، بين ابن عمر وأبهي، صعوبة تحديد مسؤولية كل طرف، فإذا كان ابن عمر باعتباره قائد الحركة، يسعى لمراقبة أبهي، مدعيا مصلحة القبيلة، فإن أبهي كان يعمل لتركيز نفوذه تجاه القبيلة، معززا مسؤوليته.

لقد كان أفراد من القبيلة، يحاولون التشكيك في مسؤوليات العامل، مما جعله يثير مشكل تحديد اختصاصاته، أمام الخليفة، ذلك أن شخصا يدعى "الفقير مبارك أجْكْدْرجْ استدعاه بعض جماعة أل أجكدرج لعندنا، فذهب هو مستدعيا لهم للحضرة الشريفة، وقال لهم لا كلام للعامل، وسيدنا الشريف أعزه الله بيلدنا"(322) مما يوضح أن أفرادا من القبيلة، يتعمدون تجاوز العامل، مدعين أن وجود الخليفة بعين المكان غني عنه، فطلب أبهي من الخليفة، "أن يشد لنا العضوض في مثل هذا، وأن لا يقبل لهم مولانا الشريف أعزه الله وأعلى كلمته، الدعوة للحضرة الشريفة، ولا للحضرة العالية بالله، بدون كتاب عاملهم، فإن ذلك استهزاء، بمملوك سيدنا ووصيفه وخديمه"(323).

يستفاد من هذا، أن أبهي اعتبر خرق تسلسل درجات التقاضي استهزاءا، مهما كانت الجهة التي ترفع الدعوى أمامها. سواء الخليفة، الذي عبر عنه بالحضرة

---

320) ن.ر.

321) ن.ر.

322) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 15 جمادى الثانية 10/1290 غشت 1873م. خ. ح. ر.

أجْكْدْرْج : تسمى به المنطقة التي يلتقي فيها واد القصب بواد أجَنْدَه، وقد اشتهرت به حديثا عين يأمها الناس.

323) ن.م.

الشريفة، أو حتى السلطان، الذي عبر عنه بالحضرة العالية. ولذلك يشترط لقبول إقامة الدعوى، أمام إحدى السلطتين، أن تكون مرفوقة برسالة العامل، كأنه قد نظر في القضية، وعجز عن البث أو أن البث الذي قام به، لم يرض الأطراف المعنية، فيكون احترام تسلسل المسؤوليات، ملزما للجميع، لأن أي خرق قد يعرقل أعمال الآخرين، وخاصة في ضبط التصرفات تجاه القبيلة، التي يلعب فيها الشيوخ الدور الأساس.

2 - 1 - 2 - الشيوخ ومسؤولياتهم في أحداث حاحة :

تعتبر مؤسسة المشيخية(324)، ذات أهمية كبرى في النسيج الاجتماعي السلطوي، لضبط العلاقات بين السكان والسلطة، ضمن التنظيم القبلي. وخاصة أن الشيوخ ينبثون في كل أفخاذ القبيلة وفرقها، فيكونون على صلة دائمة بالسكان. وتزداد أهمية هذا الجهاز، حينما تدعو الضرورة لتحريك القوى العامة بالقبيلة، وذلك ما حدث في حاحة إبان تواجد الحركة بها.

لقد كانت الاتحادية الحاحية، تدار علاقاتها بالسلطة بعدد من الشيوخ، ورد ذكر بعضهم أثناء وجود الحركة بحاحة، وخاصة الأشياخ الذين كانوا يتمتعون بسلطة ونفوذ قوى داخل الاتحادية، فكان منهم الشيخ أحمد نيت الحْسن بـأيت زَلْطَن(325)، والشيخ مبارك أنفْلُوسْ، بإنْكْنافَنْ (326)، والشيخ بهى بمورِّين، بإداوِسارَن(327)، والشيخ عبد الرحمان أبو العشرات، بإداوكّْلُول(328)، والشيخ الحْسن التّكْزريني، بأيت تامَرْ(329) والشيخ أحمد بوكريم،

324) راجع دور مؤسسة المشيخة في إطار التنظيم السلطوي ص. 184-191.
325) رسالة القائد عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 10 جمادى الثانية 1290/5 غشت 1873.
326) رسالة القائد محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 10 جمادى الأولى 1290/6 يونيه 1873.
327) رسالة القائد محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 10 جمادى الأولى 1290/ 6 يونيه 1873.
328) رسالة القائد عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 22 جمادى الأولى 1290/ 18 يونيه 1873.
329) رسالة القائد محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 10 جمادى الأولى 1290/ 6 يونيه 1873.

بـأيت عيسـي(330)، والشـيخ محمـد الكَـازوتي، بإداوْكـازُّو(331)، والشـيخ عبـد الله بوخليق،(332) مـع الشيخ محمد بُوفَنْزي(333)، بإداوبوْزيـا، والشـيخ مبـارك بـن بلعيـد الزَّمْزْمي(334)، بـاداوْزَمْزَمْ. وأغفـل ذكـر أسـماء شـيوخ إداوْگـرْط، وإمْگّـراد، وإداوْتَغُمَّة، مع إشارات إليهم.

لقـد كـان كـل هؤلاء الشيوخ في حركة دائبة أثناء حركة حاحة، ويبرز منهم البعـض كـأحمد نيت الحْسن الزلطني، الذي كان مرافقا للعامل أبهي، حتى إنه كان ينتـد بـه فـي كـل المهـام. ومـن ذلك مثلا أن الخليفة أمر أبهي أن يوفد خليفته عليه، فـاعتذر عـن ذلـك وطلـب منـه أن يقبـل نيابـة عنـه "أحمـد نيت الحسن، هو الـذي يصلـح للأمور"(335). وآزره فـي ذلـك ابـن عمـر، "ان اقتضـى نظـر سـيدي توجيـه أحمـاد نيـت الحسـن فـي موضعـه، فليكتب سيدي للعامل عليه، يقوم مقامه"(336)، أي مكـان خليفـة أبهي، مما يوضح أن أحمد نيت الحسن الزلطني، كان يكلف بمهام متعـددة مـن طـرف العـامل، ولذلك لم يقتصر دوره على قبيلته أيت زلطن، بل صار يمـارس نفـوذا واسـعا داخل الاتحادية الحاحية، وباتفاق مع السلطة المركزية، فقد قبل الخليفـة طلب أبهي، لما أمره "بتوجيه الشيخ أحمد نيت الحسن بدلاعنه [خليفته] فها نحن سيدي وجهناه"(337).

ولقـد تتسع أدوار الشيخ، حينما يكسب شهرة ونفوذا، وذلك ما كان بالنسبة للشيخ مبـارك أنفلـوس، الذي كان برفقة الحركة، منذ أن انطلقت عبر حاحة، وأقام

330) رسالة الطالب على إگيدر إلى الخليفة بتاريخ 22 جمادى الأولى 14/1290 يونيه 1873.
331) رسالة القائد محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 22 جمادى الأولى 1290/ 18 يونيه 1873.
332) رسالة القائد محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 16 جمادى الأولى 12/1290 يونيه 1873.
333) رسالة من محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 16 جمادى الأولى 1290/ 12 يونيه 1873.
334) رسالة من القائد عمر المتوگي إلى الخليفة بتاريخ 7 رجب 31/1290 غشت 1873.
335) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 8 جمادى الثانية 3/1290 غشت .1873خـ. حـ. ر.
336) رسالة محمد بن عمر إلى الخليقة بتاريخ 8 جمادى الثانية 3/1290 غشت .1873خـ. حـ. ر.
337) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 10 جمادى الثانية 5/1290 غشت 1873. خـ. حـ. ر.

لها الاستقبال(338)، ودافع عن نكنافة في حادثتهم مع إگيدر(339)، واكتسب ثقة محمد بن عمر، حتى إنه لما استدعى الخليفة الشيوخ الثلاثة، مبارك أنفلوس، وبهي بمورين، وأحمد نيت الحسن، للحضور عنده، أنهى أبهي له أنهم "قادمين صحبة حامل الكتاب، امتثالا للأوامر الشريف"(340). إلا أن ابن عمر تدخل فيما يخص أنفلوس، "بقاءه عندنا أفضل، لكن حيث وجهت عليه وجب علينا امتثال أمرك"(341) معللا بقاءه، "لأنه واقف معنا في أمر الجبل، ويتكلم فيه"(342). ذلك أن الخطة التي كانت تنهجها الحركة تجاه القبائل الجبلية، كانت تعتمد على السياسة(343). فلذلك كانت في حاجة إلى وسائط ذات نفوذ واحترام من كلا الطرفين، فكان أنفلوس يمثل هذا الوسيط، ولذلك ألح ابن عمر على الخليفة، "إن كان سيدي له الغرض فيه، فاقضي الغرض ووجهه إلينا عاجلا عاجلا"(344)، ويعلل ابن عمر إلحاحه، ب"أن أمر الجبل قرب صلاحه، فإنهم يأتوا إلينا بالليل والنهار، وفيهم ذو العرض والمروءة، وملاقاتهم جلها على يديه، لكونهم يعرفون بعضهم بعضا"(345)، مضيفا أن له فيه مصلحة في ربط العلاقة مع القبيلة، وتقديم خدمات متعددة.

يتوضح من المهام التي أنيط القيام بها، لكل من أحمد نيت الحسن وأنفلوس بالخصوص، إبان حركة حاحة، بأن مسؤوليات الشيخ، تتسع أو تضيق، حسب الظروف التي يتحرك فيها، كما تبين أيضا مدى اعتماد السلطة عليه، في علاقاتها بالسكان.

---

338) راجع ص. 399.

339) راجع ص ص 429- 432.

340) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 29 جمادى الأولى 1290/ 25 يوليوز .1873خـ. حـ. ر.

341) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 29 جمادى الأولى 1290/ 25 يوليوز .1873خـ. حـ. ر.

342) ن .ر.

343) راجع خطة الحركة وكذلك العمل مع القبائل الجبلية .ص ص 378- 380 ثم ص ص 415- 423.

344) ن .ر ابن عمر

345) ن .ر.

إن الاحتكاك الدائم للشيوخ بالسكان، قصد تنفيذ الأوامر السلطوية، قد يؤدي إلى خلق حزازات، تتطور إلى النيل منهم، فيصبحون "معرضين لمؤامرات إخوانهم"(346). وهذا ما حدث بعد ثورة حاحة على أيت أبهي، إذ نالت بعض القبائل من شيوخها، مما أحدث إشكالية أمام القبيلة، أثناء الحركة، وصعب من عودة الاستقرار والأمثلة عن ذلك متعددة.

لما كانت مفاوضة المصالحة بين الأعيان والثوار بقبيلة إداوسارَن، كان سوء التفاهم بين الشيوخ والثوار، قد أسهم في عرقلتها، مما جعل ابن عمر ينهي للخليفة، "خشينا ربما يقع لجاج بين أشياخ إداوسارن مع إخوانهم، ويخرج البارود بينهم، لكون الأشياخ أتوا فيهم الحق على إخوانهم"(347)، مما يبين أن قبيلة إداوسارَن، كانوا قد نالوا من شيوخهم، الذين وجدوا الفرصة، أثناء وجود الحركة لاستعادة سيطرتهم، وربما أدى ذلك إلى التفكير في الانتقام، فأخر ذلك التنافر التصالح بقبيلة إداوسارن.

ولقد بلغ الصراع بين الشيوخ والسكان، ببعض الفرق من الاتحادية الحاحية، حدا صار فيه السكان، يطالبون بتبديل الشيوخ، ومن ذلك ما حدث بإداوگلُّول، حينما رفض فريق العودة إلى القبيلة، بعدما رحل عنها. فأبلغ ابن عمر الخليفة، أن ذلك الفريق، كان يتولى عليه شخص يدعى بوجمعة، "ما رحلوا إلا من جانبه، لأنهم حيث كانت الفترة أخدوا له شيئا أمثل"(348). فتوضح بصراحة أن ذلك الفريق، كان قد استغل فترة الاضطراب والثورة بحاحة، فنهب شيخه. ولذلك لما حلت الحركة بحاحة، لم يكن أمامه إلا الفرار من الانتقام، فاشترط لرجوعه من الرحيل، كما أخبر بذلك ابن عمر الخليفة، "إذا منّ عليهم سيدنا، وكانوا يقدمون على غير شيخهم بوجمعة، ويتولى عليهم غيره، فإنهم يقدمون، ويقومون بواجب

346) التوفيق أحمد : مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر.إينولتان (1800- 1912) الجزء الثاني.ص. 129 .مطبعة دار النشر ـ الدرالبيضاء. 1980 .

347) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 10جمادى الأولى 1290/ 6يوليوز . 1873خـ. حـ. ر.

348) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 23 جمادى الأولى 1290/19 يوليوز . 1873خـ. حـ. ر.

ما نابهم في الخدمة المولوية"(349). فيكون شرط استئناف الانضباط بالنسبة لهذا الفريق، من قبيلة إداوگلول، هو إزاحة الشيخ السابق عنها، خوفا من انتقامه.

لقد كشف أمر هذا الفريق، أنه لم يكن الوحيد الذي رفض شيخه. ولذلك فإن ابن عمر اقترح على العامل أبهي، مسايرة تلك الفروق، فأنهى للخليفة أنه، تكلم مع "العامل بهاذا، فقلت له، إن هاذه الجماعة أو غيرها، فكل من أراد أن يقدم على غير يدي شيخه فوجه عليه، يقدم، وحيث تتمكن في القبيلة، ويستقيم أمورها، فافعل ما بدالك"(350)، فبين هذا، أن الصراع بين الشيوخ والقبيلة إبان الثورة كان حادا، وأن عودة الاستقرار لحاحة، لا يتم إلا بإعادة النظر في هيكلة المشيخة، باستبدال الشيوخ الذين لا ترغب فيهم القبيلة. إلا أن العامل لم يكن موافقا لابن عمر في رأيه، "أجاب بأنهم لا يقدمون إلا على يدي شيخهم"(351). ذلك أن العامل قد يرى أن فتح باب التغيير في هيكلة المشيخة، مع وجود الحركة بحاحة غير موات، وخاصة أن توليته شخصيا على حاحة، ما تمت إلا بوجود تلك الحركة، وكأنه يلوح لحاحة بالانتقام لعائلته، ولأعوانها من الشيوخ.

كانت السلطة المركزية، توافق على التعامل بالمرونة في قضية الشيوخ مع قبائلهم، وذلك ما تبين من مسألة إداوكازّو مع شيوخهم. فيظهر أنها كانت إحدى القضايا التي طرحوها على الخليفة، لما توافدوا عليه(352). ولذلك فإنه أصدر الأمر للعامل أبهي، "إن صلحت أحوال فراق قبيلة بني كزوتة"(353) دون تعيين هذه الفرق، "واستقاموا ورجعوا للجادة، وأرادت كل فرقة منهم أن يشيخ عليها رجل، فأمرني سيدي أعزه الله، أن نشيخه عليه"(354)، مما يوضح أن السلطة المركزية كانت تحاول إرضاء رغبات القبائل، في تبديل من تراه غير صالح من الشيوخ.

---

349) ن.ر.

350) ن.ر.

351) ن.ر.

352) راجع توافد إداوكازّو على الخليفة ص، 420.

353ـ رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 12 جمادى الثانية 1290/ 7 غشت. 1873خ. حـ. ر.

354) ن.ر.

لقد عاني إداوْكازّو من شيخهم محمد الكازوتي (355)، مما جعل الخليفة يخير فرقهم، "والفرقة التي أرادت إبقاء النظر إلى الشيخ محمد الكزوتي أمر سيدنا أعزه الله وحفظه، بإبقائه عليهم"(356). ولم يقتصر أمر المصالحة بين القبيلة وشيخها على أبهي، وإنما تدخل فيه أيضا، ابن عمر الذي أبلغ الخليفة، "نباشر أمره مع إخوانه، فمن أراده واستقام أمره معه، فهو المقصود عندنا"(357)، ثم يطلب من الخليفة كيفية التعامل مع "من امتنع وصد عنه، فهل نسير معهم على الكيفية التي كنا قدمنا الاعلام بها ؟ فنحب من سيدي أن يعجل لنا بتوجيه، وتبين لنا سيدي كيفية الأمر التي نباشر به أمرهم"(358)، فأوقف ابن عمر كيفية معاملة المناهضين للكازوتي على أمر الخليفة.

يظهر أن عدم اتفاق فرق إداوكازو على استمرار تولية الشيخ الكازوتي عليهم مرتبط باستمرار وجود عناصر ثائرة في القبيلة، حتى إن الشيخ الكازوتي وخليفة أبهي، اتهما أنفلوس، بأنه كان يحرض أولئك الثوار، فقد "وجهوا رقاصا للطالب مبارك أنفلوس، يستشيروه في أمرهم"(359). لكن ابن عمر حاول أن يفند هذا الادعاء، "نحن نعلم أن ما عاد الله أنفلس يحرض في المسائل التي لا تصلح لجانب سيادتكم"(360) رادا أصل الاتهام، إلى "ما بينهم من الأضضاد والمشاحنة"(361)، على أنه لا يستبعد اتصال الثوار بأنفلوس، بحيث وجه له كتابا في شأن الثوار، "ربما إذا كتبوا إليه ليستشيروه في أمرهم أن يحدرهم وينذرهم ويزجرهم"(362). لكن يظهر أن الثوار كانوا جادين في مناهضة الكازوتي،

355) راجع قضية الكازوتي مع الثوار حين جلب الإدالة وفتك بها الثوار في دار ابن أخيه .ص. ص. 425- 429.

356) ن.ر.أبهي.

357) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 15 جمادى الثانية 10/1290 غشت . 1873خ. ح. ر.

358) ن.ر.

359) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 22 جمادى الثانية 17/1290 غشت 1873. خ. ح. ر.

360) ن. ر.

361) ن. ر.

362) ن. ر.

فتوجهوا "لداره وإخوانه"(363)، وعلل ابن عمر سبب المناهضة، "بأن هؤلاء الفساد حيث حتمنا عليهم الفراق مع بعضهم بعضا، تجدد أمرهم، وقاموا على ساق الجد، وهاذا ما ذكره الشيخ محمد المذكور"(364)، أي الكازوتي، فاعتماد الشيخ هذا الزعم الذي قدمه للخليفة على لسان ابن عمر، إنما يسعى منه لإثبات أنه ما زال صالحا للقبيلة، وأن أسباب المناهضة لا ترجع إلى صراعه معها، وإنما لأسباب أعمق ترتبط برغبة الثوار في الاستمرار في خروجهم عن السلطة، فيبرر بذلك كل أعمال تتخذ ضدهم.

إن التناقضات التي عرفتها علاقات الشيوخ بالقبيلة، ومحاولة كل طرف إلقاء مسؤلية إفسادها على الطرف الآخر، وما رافق ذلك من اللجوء إلى السلطة المركزية للبث في تلك التناقضات، لم يحل دون قيام المفاوضات بين تلك الأطراف، في نفس الوقت الذي كانت فيه الحركة تنتقل في حاحة. وكان الشيوخ والعامل برفقتها.

لقد وجه الخليفة استدعاء عاما، لكل المسؤولين على بقبيلة حاحة ،على يد العامل، "يأمر سيدنا أعزه الله أن أقدم مع الأشياخ والأعيان وغيرهم، ممن يكلف في القبيلة للحضرة الشريفة"(365) وقرأ العامل كتاب الخليفة "على الأشياخ"(366) بمحضر القائد ابن عمر، إلا أنهم "أشاروا جميعا أني إذا قدمت وتركت الحركة بمحلها يقدمون عليهم بني كزوة، وغيرهم من أهل الجبل، فيروعون الحركة ويروعون القبيلة"(367) مما يبين أن الاستقرار ما زال مشوشا.

لم يأخذ الخليفة بالاقتراح الذي تقدم به أبهي، للتخلف عن الحضور، كما لم يأخذ باقتراح ابن عمر، الذي طلب منه "ابقاء أنفلس معنا"(368)، إذا توجه العامل،

---

363) رسالة أخرى لمحمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 22 جمادى الثانية 1290/ 17غشت 1873. خ. ح. ر.

364) ن. ر.

365) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 13 جمادى الثانية 1290/8 غشت 1873. خ. ح. ر.

366) ن. ر.

367) ن. ر.

368) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 14 جمادى الثانية 1290/9 غشت 1873. خ. ح. ر.

وإنما أصدر الأمر بإلزام الجميع بالحضور، "إن العامل والأشياخ والأعيان فقدومهم مهم متعين لازم. ولم تبق مصلحة في بقاءهم معنا أصلا"(369)، ولذلك "فلا يسمع أحدا منهم التأخر عنه، لا أنفلوس، ولا غيره، على أن جلوسهم هنا، ومنافستهم لا تترك لنا أمرا يستقيم بحال أصلا، بل ما يكون سهلا يصيرونه صعبا بشهواتهم، ويشعبونه بتتبع هوائهم، وأنه حتى إذا لم يكن موجب للتوجه عليهم، لوجب تفريقهم. إذا ليس من المصلحة ولا من السياسة جمعهم هنا، وأنهم لم يتركوا الحكم عليهم يجري مجراه. وأنه حتى إذا توقف الأمر على الخدمة يعللونه بفساد الجبالة"(370).

لقد أدرك الخليفة أن بقاء أولئك المسؤولين عن قبيلة حاحة، مجتمعين وسط المحلة لم يعد مقبولا، إذ اتهمهم بالعمل على عرقلة تنفيذ الأهداف، التي قامت الحركة من أجلها. كما أنّهم ما فتئوا يستغلون ادعاء استمرار الثوار بالمنطقة الجبلية، للتملص من القيام بواجبهم، وخاصة أن المنافسات بينهم تزيد من التماطل، وهي وضعية لا يمكن شرحها فقط بمصالحهم الذاتية، وإنما ترتبط أيضا بمصلحة اللفوف التي ينتمون لها. مما يكون له تأثير على تحديد المسؤوليات.

2 ـ 2 ـ اللفوفية و تحديد المسؤولية :

لقد أبرزت حركة حاحة، دور اللفوفية في تحرك القوى القبلية، وتأثيرها على تحديد المسؤولية، وكان ابن عمر قد أثار انتباه الخليفة، إلى ضرورة مراعاتها في عدة مناسبات، لأنها كما عبر عن ذلك "تبينت من إحكام اللفوفية"(371) في قبيلة حاحة.

كانت اللفوفية قد أثارت جدلا نظريا هاما، حول دورها في التنظيم الاجتماعي السياسي، بمنطقة جنوب المغرب، بل في التنظيم السياسي العام

369) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 15 جمادى الثانية 1290/ 10 غشت 1873. خـ. حـ. ر.

370) ن. ر.

371) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 17جمادى الثانية 1290/ 12غشت 1873.

بـالمغرب، ممـا يدعو إلى ضرورة مراجعة بعض أعمال المنظرين لها، كروبير مونطاني، الـذي كـان مـن الدعاة المثبتين لفاعلية مؤسسة اللفوفية. كما وضح ذلك في دراسته عن علاقة الأمازيغ بالسلطة المركزية(372).

فقـد أراد البـاحث، أن يجعـل منها، أداة التوازن السياسي، في منطقة شاسعة بـالمغرب، لكنـه ربـط فاعليتهـا بالمنـاطق ذات السـكان المسـتقرين، بـالأطلس الكبـير الغربي، والصغير، والريـف، كمـا مدهـا إلـى منطقة القبائل الجزائر، على أساس أن هـذه المناطق، تحظى بنظام سياسي مستقل، عن أدوار خارجية، أي عن أدوار السلطة المركزيـة. فيكـون الاسـتقرار السياسـي لهـؤلاء السـكان، إنمـا نـابع مـن تواجـد فرق سـكانية منتظمـة في لفوف متضادة، تؤدي إلى التوازن بين السكان وبمنأى عن إطار سياسي خارجي.

لقـد تحمـس مونطـاني كثيرا لهذه النظرية، التي أقرأنها تضعف مع نمو السلطة الفرديـة للشـيوخ، والـذي عرفتـه منـاطق الأطلـس فـي نهاية القرن التاسع عشر(373) لتختفي الثنائية اللفية في مناطق، متوگة، وحاحة، وإداوْتنان.(374)

إن تـأرجح مؤسسـة اللفوفيـة بين الانكماش والامتداد، أثار الشك في أهميتها لـدى بعـض البـاحثين كبـيرك، ففـي دراسـته عـن سكساوة، وجد أن هذه القبيلة لا تعـرف النظـام اللفي الثنائي، الذي يوجد لدى القبائل المحيطة بها(375). ولـم يقتصـر ذلـك عليهـا فقط، بل يوجد نفس الشيء عند إداوتنان.(376) الذيـن ينقسـمون إلـى ثلاثيـة، تحفـظ كـل الاسـتقرار الفعلـي بالقبيلـة، فـي حـين أن متوگـة لا تعـرف بتاتا اللفية الثنائية(377).

---

372) Montagne. (R). Ibid Ch. III. 182-216.

خصص مونطـاني للفوفيـة الفصـل الثـالث، تحـدث فيـه عـن جوانـب مختلفـة للفوفيـة، نشـأة وتوظيفا وامتدادا وانكماشا، مع محاولة التركيز على دورها في استمرار الحروب الداخلية، وانعدام التأثير الخارجي.

373) Montagne. Ibid p. 184.
374) Montagne. Ibid p. 193.
375) Berque (J) Structurres sociales du Haut-Atlas. 2 éditions 1978, P. U. F. Paris. p.429.
376) Berque (J). Ibid. p. 430.
377) Berque (J). Ibid. p. 431.

ويقترح بيرك في مناقشته لمؤسسة اللفوفيات استبعاد النظرة الأوربية لها، المبنية على أساس أنها جبهتان متعارضتان، بل إنها في نظر السكان، لا تعدو أن تكون تعبيرا عن تعارض بين فريقين متآمرين(378). مما يؤدي لأن يكون التنظيم الذي يأخذ به السكان، في المنطقة المغاربية، يراعي بعض الخصوصيات المكانية والزمانية، فتتنوع مع هذه الخصوصيات، المصطلحات التي تتخذها الأشكال التنظيمية للسكان(379).

يؤدي هذا الاستنتاج، إلى اعتبار اللفية الثنائية، ليست أبدية ولا مقتصرة على شكل معين، كما حاول مونطاني أن يفترضه بالنسبة للسكان الأمازيغ. وإن كان يعترف أنها توجد أيضا في المناطق الخاضعة للمخزن، فإن أهميتها تزداد مع غياب السلطة المركزية(380). في حين يذهب بيرك إلى أن هذه المؤسسة، قد تنتج عن تقسيمات اصطناعية للقبائل(381).

إن الارتباك حول مؤسسة اللفوفية، بين الدارسين خاصة حول دورها، قد يرجع جزء منه، إلى المغالاة في الدور الذي أعطي لها، كعنصر فاعل مع غياب السلطة المركزية. لكن هذا الإشكال يتوضح إذا أخذنا بعين الاعتبار، الظرفية التي أنجزت فيها الدراستان، فهي الفترة التي كان المغرب، يخضع فيها لممارسة سياسة استعمارية، تميزت بضرورة التمسك بالمبادئ السياسية العامة، التي كانت قد وضعت منذ بداية الاحتلال. ومن أهدافها النيل من الشخصية الوحدوية للمغاربة، باستغلال تنوع التنظيمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للسكان.

وإن الرجوع إلى بحث إدمون دوتي، الذي أنجز قبل الاستعمار في سنة 1905، عن التنظيم العائلي والاجتماعي لحاحة(382)، يوضح بعض الجوانب عن مؤسسة اللفوفية. فقد ذكر الباحث، أنها تعم المغرب كله، كما أن معرفتها الدقيقة، ضرورية

378) Berque (J). Ibid. p. 430.
379) Berque (J). Ibid. p. 440.
380) Montagne. (R). Ibid. p. 182
381) Berque (J). Ibid. p. 431.
382) Doutté : (Edmond) l'organisation domestique et sociale chez les Haha. L'Afrique Francaise janvier 1905. Renseignements coloniaux pp. 1-16.

للسلطة الحاكمة(383)، وأنها مؤسسة تتغير باستمرار(384). واستنتج الباحث، أنها عبارة عن تجمعات ذات صفة سياسية، والتي يمكن مقارنتها، بالرابطات أو لأحزاب(385) وبذلك يعتبرها لونا تنظيميا، لا تتوقف فاعليته على غياب السلطة المركزية، كما ادعى مونطاني بعده، وإنما يذهب دوتي، إلى أنها إحدى الأدوات الفعالة للسلطة المغربية(386). لأن المخزن هو الذي يستفيد منها، فيحركها لصالحه(387). وبذلك يجعلها مؤسسة لا تخرج عن السلطة المركزية، وإن كانت آفاقها، تعود أكثر على التوازن الداخلي للقبائل، الذي لا يمس مصالح السلطة المركزية.

إن هذه الآراء حول مؤسسة اللفوفية، تبين إلى أي حد أنها من إحدى خصوصيات التنظيم السياسي بالمغرب، وأن السلطة المركزية تتعامل معها، لإحداث التوازن بين المنافسات الداخلية، في كل القبائل، وذلك ما لم تخرج عنه الحركة بحاحة.

لقد كانت قبيلة حاحة الاتحادية، حسب ما يذكره دوتي، منقسمة إلى لفين(388)، الشكل الذي هو أساس النظرية اللفية.

لف يضم إنْكْنَافَنْ، إداوزَمْزَمْ، إداوسارَنْ، إداوكَّرْضْ، أيت وَضيل، إداوعيسي. لف ثان، يضم إداوكَّلُّول، أيت تامر، إداوتْغُمَّة، إمْكَراد، أيت زَلْطَن، إداوْبوزْيا، إداوْكازُّو. ويذهب دوتي إلى أن هذه الثنائيةت تتناهى في الصغرت حتى تصل الجماعات داخل فرق القبائل بحثا عن دعامة في نزاعاتها.

إن هذه اللفوفية التي عاينها ابن عمر(389)، وأدرك أهميتها ودورها، جعلته يوحي للخليفة، عن الكيفية التي يجب التعامل بها معها. "لا يخفى عن سيدي وأن

383) Doutté. (E). Ibid. p. 15.
384) Doutté. (E). Ibid. p. 15.
385) Doutté. (E). Ibid. p. 14.
386) Doutté. (E). Ibid. p. 15.
387) Doutté. (E). Ibid. p. 15.
388) Doutté. (E). Ibid. p. 15.

389) راجع ص. 450.

أمر هاذه القبيلة الحاحية على قسمين. ونحن القسم الذي ظهرت لنا المصلحة فيه، نصافح باليد الذي تؤخد به، وإن كان لهم الأغراض في ذلك فإنني نأخذ مصلحة سيدنا، ونترك الغرض"(390). فقد أوضح ابن عمر أن قبيلة حاحة، منقسمة إلى لفين كبيرين، وذاك ما أكده دوتي بعده. وأن من مصلحة السلطة المركزية، التي يمثلها في الحركة أن تتعامل مع اللف الذي ترى مصلحتها فيه. وإن كان ذلك اللف، إنما يتقرب بدوره منها لأجل مصلحته. فيفهم من هذا، أن بإمكان السلطة المركزية، أن توالي هذا اللف، ثم تتراجع عنه، لتوالي اللف الآخر، في إطار استغلال منافسة كلا اللفين، فتصل إلى غايتها دون تعب كبير، ودون إثارة اللفين معا ضدها. حتى إن ابن عمر يذهب، إلى أن يكون عمله مع اللف الذي اختار التعامل معه، "إما بالوعد أو بالتسويف"(391). فتتجنب الحركة التعامل مع القبيلة بالعنف، مستغلة فقط ما كان من التنافس بين قواها المحركة، مما يضمن الاستقرار، على أساس كبح جميع الأطراف.

وهكذا، فمهما اختلفت وجهات النظر حول اللفوفية، سواء في أصولها أو أشكالها، أو في امتدادها وانكماشها، أو في توافقها أو عدمه مع مصلحة السلطة المركزية، فإنها كانت تشكل أداة للتوازن بين السكان، وبذلك يكون لها تأثير في تحديد المسؤوليات، سواء الدائمة أو الطارئة، مثل ما حدث بحاحة وما كان للقبائل من نصيب فيها.

2 - 3 - مسؤولية القبائل الحاحية في الأحداث الثورية :

لقد كشف تواجد الحركة بحاحة، عن عدم مشاركة كل القبائل الاتحادية، فيما حل بأيت أبهي من نهب. مما جعل الخليفة، يحاول الاستقصاء في تحديد مسؤولية القبائل، ومشاركتها في الأعمال النهبوية، و خاصة أن القبائل غير المشاركة فيها، لم ترد أن تعامل على قدم المساواة، مع القبائل التي نهبت دور أيت

390) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 29جمادى الأولى 1290/ 25يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

391) ن. ر.

أبهـي. رغـم أن لهـا مطـالب أخرى، كانت بدون شك، من الأسباب التي أدت إلى الثـورة، والتـي نجم عنها، إحداث أضرار بدور أيت أبهي، مما كان من أسباب تدخل السـلطة المركزية، وحضورها إلى عين المكان، فأصبحت القبائل الاتحادية في مواجهة الحركـة، وسـعت للتملـص مـن تعقبهـا لها بكل الوسائل، كالتلويح باستمرار الثورة، والتفاوض الذي تناول جوانب متعددة، بما في ذلك مسؤولية القبائل في نهب أزغار.

لقـد أبلغـت القبـائل الجبليـة، إداوْبوزيْـا، وإداوْكـازّو، وأيت عيسي، المفاوضين لهـا، بقيـادة محمـد ابن عمر، أنهم "قالوا ما فررنا إلا لقلة بضاعتنا وضعفنا، ولكوننا مـا حضـر منـا أحـد، فـي نهـب متـع أزغـار، وخشـينا على أنفسنا من ذلك"(392). فيوضـح هـذا أن القبـائل الثلاثـة، امتنعـت عـن القـدوم عنـد الخليفـة، حتـى تسـوى حالتهـا، وتبـين مسـؤوليتها فيمـا حـدث، ذلـك أنهـا خشـيت من المتابعة، برد ما لم تشارك في نهبه، متدرعة بنقص ذات اليد.

ولقـد اضطـر محمـد بن عمر، لأن يبين للقبائل الثلاثة، أن السلطان والخليفة، رغـم أنهمـا حريصان على أن ترد كل قبيلة، "ما نهبت قليلا أو كثيرا، والمقصود من سيادتهما، هـو عدم الظلم للجميع"(393)، علـى أسـاس أن السـلطة المركزيـة، تـلزم القبائل برد ما نهبته، لكن ليس اعتباطيا، وإنما بتحديد الفاعلين.

إن تبرئـة أي طـرف، لا يتأتى إلا بإثبات وقائع عدم المشاركة في النهب، حتى لا يقـع الشـطط فـي تحديـد المسـؤولية، وذلك ما حدث بالنسبة للقبائل الثلاثة، فقد جـاء في رسالة مغفلة الباعث، مرفوعة إلى الخليفة، "أن قبيلة گزوة وبني زيادة، وبني عيسي، فإنهم لم يحضروا في تشتيت أزغار"(394) ثـم وضـح الأسباب التي حالت، دون مشـاركة القبـائل الثلاثـة فـي النهـب، قـائلا "لما قدمـوا مـن الحركة من حدود متوگـة، ووقعـت الواقعـة، وجـاء صهـر أخانـا محمـد، وطلب منه الإدالة، وأرسلهم

392) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 7 جمادى الثانية 1290/2 غشت 1873. خ. ح. ر.

393) ن. ر.

394) رسالة مغفلة الباعث إلى الخليفة بتاريخ 8 جمادى الثانية 1290/3 غشت 1873. خ. ح. ر.

معه إدالة"(395)، مشيرا إلى الأحداث التي كانت بين متوگة وحاحة، والتي انهزم فيها محمد أبهي(396)، الذي أشار له الباعث "أخانا"، مما يفترض أنه، إما عبد الملك أبهي، أو أحد إخوته.

ويفهم من الراسالة، أن القبائل الثلاثة، كان أبهي قد كلفها بحماية صهره. مما كان سببا في عدم مشاركتها في نهب دور أيت أبهي، ثم يضيف الباعث، "أنا وقبيلة حاحا جميعا، يشهد لهم بعدم إحضارهم في الواقعة، وعدم أخذهم شيئا مما أخذه غيرهم. ونطلب من سيدنا الشريف، أن لا يعد عليهم شيئا من ذلك"(397).

تبين هذه الشهادة التي استعد الباعث، والقبيلة الحاحية جميعا، لأدائها، أن القبائل الثلاثة بريئة، مما قامت به القبائل الأخرى، مما يعفيها من المتابعة بتقويم المتاع المنهوب عليها، مالا أو عينا.

يتبين من هذا، أن القبائل تتضامن، ليس فقط للدفاع الحربي، بل كذلك للدفاع السلمي، لرفع الظلم عمن تحس أنها مظلومة، فرغم أن اتحادية حاحة، كانت على سوء تفاهم كبير مع أبهي، فإنها لم تشارك كلها في نهب أملاك أيت أبهي، ولذلك تطلب الأطراف غير المشاركة تبرئتها، مما جعل الاتحادية على استعداد لتبرئتها، تحديدا للمسؤوليات فيما طلب من الاتحادية، القيام به، برد المتاع المنهوب باعتبار أنه للمخزن(398).

وإذا كان الأمر صريحا في نفي مسؤولية القبائل الثلاثة، عن الأعمال النهبوية، فإنه كان مبهما، بالنسبة لقبيلة أيت تامر. فقد استفسر الخليفة العامل أبهي عن حالتهم، كما يفهم ذلك من رسالة لأبهي، ينهي فيها للخليفة، أنه وصله كتابه الذي، "يأمر فيه سيدنا بتبيين ما هم عليه قبيلة تامر، هل من المفسدين يعمهم ما يعم

---

395) ن. ر.

396) راجع الصراع بين متوگة وأبهي الذي أدى إلى انتصار الثوار عليه. ص ص 351- 359.

397) ن. ر.

398) راجع أهداف الحركة ص. ص. 369- 370.

المفسدين، أو من الطائعين"(399)، كما يأمره أيضا بتوجيه أشياخهم، "لينظر سيدي حالهم معاينة"(400)، مما يبين أن الخليفة يرغب في تقصي الحقيقة عن المشاركة، أو عدمها، في الأعمال الثورية.

لقد كانت قبيلة أيت تامر، من القبائل الأوائل التي وفدت على الخليفة ببوريقي(401)، لكن لم يغنها ذلك عن توضيح حالتها. مما يستلزم توجه أشياخها، لدى الخليفة بأمر منه للعامل، الذي أبلغه "ها نحن سيدي وجهنا أشياخهم جميعا، للحضرة الشريفة المنيعة، وبيدهم مائتي مثقال بالثتنية، وبيد الحاج الحْسن أُتْكْزرين أربعون ريالا، لملاقة سيدنا الشريف"(402).

يظهر أن الخليفة، جدد الأمر لأبهي، بتوجيه مسؤولي قبيلة أيت تامر، لمزيد من تقصي الحقيقة، فقد جاء في جواب لأبهي يبلغ فيه الخليفة، أنه وصله الكتاب الذي، "أمر سيدي بتوجيه أشياخهم، ليكون الكلام معهم مشافهة، فها نحن وجهناهم للحضرة الشريفة. وأعلمنا مولانا الشريف، حفظه الله، بقضيتهم لفظا لفظا، مع شيخهم الحْسن أُتْكْزِرين، وقدمنا كلامهم للحضرة الشريفة قبل تاريخ الكتاب"(403).

يتضح من هذا، أن أبهي كان قد أبلغ الخليفة، عن وضع أيت تامر، الذي يظهر أنه كان يرغب في الاستماع شخصيا لشيوخها، وخاصة أن هذه القبيلة تقع بعيدا، عن أزغار نْ أيَتْ زَلْطَن مقر أيت أبهي، مما يستبعد معه مشاركتها في الأعمال النهبوية، لكن بعدها لا ينهض وحده دليلا على عدم المشاركة، ولذلك كان التقصي ضروريا. ولم يقتصر فيه الخليفة على العامل أبهي، وإنما كان يقوم هو بذلك، لما يترتب عن المشاركة أو عدمها من الالتزامات، فما يقربه الأشياخ، يصبح

---

399) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 9جمادى الثانية 1290/ 4غشت 1873. خـ. حـ. ر.

400) ن. ر.

401) راجع ص 415.

402) ن. ر.

403) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 11جمادى الثانية 1290/ 6غشت 1873. خـ. حـ. ر.

ملزما لقبيلتهم وخاصة أن الأمر دقيق. فإذا كانت ثورة حاحة، قد قامت لأسباب متعددة، فإن تملص بعض القبائل منها، قد يعني في نظر بقية القبائل خروجا عن إجماعها، مما يسهم في النيل من قواها، والحد من فاعليتها. فيكون تحديد المسؤولية في مثل هذه المواقف أمرا صعبا، لما يترتب عنه من عواقب آنية وبعيدة.

لقد كان تحديد المسؤوليات إبان حركة حاحة، أمرا هاما، سواء بالنسبة للعامل أو الشيوخ، أو القبائل. فلذلك تباينت الوسائل في إثباتها، وخاصة أنها تشابكت بأحداث عامة، وكانت الغاية القصوى من تحديد المسؤوليات، هو ما يترتب عنها من تحملات وعواقب. فلا يخفى أن تحديد مسؤوليات الجهاز التنفيذي، من عامل وشيوخ، ينعكس على ممارستها تجاه القبيلة، لأن الشطط في تلك الممارسة، يدعو لتحريك قوى محلية كاللفوف، للحد من الضغط على السكان، أو تدخل قوة السلطة المركزية، إذا اختل التوازن المحلي العام، كما حدث بحاحة. وإن كانت هناك قبائل تحاول التملص من مسؤوليتها في تلك الأحداث، مما يمس نسيج التآزر القبلي. فتحديد المسؤوليات، كان من العوامل الرئيسية لعودة الاستقرار لحاحة بما في ذلك تحديد المسؤوليات الجبائية.

3 ـ مشكلة التنظيم الجبائي :

إن إعادة استقرار الأمور بالاتحادية الحاحية، لم تقتصر فقط على توفير الأمن العام، بالقضاء على الاضطرابات، وإنما اقتضت أيضا النظر في المشاكل الجبائية، والبث فيها، مما حذا بالخليفة، وبكل الأطراف المسؤولة، سواء بالحركة كمحمد بن عمر، أو بقبيلة حاحة من، العامل و"الشيوخ والأعيان"، أن يولوها العناية. فحرص الخليفة على مشاركة الجميع في تحمل المسؤولية، لتوفير قسط مهم من المال تدفعه القبيلة، باعتباره واجبا عليها(404)، مما يبين أن قضية الواجب هذا، كانت من جملة

404) تراجع صعوبات استيفاء الأموال كواجب على القبائل، مثل حركة سوس. ص. ص. 139- 142.

المشاكل، التي فجرت ثورة حاحة، حيث لم يكن الاتفاق، على كثير من الأساليب التي يقتضيها جمع ذلك الواجب، سواء في تحديد الأقساط المالية، الواجبة على القبائل، أو في طرق الجباية، فنجم عن ذلك استياء عام لدى القبيلة، أسهم في غضبها على الجهاز التنفيذي، من العامل والشيوخ، ألحق بهم الأضرار.(405)

إن الوصول إلى اتفاق حول الواجب، تطلب عقد اجتماع، ومراجعة إحصاء الكوانين، وتحديد نوع الأداء، ومقدار الفرض، الذي تدرجت الاتحادية في أدائه.

3 - 1 - عقد الاجتماع العام :

لقد كانت الاتحادية الحاحية تخشى منذ انطلاق الحركة، من إنزال عقاب بها(406). فكانت تنتظر أن يفرض عليها قسط هام من المال، وذلك ما أشعر به ابن عمر الخليفة، بعدما تقدمت الحركة بحاحة، وحلت بإداوگلول، "إذا اقتضى سيدي أن تبين لهم ما أمرك سيدنا المنصور بالله، من الدعيرة لقبيلة حاحا، لتطمئن أنفسهم، فإن سيدي أسعدك الله، إن جمعهم أشياخا وعامة، الذين معنا ومن هناك، كلهم في غاية الضيق والحرج والاهتمام من جميع ذلك، بخلاف إذا بين لهم سيدي ذلك، يشتغلون بأنفسهم"(407). فبين ابن عمر بوضوح، الخوف الذي كان ينتاب الجميع، من فرض قسط من المال على القبيلة، ظل قدره مجهولا، فرغب ابن عمر أن يوضح لهم ذلك.

يظهر أن الخليفة، كان ينتظر الظرفية الملائمة، للإعلان عن الفرض المالي على القبيلة، بعد القضاء على كل عوامل التوتر الأمني، مما يبين أن استمرار التلويح بالثورة، كان يغذيه هذا الشعور، بل يفسر إلى حد، التباطؤ الذي كان مسيرو القبيلة، يواجهون به مناطق بؤر التوتر، في المنطقة الجبلية(408).

---

405) راجع تحديد المسؤوليات 440- 450.

406) راجع أهداف الحركة 369- 373.

407) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 29 جمادى الأولى 1290/25 يوليوز 1873. خ. ح. ر.

408) راجع تعامل الحركة مع القبائل الجبلية. ص ص 415- 423.

ولقد تجاوز الخليفة انتظار التصفية، فأصدر الأمر، ل"القائد عبد الملك ابن عبد الله أبهي، بالقدوم على سيادتك، ومعه الأشياخ والأعيان والمكلفون، بإخوانهم، والقائمون مقام عوامهم في الفرض والدفع ونحوه، بقصد إعمال التأويل في الفرض"(409)، فاعتبر هذا الأمر دعوة من الخليفة، لعقد اجتماع عنده، يشارك فيه كل المسؤولين باتحادية حاحة، من ممثلي الجهاز التنفيذي، كالعامل والشيوخ، وممثلي القبيلة من الأعيان، وانواع التمثيل الذي تعرفه القبيلة، وذلك للاتفاق على القدر المالي، الذي يفرض على القبيلة.

لقد رفض الخليفة التأخير عن الاجتماع، مهما كانت الأسباب التي استعذر بها المدعوون، بما في ذلك مواجهة بقايا ثوار القبائل الجبلية(410)، فجدد الأمر، "بأن العامل والأشياخ والأعيان فقدومهم متعين لازم، ولم تبق مصلحة في بقائهم معنا أصلا، سيما وهذا الأمر المتوجهين لقصده، هو أهم وأوكد مما أرادوا الجلوس من أجله. فلا يسمع أحدا منهم التأخر عنه"(411). فألح الخليفة على حضور الجميع، لأن ما يجتمعون لأجله معه، أهم من أي أعذار أخرى، سيما وأن الحركة استمر تنقلها داخل قبيلة حاحة، أكثر من شهر ونصف. فكل الأسباب التي اتخذها المسؤولون ذريعة تمنعهم من الحضور، واهية في نظر الخليفة، بما في ذلك بقايا الثوار الذين تواجههم الحركة.

لقد كانت الاستجابة لهذه الدعوة، مما جعل العامل أبهي يبلغ الخليفة، بأنه توصل بكتابه الذي، "يأمرنا سيدنا أيده الله أن أقدم الساعة مع الأشياخ والأعيان، الذين كانوا معي البارحة. فها نحن سيدي قادمين معهم، بعد جمعهم كلهم من غير مماطلة"(412). وبذلك تم الاجتماع الذي أمر به الخليفة لاتخاذ التدابير اللازمة

409) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 14 جمادى الثانية 1290/9 غشت 1873. خ. ح. ر.

410) ن. ر.

411) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 15 جمادى الثانية 1290/10 غشت 1873.

412) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 18 جمادى الثانية 1290/13 غشت 1873. خ. ح. ر.

لفرض المال على القبيلة حتى يضمن له القبول من الجميع، والتي منها تصحيح إحصاء الكوانين.

3 - 2 - مراجعة إحصاء الكوانين :

لقد كانت الكلف سواء العامة والخاصة، توزع على حسب الكوانين. ولذلك كانت السلطة المركزية، تحرص على أن يكون إحصاؤها دقيقا. كما كانت القبائل أيضا، ترفض أي تدليس فيها، وذلك ما تبين من حركة حاحة.

لقد حرص الخليفة على أن يتم إحصاء عام، لكوانين اتحادية حاحة، فأصدر الأمر للعامل أبهي، "بأن يقيد كل شيخ عدد كوانين إخوانه، وعدد صيامهم"(413)، باعتبار أن الكانون يشكل قاعدة الإسهام في مختلف الفروض، والصيام قاعدة المشاركة في مختلف الأعمال، وخاصة في النزاعات المسلحة. وحتى يتم ذلك الإحصاء بالصرامة، أهاب الخليفة بالقائمين به من الشيوخ، "بأن من نصح وصدق، تزاد حظوته ومكانته عند سيدنا أعزه الله. ومن خان وبذل وغير لا ينجح له أمر، ولا يساوي شيئا عند سيدنا"(414). مما يوضح أن إحصاء الكوانين لم يكن يتم بنزاهة. فقد تحدث فيه تغييرات، تضر بما تجبيه الدولة من القبيلة، ولذلك اعتبر الخليفة قيام كل شيخ بإحصاء دقيق لإخوانه، يعد من علامات النصح السلطوي، مما يبين أن الشيوخ كانوا يخفون الحقيقة عن السلطة العليا، باعتبار أن منصبهم لا يخدم فقط تلك السلطة بل أيضا القبيلة.

لقد صدرت نفس التعليمات لمحمد بن عمر، "بأن تحرض الأشياخ، ونحتم عليهم على التعجيل بإعمال زمام عدد صائمي إخوانهم، وعدد كوانينهم"(415)، فاتصل بهم ابن عمر وحثهم على القيام بما صدر له به الأمر، لكن تبين له أنه "لم

---

413) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 15 جمادى الثانية 1290/10 غشت 1873. خ. ح. ر.

414) ن. ر.

415) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 12 جمادى الثانية 1290/7 غشت 1873. خ. ح. ر.

ينفع فيهم وعظ ولا كلام، فكل منهم يظهر الضعف لإخوانه وعدم القوة"(416). يوضح هذا أن كل شيخ يحاول إخفاء حقيقة عدد كوانين قبيلته، لما يلزمه ذلك من تحملات قد تتجاوز قدراتها، فيرجع اللوم كله عليه، وخاصة أن القبيلة قد تنتقم منه بإنزال أنواع الضرر به. فلذلك لم يكن أمام السلطة المركزية، إلا إلقاء المسؤولية على الشيوخ، للقيام بالأمر في جو من الصدق "بأن يتقوا الله عز وجل ويراقبوه"(417).

لقد كشفت عدة وقائع من الإحصاءات التي عرفتها اتحادية حاحة قبل الثورة، عن وجود ضيم وإجحاف في إحصاء كوانينها، مما جعل جل القبائل، متمسكة بمراجعة تلك الإحصاءات.

عرفت قبيلة إداوگُلُّول، عدة إحصاءات، ففي أيام القائد عبد الملك أبهي، تم إحصاؤهم، بأمر من السلطان المولى عبد الرحمان، فكان عدد كوانينهم آنذاك 493 كانونا، ثم تجدد إحصاؤهم في عهد ابنه عبد الله أبهي، وكان عددهم 527 كانونا(418). إلا أنه لما قامت الثورة، كان هم هذه القبيلة، الاستيلاء على رسم الإحصاء، الذي "دخل بيت البعض، وقالوا إنهم أعطوا عليه دراهم، حتى دخل بأيديهم"(419). مما يوضح أن القبيلة بذلت كل وسعها، لإخفاء حقيقة إحصائها، لأنه كما يظهر، أجحف بها بزيادة 42 كانونا. ولذلك أعيد إحصاؤها مباشرة، بعد الثورة، لما رفضوا قبول إحصاء عبد الله أبهي، الذي أخفوا رسمه. وتفاديا لعرقلة تقسيم الكلف، فإن القائد الذوبلالي(420)، "وجه إليهم أصحابه، وقبيلة إداوِسارَن، وإداوتْغُمَّة، وحاسبوهم، فانحصر عددهم في 464 كما ذلك في

---

416) ن. ر.

417) ن. ر.

418) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 29 جمادى الأولى 1290/ 25 غشت 1873. خ. ح. ر.

419) ن. ر.

420) راجع عن الذوبلالي وقيادة حاحة. ص. ص. 362- 364.

رسم بأيديهم"(421). فكانت القبيلتان المجاورتان، إداوسارن وإداوتغمة، مع أعوان القائد، هم الصاهرون على إعادة الاحصاء. مما يوضح الصعوبة التي ترافق إقرار القبيلة بعدد كوانينها. لما يتبع ذلك من تحملات، خاصة أن قبيلة إداوكلول ما هي إلا طرف من الاتحادية الحاحية.

ولما توجهت الحركة إلى حاحة، تجددت مشكلة الاحصاء في قبيلة إداوكلول، ففرت عدة أسر من بعض فرقها، كإداكَرْكَان، وإدَا أزَيْكو وغيرهم(422)، مخافة من الرجوع إلى إحصاء عبد الله أبهي، وإثباته على القبيلة، فلذلك اشترط الفارون حتى يعودوا إلى فرقهم، اسقاط الكوانين التي، "زممت عليهم في أيام الحاج عبد الله أبهي"(423).

ولقد تداول ابن عمر، والشيخ أبو العشرات، حول حل يرضونه، فكان اقتراح أبي العشرات، "لو وجدناهم يرجعون لتركانهم عليهم، ولم نلتفوا إليهم"(424)، ولذلك فإن ابن عمر اقترح على الخليفة، تفاديا لاستمرار النزاع بين فرق إداوكلول، حول احتمال العمل بإحصاء عبد الله أبهي، "والحاصل إن اقتضى سيدي، أن تبقيهم على حساب السيد عبد المالك، وقل لهم إنه الحساب، كان بالأمر المولوي، على قبيلة حاحة كافة. وأما الحساب الذي يكون بأمر العمال، لا عمل عليه، ولا التفات إليه، وواعدهم حتى يأتي أمر سيدنا المنصور بالله، وسوفهم، وإن اقتضى نظرك أن تبقيهم، على تفريق ستة كوانين لكل قسم، حتى يقع الحساب على كافة القبيلة، بأمر شريف، فيكونوا من جملتهم"(425).

لقد كانت قبيلة إداوكلول، وزعت الكوانين الزائدة، وهم 42 كانونا على سبعة أقسام، التي تتشكل منها. فكان نصيب كل قسم، ستة كوانين، وذلك في

421) ن. ر. محمد بن عمر

422) ن. ر.

423) ن. ر.

424) ن. ر.

425) ن. ر.

انتظار تسوية عامة، لمشكل إحصاء الكوانين باتحادية حاحة، مما يوضح أن إقرار القبيلة بالإحصاء، لا يتم إلا إذا كان رسميا، بأمر من السلطان. وإن الإحصاء الذي يقوم به العامل، قلما ترضاه القبيلة، مثل ما وقع لقبيلة إداوگلول، التي رفضت إحصاء عبد الله أبهي، متهمة إياه بالتدليس، لما زاده على القبيلة من كوانين. وقد يكون هذا المشكل، من جملة الأسباب الكامنة وراء نكبة أيت أبهي. وتفاديا لكل صراع مستقبلي، فإن ابن عمر ألح على الخليفة، بعد أن فسر له مشكل إحصاء كوانين إداوگلول، بأن "توجههم إلينا من عندك، متفاصلين في هذا الأمر، متراضين مع بعضهم بعض، واقطع نزاعهم، ولا تتركهم على لجاجهم"(426). مما يوضح أن أشياخ إداوگلول، وفدوا على الخليفة، لتدارس المشاكل التي تهم القبيلة، ومنها إحصاء الكوانين. فرغب ابن عمر أن يكون حل المشكل بتراضي كل الأطراف.

لقد كشف إحصاء كوانين قبيلة إداوگلول، عن عرقلة تزايد سكان القبيلة تزايدا طبيعيا. فقد كانت كوانينهم على التوالي 493 في إحصاء عبد الملك أبهي، ثم 527 في إحصاء خلفه عبد الله أبهي، لينزل إلى 464 بعد سنة 1871/1288. فقد فقدت القبيلة في ظرف وجيز حوالي 64 كانونا، أي بنسبة 11.95٪، ذلك أن إحصاء عبد الله أبهي، تم في ظروف صعبة، لأنه بعد أن أحصى القبيلة، "ترك الرسم تحت يديه، وقال لهم هاذا وقت المجاعة، ولا بد لكم من مراجعة إخوانكم"(427). فتكون المجاعة التي تعرضت لها المنطقة في سنوات 1869/1866(428)، قد أودت بحياة عدد هام من السكان، بقبيلة إداوگلول. وانعكست حتى على ما عرفته من النمو البطيء، بين إحصاء عبد الملك أبهي، الذي كان 493 كانونا، وإحصاء عبد الله أبهي 521 كانونا، الذي كانت الزيادة فيه 34 كانونا، أي بنسبة 6.4٪. فتفقد القبيلة بين الإحصاء الأول 493 والأخير 464، حوالي 29 كانونا. فيكون منحنى الزيادة بالقبيلة منحى انحداريا، بفقدان 5.9٪ من السكان، طيلة أكثر من ثلثي القرن التاسع عشر. مما يبين نوع الأزمات التي كانت القبائل تتعرض لها، نتيجة الآفات المزمنة بالنسبة

---

426) ن. ر.

427) ن. ر.

428) راجع المجاعة والمنطقة ص. 340.

لتلك العهود كالمجاعات، فتسبب في نقصان السكان، الذين يشكلون العنصر الأساس في مجتمع زراعي رعوي، تلعب فيه اليد العاملة دورا رئيسيا، في نفس الوقت الذي تتزايد فيه المطالب والكلف المفروضة على القبيلة، ولذلك كان من الطبيعي أن تقوم بكل أنواع الاحتجاجات التي تضمن لها الاستقرار.

وقد سار على نفس اتجاه إداوگلول، من المطالبة بمراجعة وضعيتهم الاحصائية، قبيلتا إداوكزّو وأيت عيسي، أثناء التفاوض الذي كان بينهما، وبين محمد بن عمر والوفد المرافق له، المكون من القائد بوعبيد خال الخليفة، وكاتبه محمد ابن الفضيل، وأنفلوس، والحاج الحسن التكزريني(429)، فأبلغت القبيلتان محمد ابن عمر، أن من مطالبهما للعودة للانضباط، الإبقاء على "ما كان يعمل معهما قديما، من كونهما تارة، يكونان في كل قبيلة منهما، قبيلة سوى ربع، وتارة نصف قبيلة، ولكونهما أهل الجبل ولا شيء عندهما"(430).

إن هذا المطلب الذي تقدمت به القبيلتان ليكشف عن شيء آخر، هو كون القبيلة ليست سوى وحدة إحصائية، فإذا أكمل النصاب سميت قبيلة، وإن لم يتم عوملت بناء على ما تضم من السكان، فتكون نصف قبيلة، أو قبيلة إلا ربع. كما تبينه الوثيقة، وكما رضي ذلك التجمع السكاني، لكل من إداوكزّو وأيت عيسي.

إن هذا الإشكال يزيد من صعوبة تحديد مفهوم القبيلة، وهذا ما شعر به الباحثون في وضعية التنظيم المغربي. فعبر مونطاني عن ذلك حينما تعرض لدراسة لوحدات الاجتماعية التنظيمية(431)، فاستنتج أنه رغم أنها تتكون من وحدات متراتبة، من قبيلة إلى فخدة، إلى موضع، فإن هذه الوحدات ليست ذات شكل قار.(432) فقد تتنوع في الامتداد والانكماش، والقوة والضعف، ورغم تشبث السكان المكونين للقبيلة بالجد المشترك، فإن العامل الاقتصادي، هو الذي يلعب دورا رئيسيا في تشكيلها، كالدفاع عن المحاط أو توسيعه.(433) ورغم أن

429) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 7 جمادى الثانية 1290/ 2 غشت 1873. خ. ح. ر.

430) ن. ر

431) Montagne (R) Ibid. chap. II pp. 147.
432) Montagne (R) Ibid. pp. 148.
433) Montagne (R) Ibid. pp. 153.

اهتمامه كان منصبا على المناطق المستقرة من الجبال، فإنه شعر بصعوبة إيجاد صيغة شاملة لمفهوم القبيلة.

ولقد استشعر بيرك أيضا نفس الصعوبة، في تعريفه لسكساوة، فاعتبر أنه اسم يعني مجموعة من سمات، وعادات، ومؤسسات، دون أن يعني أصلا سلاليا(434). بل خليطا من السكان تمازجوا عبر فترة طويلة من الزمان، حتى إن أكثر من 90٪ منهم ليسوا بالأصليين(435). ولم يقتصر هذا على سكساوة، بل ينسحب على كل القبائل المجاورة لها، مما يبين أن الاسم باق لكن المحتوى يتجدد.

ويؤدي هذا الإشكال في تحديد مفهوم القبيلة إلى التساؤل الذي طرحه العروى، "هل القبيلة في المغرب إطار إداري محض وليست شيئا سواه"(436)، ومهما اختلفت الأسئلة والأجوبة حول هذا المصطلح، فإن مفهوم القبيلة يظل معقدا. وإن كان يوحي إلى حد، بما عبر عنه نفس الباحث بأنه "اسم يطلق على تنظيمة، وعلى مضمون اجتماعي، وعلى دور سياسي"(437)، مما يجعل القبيلة متعددة الاختصاصات والمهام، بتنوع مفهومها، حسب مستهدفات الباحث، وخاصة أن واقع القبيلة قابل للاتساع، مما يوضح حيويتها وفاعليتها.

لقد كانت السلطة المركزية تتعامل مع كل الأشكال التنظيمية التي تحمل اسم القبيلة. وذلك ما وضح من رغبة قبيلتي إداوكزو وأيت عيسي، في أن تتنوع درجتهما، فتارة نصف قبيلة، وتارة قبيلة إلا ربع، هذه العادة التي درجت عليها القبيلتان، والتي يظهر أنه وقع تغييرها، فاضطرت القبيلتان للاحتجاج عليها بالمقاومة، وتمسكتا بمطالبهما في العودة إلى النظام القديم، كعامل أساس للاستقرار.

أيد ابن عمر، رأي القبيلتين، لدى الخليفة، بأن أبلغه، "قد حلفوا إداوكزو بالأيمان المعظم، أنهم لم يجاوزوا أربعمائة صائم. وذكروا حجة أيدت قولهم، وأنهم

434) Berque (J) Ibid. p. 3.
435) Berque (J) Ibid. p. 4.

436) العروي (عبدالله) : ثقافتنا في ضوء التاريخ. دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت - لبنان. 1983. ص 43.
437) العروي. ن. م. ص 44.

يدفعون شيئا لمسجدهم، مقيد في كناشة كفى به حجة عليهم"(438)، فتكون قبيلة إداوكزو لا تتعدى 400 صائم، هذا المفهوم الذي يتوقف عليه تعداد السكان القادرين على المشاركة في القيام بالأعمال، بما فيها الحروب. دون تعداد لبقية السكان من النساء والأطفال.

كما أيد ابن عمر أيضا موقف آيت عيسي، فوعد القبيلتين بالتدخل لدى الخليفة، لقبول مطالبهما، "والمقصود من سيادة سيدي هو مساعدتهم في مطلبهم، بحيث إن قدموا هاذه المرة نصف قبيلة، مرة أخرى قبيلة سوى ربع. لكل منهما حركة كاملة وتسمى قبيلة كلها خدمت"(439).

لقد أثير نفس مشكل إحصاء الكوانين، والتمسك بالحساب القديم أو التخلي عنه، لدى قبيلة إداوتغمة، حتى "وقع لجاج مع بعضهم بعض في شأن المحاسبة مع جانب يقال لهم إداأحُوَّى، وجانب يقال لهم إداأعَشَّه، فالأولون ذكروا أنهم بأيديهم رسم المحاسبة، على يد القائد محمد بن عبد الله، والآخرون قالوا لهم إنما نحن لا زلنا على الحساب الأول القديم"(440).

يتبين من هذا أن اتحادية حاحة، عرفت إحصاء جديدا، أجحف بها، تم في أواخر عهد عبد الله أبهي، وظل العمل به في عهد ابنه محمد، كما يتضح من الوثيقة. وقد يكون هذا الإحصاء، لم يأخذ بعين الاعتبار ما تعرضت له حاحة، من الأزمة الديمغرافية الناتجة عن المجاعة، كما وضح ذلك عند إداوگلول. ولذلك رفضت القبائل هذا الإحصاء، وفضلت العودة إلى الإحصاء القديم، الذي يظهر، حسب ما وقع لإدوگلول، أنه إحصاء عبد الملك أبهي(441).

438) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 7 جمادى الثانية 1290/21 غشت 1873. خـ. حـ. ر.

439) ن. ر.

440) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 29 جمادى الثانية 1290/24 غشت 1873. خـ. حـ. ر.

441) راجع ص. 462.

إن كـل هـذه الاعتبـارات هـي التـي دفعـت السلطة المركزية، لإعادة الإحصاء. لكـن الخليفـة، أصـدر تعليمـات بـالتزام الصرامـة، دون التفـات إلـى ادعاءات القبائل، وذلـك مـا توضـح مما أمـر بـه ابـن عمـر، فيمـا يخص، كلا من إداوگـلول وإداوتغمة وإمگـراد، بـأن تلـك القبـائل، لا يمكن لها التنصل من "قيامهم بما يجب عليهم، وسط إخوانهـم قبـائل حاحـة، مـن الحركـة والمئونة، وتقييد الكوانين والصوام، مع أنهم لا بد لهـم مـن ذلـك، ومـن القيـام بـه طـال الزمان أو قصر، ولا يقبل منهم عذر، في أداء ما ترتـب عليهـم مـن أجلـه، منذ ذلك فيما مضى، وما هو آت، فإن الأيام تحسب عليهم، وتحصى لا محالة"(442). وقـد تكـررت نفـس التعليمـات، وبنفـس الصيغة، في رسالة أخرى لابن عمر(443)، بعـد حوالـي خمسـة عشـر يومـا. مما يوضـح الصعوبـات التي يواجههـا الإحصـاء الحقيقـي، وخاصـة محاولـة القبـائل التهـرب، ممـا يـترتب عنه من الكلف المتنوعة.

لقـد عـين الخليفـة كاتبـه محمـد بـن الفـاضيل، "للوقوف على أن يجمع تقاييد الصائمين، والكوانين، وبوجههم"(444) لـه، فأنهى العامل أبهي للخليفة، بأنه "دفعنا له تقييـد كـل شـيخ، قليـل مـن بنـي تامر، وبعض من بني جلولة وبني غماوة، ومجرادة، وأهـل الجبل، فقد تركنا الخليفة تُـمْحَنْديـن يوجههم لنا، بعد قبضهم منهم"(445)، ممـا يبين الدقة التي كانت متبعة في الإحصاء.

لقـد كـان العـدد الـذي صـرح به ابن الفاضيل، لمحمد ابن عمر لما سأله "فقال يكـون ذلـك سـتة آلاف صـائم، وإن زاد يزيـد شيئا قليلا"(446) ثـم أبلـغ ابـن عمـر الخليفـة "قـد تذاكـرت مـع البعـض مـن الأشياخ على عدد الكوانين، فحسبت نحن وإياه، ستة وثلاثين مائة كانون، من غير الجبالة، تزيد بقليل أو تنقص بقليل"(447).

---

442) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 6 جمادى الثانية 1290/1 غشت 1873. خـ. حـ. ر.

443) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 23 جمادى الثانية 1290/18 غشت 1873. خـ. حـ. ر.

444) رسالة عبدالملك بن عبدالله أبهي إلى الخليفة بتاريخ 15 جمادى الثانية 1290/ 10 غشت 1873. خـ. حـ. ر.

445) ن. ر.

446) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 12 جمادى الثانية 1290/7 غشت 1873. خـ. حـ. ر.

447) ن. ر.

يستنتج من هذا، أن إحصاءا عاما جديدا، قامت به السلطة المركزية، لاتحادية حاحة سنة 1873/1290، فحصل منه، أن عدد الصائمين يفوق بقليل 6000 صائم، وعدد الكوانين يفوق بقليل أيضا 3600 كانون. وهو الاحصاء الذي كانت الدولة تعنى به، دون الإحصاء العام على غرار الإحصاءات المعاصرة، ذلك أن هم الدولة آنذاك، لم يكن منصبا إلا على معرفة القادرين على المشاركة في الأعمال بصفة شخصية منفردة، وهم الذين كانوا يسمون بالصائمين. أوالمشاركة الجماعية، بمساهمة وحدات اجتماعية، التي كانت تسمى الكانون. فكانت الدولة تحرص على إتمام ذلك الإحصاء، وفق شروط تجعل الجميع، يخضع لها حتى يتم الإسهام المادي الذي يقتضي إجراءات أخرى.

3 ـ 3 ـ تحديد نوع الأداء وكيفية توزيعه :

لقد أثيرت مشكلة نوع الأداء، وكيفية توزيعه، لدى الاتحادية الحاحية، مما يدعو للتطرق إلى إجراءات حسم ذلك المشكل.

كان الأداء في الواجبات المخزنية، يتخذ أسلوبا مزدوجا، عينا ونقدا(448). لكن يظهر أن تطورات حدثت عليه، خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر(449)، مما جعل القبائل تفضل الأداء بأحد الأسلوبين، إما نقدا، أو عينا، وذلك ما حدث في اتحادية حاحة.

لقد أبلغ ابن عمر الخليفة، "أن البعض من أعيان هاذه القبيلة الحاحية، ذكروا لنا أن العامل، أراد أن يتبع عادة أبيه وأخيه، من كونهم يخرصون زرع كافة القبيلة، ويقبضونه منهم بوجهه قمحا وشعيرا وزيتا وغيره. ويفرضون الواجب

448) راجع الواجبات : ص. ص. 263- 240.

449) راجع عياش، جوانب من الأزمة المالية، ص. ص. 18- 21.

عليهم أيضا"(450). فبين هذا أن عبد الله أبهي، ثم ابنه محمد بعده، كانا يلزمان القبيلة بدفع الأعشار، من عين المنتوج حبوبا، كان أو إنتاج الأشجار، أو غيره، إشارة للبهائم أو نحو ذلك. ثم بعد هذا يلزمان القبيلة، بدفع أقساط من الأموال كواجب.

إن هذه الطريقة الني اعتبرتها القبيلة عادتها(451)، والتي أراد المتولي، عبد الملك أبهي، الرجوع إليها، لم تعد مستساغة لها، لما تلحق من "الضرر والإجحاف"(452) بالقبيلة، ولذلك فإن أعيانها، "طلبوا من سيدنا أن يسقط الزرع ويعطوا الواجب، أو يسقط الدراهم ويدفعون الزرع بوجهه"(453)، وقد اقترح ابن عمر على الخليفة، إرضاء القبيلة في هذا المطلب، بأن "اقتضى نظر سيدي أن يسقط عليهم جهة من الجهة فليكتب للعامل، ويوجه من هو فيه كفاية من جانب سيدنا، ليقرأ [كتابه] على كافة القبيلة وأشياخها، ليزجر على ما كانوا به من قبله"(454)، فتكون القبيلة بذلك، على علم عام بما يجب عليها. فلا يكون فيه التلاعب، لا من جهة العامل أو الشيوخ، بتحديد الجهة التي يدفعونها، إن كانت نقدا أو عينا، حتى يقع التخلي عن الطريقة القديمة، التي كانت القبيلة تلزم بموجبها بأدائين.

خيرت القبيلة السلطة المركزية، باستعدادها لقبول إحدى الوسيلتين، وأن يتم الإعلان عن الوسيلة التي تختارها السلطة المركزية للجميع، تفاديا لأي تأويل يضر بالقبيلة.

لقد كانت كيفية توزيع الكلف، تتم بناء على معرفة إحصائية للقبيلة، وتندرج من القبيلة إلى تقسيماتها، وذلك ما توضحت بعض جوانبه أيضا، باتحادية حاحة.

---

450) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 7 جمادى الثانية 1290/2 غشت 1873. خـ. حـ. ر.

451) ن. ر.

452) ن. ر.

453) ن. ر.

454) ن. ر.

ألـح الخليفة على الجهاز التنفيذي، من العامل والشيوخ والمكلفين، ب"تقييد ما نـاب كـل خمـس، من أخماس كل قبيلة، في الموظف"(455)، مما يبـين أن مـا يهـم السـلطة المركزيـة، أن يتضـح مـا يجـب دفعـه علـى كـل قبيلـة، التـي تتكـون مـن تقسيمات منهـا الخمـس. فذكـر دوتي بالنسبة لحاحة، أن الخمس أو الربع، ليس إلا تقسيما إداريا محضا، يستعمله المخزن، كأساس لتوزيع الكلف(456)، كمـا يعـد فـي حالـة الحـرب وحـدة، وليـس للخمس رئيس ولا مجلس خاص(457)، ثـم يذكـر أن المخـزن يعـد عـددا قـارا من الكوانين لكل خمس(458). مما يوضـح أن الكـانون هـو أساس توزيع الكلف.

لقـد كـان ابـن عمـر، أورد العـدد التقريبـي لكـل كوانـين حاحة(459)، لكنـه أضـاف تشويشـا علـى مفهـوم الكـانون، حينمـا ذكـر أن "الكـانون يكـون فيـه تارة عشرين كانونا، وفيه من يكون عشرة إلى خمسة كوانين"(460)، فـأظهر هذا إشكالا في مفهوم الكانون.

لقـد ذكـر دوتـي فـي دراسـته عـن حاحـة، أن الكـانون نوعـان، كانون قديم، وكـانون جديـد، فأمـا الكـانون القـديم، فهـو القـاعدة التـي يعتمـد عليها المخزن، في تقسـيم الكلف على القبيلة، وهو قار لا يتغير ولا يساير تبدل السكان، حتى إنه ذكر مثلا، أن المخـزن يعـد عشـرة كوانـين علـى سـكان، وصـل تعدادهم أكثر من ثلاثين كانونا سنة 1905. وأمـا الكـانون الجديـد، فهـو الـذي تعـد بـه الكلـف المحليـة، التـي تتحمل بها الجماعة أو القبيلة(461)، وهـو كـانون يتكون من كل عائلة أحادية(462). وربمـا ذلـك قصـد ابـن عمـر، بـأن الكانون الذي يعد به المخزن، هو العائلة الكبرى،

455) رسالة عبدالملك بن عبدالله أبهي إلى الخليفة بتاريخ 18 جمادى الثانية 1290/ 13غشت 1873. خـ. حـ. ر.
456) Doutté (E). Ibid. p. 11.
457) Doutté (E). Ibid. p. 11.
458) Doutté (E). Ibis. p. 16.

459) راجع ص. 469.

460) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 12 جمادى الثانية 1290/7 غشت 1873. خـ. حـ. ر.
461) Doutté (E). Ibid. p. 11.
462) Doutté (E). Ibid. p. 11.

التـي تتكـون مـن عـائلات أحادية، يختلف تعدادها، وهو نفس الإشكال الذي أشار له أحمد التوفيق، لصعوبة الاتفاق على معايير ثابتة لتحديد الكانون(463).

إن هـذا الإشـكال الـذي يطرحـه الكـانون، هـو الذي جعل السلطة المركزية، تحـرص علـى شـكل كـانون، تتفـق عليه مع أطر القبائل. وتتعامل على أساسه معها، بغـض النظـر عـن حجمـه، تاركـة مسـألة توزيع الكلف مرنة. وذلك ما أشار له ابن عمـر بالنسبة لحاحـة، بأن اقترح على الخليفة، أن يجعل "عشرين ريالا لكل كانون، وهم يجعلون التأويل مع بعضهم بعض، للقوى والضعيف"(464)، علـى أساس أن ما يهـم السـلطة المركزيـة، هـو معرفـة مـا يفرض على القبيلة، بناء على كوانين رسمية، فتقـوم القبيلـة بتقسـيم منابهـا، علـى الكوانين الفعلية، مراعاة درجة التحمل المادي، بـالتمييز بـين الموسـرين وغـيرهم. فيكشـف هـذا نوعـا آخـر من التآزر داخل القبائل، حتـى تضمـن اسـتمرار ثوابـت العلاقـات بـين سـكانها، بتحملها بنوع من التضحية المتبادلة بينها، الفروض المتنوعة التي منها، الفروض المخزنية الطارئة.

3 - 4 - الفرض واستيفاؤه :

لقـد كانت كل الإجراءات، التي سبق ذكرها، تهدف إلى الوصول إلى فرض أو ما تسميه الوثائق بالموظف، تستطيع الاتحادية أداءه.

كـان مبلغ الفرض، بناء على اقتراح ابن عمر، بجعل عشرين ريالا للكانون من 3600 كـانون، هـو "اثنـان وسبعون ألف ريال"(465). وقـد يزيـد عـن ذلـك بإدخـال الكوانـين، التـي اعـترف ابـن عمر أنها لم تحص بعد. هذا الفرض الذي شاركت في قبوله، كل القبائل الحاحية.

---

463) التوفيـق (أحمـد) : مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، إينولتان (1860- 1912) ج I. دار النشر المغربية - الدارالبيضاء - 1978. ص 196.

464) ن. ر. محمد بن عمر. 12 جمادى الثانية 1290/7 غشت 1873.

465) ن. ر.

إن استيفاء الفرض لم يتم دفعه واحدة، وإنما تدريجيا نظرا للصعوبات، التي تكتنف جمعه، فحاولت كل قبيلة أن تبرر تماطلها، وخاصة أنها كانت ما تزال مثقلة بكلف أخرى. مما يدل على الإعسار الذي تعاني منه، فكانت السلطة مرغمة بمراعاة تعثرها في الدفع.

فقد اشتكت قبيلة إداوْگَرْطْ، مما حصل لها من الضرر، من "المخزنيين النازلين عليهم، بحيث يقتلون عليهم، أربعة مائة مثقال وستون مثقال في كل يوم، منذ نزلوا عليهم إلى يوم تاريخه"(466)، ولذلك فإن العامل أبهي، يطلب من الخليفة، النظر في هذه القضية، لأنها تضر بقبيلة إداوگرط، وربما يؤدى الأمر بهم، إلى أن "يرتحلوا عن بلدهم"(467) مما يبين أن ما كانت قبيلة إداوگرط، تنفقه على المخازنية ثقيل. فلو افترضنا شهرا واحدا، شهر جمادى الأولى، بعد بداية عمل الحركة وتنقلها بحاحة، فيكون مجموع ما صيرته على المخازنية 13800مثقال، وهو قدر كبير على قبيلة واحدة، ولذلك كان من الطبيعي أن تشتكي، وتهدد بإمكان الرحيل، الذي كان شكلا من أساليب المقاومة، في نفس الوقت الذي تطالب فيه بدفع الواجب. فلا تستطيع القيام بالأداء، فطلبت رفع صائر المخازنية عنها، لتستطيع أداء الفرض.

ولقد كانت قبيلة إداوتّْغُمّة أيضا، تعاني من وجود المخازنية بها، لما تصيره عليهم. ولذلك تدخل ابن عمر لدى الخليفة، بأن "توجه لهم عدد المونة، كما كنت قدمت الكتب لسيدي بذلك، ليفرضونها مع المال، وترفع عليهم سيدي المخازنية، رفقا بهم"(468) فظهر جليا أن القبليلة مطالبة بدفعين، دفع كمئونة للمخازنية، ودفع خاص بالنصيب الواجب عليها، من المال المفروض على القبيلة الحاحية. وإنها تطلب رفع المخازنية عنها، ليخفف العبء عنها، باقتصاره على المال، الذي يضاف إلى المال الواجب عليها.

466) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 8 جمادى الثانية 1290/3 غشت 1873. خ. ح. ر.

467) ن. ر.

468) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 29 جمادى الثانية 1290/24 غشت 1873. خ. ح. ر.

وأما قبيلتا إداوْكَـزُّو وأيـت عيسـي، فحاولتـا التخلـص من المئونة، فطلبتا من الوفـد المفـاوض لهمـا، ″بأن تزول عليهما″(469)، إلا أن ابـن عمـر وضـح لهمـا ″لا مدخـل لسـيدنا فيهـا، إنمـا كلامكـم مـع إخوانكـم حاحـة، وههـم يسـمعون فيكم، فأجابوهم بأنهم رفعوها عليهم″(470). ممـا يوضـح أن هنـاك مسـائل يعـود النظر فيها للسـلطة المركزيـة، ومسـائل أخـرى تنحصـر بـين القبـائل، تقـوم بـالتداول والمشاورة عليهـا، وقـد تكـون مـن الكلـف التـي ترجـع فائدتها للسلطة المركزية كالمئونة، التي تكتسـي صبغـة خاصـة، لأنهـا تدخـل فـي إطار أشمل، تمتزج فيه الأصول الأخلاقية والاجتماعيـة، لمجتمع تمثل فيه الضيافة عنصرا رئيسيا للتعاضد، ولذلك اعتبر ابن عمر مسـألة إسـقاط المئونـة عـن القبيلتـين، لا ترجـع صلاحيتـه للسـلطة المركزيـة، بل هو متوقـف علـى القبيلة الحاحية كلها، ما إذا قبلت أن تتحمل هذا الدور التعبوي، حتى تنصرف القبيلتان بدورهما، لجمع الواجب عليهما من المال المفروض.

وأمـا إداوْكَّلُّـول، فقـد أبلـغ ابـن عمـر الخليفـة، بأن أشياخها ″هاذه نحو أربعة أيـام، ونحـن نتكلـم معهم على الفرض الواجب عليهم، وقد شرعوا في فرضه اليوم، وغـدا يكملـون فرضهم بحول الله، وقد قال الشيخ عبد الرحمان بو العشرات، أنهم سيسـددون دفعـه يـوم الإثنـين إن شـاء اللـه″(471)، فتكـون قبيلـة إداوكلـول بعـد المفاوضـات مـع ابن عمر، قد حددت الفرض، وشرعت في جمعه وأنها وعدت بأن تبـدأ بـالدفع، ابتـداء مـن اليـوم الـذي حدده الشيخ أبو العشرات، وسيصادف بداية شـهر رجـب، الـذي توالـت فيـه دفوعـات القبائل الأخرى، بعد أن مكثت الحركة، حوالـي شـهرين كـاملين داخـل قبيلـة حاحـة. وتكون القبائل الحاحية تدفع أقساطها المالية، تدريجيا طيلة ما بقيته الحركة من شهر رجب بالقبيلة.

---

469) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 7 جمـادى الثانيـة 1290/2 غشـت 1873. وعـن الوفـد المفـاوض. راجع ص، 465.

470) ن. ر.

471) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 29جمادى الثانية 1290/ 24غشت 1873. خـ. حـ. ر.

أمـا قبيلـة نَكْنافَة، فقد أخبر أبهي الخليفة، أنها دفعت "ثلث [ثلاث] مائة ريال وعشرة ريالات من موظفهم"(472).

لقـد شـرعت قبيلـة إداوْزَمْـزَمْ بدورهـا، فـي أداء نصيبهـا، لكن يظهر أن خطأ اكتشـف فـي زمامهـا، فأعيد للعامل أبهي، بعد أن كان "الأمناء طالعوا زمام المضمن لواجـب قبيلـة بنـي زمـزم، فـألفوا خاصا فيه لكمال الثلثين المأمورين بتسبيقهما، مائة وتسعة وثمانون مثقالا وسبع أواقي وموزونتين"(473)، فيبـين هـذا، أن القبيلـة كـانت ملزمـة بدفـع الثلثـين، مـن الواجـب عليها كتسبيق. إلا أنه وجد ناقصا، بعد أن عده الأمنـاء بدقـة، فراجـع العـامل القبيلـة المعنيـة، وطلـب منها أن "يتبين ما هو موجبهم كسائر قبائل حاحة، ووكدناهم أن يعزموا به"(474)، فتكـون القبيلـة مطالبـة بتسديد مـا طولبـت بـه، كسـائر الاتحاديـة الحاحية، دون إحداث أي نقص في واجبها مهما صغر.

كـانت قبيلـة إداوبُوزْيـا الجبليـة، قـد دفعـت "مائـة واثنـين وعشـرين ريـالا من موظفهم"(475)، إلا أنـه يظهـر أن هـذه القبيلـة تعـثرت فـي دفع الباقي، مما جعل الخليفـة يلـح عليهـا بـالتعجيل بـه، وكلف المتوگي بالقيام بهذه المهمة، فأنهى له "أنا بعثنـا إليهـم فـي يـوم الجمعـة الماضية، وحرضنا عليهم جدا، فتكلموا الأشياخ بينهم، وتعـاقدوا على ما لا بد منه، في متاع المخزن، ولم يظهر لنا فيهم الخيانة"(476)، وقـام الأشياخ وخاصة الشيخ محمد بُيْفَنْزِي، بالواجب في هذا الأمر.

لقـد جـدد الخليفـة الأمـر للمتوگـي، بـالصهر على التعجيل بالدفع، متهما إياه بالتراخي، إذ"لم تظهر مزية لنزولنا عليهم"(477)، ممـا جعـل المتوگـي يؤكـد للخليفة،

472) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 10رجب 1290/ 3شتمبر 1873. خـ. حـ. ر.

473) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 14رجب 1290/ 7شتمبر 1873. خـ. حـ. ر.

474) ن. ر.

475) رسالة عبدالملك بن عبدالله أبهي إلى الخليفة بتاريخ 9رجب 1290/ 2شتمبر 1873. خـ. حـ. ر.

476) رسالة عمر بن سعيد المتوكي إلى الخليفة بتاريخ 7 رجب 1290/31 غشت 1873. خـ. حـ. ر.

477) رسالة عمر بن سعيد المتوگي إلى الخليفة بتاريخ 15 رجب 1290/8 شتمبر 1873. خـ. حـ. ر.

أنـه "كـل جمعـة نوجـه أعيـان قبيلتنا لجمعهم، وحرضناهم عن أداء ما بذمتهم، فأما ثلـث منهـم صاروا يدورون بأنفسهم، ويجمعون ما ترتب عليهم، وثلثي الباقيتين، ما قصـروا شيئا في التحريض بينهم" (478)، ذلـك أن قبيلـة إداوبوزيـا مكونـة مـن ثلاثـة فـرق، أيـت سَرْحان، وإداوسعيد، وإمْگُّـوراً. فكـان المتوگـي يوجه أعيان قبيلته إلى مجمع إداوبوزيا، لحثهم على التعجيل بالدفع.

يستنتج مـن هـذا أن قبيلـة إداويوزيـا، كـانت تعقـد جمعـا عاما لها، يحضره أعيـان القبيلـة، ويبـث فـي القضايـا التـي تهـم القبيلة، كما هو الشأن في جمع المال الموظـف عليهـا، مـن طـرف المخزن، الذي كان يراقب ما يقوم به ذلك المجمع، ولقد أشـار دوتـي، فـي دراسته السابقة الذكر عن حاحة، إلى أهمية المجامع القبلية بحاحة في اتخاذ القرارات(479). وإن كـان يحـاول أن يقصـر دورهـا الفعلـي، علـى فترات غيـاب السـلطة، مـع أن مـا أكـده الواقـع، أن مجـامع اتحاديـة حاحة، كانت نشيطة بحضور السلطة المركزية إلى المنطقة، وتحت مراقبتها(480)، لتـداول أمـور ذات أهمية قصـوى للحركة بحاحة، لإعادة الاستقرار لها، ولن يتم ذلك إلا بعلاج كل القضايا التـي كانت كامنة وراء استيائها العام، فلذلك كانت مراجعة السلطة المركزية للقبيلة عـبر مجامعها، التي كانت تبث في المقترحات، وتقدم المطالب إلى السلطة المركزية، قصد تسوية كل المشاكل، التي كانت متضررة منها.

إن إعـادة هيكلـة النظـام الجبـائي بحاحـة، كـانت مهمة صعبة، لما اقتضته من إعـادة النظـر فـي كـل أسسـها، ابتـداء مـن تحقيق إحصاء يمثل السكان النشيطين في القبيلـة، إلـى تحديد طرق الجباية. وهذا ما كان ليتأتى، إلا بتبادل الاقتراحات، وتوفير ضمانـات القبـول مـن القبيلـة. إذ الأمر يتناول معاش السكان، فكل مس به لا يمكن السـماح بـه، إلا بتحقيق نوع من الرضى، ولو كان على مضض، فإذا كانت السلطة المركزيـة، تلـوح بـالقوة مـن حـين لآخـر، فـإن القبيلـة كانت بدورها تلوح باستمرار

---

478) ن. م.

479) Doutté. Ibid. p. 9.

480) راجع حركة سوس وتشاور قبائلها، ص 141.

التوتر، مما يجعل كلا الطرفين، يحاولان تجنب المزيد من إرهاق الطرف الآخر، فنشطت لتحقيق ذلك، الأجهزة التسييرية، سواء للسلطة المركزية أو للاتحادية، للوصول إلى تحقيق حد أدنى من الاتفاق، حول تسهيل الجباية، بما فيها الفروض الطارئة، الناتجة عن حركة حاحة، والتي لم تسلم من تحملاتها أيضا القبائل المجاورة.

IV - الحركة و القبائل المجاورة لحاحة :

عرفت القبائل المجاورة لحاحة، تدخلا مباشرا، وغير مباشر في حركة حاحة، طيلة قيامها وتواجدها، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي. ذلك أن هذه القبائل، كانت من جملة القبائل المشاركة في الحركة، منذ توجهها إلى حاحة. إلا أن آثار المشاركة، لم تقف عند هذا الحد، وإنما امتدت إلى ميادين أخرى كالتضييق على حاحة، والمشاركة في تحمل الكلف، واستغلال انشغال الحركة، لتصفية الحساب، بين القوى المتصارعة مع الأجهزة السلطوية بالمنطقة.

1 - التضييق على حاحة من جهة إداوتنان :

إن قبيلة إداوتنان المجاورة لحاحة من جهة الجنوب، كانت تحت تصرف السلطة المركزية، خاصة في محاولات التضييق على حاحة من جهتها. ذلك أن السلطة المركزية، كانت على اتصال مستمر، مع عبد الله بن عمر البطمي(481)، الذي كان يتدخل بدون شك، لدى الأجهزة التسييرية لإداوتنان، لإحكام التضييق على حاحة، خاصة الجبلية منها. وقد كان عدد من الثوار، قد آوى إلى إداوتنان، ورجع بعضهم مباشرة، بعد استقرار الحركة بإداوكلول(482). مما يبين أن المنطقة كانت تضمن لهم بعض الاطمئنان، بعيدا عن الانتقام منهم، حتى قدم لهم الأمان.

---

481) راجع ص. 380- 382.

482) راجع ص. 436- 437.

لـم يقتصـر الأمر، على الاتصال بين السلطة المركزية والقوى النافذة، في قبيلة إداوتنـان، بل إن هذه القوى فضلت التوافد على الخليفة، الذي أنهى له ابن عمر "أن أعيان إداوتنان، توجهوا لدى حضرتك السعيدة"(483)، ولـم يقف ابن عمر عند دور الوسيط، وإنما نبه الخليفة "إن هذه القبيلة، حيث وضف عليهم ما وجب إليهم، في الكلـف المخزانيــة، والوظــائف السـلطانية، فربما يقع فيهـم الفـرار لقبيلـة إداوتنـان، فيكلفهـم سـيدي، ويحتـم عليهـم، أن كـل مـن وصـل إليهـم، يقبضونـه ويوجهونه لسيادتك بماله، من أي قبيلة كان"(484). بـين هـذا فداحـة الكلف التي فرضت على قبيلـة حاحـة، ممـا يخشـى معـه عجز السكان عن الأداء، فلا يبقى أمامهم، إلا الفرار مـن القبيلـة، ولذلـك فـإن ابن عمر أراد من الخليفة، أن يستغل توافد أعيان إداوتنان عليـه، ليـأمرهم بـالتضييق علـى كـل الفارين من حاحة، دون استثناء أي قبيلة منهم. وبردهـم إلـى أماكنهم. مما يوضح أن قبيلة إداوتنان، لم تكن بعيدة المنال عن السلطة المركزيـة، كمـا حـاول مونطـاني أن يـبرز ذلـك ويركـز عليـه، في مقالته عن التنظيم الاجتماعي والسياسي للقبائل البربرية المستقلة، نموذج إداوتنان(485).

ولقـد توضح من تعامل السلطة المركزية مع إداوتنان، أثناء حركة حاحة، أن كـانت تلزمهم، بإحكام التضييق على قبيلة حاحة، من جانبهم، وأن ذلك لم يكن وليـد اللحظـة، فهو مايستفاد من كلام ابن عمر، "وإن كنت نعرفك سيدي وأنك علـى بـال من ذلك"(486). ممـا يبـين أنـه كـان مـن خطـط السـلطة المركزيـة فـي مواجهـة حاحـة. وأن ابـن عمـر مـا قام إلا بتنبيه الخليفة، خاصة بعدما تداول معه أشـياخ قبيلـة حاحـة، حـول الأمـر، "جعلنـا هـاذا تذكـرة لسـيدي، وتكلمـوا معي الأشياخ في ذلك"(487).

---

483) رسالة محمد بن عمر إلى الخليفة بتاريخ 29 جمادى الثانية 24/1290 غشت 1873. خـ. حـ. ر.

484) ن. ر.

485) Montagne. (R). Organisation sociale et politique des tribus berbères : Les Ida Outanan : in : Revue des étude Islamiques. pp. 223 - 247. 1927.

486) ن. رسالة ابن عمر

487) ن. ر.

ولقد جاء تدخل السلطة للتضييق على حاحة، حتى لا تجد مخرجا من أداء ما وظف عليها من الكلف، التي شمل نوع آخر منها، القبائل المجاورة.

2 ـ توزيع الكلف الناجمة عن حركة حاحة على القبائل المجاورة :

لقد كشف توزيع الكلف على القبائل المجاورة لحاحة، عن وجود قواعد وعادات، كان العمل جاريا عليها، أثناء توزيع الكلف بين القبائل، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، وذلك ما توضح أثناء حركة حاحة، التي نجمت عنها كلف، لم تقتصر على حاحة، إنما امتدت إلى القبائل المجاورة، التي أسهمت منذ بداية انطلاق الحركة في تموينها(488)، لتنضاف لها كلف أخرى.

ولقد كان من أهداف الحركة، استرداد ما نهب من دور أيت أبهي (489)، بما في ذلك المواشي، التي قامت السلطة المركزية، بتوزيعها بعد استردادها.

يظهر أن توزيع المواشي على القبائل، لكفالتها لصالح السلطة المركزية، كان معمولا به ومألوفا، فقد ذكر الناصري، أن المولى إسماعيل لما أخضع قبائل الأطلس المتوسط، ألزمهم بالتخلي عن الخيل والسلاح، وأعطى أيت إدْراسَن منهم "عشرين ألف من الغنم، ألزمهم برعايتها وحفظها، وأسقط عنهم الوظائف"(490). إلا أن ما يلاحظ من كلام الناصري، أن إلزام القبائل بتربية الماشية، لصالح السلطة المركزية رافقه رفع التكاليف الأخرى عنها، فتكون عنايتهم بالمواشي مقابل أداء الكلف. ولم يوضح الناصري ما إذا كان هذا الإجراء مستمرا أم لا، إلا أنه بعد ما قامت الحركة إلى حاحة، وتم استرجاع ما نهب من مواشي أبهي، أمرت السلطة المركزية بتوزيعها، على القبائل المجاورة.

---

488) راجع ص. 375.

489) راجع أهداف الحركة. ص. ص. 369- 370.

490) الناصري (أحمد) : كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 7. ط 1956- البيضاء. ص 67.

لقـد أنهـى قـائد أولاد أبـي السـباع، إلـى الخليفـة، أنه توصل بأمر توجيه "من يحوز لنا منابنا من دفع نهب بهايم ولد أبهي"(491). ممـا يوضـح أن التوزيـع سيشمل ما استرد من المواشي التي كانت موكولا بها إلى أبهي من قبل السلطة المركزية.

وأمـا المتوگـي، فقـد أنهـى بـدوره للخليفـة، أنه توصل بأمر توجيه، "من يقف على متاع أبهي، ويحوز مانابنا منه بالثمن"(492). ولـم يبـين مـا إذا كان ذلك الثمن بيعا تاما، أو أنه فقط تقويم للبهائم التي تتسلمها القبيلة.

ولقـد سـعى كـل مـن القـائدين، أن يخفـف مـن نصيـب قبيلته، بتقديم أعذار للخليفـة، فطلـب المتوگـي، "أن يـأخذ كـل منـا على قدر قبائله"(493)، وزيـادة فـي طلـب التخفيف على قبيلته، وضح له "إنا سمعنا أن ما حازوه أشياخ الشياظمة، وقع فيـه التبـدل والتغيـير والزيادة والنقصان في البهائم. وعليه، طالبا من مولانا، أن نأخذ مانابنـا فيمـا يزيـد مـن المتاع الآن، حتى نستوفوا القدر المعين على قدر قبائلنا"(494). فيفهـم مـن كـلام المتوگـي كـأن هنـاك تدليسـا فـي عملية التوزيع، شارك فيه أشياخ الشـياظمة، بأن اختاروا البهائم، ولم يتركوا منها إلا ما سقم، ولذلك فإنه يتحفظ مما يأخذه من المواشي تخفيفا على قبيلته.

ولقـد أبـدى السـباعي، نفس الملاحظة، فأبلغ الخليفة، "أن قبيلتنا ما تماثل قبيلة مـن قبـائل الشـياظمة عددا، ولا تماثل زواياهم، فهم إثنا عشر قبيلة، وأربعة وعشرون زاويـة، ونحـن قبيلـة واحـدة فنطلب منكم سيدنا، أن يأخذ كل منا ومن غيرنا، على عدد قبيلته"(495). فبـين السباعي ضرورة التزام التوزيع، على حسب قوة القبيلة، بأن قارن بين قبيلته، وقبيلة الشياظمة التي تفوقها بكثير.

---

491) رسالة عبدالله بن بلعيد السباعي إلى الخليفة بتاريخ 23 جمادى الثانية 1290/ 18 غشت 1873. خـ. حـ. ر.

492) رسالة عمر بن سعيد المتوگـي إلى الخليفة بتاريخ 29 جمادى الثانية 1290/ 24 غشت 1873. خـ. حـ. ر.

493) ن. ر.

494) ن. ر.

495) ن. رسالة السباعي.

إن هـذه الاحتجاجـات التـي أثارهـا القـائدان، كمحـاولات لتخفيـف عـبء الكلـف على قبيلتيهمـا، سـببت فـي كشف كيفية توزيع تلك الكلف، على القبائل بمنطقـة الدير، ذلك أنه ورد على ظهر رسالة المتوگي المذكورة، ملاحظات يظهر أنها ناتجـة عـن استفسـارات مـن الخليفـة لكتابه، عن القضايا التي طرحها المتوگي، حول التوزيـع ومشاكله، وفي كيفيته فورد ما يلي، "نعم سيدي قد بين قائد المشور السعيد للمتوگـي، الـذي ورد لحيـازة، مظهـر فـي دفـع أبهي القسمة التي جعلها سيدنا أيده اللـه، ومتـى دفـع نصفـه للشـياظمة، ودفـع نصـف النصـف الآخر لمتوگة، ودفع من نصف هذا الآخر لمزوضة والثلث الباقي لأولاد بوسبع، فرضى هذه القسمة وقبلها"

يظهـر أن الخليفــة لـم يقـف عنـد هـذا الحـد، بـأن زاد استفسـارا "أشـرح لنـا مقصـوده ومطلبـه فـي هـذا الكتـاب"، وكان الرد "نعم سيدي، مراده أنهم يقسمون ذلـك علـى عـدد أخمـاس كـل قبيلـة، وقد سألت صاحبي المتوگي الواردين لحيازة الدفـع، عـن عدد أخماس متوگة، فذكروا أنهم 5أخمـاس، والشـياظمة 10 أخمـاس، مـن غيـر الزوايـا ومزوضـة خمسـين وأولاد بـو السـبع خمـس، وهـذا سـيدي موافق لقسمة مولانا".

يتضـح مـن هـذا كلـه، أن توزيـع مواشي أبهي، كان على كل من الشياظمة، ومتوگـة، وأولاد أبـي السـباع، ومزوضـة، وأن هذه القسمة كانت بأمر من السلطان والتي طبقت على أساس قاعدة رئيسية هي الخمس(496). ممـا يؤكد أنه كان وحـدة إحصائيـة إداريـة تعتمـده السـلطة المركزيـة، فـي تقسـيم الكلف. وذلك ما ظهر من الحـوار الذي دار بين المكلف بالتوزيع والمتوگين الواردين لتسلم نصيب قبيلتهم، بأن كـان سـؤاله لهم عن عدد أخماسها، فتشترك كل قبيلة على حسب تلك الأخماس، وذلك ما كان يجري العمل به، بين القبائل الأربعة في تقسيم الكلف.

لقـد كـان السـباعي، مـا زال يحـاول التخفيف عن قبيلته، فأنهى للخليفة، أن تقسـيم الكلـف بالحوز، كان يتم على أساس أن أولاد أبي السباع، لا يشتركون "مع

496) راجع الخمس في إحصاء الكوانين بحاحة. ص. 471.

متوگة ما قسمنا شيئا قط، وإنما نقتسم مع مزوضة"(497)، ثم يوضح له بأن "قانوننا مع مزوضة قبل هو ذلك، فكل مانابهم من الكلف، ينوبنا ثلثه"(498). ولذلك فإنه يطلب من الخليفة، "الرفق بقبيلتنا، فإنهم مع قلتهم ضعاف"(499) ثم يحاول أن يتملص، من إحداث قانون جديد، في تقسيم الكلف، قد يضر بقبيلته، "لا تجعلوا لنا مع هؤلاء القبائل قسما، ليبقى علينا قانونا معهم"(500). ربما يقصد هنا قبيلتي الشياظمة ومتوگة، بعد ما كانت أولاد أبي السباع تقسم مع مزوضة معا، معللا ذلك "فإن الكلف غير هذا كثيرة، يطالبوننا به في كل كلف حدثت بعد"(501).

يظهر من كلام السباعي، أن الخليفة كان يتصرف أثناء وجود الحركة، بالمنطقة بطريقة أخرى، تقتضيها السرعة في القيام بالمهام، فكان على ما يظهر يكلف القبائل، دون الرجوع إلى مواثيق التعامل معها، لكن السباعي يخشى أن يترتب عن هذا العمل الاستثنائي، سن قانون جديد، يخالف القوانين الرسمية، المعمول بها في تقسيم الكلف، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي.

إن هناك تقسيما آخر للكلف بالدير، وذلك ما كشف عنه ما أمر به الخليفة من أداء كراء جمال نقلت الكمانية(502)، إلى محلته ببوريقي، فصدرت الأوامر لكل من أبهي، والسباعي، والحنشاوي، بأداء كراء تلك الجمال.

لقد كان نصيب أبهي، "ثمانون وأربعون مثقالا، الواجبة علينا نحن والسباعي، والحنشاوي، في مائة وعشرين مثقالا كراء عشرة جمال"(503).

وأما نصيب السباعي من ذلك الكراء، فكان "أربعة وعشرين مثقالا، التي نابتنا مع خديم سيدنا الحنشاوي، والحاحي، في مائة وعشرين مثقالا، كراء خمسة

497) رسالة عبدالله بن بلعيد السباعي إلى الخليفة بتاريخ 14 رجب 1290/ 7 شتمبر 1873. خـ. حـ. ر.

498) ن. ر.

499) ن. ر.

500) ن. ر.

501) ن. ر.

502) الكمانية : حبال تشد بها قبة الخليفة.

503) رسالة عبدالملك أبهي إلى الخليفة بتاريخ 20 جمادى الأولى 1290/ 16 يوليوز 1873.

عشر جملا"(504). فقد احتلف مع أبهي في عدد الجمال، لكنه اتفق معه في مبلغ كرائها.

يستنتج من هذا، أن أبهي أدى ثمانية وأربعين مثقالا، والسباعي أربعة وعشرين مثقالا، والباقي ثمانية وأربعون مثقالا، أداها الحنشاوي، فتكون الشياظمة بذلك تماثل حاحة في أداء الكلف.

يظهر أن الخليفة، وضح لأبهي الحديث العهد بالسلطة(505)، في "بيان إخراج مجاط" 506 من الكلف، "فإنهم يكلفون معهم المنابهة، وءال سوس، إذا كانت المحلة، في القطر التادلي ونواحيه"(507). مما يفيد أن أسيف المال، كان نقطة الفصل بالنسبة للسلطة المركزية، في توزيع الكلف، فتضم مزوضة إلى القبائل الواقعة غربه، في تحمل المسؤوليات، ومجاط إلى القبائل الواقعة شرقه، مراعاة لاندماج مصالح كل طرف مع جهة من الجهات، فتكون القبائل الواقعة غرب أسيف المال إلى المحيط، تعامل على أساس وحدة كبرى، بتقسيم الكلف فيما بينها، كما تشترك في المصالح المتعددة، والتي تقع شرق الوادي، تعامل أيضا بالمثل.

3 ـ استغلال الحركة لتصفية الحسابات، بين الأجهزة السلطوية المحلية و المتهمين بالتمرد :

لقد كانت حركة حاحة، تستهدف علاج المشاكل، الناجمة عن ثورة حاحة، على الأجهزة السلطوية بها، ذلك التوتر الذي بدأت آثاره تهدد بالامتداد إلى القبائل المجاورة، وقد رأينا أن من أهداف الحركة، الحيلولة دون ذلك(508). فكان

504) رسالة عبدالله بن بلعيد السباعي إلى الخليفة بتاريخ 22 جمادى الأولى 1290/18 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.
505) راجع تعيينه ص 378.
506) ن. رسالة أبهي.
507) ن. ر.
508) راجع أهداف الحركة ص. ص. 369- 373.

مـن الطبيعـي، أن تحس الأجهزة السلطوية بالاطمئنان، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربـي، لما حضـرت الحركـة إليهـا. لكـن رافـق حضورهـا، تجنيـد أعداد كثيرة من السـكان للمشـاركة فيهـا، مما يسـهل خلـلا فـي التنظيم الاجتماعي والأمني، القائم علـى مجموعـة مـن العوامـل المحليـة، شديدة الحساسية، فكل تغيير فيها يخلق فراغا، يمكـن أن تتحرك فيه قوى غير مضبوطة، في هذا الاتجاه أو ذاك. إما دعما للسلطة أو خروجـا عنهـا، بـل تفتـح مجـالا لإمكانـات الانتقامـات وتبـادل الثـأر، وتصفيـة الخصومـات المزمنـة. وذلـك مـا حـدث بالقبـائل المجـاورة لحاحة، خاصة منها القبائل المواليـة للمنـاطق الجبليـة، التـي يسهل فيها تحرك الفئات المنشقة، عن السلطة المحلية. والاحتجـاج عليهـا. كمـا أن هـذه الوضعيـة اسـتغلتها أيضـا، الأجهـزة السـلطوية لتضخيـم تلـك الأعمـال، كوسيلة لإطفـاء شـرعية الانتقـام، ونيـل مساعدة السلطة المركزيـة، معنويـا وماديـا. وذلك ما حدث بكل من دويران، ونفيفة، وامتد الأمر إلى رغبة المتوگي توجيه حمية مسلحة ضد إداوزيكي.

3 - 1 - الشيخ مبارك الدويراني والمنشقين عنه :

لقـد كـان الصـراع مزمنـا بـين الشـيخ مبارك الدويراني، وجماعة من دويران. وكـان ولـد الخضـر مـن المتورطين في تشجيعهم، والذي كان يلقى الدعم من القائد إبراهيـم الاجـراوي، صهره المتولى على المنطقة الجبلية، بما فيها دويران(509). وتجـدد هذا النزاع إبان الحركة إلى حاحة.

لما نزلت الحركة بشيشاوة (510)، برفقـة عمـال وشـيوخ منطقة طرفي الأطلس الكبـير الغربـي، حـدث عمـل إرهـابي، قـامت بـه جماعـة مـن أتبـاع ولـد ابراهيـم الأجـراوي بإيعـاز منـه، مـع جماعة من سكساوة، ضد الشيخ مبارك الدويراني، فقد "حملـوا خزانتـه مـن الموضـع الـذي نـزل فيه بها"(511)، إهانـة لـه، وسـاندهم ولـد

509) راجع صراع الدويراني وولد الخضر، ص. ص. 276- 278.

510) راجع نزول الحركة بشيشاوة. ص. 375.

511) رسالة عمر بن سعيد المتوگي إلى الخليفة بتاريخ 4 ربيع الثاني 1/1290 يونيه 1873. خـ. حـ. ر.

الخضر، الـذي لم يقف عند هذا الحد وإنما "لما عزموا أن يفعلوا له تلك الفعلة، بعث لبعض فساد دويران، حتى حضروا ما وقع بولد مبارك الدويراني"(512).

لقـد كان لذلك العمل الإرهابي، تأثير على مرافقي ولد الدويراني من الحراك، لأن "كـل مـن رأى مـا وقـع بـه من إخوانه الذين نزلوا معه، هرب في تلك الساعة، حتى لم يبق معه إلا إثنان من أصحابه لا غير"(513)، وذلـك مـا بلغـه المتوگي المدافع عـن الدويرانـي، للخليفـة، مبينـا الأضرار التي لحقت بسمعة الشيخ محمد بن مبارك الدويراني، مما سماه الفضيحة(514)، وسـط حـراك قبـائل الديـر، لأنهم "عملوا له ما يسمعون الفساد ويزعمون به، ويدهشون بذالك من معه"(515).

لقـد استغل المتوگـي هـذا الحادث للتشنيع بالفاعلين، وفي نفس الوقت لتقديم طلـب للخليفـة، مضمنه إن كانت مشاركة الدويراني بحركته، "بإذن من مولانا فلم يبق له قول فيها"(516). بمعنـى إذا كـان الأمـر صـدر له من السلطان، فهذا لا سبيل لتغييره، وإن كـانت "حركتـه بنفسـه"(517)، فـالمطلوب مـن الخليفـة، "تـأخيره مـن الحركة هو وإخوانه الباقين معه"(518)، علـى أساس أنه تعهد بدفع مقابل مالي، "فقد أنعـم بألفين مثقالا يعطيها، وأنا ضامنها عليه"(519) وبذلـك يتدخـل المتوگـي، حتـى يتمكن الدويراني من التخلف عن الحركة، بحجة ما وقع له من الإهانة من خصومه.

وإذا تعـذر هـذا الحـل، يقترح المتوگي حلا آخر، "إن لم يجد تأخيرا للحركة، فـالمطلوب مـن سيدي، يـأمر له بالرجوع لداره ويعمرها، ويوجه خليفته، لأنه ما قط

---

512) ن. ر.

513) ن. ر.

514) ن. ر.

515) ن. ر.

516) ن. ر.

517) ن. ر.

518) ن. ر.

519) ن. ر.

حرك بنفسه"(520). ثم يتعلل بأن خصومه، "علم سيدي ما هو غرضهم فيه"(521)، ولم يقف المتوكي عند هذا الطلب، وإنما ألح على الخليفة، بالجواب "وما اقتضاه نظر مولانا يجاوب لنا به، كي نبعث رقاسا لولده بالبلاد، يطمئن قلبه"(522).

إن هذا الحدث الذي وقع بالحركة قرب الخليفة، يحتمل تأويلات مختلفة، قد يكون بعضها مزاحا، في وسط كانت له تصرفاته الخاصة. وقد يكون له بعد آخر، وهو الذي حاول المتوكي تضخيمه للتأثير على الخليفة، لإعفاء الدويراني من المشاركة في الحركة، بدعوى التأهب لخصومه. هذا الطلب الذي يبدو أن الخليفة وافق عليه بتوجيه الدويراني إلى داره، استعدادا للطوارئ.

يظهر أن المنشقين عن السلطة المحلية بالمنطقة، كانوا يتتبعون خطوات الحركة. فلما شرعت في التوغل داخل حاحة، لمواجهة إمْگَراد، أوائل شهر جمادى الأولى 1290/ يوليوز 1873، استغلوا انشغالها، فقام فريق من منشقي متوگة، ونفيفة، ودمسيرة، وسكساوة، "معاونين دويران على فساد شيخهم، ولد مبارك الدوراني ومن انضم إليهم، حتى أخرجوه ورجعوا"(523) إلى أماكنهم.

لقد دلت هذه التحركات، عن نوع من الصعوبات، التي كان على الحركة، أن تواجهها، ببروز مشاكل جانبية، أخذت تزعزع الآمن بالمنطقة برمتها، ولذلك سرعت السلطة المركزية لاحتواء قضية المنشقين.

فقد أصدر الخليفة الأمر للمزوضي، بالتوجه لصد المهاجمين على الدويراني(524)، الذي انطلق من الحركة يوم الأحد، وسار طيلة الليل، ولما وصل في الصباح طرف قبيلة متوگة، "من ناحية القبلة فلقينا الخبر وأن ولد مبارك

---

520) ن. ر.

521) ن. ر.

522) ن. ر.

523) رسالة عمر بن سعيد المتوكي إلى الخليفة بتاريخ 13 جمادى الأولى 1290/ 9 يوليوز 1873. خ. ح. ر.

524) ملخص بتاريخ 13 جمادى الأولى 1290/ 9 يوليوز 1873، كناش 47.

خرج، والمفسدين دخلوا على الدار يوم السبت"(525). مما يبين أن الإيقاع بالدويراني، حدث قبل انطلاق المزوضي، الذي واصل سيره حتى خيم عند المكان المسمى بالقهرة(526)، مع "خليفة الاتيكي فتلقينا مع خليفة السباعي"(527)، وأبلغ الخليفة بما وقع، في انتظار ما يكون عليه الأمر.

وأما السلطان لما أبلغه الخليفة، خبر الهجوم على الدويراني، وبما اتخذه من إجراءات، فإنه أجابه "قد أصبت، وها نحن كتبنا للمزوضي، والسباعي، والمجاطي، بصدهم بإخوانهم"(528). فأنهى المزوضي للخليفة، بأنه توصل بالأمر السلطاني وأنه "فقد نهضنا بالنزول في المحل الذي أمر به، وحيث يقضي الغرض أن شاء الله، نرجع للحركة"(529). وبذلك جندت السلطة المركزية قوة قبلية للدفاع عن الدويراني.

يظهر أن التوتر كان ما يزال مستمرا، بين الدويراني وخصومه، مما يجعله يشرح للخليفة، حقيقة المناهضة له، بأن "ما وقع بنا كله، إلا لأجل خدمتنا"(530)، مبينا بذلك أن تعرضه للانتقام من المنشقين عنه، إنما لما يلزمهم به، من أعمال مخزنية، قد لا يحتملونها، فينسبونها له، فلذلك يطلب منه أن "لا يأمن كلام الغير" (531) فيه. كما أبلغه أنه، "وجهت على يد خديم سيدنا الحاج عمر المتوكي، ما وجدته من الذي تكفل به علينا"(532). مما يبين أن رجوعه إلى داره من قبل(533)، كان قد تم بناء على قبول اقتراح المتوكي، بدفعه قسطا من المال، قد

---

525) رسالة المزوضي إلى الخليفة بتاريخ 15 جمادى الأولى 10/1290 يوليوز 1873

526) القهرة تعني المكان الذي أقام فيه المرينيون قلعتهم المشهورة تحريف القاهرة.

527) ن. رسالة المزوضي

528) ن. ملخص الرسالة كناش 47

529) رسالة أحمد بن علي المزوضي إلى الخليفة بتاريخ 16 جمادى الأولى 1290/ 12 يوليوز 1873. خ. ح. ر.

530) رسالة محمد بن مبارك الدويراني إلى الخليفة بتاريخ 22 جمادى الثانية 17/1290 غشت 1873. خ. ح. ر.

531) ن. ر.

532) ن. ر.

533) راجع ص. 485.

يكـون هـو ضامنـه، والـذي بـدأ فـي تسـديده. لكن يظهر أن الدويراني، ما زال في صـراع مـع خصومـه، فجـدد طلـب المسـاعدة مـن الخليفة، بمده ب"حركة المتوكي وحركة السباعي تعيننا بهـم"(534).

يبـدو أن اسـتمرار الانشـقاق عـن الدويرانـي، طيلـة فـترة الحركـة، لـه أسباب عميقـة، حـاول الدويرانـي والمتوكـي طمسـها، باتهـام أطراف متعددة بمد الدعم من المنشـقين بالقبـائل الأخرى، كسكساوة، ونفيفة، ودمسيرة، ومتوگة، وسعى المتوكي للتشـنيع بهـم، وبأعمـالهم، بأن اتهمهم بأنهم بعد ما أوقعوا بالدويراني، ورجعوا إلى المنطـقة الجبليــــة، "اقتسمـوا نصفــين، نصـــف دار بالنـزاهة فــي نفيفـــة، ونصف بدمسيرة"(535)، بـل اتهـم فريق المنشقين من متوگة، بأن صار "ينهب أموال الحاركين معنا"(536)، بعدما توجه معظم الحراك إلى الحركة.

يظهـر أن المنشـقين عـن المتوكـي، كـان منهـم ولـد أجَـرْ عَـامْ، الخصـم التليد للمتوكيـين. وكـان قد عاد للقبيلة منذ تولية عمر المتوكي(537). فـي انتظـار الفرصـة لتحركه، وذلك ما توفر له إبان الحركة(538).

خلـق تحـرك المنشـقين، الفـزع لـدى الأعيـان، الذيـن كـانوا مـع المتوكـي، في الحركـة، لمـا يقومـون به من الأعمال التخريبية، "لم يرضوا ما يسمعوه، فنهيناهم عن ذلك وأمرنا هم بالتأني"(539)، لأنه أبلغ الأمر للخليفة والسلطان.

لقـد بـين المتوكـي المنشـقين، كـأنهم مسـتخفين بظروف الحركة، التي تقتضي تجنيـد الجميـع، ممهـدا بذلـك السـبيل للكيد بهم، بموافقة السلطة المركزية، وذلك ما

534) ن. ر.

535) رسالة المتوكي إلى الخليفة بتاريخ 13 جمادى الأولى 1290/9 يوليوز 1873. خـ. حـ. ر.

536) ن. ر.

537) راجع صراع أجرعام مع المتوكي. ص. ص. 279- 280.

538) ملخص رسالة بتاريخ 20 جمادى الأولى 1290/16 يوليوز 1873. كناش 47.

539) ن. رسالة المتوكي.

تحقق له، فما أن وصل السلطان "ما تشكى به المتوگي من فساد إخوان ولد أجر عام"(540)، حتى "أمر مولانا بالكلام مع قواد دمسيرة ونفيفة بإخراج الفساد المذكورين من بلادهم أو القبض عليهم"(541). وذلك ما كان المتوگي يسعى للوصول إليه، وهي وضعية كانت نفيفة تعيش مثيلا لها.

3 - 2 - *النفيفي والمنشقين عنه :*

لم تسلم قبيلة نفيفة، الواقعة بين دويران ومتوگة عن التوتر، أثناء الحركة. ذلك أن عاملها إبراهيم بن حم زيدان، يتهم شخصا يدعى يدُّرْ بلحاج بالانشقاق، وزرع الاضطراب في القبيلة، هذا الشخص الذي يذكر أن داره توجد مجاورة لمتوگة"(542)، والذي يجد الدعم من المتوگي، فأرسل له قوة مكونة في البداية من "اثني عشر رجلا من إخوانه ءال مْزْدي، يعمرون داره"(543)، وإن هذا الشخص أخذ في تشييد التجهيزات، ب"بناء الأبراج وحفر المطافي"(544)، استعدادا للطوارئ. وأضاف أن المتوگي، "بعث له مالا له بال وبارودا ورصاصا يفسد بهم القبيلة، ويدخلها بالنميمة"(545).

لم يقتصر النفيفي على هذه الاتهامات، التي تدخل ضمن الصراعات والمنافسات بين القوى النافذة بالقبائل، وإنما وجه ليدُّرْ بلحاج، اتهامات تمس مقصد السلطة المركزية، وعملها الذي جندت له المنطقة كلها، بأن اتهمه بخلق الاضطراب في القبيلة، مما ينال من مجهودها في الحركة.

---

540) ن. ملخص الرسالة.

541) ن. الملخص.

542) رسالة إبراهيم بن حم زيدان النفيفي إلى الخليفة بتاريخ 4رجب 1290/ 7شتمبر 1873. خ. ح. ر.

543) ن. ر.

مَزْدي : مجموعة من الدواوير من متوگة وتقع شرقها محاذية لفرقة إمْزْناسَنْ من قبيلة نفيفة، وتقع تلك الدواوير على الدير.

544) ن. ر.

545) ن. ر.

فقد أخذ ذلك المنشق، يشيع ما يقوم به من أعمال، فاتجه أخوه مع جماعة من متوگة إلى موسم مزوضة، "ليروه من خف عقله في القبيلة"(546)، افتخارا بمقاطعتهم المشاركة في الحركة، وخاصة أنه مع أخيه "واولاد عمه سبعة تخلف عن حركة سيدنا"(547)، بل اتهمه بأنه "يقول لهم [القبيلة]، لو كان للمخزن شأن، لما تخلفنا عن الحركة، وعمرت داري بالجيران متوگة، ولم يحدث لنا شئ"(548). وهو دعم لم يتوقف على الرجال والعتاد، إنما أيضا "مال المخزن يبعته له المتوگي، بلا حساب ولا عدد يفسد به"(549)، استعدادا لعمل أدهى ذلك بأن اتهمه أنه "عزم مع متوگة على البارود، وقطع السبيل لمن أراد السلوك لحركة سيدنا من القبيلة"(550)

يظهر من هذه التهم، أن المنشق عن النفيفي، صار يطعن في عمل المخزن، ويسعى للتشويش على الحركة بقبيلة نفيفة، حتى أصبح المجاورون له "ءال مَزْناسَه من أجله، يريدون التخلف عن الحركة، خوفا بعرض أولادهم وسرق متاعهم ليلا"(551). وإن النفيفي ما فتئ يطمئنهم مبلغا بذلك الخليفة، وخاصة أنه هو نفسه، "في الحركة غائبين، فهذا ومعاونه عزموا كل العزم على الفساد، والنظر لسيدنا"(552). وكأنه يحمل للخليفة المسؤولية المباشرة، في حماية قبيلة نفيفة، من أي اضطراب يخلق البلبة لدى الحاركين منها. إن هذه الاتهامات، سواء صدقت أو حرفت، تفيد أن هناك قوى، كانت تعمل لعرقلة السير العادي، لتجنيد كل قوى القبيلة، كما يمكن أن تحتمل على أنها تمهيد السبيل، للنيل من المنشقين

---

546) ن. ر. والموسم المشار له هو الموسم الذي ينعقد في شهر غشت حول زاوية سيدي احمد بن علي النحلي قرب سوق سبت مزوضة وهي الآن مقر جماعة مزوضة.

547) ن. ر.

548) ن. ر.

549) ن. ر.

550) ن. ر.

551) ن. ر.

مَزْناسَة : فرقة من قبيلة نفيفة تقع غربها، ويخترقها وادي يسمى أمْزْناسْ، وفرقة أمزناس تحاذي متوگة، وتوجد بها مدرسة تَالَمْسْتْ العتيقة وهي من المدارس المشهورة بمنطقة الدير.

552) ن. ر.

عن النفيفي، مستغلا تهمهم بالمس بسلامة ظروف الحركة، مما يسهل له العمل للتنكيل بهم بموافقة السلطة المركزية.

3- 3- المتوگي وإداوزيكي :

لقد كان المتوگي يتهم إداوْزيكي بعدم الانضباط، قبل أن يتولى عليهم، لتراخي أبهي، وكان ذلك من جملة أسباب توليته عليهم(553) منذ أواخر سنة 1871/1288 ، ويظهر أنه كان ينتظر الفرصة للتنكيل بهم، مما أتيح له لما قدمت الحركة إلى حاحة، وبذلك لم يتردد في استغلالها.

يبدو أن سعي المتوگي للحصول على الإذن، بتوجيه الحركة إلى إداوزيكي كان يكتنفه الغموض، إلا أنه يستفاد مما يتوفر من المعلومات، أن المتوگي كان مصرا على قصده، على مدى شهري جمادى الأولى والثانية من سنة 1290/ يوليوز وغشت 1873 أثناء الحركة.

لقد كانت السلطات المركزية مترددة في الموافقة، ذلك أنه رفع للسلطان الأمر في شأن، ما طلبه "المتوگي من توجيهه لإداوزيكي"(554)، فجاء الرد للخليفة، "أمر مولانا بمساعدته في ذلك"(555)، وبذلك يكون السلطان موافقا على توجه المتوگي شخصيا كما يفهم من طلبه.

يظهر أنه حدث عارض يمنعه من التوجه، فتوصل إلى اتفاق بينه وبين الخليفة، ببوريقي ببقائه هو في الحركة، وتوجيه خليفته. هذا الأمر الذي رفع إلى السلطان، "أن الاتفاق انبرم مع المتوگي، على توجيه خليفته لإداوزيكي وبقائه هو بالمحلة"(556)

---

553) راجع ظروف تولية المتوگي على اداوزيكي. ص. ص. 226- 230.

554) ملخص رسالة بتاريخ 23 جمادى الأولى سنة 1290/ 19 يوليوز 1873. كناش 47.

555) ن. ر.

556) ملخص رسالة بتاريخ 9 جمادى الثانية سنة 1290/ 4 غشت 1873. كناش 47.

يبدو أن السلطان لم يقبل هذا الأمر، أو أنه استغله للتراجع عن الإذن بالمرة للمتوگي، فكان جوابه بأن العمل "على ما اقتضته المصلحة كما ذكرت"(557)، مما يبين أن الخليفة نفسه لم يعد مقتنعا بتشتيت القوة في عمليات جانبية، قد لا تخلو من المغامرة. وخاصة أن قبيلة إداوزيكي، تقع بعيدة داخل منطقة حبلية، فليس الأمر كدويران، ومتوگة، التي يسهل التحرك إليهما من مكان الحركة.

ولقد التزم الخليفة الصمت، تجاه المتوگي، الذي كان ما زال عازما على قراره، فأنهى له "أنا كتبنا لمولانا على توجيه خليفتنا، مع ما يكفي من الحركة لدوزيكي، كما قدم الإعلام لسيدنا، وانتظرنا الجواب، هاذه أربعة أيام ورجع الرقاس بلا جواب، جعل الله المانع خيرا"(558). ويعني سكوت السلطان عن المتوگي، الرفض لما ينوي القيام به، أو تأخيره إلى حين آخر. وذلك ما أدركه هو أيضا وعبر بلفظ المانع.

لم يقتنع المتوگي بموقف السلطان، فصار يلح على الخليفة "والمطلوب من سيدنا إذنه الشريف، بالعزم على هذا الغرض، كي لا يقع التماطل"(559)، محاولا بذلك تجاوز السلطان، والحصول على الإذن، من الخليفة الذي سبق أن اتفق معه، على إرسال قوة مع خليفته إلى إداوزيكي.

يبين هذا التصرف من السلطة المركزية، أنها لم تكن تساير أهواء العمال، حتى بعد ما صدر الإذن من السلطان، وحصل الاتفاق بين الخليفة والمتوگي، على الشروع في إرسال جزء من الحركة إلى إداوزيكي، فإن التنفيذ وقع تأخيره أو الغاؤه. ربما لصعوبة إمكانية التحرك في عدة اتجاهات، وخاصة إذ تعلق الأمر، بالعمل في أماكن غير مأمونة النتائج، كالزج بطرف من الحركة بإداوزيكي.

لقد كانت الحركة وسيلة أخرى في منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، للكشف عن عدة ملابسات، منها ما يمس سيادة السلطة المركزية، على المنطقة

---

557) ن. ر.

558) رسالة عمر بن سعيد المتوگي إلى الخليفة بتاريخ 18 جمادى الثانية 1290/ 13 غشت 1873.

559) ن. ر.

كلهـا، كما توضح ذلك في تعاملها مع إداوتنان، أو التي تمس مسألة توزيع الكلف، بـين قبـائل طرفـي الأطلس الكبير الغربي، أو التي تمس تصعيد الصراعات المحلية، بين أجهـزة السـلطة والقـوى المحليـة. فـبرزت بذلـك أسـاليب متعـددة تعتمدهـا السـلطة المركزيـة، سـواء للمشـاركة فـي تعزيـز قراراتهـا، التي يظهر أنها كانت تنال القبول، كمـا حـدث لإداوتنـان، أو مراعـاة خصوصيـات الشراكة في كل المصالح، لتسهيل قبـول التحمـلات، أو منـاصرة الأجهزة السلطوية، ولكن ليس بشكل تلقائي، بل قد تتمـانع عـن تلـك المنـاصرة، إذا تبين لها نوع من المجازفة كما حدث للمتوگي، على أن كل ما بينته هذه الأحداث، ضرورة الرجوع إلى السلطة المركزية ونيل موافقتها.

لقـد جـاء توقـف الحركـة بصفـة فجائية بوفاة السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان، في 18رجب 1290/ 11شتمبر 1873هـذا الحـدث، الـذي تبعه صدور الأمر ب"نهوض المحلة"(560) عن حاحة في 24رجب 1290/ 17شتمبر 1873.

ويصعـب صياغـة خاتمـة ملمة بالوضعية الاجتماعية لحركة حاحة، لما اتسمت بـه العلاقـات، فيمـا بـين السـلطة والسـكان مـن التعقيد، ولما عرفته من تناول قضايا مختلفـة، تمـس آليـات التعـامل، لكـن الشئ الأساس، الذي كشف عنه، تناول تلك القضايـا، هـو المشـاركة الواسـعة للسـكان، كما أن الشيء الآخر الذي كشفت عنه الحركـة، أنها رغم تجنيد قوى متعددة، سواء القبلية المتطوعة، أو النظامية، فإن كل ما تـردد فـي الوثـائق المعتمـدة، لدراسـة تلـك الحركة، لم تتحدث عن القتل، إلا بالنذر اليسـير، عنـد نقـط محـددة، سـرعان مـا تتجـاوز لـيرجع الأمـر إلـى تبـادل التهديد والـترغيب، بحيـث أن طغيـان الأسـاليب السـلمية، كان مهيمنا على الحركة، ومثال علـى ذلـك، أن انتقال الحركة من إمْگَراد إلى إداوْگَلُّول، أحيط بالأبهة والضيافة من القبيلـة، وبـالحرص علـى الاحـترام مـن كـل عناصر القيادة، وهذا لون آخر للحركة، التـي تفيـد باسـتمرار، عـبر كل الكتابات، التنكيل، والتخريب، والقتل. لكن ما أثبته

560) رسالة علي بن مبارك الدمسيري إلى الخليفة بتاريخ 24رجب 1290/ 17شتمبر 1873.

التتبع لحركة حاحة يوما عن يوم، ومن أطراف متعددة، أن الصراع كان خطابيا، أكثر منه دمويا، حتى إنه قد نذهب إلى تشبيهه بنوع آخر من الصراع الحضاري.

صحيح أن مجرد وجود تلك القوى الهائلة، كاف لخلق الإرهاب، لكن ما رأيناه من أعمال جانبية وبقبائل مجاورة، من صراع فئات منها مع الأجهزة السلطوية، قد يفيد أيضا أن ذلك الحضور، لم يكن يرهب الجميع، سواء صحت الاتهامات أو حرفت.

ذلك ما يمكن استنتاجه بصفة عامة، سواء تحققت أهداف الحركة، التي نهضت من أجلها، أم لم تتحقق، فإنها على الأقل كشفت عن جوانب متعددة، من علاقات السلطة والسكان، في ظروف متوترة، بينت أن الجميع، يحاول فيها الدفاع عن مكتسباته، الدولة عن جباياتها، والسكان عن سلامة معاشهم.



الخاتمة

إن صياغة خاتمة مقنعة، عن فترة الستينات من القرن التاسع عشر، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، يظهر أنها محفوفة بالمزالق، خاصة أن الهدف العام من دراسة تلك الفترة، يكمن في محاولة لرصد العلاقات، بين السلطة والسكان، والتي تعتبر السلطة المحلية العنصر المباشر فيها.

وإذا كانت الغاية، من صياغة خاتمة هو الوصول إلى استنتاجات، قد تأخذ أحيانا أبعادا تثمينية، أو أبعادا استكشافية لبعض أدوات التحرك الدائم أو العارض، فهل يمكن أن تصاغ بناء على دراسة ظواهر محدودة، زمنا ومكانا؟ زمنا لا يزيد عن عشر سنوات، 1863/1280- 1873/1290. ومكانا، عبر جزء ممتد، من الأطلس الكبير الغربي، وخاصة سفوحه الشمالية الغربية. وإن أخذ هذا الأمر بالاعتبار، يحد من إمكانيات صياغة نتائج ذات الصفة التأكيدية، وخاصة إذا أضيف إلى هذا كون ما يعتمد عليه، ليس سوى عوامل متداخلة، من أسلوب تنظيم الحياة، ألغتها أساليب أخرى، جاءت بعدها، وبشكل عنيف، كما حدث في النصف الأول من القرن العشرين، فيزيد ذلك من حجب وضوح الرؤية، إلى تلك الأساليب السائدة من قبل.

وإن كل هذه الحيثيات، تفتح الباب بحذر، لصياغات تحتمل تفسيرات، إما تأكيدية أو انتقادية، أو كلاهما. ومع ذلك فهي صياغات قد لا تخلو من فائدة تاريخية.

لقد كانت منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، بمقوماتها العامة، التنظيمية، السلطوية والاقتصادية، مرتبطة بإطار عام، لعبت فيه السلطة المركزية، دورا هاما. كما لعبت فيها القوى الاقتصادية، سواء المحلية بين السكان، أو المتجهة نحو الخارج أو منه، عبر الصويرة دور التنشيط. فانعكس ذلك على تصرفات واسعة، تضمنتها المصادر المعتمدة.

يبدو أولا، من الناحية المنهجية، أن طرح الموضوع يقتضي محاولة صياغة رؤية حول الإطار، الذي يحتمل أن الأمور، كانت تتم فيه، والذي يمكن التجرؤ على تسميته، بنمط الإنتاج الشتات، الذي يتميز باحتفاظ السكان، إلى حد، بالتصرف في إنتاجهم، عملا واستهلاكا. وهو نمط يخالف ما آلت إليه التصرفات العامة، في أنماط أخرى، تتسم بمركزية الإنتاج، وما يرافقها من حرمان الأغلبية، من التصرف في إنتاج يسهمون بحظ وافر فيه. لكن يبقى المقترح في حاجة إلى توسعة أكثر، اعتمادا على إفراز أكثر لتصرفات أوسع، زمانا ومكانا.

أما الملاحظة الثانية، فتدور حول ما يمكن استنتاجه، من مواكبة تطور منطقة تمتد من المحيط إلى أن تتوغل داخل الأطلس الكبير شرقا، عبر سفحيه الشمالي والجنوبي، وعبر وسطه، بوديانه وهضابه، وما تسمح به، من استمرارية للحياة. أقول، إن مواكبة تطورها عبر فترة طويلة من الزمن، من ما قبل الإسلام، إلى بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، سمح بشيء أساس، هو حضورها على مسرح أحداث، لها انعكاسات على مسار الدولة بالبلاد، فتأسست بها الدولة الموحدية، وساندت السعدية، ودحرت محاولة الاستقرار البرتغالي، وعارضت المرابطين والمرينيين، ووقفت بشكل حيادي، أثناء صراعات القرن السابع عشر، لكن من جديد كان لها دورفي الاستقرار، منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، باحتضان المركز التجاري البحري الهام، حينما أُنشئت الصويرة، فاتحة الباب لبناء علاقات خارجية، ما فتئ دورها يتزايد عبر القرن التاسع عشر، فكان للمنطقة في نصفه الأول، دور تزعمته قيادة أيت أبهي بحاحة، بقائديها، عبد الملك أبهي وعبدالله ابنه وخلفه، ودلت مشاركتهما في الأحداث العامة، على مكانة المنطقة

خاصة في دعم السلطة المركزية. ولايتأتى مثل هذا الحضور، لمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي عبر تلك الفترة الطويلة من الزمن، إلا لوجود إمكانات طبيعية، تسهل الاستغلال البشري الدائم في مجالات الإنتاج.

يبدو أن الملاحظة الثالثة، يمكن بلورتها، في مجموعة من القضايا العامة، التي عرفتها المنطقة في عشر سنوات التي حصر فيها الموضوع، الموافقة لأعوام الستين، من القرن التاسع عشر، وإذا كان ما وقع الحديث عنه، ينظر إليه بشكل قد يمكن اعتباره أفقيا، فإن ما يمكن استنتاجه من العشر من السنين المدروسة، يكون اعتباره عموديا. كان فيها تتبع بعض القضايا، بكل ما تسمح به الأدوات المعتمدة من التعمق. وإن هذه النظرة العمودية، سمحت باستنتاج وجود نوع من التصرف الدقيق المراقب، خاصة بين السلطة المركزية والمحلية، وذلك بدون شك ينعكس على الحياة السكانية المحلية.

ولقد يمكن استنتاج أن التواصل بين السلطتين، خاصة المحلية، كانت له مرجعية سلطوية توجهه، ذلك ما ظهر في العلاقات التنظيمية السلطوية التنفيدية من عمال وشيوخ، حيث لم يكن أي قرار لهيأتها، إلا بمراجعة السلطة المركزية، لكن ذلك التواصل لم يغفل فيه دور السكان، مما يجعل شرعيةالاعتراف، مرهونة بسلوك تلك الأجهزة أمامهم.

لقد ازدادت أهمية الشرعية، خصوصا لما تعلق الأمر بالجباية، ذلك أنها كانت مقيدة بشرعية أعلى منبثقة من الشرع الإسلامي، الذي كان الإطار المرجعي العام للدولة، فلذلك سيجت أموال الناس، إلى حد، إلا بما تسمح تلك الشريعة بأخذه منها، فاحتاجت الدولة من حين لآخر لخلق أسباب، تمكنها من الوصول إلى الأموال، وذلك ما عرفت منه المنطقة، نماذج في تلك العشر السنوات. إلا أن تلك الشرعية أحيانا تحاول عدة جهات، اكتساب صفة تولى القيام باستيفاءما تبيحه، كما حدث بالمنطقة حينما كان النزاع حول الجباية الشرعية، بين السلطات المحلية ورئيس زارية تامصلوحت، فاضطرت السلطة المركزية لقبول ادعائه، مراعاة لمقاصد الجباية الشرعية، التي منها الانفاق الاجتماعي على الفئات المعوزة. مما يجعل الزوايا

كطرف كامل الأهلية في منازعة السلطة، وتبدو كند لها، فتلجأ إلى استرضائها أحيانا، كما حدث مع المصلوحي.

لقد كانت حاجيات بقاء واستمرار السكان تثير الاحتكاك، مما ينجم عنه صراعات حول الإنتاج، وخاصة أنه، كما ذكرنا، تميز بالشتات، أي بتمنع كل منتج عن التنازل عن حقه فيه، فخلق ذلك نزاعات، همت وسائل الإنتاج، من مياه وأراضي، إلى الإسهام في جزء منه بمراعاة الدولة، والسهر على مرور الفاضل منه، أو المسوق واردا وصادرا، ذلك الذي تمثله التجارة بكل ضرورياتها.

بين ذلك الاحتكاك، بحث كل الأطراف، عن الأساليب للحد من نتائجه الوخيمة، ففي النزاعات التي مست وسائل الإنتاج، كانت مرونة السلطة، في تحقيق التوافق، تذهب من الاحتكام إلى العرف إلى الاحتكام، إلى سلطات قضائية وإدارية، وأما التجارة فقد كانت محاولات للتغلب على اضطرابها، الناتج عن استعمال أدوات مالية أجنبية، تفوق إمكانات البلاد، فاضطربت العملة الوطنية. وتسربت آثارها إلى الجباية، التي تضررت بدورها، فكانت بداية عقدة عجزت السلطة في الفترة المدروسة عن حلها، واللتي عانت منها الصويرة في تلك العشر من السنين.

انضافت إلى الأدوار التي يظهر أنها كانت تقليدية للسلطة، بعض العوامل التي تخلق اضطرابا في السير العادي، والتي تنجم إما عن عوامل أجنبية طارئة، أو إفراط في ممارسة السلطة.

أما العوامل الأجنبية الطارئة، فقد عرفت المنطقة، بداية آثار التسرب الأجنبي، الذي كان يقض مضاجع المجتمع والسلطة، ببلبلة العلاقات بالمنطقة، من الصويرة حتى وادي نون، لكن تصرف كل الأطراف، من السكان والأجهزة النافذة المعنوية والسلطوية، أفشل تلك المحاولة أو على الأقل عرقلها.

وأما الافراط في استعمال السلطة، فقد عرفت المنطقة نماذج في تلك الفترة، حينما انغمست السلطة المحلية في استغلال السكان، الذين رفضوا كل الأساليب، التي تثقل كاهلهم، فنجم عن ذلك، إما سجن العامل كما حدث لمحمد المتوكي، أو عزله كما حدث للمزوضي، ليصل ذلك الرفض الثورة عليه، كما حدث لمحمد أبهي، فبينت تلك الأحداث، أن السلطة المركزية، كانت تتجنب الاصطدام بالسكان، بالانصات إلى شكاويهم، لكن لما تعقدت الأمور، كما حدث بحاحة، ولما ظهر لها أنها أخذت تتجاوز مظاهر الإفراط في استعمال السلطة المحلية، اضطرت لممارسة نوع آخر من العمل السياسي، بانتقالها إلى عين المكان.

وقد تبين من هذه الأحداث الطارئة، الأجنبية أو المحلية، أنها تؤدي إلى عمل كل الأطراف للتغلب عليها، ولو على حساب إحدى الجهات، التي يبرز ضررها، كانت السلطة المحلية أو طرف أجنبي.

تفضي الملاحظة الرابعة، إلى اعتبار أن أهم الأحداث البارزة التي عرفتها منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، هو تنقل الجهاز السلطوي المركزي فيها خلال عشر سنوات، إما عبرها نحو سوس، كما حدث سنة 1863/1280، أو إليها لما انتقل إلى حاحة سنة 1873/1290. ولقد كشف تنقل الجهاز السلطوي في هذه المنطقة والذي دام حوالي سنة في التنقل الأول، وحوالي خمسة أشهر في التنقل الثاني عن عدة استنتاجات يمكن إجمالها فيما يلي :

إن انتقال الجهاز السلطوي، قد يكون إما سلميا، كما حدث لما انتقل إلى سوس سنة 1863/1280، أو لحالة توترية، كما حدث لما انتقل إلى حاحة سنة 1873/1290، وينتج عن اختلاف ظروف التنقل، تنوع في التعامل، لكن الملاحظة الأساسية، رغم ذلك كله، أن توجه ذلك التنقل، كان، تمليه مصلحة مشتركة، بين السلطة والسكان، فلم يلح أي طرف، للوصول بالأمور إلى القطيعة، فإذا كانت مراعاته باهتة في التنقل الأول، فإنها واضحة بل شكلت هاجس ذلك الجهاز في التنقل الثاني .

إذا كـان التنقـل الأول، عني بنوع من الجباية الحبية، في إطار التعاون، فإنه في التنقـل الثـاني، عنـي بنـوع مـن الجبايـة الإجباريـة، كأسلوب لرد الاعتبار له كسلطة فتعـاملت مـع السـكان بنـوع مـن الـتراضي في الأول، ونوع من الصرامة في الثاني. لكـن فـي كلا الاجرائين، لم يتنازل أحد من الطرفين، السلطة عن مراميها، والسكان بدورهـم، لـم يقبلـوا تلك المرامي اعتباطا. وإنما كان القبول يتم عبر أجهزتهم المحلية، التـي تشـكلها المجـامع، والتـي راعـت السلطة المركزية مواقفها. وتجلى هذا بوضوح، فـي التنقـل الثـاني، الـذي رغم صبغته التوترية، فإن مراعاة مواقف السكان عبر تلك المجـامع، بـين مركزهـا ضمن أدوات الترابط االسياسي بين الطرفين. وخاصة أن ذلك الـترابط، رغـم مـا اتسـم بـه مـن التوتر، في التنقل الثاني، فإن ما يستنتج منه، أنه لم يلجـأ فيـه إلـى قـوة إذ عـان وتشـتيت وقتـل، إلا لمـا اضطـرت السلطة لتجاوز أدواته السـلمية، أثناء دخول المحلة قبيلة إمْـجْـرَادْ، فاختبرت قوتها، واختبر الثوار تلاحمهم، فمـالت كفة السلطة على كفة الثوار، فعاد الطرفان إلى أدوات الترابط السلمية، التي منها التفاوض، وقد شمل كل الأسباب، التي نجم عنها التوتر بحاحة.

ولقـد مـس التفـاوض فـي العمـق، ضوابـط الأمـن المحلـي، الـذي يستفيد منه السـكان والسـلطة، والتـي منهـا البحـث عن إقرار أسلوب صريح وعادل، في تحمل الكلـف، التـي كـانت السـلطة تفرضهـا علـى السكان، وحرصا على ذلك تم تجديد إحصـاء لقـوى الإنتـاج، فاعتربتـه السـلطة، أسـاس التحمل القبلي، فلجأت إلى إثارة عوامـل نفسـية وانضباطيـة لمصداقيته، وخاصة أن مقياس توزيع تلك الكلف، كانت مرجعيتــه قبـول السـكان بواسـطة تنظيمـاتهم الأساسـية، فيكـون تقسـيم الأتعـاب، جماعيـا في نوع من الفردية الإنتاجية، التي يعبر عنها بالكانون، وهو وحدة تمزج بين العمل الجماعي والفردي، وتلك خاصية من خصائص الإنتاج الشتات.

ويسـتنتج مـن كـلا التنقلـين، أن دوامهما مدة طويلة يرجع إلى بطء السكان، فـي الاسـتجابة لأهـداف السـلطة، فتلجـأ إلـى إقناعهم على مراحل، كما ظهر ذلك خاصـة فـي التنقـل الثـاني، فلـم تكـن السـلطة، تستعجل مراميهـا، كمـا لـم يكـن السـكان، يلبونهـا بسـرعة، فيلجـأ الطرفـان إلـى عامل الزمان للنيل من معنويات كل منهما، وخاصة أن عوامل الإنتاج بدورها تتسم ببطء يراعى فيها الزمان حرثا ورعيـا، وغرسا وتبادلا.

يهتـم الاسـتنتاج الخـامس بمراعـاة إرادة السـكان، التي كانت حاضرة في كل الأحـداث، التـي عرفتهـا منطقـة طرفـي الأطلـس الكبـير الغربي، في تلك العشر من السنين، وهي مراعاة، لا تنبع فقط، من كون السكان قوة إنتاجية، تحتاجها السلطة، وإنمـا لكونهـم قوة عسكرية، تجيشها السلطة عند الحاجة، سواء في العلاقات الردعية بـين القبـائل، كمـا كـان الشـأن فـي عـدة قضايـا، التـي سبق الحديث عنها، أو عند تنقلهــا، كمـا تم ذلك بوضـوح، أثنـاء تنقـل تلـك السـلطة نحـو حاحـة، بـل نجـد أن اقتراحـات ابـن عمـر قـائد الحركة أثناء توغلها بحاحة، كانت تنصب على الاقتصار فقـط علـى القـوة القبليـة، لمداهمـة القبـائل الجبليـة الحاحيـة، لما تتيحه تلك القوة من امتيـازات متعـددة، منهـا سـهولة التجديـد، خاصـة إذا تطلبـت العمليـة مدة طويلة، وبذلـك تكتسـب إرادة السـكان قـوة أمـام السـلطة. تلـك السـلطة التي يحتاج إليها السـكان أيضـا، باعتبار انتظامهم في وحدات شبه مغلقة، والتي هي من سمات نمط الإنتـاج الشـتات، فتحتـاج إلـى أداة تنظيميـة تسـهل الـترابط، بـين تلـك الوحدات، خاصـة عنـد عجـز أدواتها المحلية من عرف، عن تحقيقه. ويفضى هذا إلى أن ضرورة المصلحة المتبادلة بين الطرفين، جعلت كلا منهما لا يجنح للاستهانة بالآخر.

يسـتنتج أخـيرا، أن تحديد موضوع في مكان معين يبدو مهمة صعبة، ذلك أن عوامـل التعـامل فيـه، تضـرب جذورها بعيدا، تاريخيا وجغرافيا، خاصة مثل ما كان عليـه الأمـر، بمنطقـة طرفـي الأطلـس الكبـير الغربـي. فدراسة العلاقات بين السكان والسـلطة، اقتضـى نمـاذج مثلتها الأجهزة السلطوية التنفيذية المحلية، والتي كان فيها، لمتولـي قيـادتي حاحة ومتوكَة النصيب الأوفر، خاصة أن تصرفات أولئك الولاة كان لهـا مـدى واسـع بمتدحتـى سـوس، وهـذا بـدوره يزيـد مـن تعقيـد صياغـة محكمة للعلاقلت السكانية السلطوية، المحدد لها المكان والزمان.

تلـك كـانت بعـض الملاحظـات العامـة، التـي يمكـن اسـتنتاجها مـن الفـترة المدروسـة مـن أعـوام السـتين مـن القـرن التاسـع عشر، بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربـي، والتـي يمكـن عنـد الرجـوع إلـى مدهـا زمانا ومكانا، من استكمال أهميتها أو دحضها.

نماذج من

الوثائق المعتمدة في البحث

إن إيـراد الوثـائق المعتمـدة في البحث أمر متعذر، ولذلك أكتفي بإثبات بعض نمـاذج لهـا. ومعلـوم أن مصـدر هـذه الوثائق هو الخزانة الحسنية بالرباط مع الاعتماد أيضـا علـى بعـض الكنـانيش ككنانش رقم 47 الـذي يلخـص جزءا مـن مراسـلات السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان.

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا وءاله وصحبه

بعـد تقبيل الأرض أمام بساط سيدنا ومولانا أمير المومنين، سلام على شريف مقـام سـيدنا ورحمة الله تعالى وبركاته. وبعد فقد وصلتنا أجوبة سيدنا نصره الله وفهمنا جميـع فصولها وما ذكر سيدنا نصره الله علي القدر الذي يكفي في المحلة، فليكن في كـريم علـم سيدنا وتحقيقه أن القطر السوسي متوقف على الخدمة، لابد له من الحزم والضبـط والقيـام علـى سـاق الجد في أمره بما يتوقف عليه الحال من العدو والعداء وغـير ذلـك ممـا لابد منه، ولايسمع مولانا كلاما غير هاذا، وسيدنا أعرف الناس بهم وبقلـة دينهـم عفـا اللـه عنهـم، وخصوصـا حيث عندهم من يحرضهم على الفساد وإبطـال خدمـة سـيدنا بمال سيدنا جهارا دون حياء من الله ولا مراقبة لعقوبة سيدنا، ولاحـول ولا قوة إلا بالله، وإن كان ما كان فبوجود سيدنا وسطوته تقهر كل ظالم عنيـد بحـول اللـه وقوتـه، وإن ظهـر لسيدنا نظر آخر فنحن عند أمر سيدنا وطاعته. وهاذه عادة أهل سوس مع كل عامل وخصوصا من ينشط معهم ويتبع غرضهم، حتى لاغـوا وزاغـوا وتجـبروا، وكل هذا كنت ذكرته في حضرة سيدنا. وأما ما في كتب الخليفـة مـن ردانـة فـي زيادة سبعمائة من الخيل لاشك أنه غشوم [...] تلك الناحية وأهلهـا وقلـة دينهم، فلابد لسيدي من المدد الكبير، الذي يقطع أثر الفتنة والفساد ان شـاء اللـه، مـع سـعادة سـيدنا. ومـا ذكر لي سيدي على قدومي مع محلة سيدنا فهو الواجـب علينـا فـي خدمـة سيدنا، ولايمكن جلوسنا وراء محلة سيدنا، فالأمر قد بلغ حـده من الفساد، حيث لم يامن أحد على نفسه أن يخرج مع باب المدينة، مابقي أبلغ مـن هـاذا فـي الفسـاد فلم يبق إلا الحصران على المدينة. وقد طالعت كتابك [...] الزمزامـي الفاجر محقين ذلك حيث أوقد وأنشاه بنفسه، إنما يكتب [...] وانه على ساق

الجد فيما كلف وأمر به والزايد عليه إنما هو توطية للكلام متع سيدنا انما مرادهم أن يرفق بـه سيدي ، وأما التحقيق هو لا يقع تسريحه عندهم إلا بالفساد ، ولذلك يمنون سيدنا وهم عند غرضهم الفاسد ، والله لايصلح عمل المفسدين ، وما ذكر سيدي على الفاسد بمهدي وولده وأخوه من توجيههم إلينا فليعلم سيدي أن ذالك [عزم] فاسد من أوله إلى آخر ، ويقطع دابرهم حقيقة بتقطع الفساد لأنهم أذاقوا الولاية بذالك القطر من غير أهلية لذلك ، وكفروا بنعمة الله ونعمة سيدنا نصره الله وخيره الظاهر عليهم وعلى سائر المسلمين . ولذلك قلنا ان علموا عليهم اخوانهم ومن ياوي إليهم من المفسدين وغيرهم أنهم تحت أيدينا يقنط من مايطمعون ، ولانكره قدومهم بالعزم لما ذكرنا لسيدنا ليردوا أهل الفساد عقولهم لأنفسهم أياما لينفرج الحال على أهل المدينة ومن فيها ، والنظر لسيدي . ووصلنا أمر سيدنا على الحركة لخدام سيدنا حاحا فقد كتبنا لهم بوصوله إلينا أن يقدموا علينا ليفرضوا حركتهم ومنونة محلة سيدنا نصره الله ، فالله أسئل وجاه النبي صلى الله عليه وسلم وسعادة سيدنا وبركته ورضاه ان يسهل جميع الأمور ويقضي غرض سيدنا ، ونحن وصفان سيدنا وخدامه وعند أمره ونهيه سلف عن خلف ، بارك الله لنا في عمره سيدنا ونطلب من سيدي صالح الدعاء والسلام في رابع جمادى االثانية عام 1270 كتبه مملوك سيدنا وشاكر خيره عبد الله عبد الملك لطف الله به .

جاء في الطرة ما يلي : " وليكن في كريم سيدنا أن الفاسد محمد أخا سعيد المتوكي وعمهم الفاسد الكبير الأشقر يتحزبون على البارود بيننا وبينهم ، ويسعون

فيه ، ويشيعوه في أهل سوس المشغولين بالفساد ، وتصلهم كتب سعيد بنفسه على يد الفاسد الزمزامي مع سعيد المصلوحي ، وقد بلغني ذالك وحققته من عند اخواننا جيرانهم أهل الجبل من بني زيادة وأيت عيسى ذلك في موضعين ، إما أن يعملوه بينهم وبين جيرانهم بنى زمزم ، وإما أن يحرضوا إذاوتنان الهاربين عندهم ويمدهم بما يحتاجون إليه ، وقد ظهر بعض ذالك وهو أن بعض اخواننا أيت عيسى ، كانوا هاربين عندهم وهم رأس المعاصي ، رجعوا هاذه الأيام نحو العشرون يوما ، وسكنوا بمحل يقرب قبيلتهم أيت عيسى وهو لبني تنانة ، كنا حرقناه وهدمناه في المدة

التـي كنـا فـي الحركة بالجبل ، واليوم رجعوا إليه وصاروا يصلحونه وبقوا وسكنوا به ، وعـاونهم سـعيد المتوكي في إصلاحه بالدراهم واعطاهم البارود والخفيف وهم على نيـة الفساد ، وغضضنا الطرف على ذلك وأمرنا أهل البلاد [...] وحفظ أنفسهم حتى يظهـر مـا كـان ، وعـن قريب يسمع سيدنا هاذا ، ولذلك علمنـا سيدنا ليكـون علـى بصـيرة ويعلـم أن هـؤلاء القـوم جـادين في الفساد في كل جهة رد الله كيدهـم فـي نحورهـم بوجـود مولانا نصره الله وتصل لحضرة سيدنا عدة من الكتب فيطلع علي مافيها والسلام.

من عبد الله أبهى
وبداخله مايوجه له من
المكاتيب من سوس

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله

خديم سيدنا الأرضى الطالب محمد بن عبد الله أبهى سلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله. وبعد، فقد اشتكى خديم سيدنا الحاج عمر المتوكي أنه لما ورد عامل السويرة وأعيانها للتوسط في الصلح بينكما اذعن هو له وانقاد وساعد على الانقياد وتمنعت أنت وصممت، [وواضر نجمت] واحجمت، بل ترصدت الفرصة وأسريت سارية لمدشرين كبيرين من إيالته دمسيرة فصبحتهم وانتهبت جميع ما عندهم وقتلت منهم وأسرت، وعليه فما هذا [أما هذا] أماءان لك أن تقصروترعوى، ولقد طالما أنذرناك ونصحناك وأرشدناك وحذرناك ولم يبق الا أن نعلم سيدنا نصره الله، ونامر بنهوض المحال والتخلية بينكما، على أنه هو لا ملامة عليه لتكرر إذايتك له وتعصبك وكأنه ليس بالملح عليك، والحاصل هذا ءاخر استدعاء عليك مع أنه لم يختلف اثنان من كبير ولا صغير في أنك صرت الآن القابض على ناصية الفتنة الماسك بأزمتها وعليك تدور رحاها، ولاعذر لك في أخذك ثار الرعية فإنها رعية سيدنا نصره الله وهو أيده الله أولى في أخذ الحق لها والانتصار لها، انظر ما فعلت وأنت مغلوب فأحرى وأولوى لو كنت غالبا، فتنبه وتيقظ ولقد أعذر من أنذر وبالغ من حمد والسلام في 8 ربيع الأول النبوي الأنور عام 1288.

خاتم وبداخله
الحسن بن أمير المومنين
وفقه الله.

الحمد لله وحده   صلى الله على سيدنا محمد وءاله

خاتم السلطان وبداخله

محمد بن عبد الرحمان الله وليه

خديمنا الأرضى القائد محمد بن عبد الله أبهى، وفقك الله والسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته. وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بما ظهر بقبيلة حاحا من الطيش والفساد بسبب إغراء من عينت على ذلك، وصار بالبال ما ءال أمرهم إليه، فأمر هرج العامة معلوم، وان الفتنة لاتؤول بخير ولو كان الإنسان غالبا، فأحرى إن غلب، فأقدم على حضرتنا العالية بالله، على يد ولدنا الأرضى، سيدي حسن أصلحه الله، فإنا كتبنا له بذلك، وأن داركم دار المخزن قديما وحديثا، فلانفوتك إن شاء الله ولانسلمك بل تقدم لحضرتنا الشريفة في عز و [سؤدد]، إن شاء الله بحوله وقوته والسلام ثاني ربيع الثاني عام 1288هـ.

الحمد لله وحده ، صلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله

نجل سيدنا نصره الله وخليفته الربانية الأصلية الشريف الأصلي الطيب الطاهر السيد مولانا الحسن بن سيدنا المنصور بالله وأعز به الدين ، السلام عليك وعلى أهلك وذريتك ومن ناط بك ورحمة الله تعلى وبركاته بوجود سيدنا أيده الله ونصره . أما بعد فليكن في كريم علم سيدنا ، أن خبرك من حين خروجك من حضرة سيدنا اهتزت به السماوات والأرض ، وارتعدت به قلوب المتشككين وفرحت به أهل الصلاح والفلاح والضعفاء من كل جانب .واتبعنا أترك حتى قيل لنا بنزولك مع جيوش المسلمين على واد شيشاوة واستأتبت بك القبائل من السمع والطاعة ، فالحمد لله لنا ولك على ذلك مما أظهر الله عليك من بساط نعامه وعطف نظر أبيك سيدنا نصره الله عليك وظن بك أن تقوم مقامه في كل نائبة ، وذلك غاية مرغوبنا وغاية آمالنا أدام الله عليك من فضل عزه وكرمه ويقضي بك غرضه بأضعاف أضعاف ذالك ويقوم بك كسرة المومنين ويذل الله بك عدوته فوالله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك إلا أن مقام عزك ونصرك بلغ في البلاد والقلوب مالايعلمه إلا الله ، وذلك من خصائص الله ، اعلم حيث يجعل رسالته ، يؤتي الملك من يشاء ويعز من يشاء ، جعلك الله منهم أبدا ، ويجود عليك بطول العمر وأسبغ نعمه ظاهرة وباطنة هذا من فضل ربي فالحمد لله . ثم بعد هذا وصلنا خبر سيدنا بنزوله ببلد خدامه حاحة ، وأنالوك بالسمع والطاعة والهداية وذلك الظن فيهم أبدا مع دار سيدنا سلفا وخلفا . والآن ياسيدنا نسئل من الله ومن كمال فضلك وبحق النبوة أن تكون في هممهم والشفع فيهم وتكون الداخلة الرحمة بينهم وبين أبيك سيدنا نصره الله ، فإنهم لايشك محسوب من داخل الخدمة أبدا إلا أن الله تعلى قدر عليهم هذه الفعلة المقدرة عليهم ، فانهم ندموا على ذلك كله فقد شكوا علينا ذلك كله بألسنتهم لما

رجعنـا مـن حضرتـك الشـريفة ونزلنا عليهم على نية إطفاء ذات البين بينهم ، والفتنة الواقعـة ، فبشرناهم جميعا هولاء وهؤلاء فوجدناهم كلهم على السمع والطاعة سيدنا نصره اللـه ، فاللـه يهديهم ريجبر كسرتهم ويصلحهم علي يـدي سيدنـــا بجـــاه النبـي وءالـه . ثـم يعلم سيدنا بأننا كتبنا من دارنا بالزاوية المعلومة في علم سيدنا ، ونحـن ياسـيدنا علـى الظـن الـذي ظننت فينا على السمع والطاعة والمحبة فأينما نصلح لسيدنا برءوسنا ومتاعنا فهاءنا لك وما عندنا إلا الله وأنت ومن خيار أهل الطاعة أبدا . ثـم إن سـأل سـيدنا عـن أخبـار سـوس ، فـإنهم في هذه الساعة خادمين مع عاملك وخـادمك القائد السيد أحمد بن علل ،حسبما وصلنا البلد ثم أرسلت أخي السيدبيكر وبيـده كـلام سـيدنا الذي أخذناه من يدك الكريمة فوجهناه إلى العامل وفرح به وزاد التعظيـم لحرومنـا ببركـة سـيدنا ونصره الله وقضى الغرض فالحمد لله . ثم إن العامل مـازال في بلاد هشتوكة كما في علم سيدنا ، وصار الناس في السمع والطاعة والخدمة وانصتـوا إليـك وذلك الذي ندمهم من الخوف ، لاسيما ذالك القطع من وادي ألـغـس فإنهم لما أحسوا بخروجك قالوا ذالك علينا إذا صلحت حاجة. فالحاصل هذه الساعة من فضـل اللـه ذهـب اللـه بها الفتن والضغائن بين المسلمين ، فكل من أكل أحدا في تلك السـاعة الماضيـة صـار يوديـه بفضـل الله وبركة الأمير نصره الله . وأما خادمك الشيخ ابراهيـم أدليـم فإنـه مـع القـائد وعلى الخدمة والسمع والطاعة كما هو فالله يكون في عونه، وذالك من فضلك وبركتك أدام الله عزك والسلام . وفي 20مـن ربيـع الثـاني عام 1290، والجواب من سيدنا ليطمئن به القلب .

خديمكم عبد الله بن عمر بن عبد الله البطم

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وءاله

أدام الله عز سيدنا وعلاه ومتعنا بحمايته ورضاه ءامين وسلام الله على مقام مولانا ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد فأنهى لشريف علم سيدنا نصره الله، أن ما نبغ لبعض حاحا إنما هو جعجعة بلا طحن وخلاف بلا ثمر، وليس بسيدي فيه تشويش اصلا ولا أثر له في الكلية، بل حقيقة ذلك سيدي وجلية أمره وقصاراه، هو أن قبيلتي نكنافة وءايت زلطن مختلفتان متنافرتان في الباطن، وكل منهما يحتال في أن يجعل المخزن طوع يده، يبعث به في أغراضه كيف شاء حتى يقضي وطره فيمن ليس من لفه، وحيث سيدي لم يتمكنوا من ذالك وبارت حيلهم وايئسوا من شدة في القبائل لاكن سيدي لما عرفوا الحقيقة وانكشف الغبار ووضح الصبح لذي عينين وانجلى النهار وما بقيت تنفعهم حيلة ولايسمع لهم كلام في لف ولا قبيلة، وأعلمت سيدي بباطن الامر وكنهه لما عساه يبلغ سيدنا جزافا عمن لاخبره عنده من نقلة الأخبار سوى غثها وسمينها، ليطمئن خاطر مولانا الشريف. ثم النظر لسيدنا أيده الله بعد وعلى خدمة سيدي طالب من مولانا صالح أدعيته ورضاه والسلام في 8جمادى الأولى عام 1290.

ملاحظة: خالية من الباعث وأي ذكر له.

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وءاله

حفظ الله بمنه وعم بجميل لطفه وسنده مقام سيدنا ومولانا الخليفة، نجل مولانا الإمام المعظم الهمام، وسلام الله على سيادة سيدنا السلام التام الأكمل، والرضوان العام الأشمل، بوجود مولانا أيده الله ونصره وأدام وجوده وعلاه. وبعد فقد ورد علينا الأمر الشريف، وأنه قد غاب عن سيدي خبرنا منذ توجه خديم سيدنا القائد عبد المالك، مع أنك سيدي كتبت لنا صحبته بما يكون عليه عملنا معه وعمله معنا، لتبقى على عمله كما كنت قبل ونريد اليوم أكثر مما مضى، فإذا به لم يأتي من عندنا جواب عن ذالك، ولا بما زاد ولا نقص. اعلم سيدي أسعدك الله منذ ورد تلاقيت معه مرتين مرة في دويرته أكلنا وافترقنا والثانية يوم الجمعة ساعة كتبت لك كتاب قبل هاذا، وأنهى لعلم سيدي أني لاخبر عندي من القبيلة ولا من جانب الأشياخ انما نسمعه من المخازنية، كمثل الحاج مبارك العسكري الذي كان وجهه منّوا بعد أن طلب الأمان من سيدي لاخوانه جماعة من إداوكلول من جملة ما أخبر، أن جماعة بوجمعة ما رحلوا لا من جانبه لانهم حيث كانت الفترة اخذوا له شينا أمثل وفوق الدار وغيرها، فقال انهم ذكروا له إذا من عليهم سيدنا وكانوا يقدمون على غير شيخهم بوجمعة ويتولى عليهم غيره فإنهم يقدمون ويقومون بواجب إنابهم في الخدمة المولاوية، فتكلمت مع العامل بهذا فقلت له إن هاذه الجماعة أو غيرها فكل من أراد أن يقدم على غير يدي شيخه فوجه عليه يقدم وحيث تتمكن من القبيلة ويستقيم أمورها فافعل مابدالك، وأجاب بأنهم لايقدمون إلا على يدي شيخهم، ومما سمعته من خديم سيدنا القائد الحاج بوعبيد فإنه يذكر لسيدنا تفصيلا وإجمالا ولايحسبني على سيدي، واني نباشر امرا من الامور انما نحن من جملة الحراك عن امر سيدنا. وفي يومنا هاذا في العشرة وردت علينا نفولة من عند بو العشرات هاهي تصل

سـيدي لتطالعهـا ، ولو علم بها لم تصل إلي ، ولازال يتكلم معه عليها ، وان الخيل والرمـات التي توجهت بالامس دخلت دار من وجهت إليه ، وهاذا العامل لايتكلم معي فـي أمـر مـن الأمور إنما مشغول بأمر نفسه إذا دخل قبته سدها عليه فلايصل أحدا له مـن القبيلة ولا من الأشياخ ، وإذا دخل دارا فكذلك ، وقد أخبرني البعض وأنه كلف خليفتـه الذي كان معنا هو الذي يحكم بين الناس ، ومن أراد أن يهدي هدية يهديها إليـه ويكـون جميـع الكـلام معـه . مع أن هاذا الأمر لم يصل إبانه الان ، بل حتى تسـتقيم القبيلة ، إنما يلزمه أن يباشر القبيلة لتتألف قلوبهم وتطمئن أنفسهم ، ومن جملة عملـه معي ، أني لما كتبت لسيدي البارحة تعاقدنا وأننا لانرحل حتى يأتي أمر سيادتك فـإذا بـه لمـا قـام من عندي كتب فهم بالرحيل يوم السبت ، فلما أخبرت بذلك قلت لانرحـل إلا إذا ورد أمـر سـيدنا ، ففي الصباح وجه خليفته ومن حضر عنده من الخيل والرمـات ومـا بقى معه إلا بني زلطن ونكنافة ، ولم يخبرني بذلك إلى الان ، والحاصل سـيدي إني بينت لسيدي ماهو كامن ربما تحسب علي واني نعالج امرا أو نباشره ليحصل معه الانتفاع انما يعمني مايعم غيري ممن هنا ، والذي لابد منه سيدي هو توجيه القائد الحاج بوعبيد ليتولى الكلام ، مع العامل بامر من سيدنا ويكون يدفع له صلابة الكلام ونحـن لـه اعانـة لعل الله يعالج أمور هاذه القبيلة حتى تجتمع كلمتهم ، ويقضي سيدنا بنظـره اذمالنـا الا التمسـك باذيـالكم والتعلـق بـامور هممكـم ولـزوم خدمتكـم وحضرتكم مع حظ وافر من تراب ودكم واعاننا على الخدمة الشريفة والسلام في 23 جمادى الأولى عام 1290.

محمد بن عمر وفقه الله.

الحمد لله وحده، صلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه

أدام الله العز والعناية والرفعة والسيادة لحضرة سيدنا الشريفة ،سيدنا ومولانا الخليفة ، نجل مولانا الإمام المعظم الهمام ، وسلام الله على مقام سيدنا السلام التام الأكمل والرضوان العام الأشمل بوجود مولانا أيده الله ونصره وأعز ذكره وأمره . وبعد فليعلم سيدي وأنني لما كنت بفم الثليث أخبرت وأن أقساما من قبيلة اذاوفلول ، وهم إذا أجرجان وإذا أزيكوا وغيرهم جل فرارهم من كوانين زممت عليهم في أيام الحاج عبد الله أبهى . فتكلمت مع أبي العشرات تلك الساعة في أمرهم ، فقال بلسانه لو وجدناهم يرجعون لتركناهم عليهم ولم نلتفوا إليهم ، وكان ظنه أنهم يرجعون على يديه . فلما حللنا بلادهم وجهت عليهم وواعدتهم بعدم حمل تلك الكوانين التي عددها 42حتى ينظر سيدنا أعزه الله في أمرها ويحكم بنظره فيها ، لأنهم كانوا تحاسبوا في أيام السيد عبد المالك أبهى ، بأمر مولانا المقدس بالله روحه مع كافة قبيلة حاحة ، فانحصر عددهم في 493، ثم تحاسبوا أيضا في أيام الحاج عبد الله ولده عام 1274فانحصر عددهم 527، فكتبوا رسما بالعدول على ذلك كما تطالعه سيدي في كتاب العامل الأن ، مع أنه كان ترك الرسم تحت يديه وقال لهم هاذا وقت المجاعة ولابد لكم من مراجعة إخوانكم . وكان الغرض على ذلك العدد ، وبقي الرسم إلى أن نهب أزغار فدخل بيت البعض ، وقالوا إنهم أعطوا عليه دارهم حتى دخل بأيديهم . ولما تولى الذوبلالي وقعت بينهم خصومة ولجاج كثير حتى وقفوا على العيب مع بعضهم بعضا ، فوجه إليهم أصحابه وقبيلة إذاوسارن واذاوتغنمة وحاسبوهم فانحصر عددهم في 464كما ذالك في رسم بأيديهم ، فلما قدموا على الأشياخ جميعا ووقع بينهم لجاج فقلت لهم أمرهم يرفع لسيدنا الخليفة أعزه الله يحكم فيه بنظره ، ثم بعد ذالك فرقت تلك الكوانين على

سبعة أقسام عليهم ، ستة كوانين للقسم لقطع نزاعهم فتوافقوا كلهم على ذلك وقبلوه ، ما عاد بو العشرات لم يحضر تلك الساعة ، فلما حضر قام وقعد وقال إنه لايقبل ذلك ، إنما يقبل حساب الحاج عبد الله . وكنت استفهمت وأن الطالب علي كيدر هو الذي حماه على ذلك ، فإذا به قدم علي وقال هؤلاء الناس كثر لجاجهم فلو وجد سيدنا الخليفة أن يبقيهم على حساب السيد عبد المالك الأول لكان أولى ، وقيد الحساب بخط يده كما تطالعه فأشكل على الأمر من جانبه ، والحاصل إن اقتضى سيدي أن تبقيهم على حساب السيد عبد المالك ، وقل لهم أنه الحساب كان بالأمر المولوي على قبيلة حاحة كافة ، وأما الحساب الذي يكون بأمر العمال لاعمل عليه ولا التفات إليه ، وواعدهم حتى يأتي أمر سيدنا المنصور بالله ، سوفهم وان اقتضى نظرك أن تبقيهم على تفريق ستة كوانين لكل قسم حتى يقع الحساب على كافة القبيلة بأمر شريف فيكونوا من جملتهم فذالك المقصود، وإذا حتمت ذلك على أبي العشرات فإنه لايخرج عن أمر سيدي ونظره فإن الكل منه . وحاصل الأمر هانحن بينت لسيدي بيانا شافيا في أمرهم ، بحيث سيدي توجههم إلينا من عندك متفاصلين في هذا الأمر متراضين مع بعضهم بعضا ، واقطع نزاعهم ولا تتركهم على لجاجهم فإنهم لابد أن بقوا على هاذا يحضر منهم فريق من الجانبين، فاقض سيدي بنظرك واقطع مادة النزاع . أدام الله سعادتكم ومتعنا بطول حياتكم ورضاكم وأعاننا على الخدمة الشريفة طالب صالح الأدعية والسلام في 29من جمادى الأولى عام 1290.

محمد بن عمر وفقه الله

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه

حضرة لبيب النزال وغيث النوال وبهجة الأيام والليال وتاج المحاسن والكمال، مدبر الجيوش المنصور صاحب المكارم الماثورة ذوي الرأي السداد والبطش الشديد، سيدنا ومولانا الخليفة نجل مولانا الإمام المعظم الهمام أطال الله عموركم ورفع بكل خير قدركم بمزيد تحيات عن حميم الفؤاد صادرات، وسلام الله على مقام سيدنا السلام التام الأكمل والرضوان العام الأشمل بوجود مولانا أيده الله ونصره وخلد في الصالحات ذكره وأمره. وبعد فأنهى لعلم سيدي وأن هؤلاء الناس قبيلة إذا أوكازوا وأيت عيسى وإذا وبوزية هاذه أياما وهم يترددون علينا كما كنت قدمت الاعلام لسيدي، ولما ذكرت لسيدي حضور الطالب مبارك أنفلس تأنيت حتى ورد وقدمنا عليهم يوم الخميس في نصف النهار، وصحبت معي الطالب مبارك أنفلس والحاج لحسن التكزريني وكاتب سيدي الفقيه السيد محمد بن الفاضل بقصد تبرك أسلافه، وخال سيدنا القائد الحاج بوعبيد، وتلا قوا لنا البعض منهم وأطعمونا، ووجهت من أتى لنا بهم رافعين أصواتهم طالبين أمان الله وأمان سيدنا، فامنا عليهم على أمان سيدنا. وقالوا ما فررنا إلا لقلة بضاعتنا وضعفنا ولكوننا ما حضر منا أحد في نهب متاع ازغار، وخشينا على أنفسنا من ذلك فقلت لهم، إن سيدنا المنصور بالله ونجله السعيد أعزه الله غرضهم أن كل قبيلة ترد ما نهبت قليلا كان أو أكثر، والمقصود من سيادتهما هو عدم الظلم للجميع ،وطلبا هؤلاء القبيلتان إذا أكازوا وءايت عيسى ما كان يعمل معهما قديما من كونهما تارة يكونان في كل قبيلة منهما قبيلة سوى ربع، وتارة نصف قبيلة، ولكونهما أهل الجبل ولاشيء عندهما، وقد حلفوا إداكازوا بالإيمان المعظم أنهم لم يجاوزوا أربعمائة صائم، وذكروا لي حجة أيدت قولهم، وأنهم يدفعون شيئا لمسجدهم مقيد في كناشة كفى به حجة عليهم،

وكذلك أيت عيسى ، فقلت لهم أقدموا عند سيدنا الخليفة وعرقبوا عليه واطلبوه ما تمنيتم ، ونحن لانقصروا من جانبكم بحول الله وهم يقدمون يومنا يوم الجمعة بهديتهم للعامل ، ويتوجهون عاشية النهار لدى سيدنا أو يوم السبت بهديتهم ويعرقبون على المحلة السعيدة .. ووجب علينا إعلام سيدي ليكون علي بال ، والمقصود من سيادة سيدي هو مساعدتهم في مطلبهم ، بحيث أن قدموا هاذه المرة نصف قبيلة مرة أخرى قبيلة سوى ربع ، لكل منهما ، حركة كاملة لكل منهما ، وتسمى قبيلة حاحة كلها خدمت ويقع الحكم لأهل الوطا ، والحد لهم . وتكلموا أيضا في شأن المؤنة بأن تزول عليهما ، فقلت لهم لامدخل لسيدنا فيها ، إنما كلامكم مع إخوانكم حاحة ، وهاهم يسمعون فيكم ، فأجابوهم بأنهم رفعوها عليهم ، وقدموا إذا او بوزية وتحملت لهم بكل من هو فار منهم ، ومن قبيلة إذاوگلول ومكراد وأمنت عليهم على أمان سيدي ، من أراد الصلح مع شيخه نصلحهومن طلب الأمان فهو مؤمن . وبهاذا وجب إعلام سيدي وعلى الخدمة الشريفة والسلام في 7جمادى 2 عام 1290.

محمد بن عمر وفقه الله .

الحمد لله وحده، صلى الله على سيدنا وءاله وصحبه

الحصن الذي لايضام ناوله والكوكب الذي لاح وأشرق على الافاق أنواره ثمرة الشجرة النبوية والنور الذي أظهرته المنة الأزلية، سيدنا ومولانا الخليفة نجل مولانا الإمام المعظم الهمام، وسلام الله على مقام سيدنا السلام التام الأكمل والرضوان العام الأشمل بوجود مولانا أيده الله ونصره وأدام وجوده وعلاه. وبعد فلتعلم سيدي وأنه ورد علينا الأمر الشريف جوابا عما كنت به سيدي فاجبت بأن العامل والأشياخ والأعيان فقدومهم متعين لازم، ولم تبق مصلحة في بقائهم معنا، سيما وهاذا الأمر المتوجهين لقصده هو أهم وءاكد مما أرادوا الجلوس لأجله هنا، فلايسمع أحدا منهم التأخر عنه لا أنفلوس ولا غيره، على أن جلوسهم هنا ومنافستهم لاتترك لنا أمرا يستقيم بحال أصلا، بل ما يكون سهلا يصيرونه صعبا بشهواتهم ويشعبونه بتتبع هوائهم، وانه حتى إذا لم يكن موجب للتوجه عليهم لوجب تفريقهم إذ ليس من المصلحة ولا من السياسة جمعهم هنا، وأنهم لم يتركوا الحكم عليهم يجري مجراه، وانه حتى إذا توقف الأمر على الخدمة يعللونه بفساد الجبالة، وأنه حيث أخبرت سيدي بمواجهة الفساد معنا فقد أجلت العامل والأشياخ والأعيان ثلاثة أيام، ربما يضربون، والبدء من يوم تاريخه، وان تضربوا من ولانا منهم وتخربوا بيوتهم وتفرقوا جموعهم وتشتتوا شمولهم. اعلم سيدي أسعد الله أوقاتكم وزين بكل خير عصركم، وان ما ذكرت سيدي لابد من توجيه العامل والأشياخ والأعيان، فالعمل على مااقتضاه نظرك وما ذكر سيدي من أن جلوسهم هنا ومنافستهم لاتترك لنا أمرا يستقيم بحال أصلا فذالك سيدي دأبهم وعادتهم، إنما هم أحلاف كما كنت قدمت به الاعلام لسيدي قبل، لما كنا بفم الثليث فكل حليف منهم يريد أن يظهر خدمته وصلاحه ووقوفه بجانب سيدي، ومن أراد أن يأتي

بجانب فيريد الجانب الآخر إبطال عمله ، وما ذكرت سيدي من كونك أجلت للعامل ثلاثة أيام فقد وجد الحال العامل توجه لحضرتك السعيدة ومعه أشياخه وأعيانه ، وذكر سيدي أنه إذا احتجنا إلى المدد نظير الاعلام لسيدي ، نعم سيدي انه لايخفاك وأننا لامعرفة لنا بالبلاد نحن ولا المدد ، لو وجدنا ندرك الأمر بالسياسة أفضل من كل شيء ، واما قول أبو العشرات أن تتبعه سيدي يجده مركبا موافقا للمراد ليكون قبيلة اذاوكلول فاسدة كلها ، وما صلح أمرهم إلا بوجود المحلة التي بوسطهم ، وخشي ربما يقع شيئا تقع عليهم حجة لاتصالهم بالجبل مع أن ذلك ليس برأي بكون التزعزع عنهم . وقولك سيدي أن نجعل أمر الجبل نصب عيني ومطمح نظري حتى يبنى أمره على أساس ولايبقى فيه مقال . ولابأس ، نعم سيدي لم تبين لي كيف المباشرة لأن الشيخ محمد الكازوتي كان هذه الأيام هنا ،فإذا به توجه مع العامل ، وكنت أردت إبقاءه هنا معنا ونباشر أمره مع إخوانه ،فمن أراده واستقام أمره معه فهو المقصود عندنا ، ومن امتنع وصد عنه فهل نسير معهم على الكيفية التي كنا قدمنا الاعلام بها .فنحب من سيدي أن يعجل لنا بتوجيهه وتبين لنا سيدي كيفية الأمر التي نباشر به أمرهم بحيث لانبرم أمرا إلا بما اقتضاه نظرك السعيد ورأيك الموفق بالله الرشيد ، وحاصله أنه لانبدأ كلاما معهم إلا إذا قدم الكازوتي . والكمال على الله وبأسلافكم الطاهرين لأننا لامنة علينا إلا منة الله ومنتكم أسعدنا الله بطول بقائكم وزاد في عموركم وارتقائكم وأعاننا على الخدمة الشريفة والسلام في 15 من جمادى 2 عام 1290

محمد بن عمر وفقه الله

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله وصحبه

أيـد اللـه بجـل مولانا الطاهر وخليفته الأسعد سيدنا حسن ابن أمير المومنين ، السـلام على مقام سيدنا السعيد ورحمة الله عن خير مولانا المنصوربالله . أما بعد فقـد أمرنـا سيدنا بتوجيه من يقف على متاع أبهى ويحوز ما نابنا منه بالثمن ، فامثتلنا ووجهنـا مـن قبلنا من ينوب عنا في حوز ذالك ، والمطلوب من مولانا أن يأخذ كل منـاعلى قدرقبائلـه ، وبعلـ • يدنا أنـا سـمعنا أن ما حازوه أشياخ الشياظمة وقع فيه التبـدل والتغيير والزيادة والنقصان في البهائم ، وعليه طالبا من مولانا أن نأخذ ما نابنا فيمـا يزيـد مـن المتاع الآن حتى نستوفوا القدر المعين على قدر قبائلنا ، وما نحن إلا خدامكـم وعبيـد نعمتكم الشريفة ، وعلى الخدمة والطاعة والسلام في 29جمـدى عام 1290.

خاتم وبداخله : خديم المقام العالي بالله
عمر بن سعيد المتوگي وفقه الله

ملاحظة :

وردت هذه الردود على ظهر الرسالة

نعـم سيدي قد بين قائد المشور السعيد للمتوگي الذي ورد لحيازة مظهر في دفع أبهـى القسمة التي جعلها سيدنا أيده الله ، ومتى دفع نصفه للشياظمة ودفع نصف النصف الآخـر لمتوگـة ودفـع الثلثـين من نصف هذا الآخر لمزوضة والثلث الباقي منه لأولاد بوسبع فرضى هذه القسمة وقبلها .

اشرح لنا مقصوده ومطلبه داخل هذا الكتاب :

نعـم سيدي مراده أنهم يقسمون ذالك على عدد أخماس كل قبيلة ، وقد سألت صـاحبي المتوگـي الواردين لحيـازة الدفـع عـن عدد أخماس متوكة فذكروا أنهم أخماس والشياظمة 10أخمـاس مـن غـير الزوايا ومزوضة خمسين وأولاد بوالسبع خمس وهذا أنهم سيدي موافق لقسمة مولانا أيده الله .

ما مراده ما نابنا فيما يزيد من المتاع .

نعـم سيدي مراده والله أعلم المتاع الذي يرد بعد هذا هو الذي يحوز منه ما نابهم لوقوع التبديل والتغيير في الوارد .

المصادر والمراجع العربية التي تمت مراجعتها

أبي زرع (علي بن) - الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1971.

أكنسوس (محمد بن أحمد) - الجيش العرمرم الخماسي في دولة مولانا علي السجلماسي، الطباعة الحجرية بفاس، الجزء الأول.

أفا (عمر) - النقود في تاريخ المغرب، في القرن التاسع عشر (سوس 1822 - 1906) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأگادير - مطبعة النجاح الجديدة الدارالبيضاء - 1988.

البيدق (أبو بكر بن علي الصنهاجي) - أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة - الرباط 1971.

البكري (أبو عبيدالله بن عبد العزيز) - كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من أجزاء الكتاب المعروف بالمسالك والممالك - باريس 1965.

بوشارب (أحمد) - دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمور (قبل 28غشت 1481- أكتوبر 1541) - دار الثقافة الدارالبيضاء 1404- 1984.

باسكون : (پول) - التجزؤ والتراتب في المجتمع القروي المغربي : مجلة الفكر العربي، العدد 37- 38سنة 1985، ص ص : 334- 346.

برتي (پول) - قصب السكر وصناعة السكر في المغرب القديم. البحث العلمي العدد 1964. ص ص : 33- 38.

البزاز (محمد الأمين) - قضية آمن الأوروبيين بالمغرب 1895: مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - العدد 7الرباط 1980.

بنعبدالله (عبدالعزيز) - الزاوية المغربية كمنتدى للفكر، مجلة دعوة الحق، أعداد 243، دجنبر 1984، و 245 فبراير 1986.

التوفيق (أحمد) ـ مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، إينولتان (1850- 1912)، الجزء الأول والجزء الثاني، مطابع النشر المغربي، 1980.

جرمان (عياش) ـ جوانب من الأزمة المالية بالمغرب بعد الغزو الإسباني سنة 1860 ـ المطبعة الملكية الرباط 1959.

حجي (محمد) ـ الحركة الفكرية بالمغرب في عهد الدولة السعدية. المغرب 1978.

خلدون (عبدالرحمان بن) ـ تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. مؤسسة جمال للطباعة والنشر الجزء السادس. بيروت ـ لبنان 1399- 1979.

ـ مقدمة ابن خلدون ك دار القلم بيروت طبعة 1981.

الخديمي (علال) ـ من التاريخ الاجتماعي للمغرب، مؤسسة النزايل والمواصلات الداخلية والتدخل الأجنبي، خلال القرن التاسع عشر ـ أعمال ندوة التجارة في علاقاتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب ـ الجزء الأول ـ منشورات كلية الاداب ـ عين الشق ـ البيضاء 1992. ص 193ظ 210.

داوود (محمد) ـ تاريخ تطوان، المجلد الرابع المطبعة المهدية ـ تطوان 1964.

الزرهوني (عبدالله بن الحاج إبراهيم) ـ رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد في هذه الأجيال بإذن الواحد، تقديم وتحقيق صدقي علي، كلية الآداب، الرباط 1988.

زيدان (عبدالرحمان بن) ـ إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، الجزء الثاني، المطبعة الوطنية، الرباط 1930.

ـ إتحاف أعلام الناس، الجزء الثالث المطبعة الوطنية، الرباط 1931.

ـ إتحاف أعلام الناس، الجزء الخامس، المطبعة الوطنية، الرباط 1933.

السوسي (محمد المختار) ـ المعسول ج 1: مطبعة النجاح ـ الدارالبيضاء 1960

ـ المعسول : ج 7: مطبعة النجاح ـ الدارالبيضاء 1962

- المعسول : ج 8: مطبعة النجاح - الدارالبيضاء 1962
- المعسول : ج 12: مطبعة النجاح - الدارالبيضاء 1962
- المعسول : ج 15: مطبعة النجاح - الدارالبيضاء 1962
- المعسول : ج 19: مطبعة النجاح - الدارالبيضاء 1962
- المعسول : ج 20: مطبعة النجاح - الدارالبيضاء 1962
- خلال جزولة الجزء 1، المطبعة المهدية، تطوان، بدون تاريخ
- خلال جزولة الجزء 2، المطبعة المهدية، تطوان، بدون تاريخ
- خلال جزولة الجزء 3، المطبعة المهدية، تطوان، بدون تاريخ
- خلال جزولة الجزء 4، المطبعة المهدية، تطوان، بدون تاريخ
- إيليغ قديما وحديثا، المطبعة الملكية، الرباط 1966.

صاحب الصلاة (عبدالملك بن) - تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبدالواحد التازي، دار الأندلس، بيروت. 1964.

صادق (أحمد) - في ضوء النمط الأسيوي للإنتاج، تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي، دار ابن خلدون، بيروت 1979.

الصديقي (محمد بن سعيد) - إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة، دار الكتاب، الدارالبيضاء، بدون تاريخ.

الضعيف (محمد بن عبدالسلام) - تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة) تحقيق وتعليق أحمد العماري، دار المأتورات، الرباط 1986.

العبدري (محمد بن محمد العبدري الحيحي) - رحلة العبدري، نشر وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، الرباط 1965.

العروي (عبدالله) - ثقافتنا في ضوء التاريخ، دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت - لبنان 1986.

الفشتالي (عبدالعزيز) ـ مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء ـ تحقيق عبدالكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدون تاريخ.

القبلي (محمد) ـ مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين ـ مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية العدد الثالث والرابع ـ الرباط 1978ص ص 7- 50.

قنفد (أحمد الخطيب الشهير بابن) ـ أنس الفقير وعز الحقير عني بنشره وتصحيحه محمد الفاسي ـ أدولف فور المركز الجامعي للبحث العلمي ـ مطبعة أكدال ـ الرباط 1965.

لطفي (عبدالوهاب) ـ العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ بيروت 1978.

لوتورنو (روجي) ـ فاس قبل الحماية، الجزء الأول، ترجمه إلى العربية محمد حجي، ومحمد الأخضر دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان 1986.

مارمول (كربخال) ـ إفريقيا، الجزء الثاني، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون. مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1984.

المراكشي (ابن غدارى) ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ـ قسم الموحدين، تحقيق الأساتذة : محمد إبراهيم الكتاني ـ محمد بن تاويت ـ محمد زنيبر ـ عبدالقادر زمامة. دار الثقافة ـ الدارالبيضاء 1985.

المشرفي (العربي بن عبدالقادر) ـ نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار ـ مخطوط الخزانة العامة، الرباط.

مؤلف مجهول ـ كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار نشو وتعليق سعد زغلول عبدالمجيد. دار النشر المغربية ـ الدارالبيضاء 1985.

مجلة تطوان عدد خاص بمناسبة الذكرى المئوية الثالثة لجلوس المولى إسماعيل على العرش المغربي ـ مطبعة أكدال بالرباط. دون تاريخ.

مجلة الوثائق : عن مديرية الوثائق الملكية العدد 4ـ الرباط 1977.

معملة المغرب : الجزء الأول، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ـ مطابع سلا 1989.

معملة المغرب : الجزء الخامس، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ـ مطابع سلا 1992.

الناصري (أحمد بن خالد) ـ كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. ج 2ـ دار الكتاب الدارالبيضاء 1954.

ـ كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. ج 4ـ دار الكتاب الدارالبيضاء 1955.

ـ كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. ج 5ـ دار الكتاب الدارالبيضاء 1955.

ـ كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. ج 6ـ دار الكتاب الدارالبيضاء 1955.

ـ كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. ج 7ـ دار الكتاب الدارالبيضاء 1956.

ـ كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. ج 8ـ دار الكتاب الدارالبيضاء 1956.

ـ كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. ج 9ـ دار الكتاب الدارالبيضاء 1956.

ناعيمي (مصطفى) ـ أهمية التجارة للبنية الاقتصادية والاجتماعية غرب الصحراء، بلاد تكنة : ـ مجلة البحث العلمي ـ العدد 35سنة 1985ـ المعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط.

وافي (عبدالواحد) ـ عبدالرحمان بن خلدون : سلسلة أعلام العرب، العدد 4 وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ الجمهورية العربية المتحدة : دون تاريخ.

الـوزان (حسـن بـن محمد) - وصف إفريقيا - الجزء الأول ترجمه عن الفرنسية - محمد حجي - محمد الأخضر. مطبعة ووراقة البلاد - الرباط - 1400- 1980.

الوفرانـي (محمـد الصغير بـن الحـاج بـن عبدالله) - نزهة الحادي بأخبار ملوك القـرن الحـادي. قد صحح عباراته التاريخية هوداس - الطبعة الثانية. مكتبة الطالب الرباط، دون تاريخ، الطبعة الأولى 1888 بمدينة أنجى.

المراجع المستعملة باللغة الفرنسية

Adams (Robert) - Nouveau Voyage dans l'intérieur de l'Afrique, fait en 1811 - 1812 - 1813 - 1824. Traduit de l'Anglais par le Chevalier de Frasans. Chez L. G. Michand. Paris 1817.

ABitbol (Michel) - Témoins et acteurs : Les Corcos et l'Histoire du Maroc contemporain, Jérusamem 1977.

Amine (Abdelaziz - Jean Brignon - Brahim Boutalb - Guy Martinet - Bernard Rosenberger - avec la collaboration de Michel Terrasse) - Histoire du Maroc, Hatier, Paris 1967.

Ambrosi (C et M. Tacel) - Histoire économique des grandes puissances à l'époque contemporaine 1850 - 1958, Delagrave, Paris 1963.

Aziki (Slimane) - L'agriculture irriguée et l'aménagement d'un espace rural méridional marocain en plein mutation, le cas du wad sous Aval. Thèse de 3ème cycle Université d'Aixe Marseille 1983.

Berque (jacques) - Structures Sociales du Haut-Atlas. P.U.F. Paris 2ème éd. 1978.

- Antiquités Seksawa - Hesperis 4ème trimestre 1953. pp 359-417.

- Notes sur des échanges dans le Haut-Atlas - Annales Ec. Soc. Civ. N° 3, 1953.

Berthier (Paul) - Note sur la découverte et l'identification d'importants vistiges anciens d'hydrolique, le cercle de Mogador B. E. P. M. N° 208, 1949.

- Un épisode de l'histoire de la Canne à sucre, les anciénnes sucreries du Maroc. 2 Vols. Rabat 1966.

Cagne (jacques) - Sur le pays Takna. Revue dar-Al-Niaba. N° 18. 1988.

Cenival (Pierre de) - Les Sources Inédites de l'Histoire du Maroc. Première série. Dynastie S[c]adienne. Archives et Bibliothèques partie. Mais 1516 - décembre 1526. Paris 1939.

- Les émirs des Hintata, rois de Marrakech. Hesperis, Tom. XXIV, 1937.

Célérier (J) - L'Atals et la circulation au Maroc. Hesperis. 4è triméstre, 1928.

Certeau (Michel de) - L'orépartion historique. faire de l'histoire. T. 1 pp. 3-41. Gallimard, Paris 1974.

Chappelle (F. de la) - Les Takna du Sud Marocain. Comité de l'Afrique Française. Rabat 1934.

Chaunu (Pierre) - L'économie. Dépassement et prospection - faire de l'histoire. T. 2. pp. 51 - 73. Gallimard. Paris 1974.

Doutté (Edmond) - L'organisation domestique et sociale chez les Haha. L'Afrique Française. Janvier 1905. Renseignements Coloniaux. pp 1 - 16.

Dresch (J) - Recherches sur l'évolution du relief dans le Massif central du Grand-Atlas, le Houz et le Sous. Paris 1941.

- Le devenir des populations montagnardes du Maroc. Bulletin économique et social du Maroc. N° 159-160. 1987.

Ennaji (Mohamed et Paul Pascon) - Le Makhzen et le Sous-Alq'sa - la correspondance politique de la maison d'Iligh 1821 - 1894. C.N.R.S. Toubkal, Casablanca 1988.

Ege (Ragip) - Réflexions théoriques sur le concept de stagnation dans l'analyse marxiste de l'histoire ottomane - Economie et sociétés dans l'empire ottoman - édition. C.N.R.S. Paris 1983.

Foucauld (Charles-Eugère de) - Reconnaissance au Maroc 1883 - 1884. Challamel, Paris 1888.

Fush (J) - Evolution d'un grand Commandement marocain le Caïd M'tougui et le Protectorat C.H.E.A.M.

Gendre (le C dt. F) - L'évolution du relief dans le Massif ancien du Grand-Atlas, le Haouz et le Sous. - Revue de Géographie marocaine N° 1, 1943.

Germain (Ayache) - Fonction d'arbitrage du Makhzen. Etudes d'histoire marocaine. S.M.E.R. Rabat 1979.

- Histoire et colonisation. Etudes d'histoire marocaine. S.M.E.R. Rabat 1979.

- Le sentiment national dans le Maroc du XIX siècle. Etudes d'histoire marocaine. S.M.E.R. Rabat 1979.

- Les origine de la guerre du Rif. S.M.E.R. Rabat 1981.

Goff (Jacque le) et Pierre Nora Faire de l'histoire. T. 3.

1 - Nouveaux problèmes.

2 - Nouveaux objects

3 - Nouvelles approches Gallimard. Paris 1974.

Gouvion (Marthe et Edmond) - Kitab Aayan al-Markib l'Akça Alger 1939.

Hmmoudi (Abdellah) - Ségmentarité, stratification sociale, pouvoir politique et santeté. Réflexions sur les thèses de Gellner. Hesperis-Tamuda. Vol XV 1974.

Justinard (L) - Notes sur l'histoire du Sous au XIX siècle. Hesperis, 3 trimestre. 1925.

Kably (Mohamed) - Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen-Age Maisonneuve et larose. Paris V 1986.

Laroui (Abdellah) - l'Histoire du Maghreb T1 et 2. Maspero. Paris 1975.

- les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 - 1912) Maspero 1977.

Mezzin (Larbi) - Contribution à l'histoire du Tafilalet, Aspects d'histoire éconmique et sociale à travers l'analyse de quatre documents inédits, Enajah El Jadid Casablanca 1987.

Miège (Jean Louis) - Le maroc et l'Erope (1830 - 1894) 2ème éd, Rabat 1989.

Montagne (Robert) - Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc. Paris 1930.

- Organisation sociale et politique des Tribus berbères indépendantes. Les Ida-Outanan. Revue des Etudes Islamique. 1927.

- L'Aghbar - Hesperis. 1 trimestre 1927.

Morsy (Magaly) - Mulày Ismaiᶜil ou l'instoration du l'Etat ᶜalaouite - les Africains. T. 4. éd. Jeune Afrique 1977.

El Mouden (Abderrahman) - Exploitation et pénétration. Un siècle d'itinéraire dans le couloir de Fes-Taza (1805 - 1911). Hesperis - Tamuda. VOl. XXII. 1984.

- Pouvoir caidal et le Maghzen au Maroc à la fin du XIX siècle. le cas de l'Inaoun. Bulletin économique et social du Maroc. N° 159 - 160. 1987.

Naïmi (Mustapha) - Les pays Takna centre ou périphérique. Bulletin économique et social du Maroc. N° 159 - 160. 1987.

- L'importance des rapports nomades sédentaires dans l'évolution historique de l'ensemble confédéral Tekna - Revue - Dar-al-Niaba. N° 5. 1985.

Pascon (Paul) - Le Haouz de Marrakech T1 et 2 : Rabat 1977.

- Le commerce de la maison d'Iligh, d'après le registre comptable de Husayn b. Hachem (Tazrwalt 1850 - 1875). Annales éco. soc. civ. Mai-Aout 1980 pp. 700-712.

Renou (Emil) - Description géographique de l'empire du Maroc. Paris 1846.

Ricard (Robert) - L'occupation portugaise d'Agadir (1505-1541), Hesperis 1946.

Renseignements Coloniaux suplument du Bulletin du Comité de l'Afrique française N° 7 1918. Le Caid si Abd el Malk M'tougui.

Roig (Charles) - Théorie et réalité de la décentralisation, Revue française de science politique, Volume XVI juin 1966. N° 3 P.U.F., Paris.

Schroeter (Daniel) - Merchants and Peddlers of Essaouira, A social history of Morocco Trading Town (1844 - 1886). Ph. D. Thesis. Manchester 1984.

- Merchants of Essaouira, Urban society and impercialism in sourthwestern Morocco, 1844-1886. Combrige University Press. 1988.

Villar (Pierre) - Histoire marxiste, histoire en construction. Faire de l'histoire T1 (pp. 169-209) Gallimard Paris 1974.

Weisrock (André) - Géomorphologie et paléoenveronnements de l'Atlas Atlantique, Maroc. Rabat 1993.

الفهـارس

I – فهـرس الاعلام البشريـة

يستثنى من فهـرس الأعلام البشريـة الواردة في هـذا المؤلف السلطان المولى محمد بن عبـد الرحمان وخليفته المولي الحسـن لورود ذكـرهمـا في معظمـه

= أ =

= ج =

= ح =

= خ =

= د =

= ر =

= ز =

= س =

= ش =

= ض – ق – ك =

= ع =

= م =

= ن =

= هـ =

= و =

= ي =

II فهرس أسماء التجمعات البشرية
(القبائل والفرق القبلية)
يستثنى من أسماء التجمعات البشرية إسم حاحة لوروده في معظم المؤلف

= أ =

= ح =

حـــــــارْتْ 51 – 52

الحـــنْشـــان 38 – 47

= د =

دكـــــالة 113

دْ ويـــــــرانْ 26– 38 – 46 – 47 – 51 – 144 – 176 –186 – 187 – 188 –
191 – 217 – 221 – 224 – 225 – 229 – 270 – 273 – 276 – 277 – 278 –
283 – 284 –288 – 289 – 291 – 292 – 293 – 353 – 396 – 484 – 485 – 486
– 489 – 492

= ر =

الرحـــامْـــنة 248 – 361

رَكْـــراكـــة 50 – 52 – 69

= ز =

زْداغَـــــة 107 – 109

= س =

الســـــاحل 143 – 144

الســراغْــنة 362

ســكْــتانــة 71 – 164– 165

= ش =

الشـــياظـمـة 18 – 33 – 38 – 52 – 53 – 114 – 117 – 119 – 120 – 193 –
248 – 266 – 331 – 346 – 348 – 349 – 350 – 351 – 353 – 357 – 361 –
369 – 371 – 379 – 396 – 397 – 480 – 481 – 482

= ص =

صـنْهـــاجـة 23

= ع =

عبـــدة 248 – 361

= ف =

فـــــروكـــة 130 – 134 – 136 – 143 – 144 – 294 – 295

= ك =

= ل =

= م =

II فهرس أسماء الأماكن والبلدان

يستثنى من اسماء الاماكن والبلدان اسم الأطلس الكبير الغربي، لأنه ترد د ذكره ،في معظم المؤ لف

= أ =

= ج =

= ح =

= خ =

= د =

= ش =

= ص =

= ط =

= ع =

= ف =

= ق =

= كـ – ل =

= م =

= ن - ي =

فـهـرس الـخـرائـط

المحتوى

الفهارس :

رقم الإيداع القانوني : 696 /1998

مطبعة فضالة

زنقة ابن زيدون ـ المحمدية (المغرب)

الهاتف: 32.46.45 (03) الفاكس: 32.46.43 (03)